منبر الإسلام

العدد التاسع - السنة ٢٣ - عدد ممتاز
رمضان ١٣٨٥ هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٥ م

مع العدد هدية (امساكية شهر رمضان المعظم)

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذى
انزل فيه القرآن هدى
للناس وبينات من
الهدى والفرقان

صدق الله العظيم

منبر الإسلام

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد التاسع - السنة ٢٣

رمضان ١٣٨٥ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* **معالم الطريق**

* **زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة**

* فى ذكرى النصر ... ... **السيد الأستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية**

* بين القرآن وشهر رمضان ... ... **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**

* الصوفية فى الهامهم ... ... **الأستاذ حسن كامل الملطاوى**

* الدعوة الى الله ... ... **فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**

* لقمان ولقمان ... ... **الدكتور احمد الحوفى**

* القاعدة الرابعة... ... ... **الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل**

* عود على بدء ... ... **فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى**

* البترول ... ... **الأستاذ محمود كمال**
* خواطر مستشار ... ... **المستشار على على منصور**
* رحلاتى فى الاسلام ... ... **فضيلة الشيخ محمود الحصرى**
* رمضان والقرآن ... ... **فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده**
* الدعوة روح الفكرة ... ... **الاستاذ عبد السميع البطل**
* حول الحقيقة ... ... **الشاعر عبد الله شمس الدين**

* جمهورية موريتانيا الاسلامية **الدكتورة عنايات الطحاوى**

* **باب الافتاء ـ باب الرياضة ـ باب العلم ـ باب القصة ـ باب التحقيقات ـ ندوة الشهر ـ مع القراء**

الإشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة ٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة
ومايساوى هذه العملة فى البلاد الأخرى

الإشتراكات تدفع مقدماً

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٢٣٤٨٢

معالم الطريق

نص الخطاب السياسى للرئيس جمال عبد الناصر
بمجلس الأمة فى افتتاح دورة الانعقاد الثالث

بتوفيق الله ورعايته يبدأ مجلسكم اعمال دورة انعقاده الثالثة بالعزم وبالمسئولية وبكل حوافز الامانة والوفاء .

ولقد كان محتملا أن تبدأ اعمالكم قبل اسبوع أو اسبوعين ولكن رجوت فى التأخير مع البقاء فى الحدود التى يقررها الدستور .. لموعد دعوة المجلس الى الاجتماع .. وذلك بسبب ارتباطى بحضور مؤتمر الوحدة الافريقية الذى عقد اخيرا فى اكرا ثم التزامى فى اعقابه بزيارات كان لازما أن اقوم بها لغانا ومالى وغينيا .

ومن ناحية ثانية فلقد كان التأخير فسحة من الوقت حتى تتمكن الوزارة الجديدة التى تم تشكيلها يوم أول اكتوبر الماضى من ان

تتأهب لمواجهتكم .. ولمواجهة الشعب ولكى تقوم قبل ذلك بعملية مراجعة ضرورية ثم تتقدم بعده بمنهاج عمل واضح تطلب على اساسه ثقتكم وليكون من الاثنين معا .. المنهاج والثقة .. قوة دافعة للعمل الوطنى فى مرحلة من أهم المراحل وأدقها .

جاءت نتيجة الاستفتاء فى واقع الامروحقيقته تعزيزا وتأكيدا له اكثر مما كانت هذه النتيجة تكريما لاى فرد أو تقديرا لخدمته .. ولقد كان مضمون هذا العهد ومؤداه ان مرحلة جديدة يجب ان تبدأ فى العمل الوطنى لتوفر الاعماق والابعاد الكفيلة بتحقيق اهدافه الطموحة ولتيسر الاستفادة من تجربة الممارسة للتغيير الثورى ولتحقق التواؤم المطلوب له دائما مع تيارات التطور المتدافقة .

ولقد عبرت عن ذلك امام حضراتكم وامام جماهير الشعب التى منحتنى الظروف فرصة ان القاها واتحدث اليها اكثر من مرة حين رددت مكررا بأن المرحلة القادمة لايمكن ان تكون استمرارا تلقائيا للمرحلة السابقة .

ان الذين لايستفيدون من تجاربهم يستسلمون للدوران فى حلقات مفرغة والذين لايتفاعلون مع الواقع يتخلون عن قدرتهم على تغييره وينقلون أنفسهم بأيديهم من آفاق الحياة الرحبة الى جدران متاحف التاريخ .

مراجعة التجربة

ان مقدرة التطور الخلاق ليست ترددا امام الوسائل والاهداف كما ان مراجعة التجربة ليست تراجعا .. ان مقدرة التطوير ومراجعة التجربة ظواهر حيوية وصعوبة فى نقط التحول وعند الفواصل الزمنية بين المراحل المتعددة مهما بدت متداخلة وعلى وجه اليقين فاننا الآن نواجه شيئا من ذلك .

فى المجال الداخلى انتقلنا من خطة السنوات الخمس الأولى التى تم تنفيذها فى خطة السنوات الخمس الثانية التى يوشك ان يبدأ تنفيذها .

فى المجال العربى انتقلنا من العمل فى جو الثورة السياسية الى جو تلاحم الثورة السياسية مع الثورة الاجتماعية .

فى المجال الدولى انتقلنا من عصر الكتلتين الى عصر تعدد المراكز ومن احتمال الحرب النووية الى استحالة الحرب النووية .. وهذه كلها منطلقات جديدة لانستطيع بغير عادة الدرس والتقييم ان نتأهب ونستعد لها ..

لن نغير أهدافنا :

واود ان أقول مؤكدا أن هذه المنطلقات تطور وسائلنا ولكنها لاتغير اهدافنا بل انها لتجعلنا اكثر استمساكا وتعلقا بكل القيم التى ارتضينا أن تعيش لها وان نموت اذا اقتضى الأمر لها .

تجعلنا دعاة وجنودا للحرية بأكثر مما كنا وتجعلنا اشتراكيين فكرا وتطبيقا بأكثر مما كنا .. وتجعلنا وحدويين .. قولا وعملا . بأكثر مما كنا .

ونحن لانصدر فى ذلك عن عناد أو تعصب وانكم لتعلمون انهذه الثورة ترفض التوارى خلف مركبات الزيادة ٠٠ وتملك من القوة ما يجنبها مواقف خداع النفس أو تعزيتها ٠

ان المبادىء الاساسية لنضالنا اكدت بحساب النتائج وحدة سلامتها وصلابتها فيما استطاعت أن تبلغه فى كل مجال من مجالات عملنا ٠٠ واكدت ان الله جلت مشيئته ٠٠ يعطى الايمان مقدرة صنع المعجزات ٠

فى المجال الداخلى وفى نواحيه المتعددة حدث ما يلى :

فى الناحية السياسية فان حجم وفعالية النضال السياسى تبدو فى اكمل صورها على ضوء المنجزات الباهرة التى أمكن تحقيقها فى مواجهة أشق التحديات واصعبها ٠٠ ان حجم وفعالية النضال السياسى يمكن قياسها بمقدار ما كان ضروريا لمقاومة الاحتلال واسقاط النظام الملكى واعلان الجمهورية وانهاء وضع التبعية للاحتلال وللنفوذ البريطانى ثم كسر احتكار السلاح واسترداد قناة السويس ومواجهة العدوان الثلاثى والانتصار عليه والخروج من وراء العزلة الى تأكيد الذات العربية للشعب المصرى والى اضطلاعه بدوره ٠٠ الواجب والحق ـ فى مسائل ومشاكل عالمه وعصره ٠

والناحية الاجتماعية :

فى الناحية الاجتماعية شهدت مرحلة التحول تغييرات جذرية حررت الثروة الوطنية من الاحتكار الاجنبى والاقطاعى الرأسمالى ونقلتها الى ملكية الشعب العامل وادارته وخدمته ومكنت للديمقراطية السياسية بالتالى من أساسها السليم الذى لا أساس غيره الديمقراطية الاجتماعية ٠

٠٠ والاقتصادية

فى الناحية الاجتماعية شهدت مرحلة التحول تغييرات جذرية حررت السد العالى ٠٠ وغيره من مشروعات استصلاح الاراضى ٠ مساحة توازى ثلث كل ما كان مزروعا من الأرض قبل الثورة وتبلغ استثمارات الصناعة فى سنة واحدة ما يوازى ثمانين مثل ما كان يستثمر فى الصناعة فى السنة قبل الثورة ٠٠ بل ان منطقة واحدة من المناطق الصناعية الجديدة وهى حلوان تضم الآن من الطاقة الصناعية مايماثل كل الطاقة الصناعية التى كانت قائمة يوم ٢٣ يوليو وتتكفل محطة كهرباء واحدة هى محطة السد العالى بتقديم عشرة امثال كل طاقة الكهرباء المتاحة قبل الثورة ويوفر مصدر واحد جديد للنقد الاجنبى وهو قناة السويس حصيلة تساوى الحصيلة الوحيدة التى كان الاقتصاد المصرى يعتمد عليها قبل الثورة وهى محصول القطن ٠

حتمية الوحدة

فى المجال العربى فان الموقف فى العالم العربى كله قد طرأت عليه تبدلات اساسية منذ فجر الشعب المصرى ثورته وحقق ضمن ما حقق من منجزاتها الباهرة عملية تأكيد ذاته العربية ٠

البقية ص ١٩٠

الوفد السودانى برئاسة الهادى المهدى

زعيم طائفة الأنصار والصادق المهدى زعيم حزب الأمة

فى زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة وصل الى القاهرة يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ ، الامام الهادى المهدى زعيم طائفة الأنصار بالسودان والصادق المهدى رئيس حزب الأمة، على رأس وفد يضم ٣٠ عضوا بالجمعية التأسيسية ورجال حزب الأمة .

واستقبل الوفد فى مطار القاهرة السيد فتحى الديب وزير الدولة ، نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر ، والدكتور عبد الحميد صالح وزير الدولة بالسودان. وعدد كبير من أبناء السودان الذين احتشدوا فى المطار ، وهم يحملون اللافتات ويرددون الهتافات بحياة شعب وادى النيل .

وأعرب الامام الهادى على أثر وصوله الى المطار عن شكره للرئيس جمال عبد الناصر ، وحكومة الجمهورية العربية ، على حسن استقبال الوفد ، وقال اننا سنعمل على رفاهية شعب البلدين وتحقيق الخير للشعوب العربية جميعا .

وقال الصادق المهدى : لقد جئنا من السودان ونحن نحمل معنا أطيب التحيات وكل الاستعداد لاقامة صرح من الود والتضامن البناء بين الشعبين اللذين يربطهما وادى النيل والدين واللغة ، وقال اننى متفائل بأننا سنوفق خلال زيارتنا للقاهرة .

وقد جرت المباحثات بين الوفد السودانى والمسئولين فى القاهرة فى جو من الود والاخاء

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وفد الانصار السودانى برياسة السيد الهادى عبد الرحمن المهدى

والأمل الكبير . وقد قام الوفد بزيارة معالم القاهرة القديمة والحديثة .

الامام الهادى المهدى :

والامام الهادى المهدى ، زعيم طائفة الأنصار وراعى حزب الأمة وصاحب الأغلبية فى الحكم السودانى . وهو من مواليد عام ١٩٢١ ، وقد حصل على الدراسة الثانوية فى كلية فيكتوريا بالاسكندرية ، ثم دعاه والده الامام المهدى ليكون الى جواره .. فتفرغ لدراسة الدين الاسلامى على أئمة الفقه وكبار العلماء . وبعد وفاة أخيه السيد الصديق تولى منصب الامامة خلفا لوالده عام ١٩٦١ . وقد قام الامام الهادى المهدى بدور كبير فى نشر الدعوة الاسلامية فى السودان ، ويرجع تاريخ نشأة طائفة الأنصار الى عام ١٨٨١ برئاسة الامام محمد أحمد المهدى الكبير .

السيد الصادق المهدى :

والسيد الصادق المهدى ، رئيس حزب الأمة ، وهو النجل الأكبر للامام الراحل الصديق المهدى . يبلغ من العمر حوالى ٢٩ عاما . تلقى علومه الثانوية فى كلية فيكتوريا بالاسكندرية ، ثم التحق بجامعة الخرطوم بالسودان واستكمل دراسته العالية فى جامعة أكسفورد حيث حصل على بكالوريوس العلوم الاقتصادية والسياسية بتفوق .

تولى تنظيم حزب الأمة وكان على رأس الأحزاب التى قامت ضد الحكم العسكرى فى السودان .

والسيد الصادق المهدى من الشخصيات المرموقة فى السودان ويشتهر بنشاطه الكبير فى المجالات السياسية .

في ذكرى النصر

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

السيد حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية

فى ذكرى عيد النصر ، ونحن نذكر العدوان الثلاثى الغادر على أرضنا الحبيبة ، لابد لنا أن نذكر العناصر الطيبة التى لمعت فى هذا الشعب الأبى الكريم ، حينما تضافر جميعه تضافرا قويا متينا ، وحينما تمسكنا جميعا بالمثل العليا التى نحارب من أجلها .

البقية ص ٩

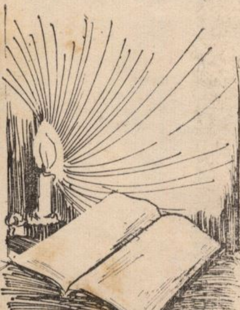

نص خطاب

الرئيس جمال عبد الناصر

في عيد العلم الحادى عشر

• عبد الناصر يدعو إلى تنظيم حازم يضع كل كفاءة في مجال التخصص الذى أعدت له.

حملة الأعلام فى موكب عيد العلم

أيها الاخوة :

أجىء اليكم بعيد العلم كما تعودت معكم فى كل عام حاملا معى بعض القضايا التى تخطر على بالى كلما اقترب موعد عيد العلم ـ ونظرت فى فكرى استعدادا للقائكم ما أريد أن اتحدث اليكم فيه وان كنت أحرص على وقتكم وانا اعرف ان هذا الاجتماع بطبيعته يطول فانى استأذنكم فى أن أعرض عليكم بعض الملاحظات التى أجد مناسبا أن أضعها أمامكم هذا العام .

أولا : أريد أن أقول أمامكم مجددا ومؤكدا انه فى كل ما يواجهنا اليوم من مشاكل ومشاغل فان العلم هو أملنا الحقيقى والوحيد . واذا كنا نرى أمامنا مخاطر انفجار زيادة السكان وآمال مضاعفة الانتاج ومحاولات السيطرة على جموح الاستهلاك والحاجة الملحة فوق هذا ومعه الى تحسين مستويات الخدمة والادارة فلنذكر دائما ان العلم وحده هو الذى يستطيع ان يسد الفجوة بين قصور الواقع وطموح المنى ـ الفكر العلمى والتخطيط العلمى والتنفيذ العلمى والمراجعة العامية ذلك كله بالطبع لمعايير القيم الانسانية التى ارتضاها شعبنا منهجا لميثاقه .

ثانيا : اننى لا أرى انقطاعا بين الماضى والحاضر وارفض ان اتصور وجود فراغ بين مراحل التطور لشعب واحد . ان تاريخ مصر العظيمة لم يبدأ بثورة ٢٣ يوليو وانما قيمة ٢٣ يوليو الحقيقية فى انها استطراد طبيعى لنضال الشعب المستمر وطاقاته المتجددة وآماله البعيدة . ان تفكير ما قبل الثورة كان ضميره فى ضمير الثوار وحركة جيل سبق حتى فى أصعب ظروف اليأس والتردى كانت الحافز الى حركة جيل وحسب يتقدم بالأمانة بالعزم والشباب وذلك هو خط التطور السليم ونهضته .

الفائزون بجوائز عيد العلم

أقدم بذلك لكى أعبر عن شعور صادق بأننا لم نوفر حتى الآن اهتماما كافيا أو حوافز كافية لاجيال الشباب فاذا كان من حقنا ان نلتفت الى احتمالات الابداع التى حققت نفسها بالفعل ونكرمها فانه من واجبنا ان نتطلع الى احتمالات الابداع التى مازالت تناضل لتحقيق نفسها وان نشجعها .

ثالثا : فى نفس اللحظة فاننى أريد أن الفت النظر أمامكم إلى أن أجيالنا الجديدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى والفنى مطالبة بأن تعانى بجد اكثر متطلبات ما نذرت نفسها له .

أن النجاح أمر صعب والاحتفاظ به أمر أصعب وعمل العالم أو المفكر أو الفنان ليست ضربة حظ تسبح به وسط اضواء الاعجاب أو الشهرة وانما الخلق المبدع عناء وعذاب كل يوم .

وأود أن اضيف أن مجتمعنا أعطى فرصة لحرية الفكر والثقافة غير متاحة الى كثير من البلدان .

واذا قمنا باحترام القديم ووضعه فى مكانه الكريم من حركة التطور العام اذا قمنا فى ذات الوقت بتشجيع الجديد فان هذا الجديد مطالب أمام مجتمعه بأن يبدأ شق طريقه بنفسه وأن يدرك ان بناء اساسه العلمى هو اثبات الشخصية الذى يستطيع التقدم به الى المجتمع طالبا فتح الابواب .

ان الابداع لا ينتقل من جيل الى جيل بمجرد الارث وانما بالجدارة المؤكدة وبالاستحقاق الشجاع .

ان النجاح السهل كالشهب البارقة لا تابث ان تتلاشى وتضيع فى الظلام . ونحن لا نتصور ولا نريد للجيل الجديد ان يهرب من الصعب الى السهل وان يستعيض عن بلوغ القمم الشامخة بالتسكع فى الوديان .

اننا نؤمن انفسنا من الزلل بتقدير ما أثبت ذاته وفرض قيمته بغير جدال .

ولكنى أقول ايضا بأنه من الضرورى فى نفس الوقت أن نقبل بمخاطرة محسوبة وان نعطى من التقدير متدما ما هو لازم لجيل جديد لم يتمكن بعد من اجتياز حدود المحاولة والتجريب ، نساعده بطاقاتنا ولا نتركه لضغوط الظروف تجرفه الى حيث تشاء ونشد يده ليصعد ولا نتجاهله حتى يمكن ضد العزلة والوحشة من ان يثبت ذاته ويفرض قيمته بغير جدال .

رابعا : ان ذلك يقودنا الى موضوع آخر لابد ان نوليه قسطا اكبر من الاهتمام . نحن نراجع خططنا فى الانتاج وفى الاستهلاك نحن نحشد طاقات جديدة لدفع آمالنا الى حيث نتمنى . لكن أهم من ذلك فى تقديرى خلال هذه المرحلة ونحن الآن فى مناسبتها تماما ان نراجع خططنا فيما يتعلق بالأفراد . أن الطاقة الضخمة على ارضنا هى البشر ، وعمل البشر وانى لأرى اننا بددنا وما زلنا نبدد فى هذه الطاقة بغير تنظيم حازم يفرض الرجل الصحيح فى المكان الصحيح . وكثيرا ما تركت نفسى طويلا لخطابات اتلقاها من شبابنا الذين عادوا من البعثات حاصلين على أعلى الدرجات واصلين فى العلم الى أشد ما نحتاج اليه . ولقد شعرت فى عديد من المرات أن بينهم من عاد ليجد نفسه مكلفا بما لا يصلح له فى حين ان الشعب تكلف غاليا ليعده ويحسن اعداده لمكان أبعد عنه . ذلك اهدار لأغلى طاقاتنا واهدار لتكاليف فادحة دفعها الشعب واهدار لوقت لا يعوض فى عصر تتسابق فيه الشعوب الى التقدم بالساعات وبالثوانى .

خامسا : يتصل بهذا موضوع آخر هو شبابنا الذى يدرس الآن خارج وطنه استعدادا ليوم يعود فيه الى المشاركة فى الكفاح العملى لوطنه . وأخشى أحيانا اننا نبعث بالصفوة من شبابنا الى قارات العالم ليحصلوا على علمها المتقدم ثم ننساهم بعد الرحيل . ولقد أثر فى كل التأثير ما رواه لى أخى عبد الحكيم عامر عن لقاء له مع شباب بعثاتنا فى باريس . لقد هزه وهزنى معه احساسه هناك بعزلة هذا الشباب عن وطنه وما يجرى فيه

ولقد اقترح على عبد الحكيم عامر ووافقت على أن يعقد فى الصيف القادم بمشيئة الله مؤتمر لشبابنا فى البعثات ليجىء الى الوطن أكبر عدد من ممثليه لكى يلمسوا بأيديهم نبض شعبهم مرة أخرى ، وليتدارسوا معا فى الوسائل التى تعمق ارتباطهم بالعمل اليومى لجماهير شعبهم مهما بعدت بهم المسافات عن ارض الوطن .

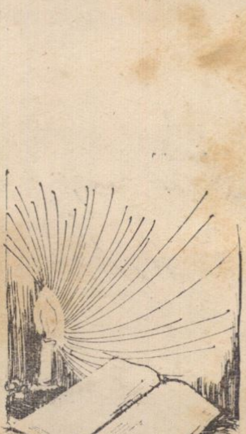

أيها الاخوة ..

لقد عرضت امامكم ما خطر لى وانا أتأهب للقائكم . ثم ادعو الله لهذا الوطن مهد الحضارات وملتقاها بأن يظل دائما شريكا مسئولا وفعالا فى رسالة النور والمعرفة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة
الشاعر
الكبير
الأستاذ
عزيز
أباظة
فى
عيد العلم الحادى عشر

ياسيدى الرئيس : إنك أنت راعى العلم والأدب، كالذى من تهدى إليهم هذه الجوائز فرافعهم إلى مشارف سامقة ومقاوم عظيمة ..

ياسيدي الرئيس: إن اليد التي شرفنا الآن باستلامها هي يد هيأها القدر لتتقاطر عنها الأمور الكبر.

سيدى الرئيس

منزلتان من منازل التشريف أدلف اليهما الساعة ..

أما أولاهما فوقفتى الآن قبالتك أتلقى فضلك وأقداس العلم والأدب تسنى حولك.

واما أخراهما فأمانة احملها اليك عن زملائى الذين تتفضل بتكريمهم ، أمانة بعضها أعمق الشكر السابغ ، وأصدق الولاء البالغ وبعضها توجهنا الى الله مخلصين فى هذا اليوم العظيم أن يتم فى عهدك على هذه النهضة العلمية ، والأدبية نعمته ، وان يمد فى أصولها ، وان يشجر فى فروعها حتى تقسم اخوات هذه الجوائز الكريمة فى قابل الأعوام لمواطنين متألقين اذا هم قيسوا بنا أو قورن عملهم بعملنا ، كنا نحن المتخلفين وكانوا هم السابقين السابقين هذا التشريف بالتحدث اليك ياسيدى الرئيس . يواكبه تشريف آخر هو أننى رسول زملائى الذين تكرمهم اليك وفى مقدمتهم عملاق الأدب العربى وأستاذ رائد من كبار أساتذة الجيل وعمالقة ثلاثة آخرون منهم صاحب الطب والجراحة وصاحب الرياضيات وصاحب التصوير ثم عملاقان آخران من عمالقة الفن العلوى فهذا مهذب النفوس وممتع العقول برائع موسيقاه وهذه جامعة الشرق كله على صوتها الذى كأنه من ترانيم ملائكة الله . وهم تحت انهلال الفجر يزجون التسابيح والتحاميد لذات الله .

انت خالق الجوائز

ولئن كان غيرك ياسيدى الرئيس من أعلام الأدب والعلم هم الذين يتشاورون فى أمر هذه الجوائز فانك أنت خالق هذه الجوائز وانك - وأنت راعى العلم والأدب - كدلىء من تهدى اليهم هذه الجوائز ثم انك بعد ذلك مانحها ، فدافع بها الى اصحابها بيدك الكريمة فرافعهم بهذا الفضل الضخم الى مشارف سامقة ومقاوم عظيمة

وهذه اليد التى شرفنا الآن باستلامها هى يد هيأها القدر لتتقاطر عنها الأمور الكبر ،فهى تعلم بالقلم ، فتقر أمم ، وتضطرب أمم ، وهى بعد تضاعيف سنوات ثلاث عشرة مضين قد كتبت فى تاريخ هذا البلد الناهض ، **وفى تاريخ هذا الشرق النابض ، بل وفى تاريخ هذا العالم الكبير الصغير ، المؤتلف المختلف ، المجتمع المصطرع ، المكرم بالعلم الآثم بالعلم كتب فى هذا كله صفحات رائدة مشرقة مشرفة تجمع الى الرأى الأصيل العمل الجليل . والى الخطة الحازمة الوثبة العازمة . والى الحذر العاقل التصميم الفاصل . والى التوسيد . التوطيد . والى التوطيد . التشييد .**

والسبل ياسيدى الرئيس الى عليا الأهداف وخطيرها ليست مغروسة بين غدير وزهر ، ولكنها مشقوقة بين لهيب يستعر ومشاق تنفجر وفجاءات تبتدر . وفرص لا تنجم حتى تندثر . وسالك هذه السبيل قد يضطره ما يراه من عظمة غايته الى ما ليس مركوزا فى سليقته .

وهذه الأعياد التى ترصدها للعلم والأدب - يا سيدى الرئيس - انما هى حوافز دافعة لهذه الأمة الواثبة الى عوالى أقدارها ، وانك لتقيمها وأنت جد عالم أن الأمم لا تنهض الا

بأقداس العلم والأدب وان كرامة الانسان ونفاسة الانسانية لا تتوسد الا على أساس من العلم والأدب ٠

وان بلادنا فى زحمة هذه الدنيا واندفاعها لن تقتعد مكانها – الخليق بها – الا اذا استافت من عبيرهما ٠ وقبست من نورهما ٠ وانك بعد ذلك لجد عالم ، وان العالم كله لجد عالم أن بلادنا هذه التى كانت مهد حضارة باذخة فارعة تسلسلت الى الاغريق ثم ارتد لها ولنا نورها باسكندرية ليزداد توهجا وسطوعا ، ثم تهدى بعد الى بغداد ليشع منها على العالم كله ٠٠ ان هذه البلاد – متشابكة متعانقة حول القاهرة الكبرى – لآخذة للأمر عدته ٠ فمستعيدة مكانتها العلمية بفضل مواكبة علمائها لركب النهضة العلمية العالمية وبفضل اتصالهم الذى هيأته لهم بعلماء العالم بما يعقدون من مؤتمرات وما ينشرون من بحوث وآراء ونظريات وما طبقوه بعد من دقائق العلم ومستحدثاته ، ولقد ادى ذلك كله الى بواكير ثماره الكريمة ، فأصبح لنا فى المجال العلمى الأسمى مكان ملحوظ ٠

المأثورات العربية

سيدى الرئيس :

واذا كان خلق العلماء مؤذنا فى بلد من البلاد بأن تعتسف أو تعبد ميادين العلوم والصناعة والمال والاقتصاد ٠ حتى تحقق غاية بعد غاية فان خلق الأدباء أو على الأصح كشف الأدباء كفيل بأن يدفع البلاد وأهلها وأهلا غير أهلها الى أعلى سماوة للمجد المنشود والخلق المحمود ٠ والفضل المحشود ٠ كل ذلك يتخطر بين مقاصير الكمال ويتألق بين ديابيج الجمال ٠

سيدى الرئيس ٠٠

اننى لأعتد نفسى مقصرا تجاه ضميرى وأمام الأمانة التى حملتنا اياها اليوم بتقديرك الكبير اذا أنا لم أرتفع اليك وقد أقبلت على بوجهك وأنلتنى من سمعك اذا انا لم أرتفع اليك بأبناء هذا الذى يلقى فى طرائق الأدب ولغة الأدب : وأية فرصة هى أخلق وأنسب لهذه النفاثة من يوم عيد العلم والأدب ٠

ان فى الشرق العربى كله - وبلادنا جزء منه - جماعات ليست كثيرة العدد ، ولكنها كثيرة المدد ، لعلها ترى أن الخير لا يقوم الا على أنقاض الجليل الكريم من مأثورات أمتنا العربية المجيدة.. تلك المأثورات التى لم يزدها توالى السنين الا توثقا واستقرارا ، ونماء وازدهارا . وعندى وعند جمهرة هذه الأمة أن الفض من هذه المأثورات كبيرة من الكبائر ، فكيف اذا كان هذا المأثور هو لغة القرآن الكريم .. كتاب الاعجاز الخالد الذى يقول الله فيه **« انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون »** **« فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله »** .

وكيف اذا كان هذا المأثور هو لغة خاتم النبيين التى شعشع فيها أنوار أحاديثه تحمل الكمال والهدى للناس كافة ، وأرسلها فى أسلوب كما يقول القدامى ليس فيه عروة مفصولة ولا كلمة مفضولة .

وكيف اذا كان هذا المأثور هو لغة حكماء العرب، ومقعدى شرائعها ، وفلاسفتها وكتابها وشعرائها ، والشعر كما تعلم - يا سيدى الرئيس - بعد كتاب الله وأحاديث رسول الله هو ديوان العرب ومعجمهم المحفوظ بحكم تداوله على الشفاه. وخفته على ألسن الرواة. وكيف اذا كان المأثور هو اللغة التى لا تربط العرب جميعا الا روابطها ولا تلم شملهم جميعا يوم سعدهم ، ويوم بأسهم الا وشائجها هذه الجماعات فى خفاء ووضوح تقذف العامية على الفصحى وتسلك العامية بين أطواء الفصحى . وذلك بحجة التطوير ، واننى لأشهد بين يديك أننى لا أعرف عاقلا له صلة بالأدب أو العلم الا وهو مؤمن أعمق الايمان أن كل علم أو أدب أو فن ليس متأبيا على التطوير . لأن سلامته وبقاءه فى التطوير ، ولكن الذى أجهد أن أنقله من ذممنا الى ذمتك ياسيدى الرئيس - أن التطوير غير التدمير ، وأن حماية مقدساتنا هى أكرم على الله ، وعليك ، وعلى الناس من حماية حرية الهدم باسم حرية التفكير والتعبير .

واننى لأشهد بين يديك أيضا أننى لا أعرف ذا بصيرة وروية يقف فى سبيل التجديد .. ولكن التجديد الذى يأمله أهل العلم والأدب ويباركونه هو التجديد المتجه صوب التجويد. لا صوب التقصير والتبديد أقسم أننى لا أتعرض لحرية العلم والفن والأدب والشعر ، والا فأنا أشقى من خلق الله ، ذلك لأن هذه الروائع كلها لا تنضر ولا تزدهر الا فى أجواء الحرية السمحة ولكن الذى لا ريب فيه ولا شك حوله هو أنه لا أدب ولا فن ولا شعر ولا أية صورة من صور الجمال لا شىء من ذلك كله مستطيع أن يسمو سموه ، او تعلو علوه الا اذا برىء من غواشى الفوضى ، فتدافع اذ يتدافع بين نظم تربطه وضوابط تضبطه ، ومالى أتحرز وأتوقى من أن أقول بين حدود تحده وقيود ترده . مالى أتحرز من ذلك ، والقيم الجمالية العظمى التى كرم الله بنفحاتها الانسان وطهر برقراقها الانسانية وجعلها مقاييس لكماله - عز وجل - هذه القيم الجمالية كلها ان هى الا قيود لا أكثر ولا أقل ، فالقصد قيد ، والتأثم قيد .. والصبر قيد ، والعفة قيد ، والصوم والصلاة قيد . تلك أوجال العلم والفن والأدب تشرق حولها آمال العلم والفن والأدب وان قوة الأصيل وهوان الدخيل لعاصفان ان شاء الله بهذه الأوحال ومحققان بهداية الله وتوفيقه تلك الآمال .

سيدى الرئيس :

أومن أننى معبر عن خوالج زملائى جميعا اذ أقول اننا وقد بسطت لنا هذه المنزلة النابهة سنعتد هذا التقدير أرفع مرتبة أطاف حولها خيالنا ، وأوفى نعمة تعلقت برفرفها آمالنا ، على أننا سنعتده فى الوقت نفسه يدا هادية تشير لنا ولغيرنا الى مشارف الطريق ووميضا متألقا يكشف لنا ولغيرنا أسداف هذا الطريق، وسنعتده حفزا الى مزيد من الاتقان الذى لايكاد يحد نطاقه ، وتشجيعا على الجديد من التجويد وان بعدت اعماقه وتشعبت آفاقه .

كان الله لك - ياسيدى الرئيس - وكتب لك أكرم التوفيق وأضفى عليك من فضله وأيده. وهداك للذى يحبه ويرضاه .

والسلام عليك ورحمة الله .

فحينما انتصرنا على العدوان ، لم يكن هذا النصر لتفوقنا فى العدد والقوة ، وانما نصرنا الله لأننا نؤمن بنصره ، ونحن لهذا نتمسك دائما بقوته ، ولن يقهر أبدا من يتمسك بقوة العزيز القهار ·

وكان هذا الايمان مفهوما جديدا نتحدى به عقيدة الشرك ، ونؤيد به نظرية الاعجاز ·

فليس الشرك بالله فقط أن يقول أحد ان الله ثالث ثلاثة ، ولكن الشرك بالله هو أن تظن أن هناك قوة على الأرض يمكنها أن تنال منك أو من ايمانك بالله ··

هذا هو الشرك بالله ··

لقد انتصرنا على العدوان لأننا نؤمن بعظمة الله وحده ، وأن من دونه لابد خاضعون لحكمه ، نافذ فيهم أمره ·

سبحانه له الأمر من قبل ومن بعد ··

ولقد تحدثنا كثيرا عن اعجاز القرآن ·· ولكنى أرى أن اعجاز القرآن عملا يؤدى لاحديثا يقال ··

ان اعجاز القرآن هو التمسك بمبادئه ولابد لمن يتمسك بمبادىء الاعجاز ان يرى النتائج ، ويراها سريعة حاسمة كما وعد الله·

وكان حقا علينا نصر المؤمنين ··

ونحن اذا ما وضعنا هذه المبادىء موضع التجربة ، نستطيع أن نتبين فيها وجه الاعجاز ··

لقد طالبنا الله بأمره « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ·· » فما هى قوتنا الآن امام قوى الشرق أو قوى الغرب ؟

ان علينا أن نعد ونستعد ··

علينا أن نطرق للقوة كل سبيل ··

علينا أن نبذل كل جهد لارهاب أعدائنا، وليس علينا أن ندرك النصر ، فالنصر من عنده سبحانه ، يعز من يعز ·

ويقول فى محكم كتابه « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

الله اكبر وأقوى وأعز ··

أيها المسلمون ··

لست أناديكم بالتواكل ·· ولكنى أدعو الى القوة ، وأدعو الى العلم ، وقبل ذلك أدعوكم الى الايمان الذى انتصرنا به فى معركة مصر ·· معركة القومية العربية ··

ان هذه المعركة وحدها كفيلة بان تزيدنا ايمانا بان الله أكبر ·· وأن الله أقوى ·· و انه أعز من قال فى حديثه القدسى « أنا العزيز ·· من أراد عز الدارين فليطع العزيز » ·

بهذا الايمان الكبير ··

انتصرنا ··

بين القرآن و شهر رمضان

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

بين كتاب الله العزيز ، وشهر رمضان المعظم أكثر من صلة وثيقة :

* فالظرف الزمنى الذى اختـاره الله تعالى لنزول القرآن الكريم هو شهر رمضان، وفى ذلك يقول الله عز وجل ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان))

والمراد بانزاله فى هـذا الشهر أن أول آيات منه نزلت فيه ، وقد أنزل الله هـذه الآيات الاولى فى ليلة سماها ((ليلة القدر)) أى ليلة الشرف والعظمـة ((انا أنزلناه فى ليلة القدر)) ووصفها بأنهـا ليلة مباركة ((انا انزلناه فى ليلة مباركة)) ، وأى عظمة وأى بركة أكبر من تشرفها بنزول هـذا الكتاب الكريم الذى هو خطاب الله تعالى للبشر بعد ان بلغت الانسانية مرحلة الرشد، وتخطت مراحل البدائية الاولى التى كانت مراحل همجية وتخبط ، وكانت أشبه بحياة

الحيوان الاعجم الذى لا يعرف أفراده الا القوة ، ولا تسيطر عليه الا صفات البهيمية.

يقول الله تعالى فى سورة الانسان :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ».

فالاستفهام فى قوله جل شأنه « هل أتى على الانسان » استفهام تقرير وتذكير ، وهو فى معنى : قد أتى على الانسان حين من الدهر ، وهذا الحين الذى لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا هو القرون الاولى من حياة هذا المخلوق التى مرت به وهو يعيش عيش الحيوان الاعجم ، لا يعرف الا القوة ، ولا يقيم تعامله الا على أساسها ، فالقوى ذو القدرة على البطش والتنكيل ، هو الذى له الشأن الاول فى مجتمعه ، والضعيف الذى لا حول له ولا قوة ، مضيع لا اعتداد به ، ولا اعتبار له ، والعقول راكدة لا تكاد تفكر الا فيما حولها تفكيرا سطحيا مظهريا لا يؤدى الى علم ، ولا يرشد الى حقيقة .

كان الانسان يعيش فى تلك الاحقاب ، عيش من يأكل ويشرب ويتناسل ، ولكنه لم يكن شيئا مذكورا من حيث التفكير والمنطق الجديران به، ولا من حيث القانون الاجتماعى العادل الذى يجب ان ينظم عليه حياته ، ولا من حيث السمو بنفسه عن عبادة الاوثان والاشجار والنجوم والشمس والقمر ، فكان لا بد له من هداية الله رب العالمين الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وقد أعطاه الله خلقه وما به يكون تمامه وتمكنه من اداء رسالته : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » ثم هداه السبيل التى ينبغى أن يسلكها، وحذره من السبيل التى ينبغى أن يتنكبها : **« انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا »**

وهذه المرحلة هى مرحلة توارد الرسالات الالهية على البشر ، ووقوفهم منها موقف القبول أحيانا ، وموقف الاباء والنكران أحيانا ، فكلما جاءهم رسول من عند الله آمن به بعضهم ، وكفر به بعضهم ، فاصطدم الحق بالباطل ، وتفاعلت فى المجتمعات عناصر الايمان وعناصر الكفر ، فكان للناس من ذلك فرصة للتفكير واعمال العقول ، والنظر فى ملكوت السموات والارض ، ومعرفة مقاييس المنطق الانسانى ، بالتجارب المتكررة على مدى القرون المتطاولة ، حتى جاءت الرسالة الخاتمة بعد أن استحصفت العقول ، وسمت الأفكار ، وأصبح الانسان يعرف أنه مخلوق فريد فى هذه الارض ، وأن عليه واجبات عمرانية لا يستطيع أن ينكص عنها ، وأنه خلق لغاية لا بد له من أن يتفهمها ، ويدرك مداها ، ويعرف أبعادها .

وعندئذ استحق الانسان ان يلقى اليه بالرسالة الالهية الاخيرة ، وأن يترك لها ولعقله واجتهاده ونظره .

ومن هنا كان نزول القرآن حادثا فذا فى تاريخ البشرية ، فهو ذكرى بلوغها المرحلة النهائية من مراحل التدرج فيما يتصل بالعقل والمنطق وما به يكون الانسان انسانا.

واذن يكون الظرف الزمانى الذى حدث فيه هذا الحادث الفريد ، جديرا بالشرف والعظمة والتخليد .

ولذلك شرع الله تعالى فيه عبادة روحية لها آثارها البعيدة فى حياة الانسان ، هى الصيام ، وجعلها عبادة متتابعة تغطى جميع أيامه ، واستحب فى أثنائها قراءة القرآن والتدبر فى آياته ، وما تتضمنه من تهذيب وتشريع وقصص وعقائد .

وبذلك انعقدت بين القرآن الكريم وشهر رمضان المعظم ، رابطة وثيقة ، فكان هو الشهر الذى يذكر بنعمة نزول القرآن فى كل عام ، ويوحى الى المؤمنين باتباع هديه ، واقتباس نوره .

*** وبين عبادة الله تعالى عن طريق تلاوة القرآن وعبادته جل شأنه عن طريق الصوم، شبه قوى .**

فالله تعالى يقول عن كتابه الكريم :

«ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين»

ويقول عن الصيام :

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

واذن فكل من القرآن الكريم ، والصيام ، له هدف مشترك ، لخص فى « التقوى » : فالقرآن هدى للمتقين ، والصوم موصل الى التقوى « لعلكم تتقون » .

ويفهم من كون القرآن « **هدى للمتقين** » انه لا يهدى المعاندين المكابرين من أهل الضلال أو الفجور ، وذلك لان من أقبل على القرآن وهو مؤمن بأنه كلام الله ، مدرك لنعمة الله فى انزاله على عباده ، عارف بأنه حين يسمعه و يتلوه ، يكون بمثابة المتشرف بحضرة الله تعالى ، يسمع قوله ، أو يردده بين يديه جل شأنه ، فلا شك أن ذلك يكون فتحا لقلبه، وشرحا لصدره ، وتعبئة لروحه، فيتقبل ، وينتفع ، ويهتدى ، أما ذلك الذى ينظر الى القرآن وهو فى شك من امره ، وريب فى نسبته الى من أنزله ، وعناد نفسى دون تقبل ما ينفعه من الدعوة الى الخير والصلاح ، وما يكشف له عن الحقائق والعقائد الصحيحة ، فهو يستمع اليه اذا استمع ، ويتلوه اذا تلا ، فى ظل من هذا الشك والريب والعناد ، يحول بينه وبين الانتفاع به ، والاهتداء بهديه .

وفى ذلك يقول الله تعالى فيما وصف به كتابه الكريم :

« قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ».

وكذلك يقول :

« واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا ، فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » .

ويقول :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

والخلاصة : ان القرآن الكريم اذا جئته مؤمنا به ، عارفا بحقه ، متأدبا معه ظاهرا وباطنا ، كان لك هدى فى حياتك ، وشفاء من كل ما يخالط النفوس من وساوس ، أو مخاوف ، أو ضعف ، أو تخاذل . اما اذا أتيته وأنت فى شك منه ، وتزلزل عنه ، وعناد معه ، ملتمسا ما يلتمس أهل الزيغ من تمسك بظواهر بعض الفاظه أو احكامه التى تتضح للعارفين ، ولا تتضح للزائفين ، فانه يدفعك عنه ، ويطردك دون ان تمسه ، وقد فسر قوله تعالى «**لا يمسه الا المطهرون**» بمعنى يتفق وما ذكرنا ، اى لا يفيد منه ، ولا يكشف عن سره الا من تطهرت نفوسهم ، وسمت أرواحهم ، وان القرآن لروح : **« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا »** فمن كان ذا روح مطهرة تلاقى معه وعرفه واستراح اليه ، ومن كان ذا روح شريرة ملوثة بالآثام والشكوك انكره وطرد عنه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول :

« الارواح جنود مجنـــدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

واذا كان القرآن الكريم له هذه الخاصية فى هداية من اتقى وآمن ، وطرد من عصى وتمرد ، فان لرمضان شبها به فى ذلك ، لأن الناس فى شأن رمضان فريقان : فريق يقبل عليه عارفا بحقه ، وبالمعنى العظيم الذى يحمله تشريع الصيام فيه ، وبالذكرى التى يحييها ، وهى ذكرى نزول القرآن ، فيراه شهرا مباركا كريما ، يصومه محتسبا لله ، لا يبتغى بصيامه الا وجهه ، ويداوم فيه على قراءة كتاب ربه ، غير متبرم به ، ولا ساخط عليه ، ولا متعجل نهايته ، انه يرى فيه سبيلا الى أن يمرن على التقوى ، فيطيع ربه فى سره وعلانيته ، وينزل عن رغباته وشهواته ، مضحيا بها فى سبيل مرضاته ، متشبها بملائكة الله الذين لايأكلون ولايشربون و **« لا يعصـــون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »** .

ولذلك يقول الله تعالى فى الحـــديث القدسى ، مبينا قيمة الصوم فى تقديره ، ومنزلته عنده من بين سائر العبادات :

« كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم ، فانه لى ، وأنا أجزى به ، يدع طعـــامه وشرابه وشهوته من أجلى » .

فهذا شبه آخر بين القرآن ورمضان .

* * *

* وشبه ثالث بينهما : ذلك أن القرآن من شأنه أن يصقـــل النفوس ، ويهـذب الطبائع ، وأهم صقل لها يكون بتنقيتها من عوامل الشح والاثرة ، فقارىء القرآن يعلم أن جميع تعاليمه تدعو الى توطيد مبادىء التعاون والرحمة والاخوة بين الناس ، فيكون كريم النفس، جوادا بالخير، يعرف حق الله عليه فى النعمة، فيشكره عليها شكرا عمليا، ويجب أن يمنح الناس من بره ، ويشاركهم ويشاركونه فى الشعور بها، وكذلك الصوم، فانه يصفى النفوس من اخـــلاق الاثرة ، ويحيى فيها أخلاق الايثار ، حيث يجتمع الصائمون جميعا فى نطاق الحرمان المادى من الطعام والشراب التى هى أهم مطـالب الحياة ، كما يجتمعون فى نطاق الحرمـان أو فى نطاق التعفف عن اللذائذ والشهوات ، وقد عرف علماء النفس ذلك ، اذ قرروا أن الاجتماع فى نطاق المنع والحرمان والحاجة أقرب من الاجتماع على السعة والجدة ، ربطا بين النفوس ، وتوثيقا لعرى المحبـــة والتراحم ، ولذلك نرى المسافرين فى رحلة يكون زادهم قليلا وكرمهم وسماحة نفوسهم وتبادلهم ما لديهم كثيرا ، فلا يكاد أحد يضن بما معه على من سواه ، بل هم يتقاسمـون ما معهم فى رضا واقبال ولذة .

وفى سنة رسول الله صـلى الله عليـه وسلم ما يدل على هـذا المعنى ، فقـد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يأتيه جبريل فيدارسه القرآن ، فلرســول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

ومعنى هذا انه قد اجتمعت للرسول فى رمضان ثلاثة دواع باعثـــة على الجـــود والسماحة : أولها : ما طبع عليه من الجـود والكرم ، وثانيها : حلول رمضـــان وقيامه صلى الله عليه وسلم بفريضة الصوم فيه على وجهها الصحيح مع العلم بمقتضيات ذلك ، وثالثهـــا : مدارســـة جبريل اياه بالقرآن ، فتآزرت هذه الدواعى كلهـا على تنمية جوده وبره ، فكان فى هـــذا أجود بالخير من الريح المرسلة .

واننا لنرى هذا الروح الكريم فى كثير ممن يسرهم الله للخير وأعانهم عليه ، وطهر قلوبهم من الشح .

فالناس فى رمضان يحبون الاحســـان والتودد ، وكثير منهـــم يتبارون فى اقامة

مآدب الافطار للصائمين لكى يفوزوا عند الله بأجر من فطر صائما ، وربما كانت هذه المآدب على سبيل التودد الى الاصدقاء أو الاقرباء ، وربما كانت على سبيل الصدقة والاحسان للفقراء ، وأيا كانت فهى جود ، وبر .

* * *

*** وهناك شبه آخر بين آثار القران ، وآثار الصوم ، ذلك أن قارىء القرآن مشغول بكلام الله ، حريص على ان يعطيه حقه من التطهر له ، والتأمل فيه ، والتحرز عن خلطه بما لا يرضاه الله من القول ، فلسانه فى تسبيح ، وفكره فى سبح .**

وكذلك الصائم فانه ينبغى أن يكون مشغولا بربه ، بعيدا عن أن يدنس فكره أو لسانه بالسوء ، ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم « ان الصوم جنة — أى وقاية — فاذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يفسق ، ولا يصخب، واذا سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم ، انى صائم » .

أى فليكرر هذه الجملة موحيا بها الى نفسه ما ينبغى أن يكون عليه الصائم من تنزه عن هذه النقائص ، والتحرز من فعلها والمشاركة فيها ، فان هذا الايحاء يؤثر فى نفسه ، ويكفها ، ويكون وقاية لها .

فليت الناس يدركون هذا السر ، وليتهم لا يحملون شهر رمضان مسئولية غضبهم وصخبهم وهياجهم او يعتذرون عن ذلك اذا فعلوه بأنهم صائمون ، فيعكسون الامر ، ويزعمون ان الصوم يثير الاعصاب ، ويطلق العنان لالفاظ الهجر والسباب ، وانما الصوم جنة ، كما قال سيد العابدين وامام المرسلين .

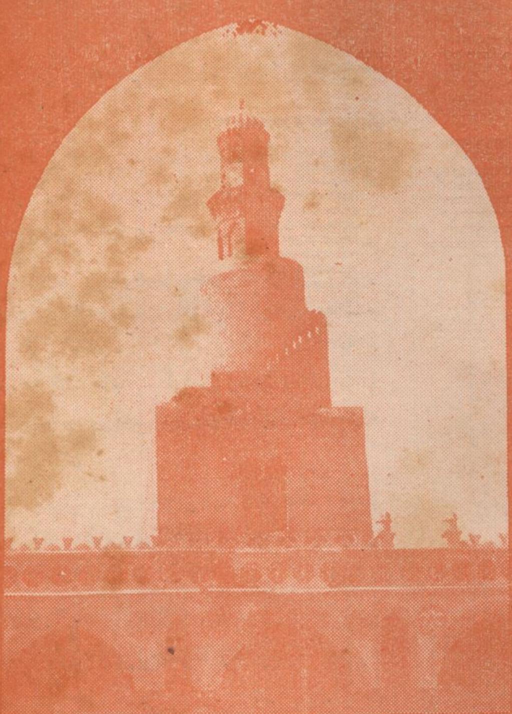

الدعوة إلى : الله

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

١ ـ الدعوة الدينية فى جوهرها نعمة من نعم الله ، تضوعت من جنبات فيضه الواسع ، وتمثلت فى وحيه ونجواه لرسله المختارين من خلقه ، فأطلقوا عبيرها بين عباده وكانت أمانة أدوها الى الأمم فى حدود مرسومة ، وركزوا معالمها فى أوضاع تكفل هدى الناس الى ربهم ، وتحفظ عليهم الأمن من الضلالة والغواية ، وتبعد بهم عن مسالك الشيطان ماداموا يعتصمون بحبل الله .

وكان من البر بالانسانية أن جعل الله رسالة الانبياء تراثا يتلقاه العلماء عنهم ليقوموا على حفظه كما قام الانبياء ، أو قريبا من ذلك ما استطاعوا ، وبذلك بقيت نفحة السماء عروة وثقى ، يعتصم بها العائذون بالله ، وركنا قائما يأوى اليه اللائذون برحمة الله .

٢ ـ علماء الدين ورسالتهم فى المجتمع :

ونظرا لأن الدعوة الدينية وديعة من جانب الله ورسله لدى الأمناء من أهل العلم جرى العرف على أن نعتبرها شأنا يخص العلماء الدينيين وحدهم ، وأنها رسالتهم دون سواهم

والأمر أوسع من ذلك فان رسالة الاسلام فى جملتها ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والمعروف هو الخير كله ، فى الدين والدنيا قليلا كان أو كثيرا والمنكر هو الشر كله : فى شئون الدين والدنيا قليلا كان أو كثيرا كذلك .

والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر شعار جمل الله به أمة محمد عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** »

فالله سبحانه قال « كنتم » ولم يقل بعضكم ، ومن هذا التعميم يستشعر كل فرد من المسلمين أنه يحمل رسالة الاسلام فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر فى نطاق حياته .

ومعروف أن كلا منا يمتزج مع الناس بالقرابات والجوار ، ويبادلهم المعاملات فى

مختلف المهن والتجارات ويخالطهم فى غدواته وروحاته .

والمرء فى جميع هذه الاتصالات بحاجة الى تعاون فى رحمة ، وتناصح فى اخلاص ، ومجاملات فى محبة وتلطف وسماحة .

وهذه كلها ونحوها مشتملات الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وهى معالم الاسلام فى اخلاقه ، وفى ربطه بين أهله ، وهى أمانة الله عامة عند من يدين بالقرآن : يحملها المسلم الى نفسه ، ويأخذ بها مع سواه من الناس .

ومن تجاهل ذلك ، أو رغب عنه فقد تخلف قليلا أو كثيرا عن دعوة الله ، وربما تنصل قليلا أو كثيرا من حوزة الاسلام ، وجنح فى ضلاله الى حزب الشيطان .

وهذا ديدن اليهود قديما وحديثا ، قست قلوبهم من تلك الروحانية وتحجرت عواطفهم من مراحم الانسانية ، فهجروا التدين ، وتجافوا عن المعروف ، ولم يأتمروا به ، ورغبوا فى المنكر ، ولم يتناهوا عنه ، فخيم عليهم غضب الله ، وحقت عليهم لعنته .

((لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون .. كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون))

فمن المقارنة بين ما شهد الله به للمسلمين بحكم دينهم ، وتدينهم وبين ما يعيبه على اليهود من جموحهم على الانبياء ، وانصرافهم عن التدين ، ندرك فى غير خفاء أن كل مسلم يتحمل نصيبه فى الدعوة الى الله كيفما كان نصيبه ، ولم تبق الدعوة الاسلامية حبيسة على العلماء وحدهم كما جرى العرف بين القوم .

فاذا اتجهنا نحو علماء الدين وجدناهم بحق أعظم قسطا فى التكليف بالدعوة ، وأكثر مسئولية على تحمل أعبائها ، فانهم القارئون للقرآن الكريم ، والدارسون لسنة محمد عليه الصلاة والسلام وسير أصحابه رضى الله عنهم ، ومسئولية العلماء عن رسالتهم فى المجتمع تفرض عليهم التجمل كثيرا بما تجمل به الأنبياء من محاسن الأخلاق ، وكريم الطباع ، والتوفيق بين دعوتهم كرسالة تناط بهم ، وبين مسلكهم بين الناس كقدوة لغيرهم .

وحينئذ تكون دعوتهم من القلب الى القلب يتيقظ لها وعى الناس ، وتستجيب لهم الفطرة البريئة ، وتنشط اليهم عزائم الخيرين فى القبول وتجديد العهد مع الله ، ويتبصر الأفراد والمجتمع بما لهم ، وبما عليهم نحو انفسهم وأمتهم ووطنهم ، وبهذا التلاقى على دعوة الخير ، وفى ضوء المعرفة بما شرع الله للدين وللدنيا جميعا تكون رسالة علماء الدين فى المجتمع ناجحة ، وتكون القدوة بهم صالحة ، ويلتقى العلماء الداعون مع قومهم المدعوين فى مجال الحياة المنشودة ، وفى كنف الله الذى يتولى المؤمنين بعونه وتيسيره وهديه ، ونصرتهم على من يحيف بهم ، أو يحاول الغض من شأنهم ، فانهم بهذا التلاقى فى حيز الدعوة الدينية يكونون جميعا حزب الله ، وحزب الله هم المفلحون .

وعلى هذا النمط كان أسلافنا من علماء الدين ايمانا صادقا ، ونشاطا موصولا وامانة فى العلم ، وزهادة فيما عند الناس ، وكرامة لدى الخلفاء ، وبين الامراء والرعية .

فانتفع بهم المجتمع حقا ، وعمرت بهم الدنيا ، وأشرق بذكراهم تاريخ الاسلام والمسلمين .

ولو شئنا الاستئناس بشىء من الحديث لترى مالهم من سابق فضل لطال بنا المقام

وحسبك أن نذكر — مثلا — ما كان لأبى حنيفة من تمنع عن وظيفة القضاء ، حتى حبس فى ذلك وأهين ، وهو مصر على تمنعه خوفا على تدينه أن تنال منه فتنة الوظيفة ، وأن نذكر — ثانيا — ما لقيه الامام احمد بن حنبل من تعذيب فى السجن سبعة وعشرين شهرا ليطاوع الخلفاء العباسيين فى فلسفتهم الكاذبة ، ويفتى لهم بأن القرآن كلام حادث

مثل كلامنا ، وهو يقرر أن كلام الله صفة قديمه . ويزداد على التعذيب صلابة فى الحق حتى حكموا بقتله ، ولم يلتو عن الحق معهم فيما يرغبون من كلامه حتى يئسوا منه ، وأطلقوه من سجنه .

وذلك ثبات على ايمانه وعهده مع الله . وهذا الوصف الجميل هو ما يزعمه بعض العولم تشددا ، ويقولون (حنبلى) وحسبك كذلك أن تعرف — ثالثا — عن العز بن عبد السلام الشافعى انه أفتى يوما فى مسئلة ، ثم تنبه بعد ذلك الى خطأ وقع منه ، فارسل مناديا من قبله ينادى فى مدينه القاهرة بأن من أفتاه العز بن عبد السلام بكذا فلا يعمل بفتواه لأنه عرف خطأ نفسه ، وان تعرف — رابعا — كذلك عن عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلى أنه جلس يوما فى مجلس وعظه مع وجود الخليفة العباسى المستضىء بالله ، فخطر الى الخليفة ، وقال له فى حسن خطاب يا أمير المؤمنين ان تكلمت لأعظك خفت منك ، وان سكت فلم اعظك خفت عليك يا أمير المؤمنين وأن قول القائل لك اتق الله خير لك من قولهم لكم انكم أهل بيت مغفور لكم ، ثم ذكر له كلاما طيبا نحو هذا حتى تأثر الخليفة ، وبكى كثيرا ، وأخذ يتصدق كثيرا على ذوى الحاجات متقربا الى الله تعالى — وذلك هو الوعظ الخارج من القلب الى القلب .

وهكذا كان علماء الدين فى أمانتهم على العلم وتاثيرهم بالقدوة الصالحة ، وحكمتهم فى الموعظة الحسنة ، فأفادوا ، وحسنت صلتهم بالمجتمع .

فهل بقى الأمر على ذلك فى البيئة الاسلامية

— نعم .. بقى والحمد لله الى حد كبير ، ففى رجال الدعوة أمناء على تبليغ دين الله ، وهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ما استطاعوا وفى الناس طيبون كثيرون يأتمرون بالمعروف ، وينتهون عن المنكر ما استطاعوا وقد ظفرت الدعوة حاليا من حكومة الثورة بعناية محمودة ، اذ هيأت لها وسائل مشكورة وفتحت لها السبل الى جميع الجهات والبيئات

فأجهزة الاذاعة على تعددها تردد قراءة القرآن ، وتبلغ رسالة العلماء وتجتذب الناس الى ناحية الدين من طرق الاذاعة فى برامجها الشيقة .

وعناية الحكومه الثوريه بالجانب الدينى مبذوله فى تأسيس دار القرآن ، وفى المناهج العلمية والعمليه بوجه عام ، فاصبحت الدعوة الدينية ، شاخصة مدوية هنا ، وهناك ولم يكن هذا النشاط الحكومى مألوفا فى عهود الاستعمار بل كان الدين يختنق بين تقاليد زاحفة علينا فى أحضان المستعمرين .

وستظل راية الاسلام خفاقة مادام فينا كتاب الله وسنة رسوله يشع — ضوؤها فى جنبات الدنيا : مصداقا لقول الله — تبارك شأنه — « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون »

المتاجرة بالدين
جناية على القيم

ومع هذا النشاط الذى نشهده فى شأن الدعوة الاسلامية فهناك بعض مغامز نحس بها نحو الدعوة أحيانا .

هناك جفوة يتحدث بها بعضنا .

فالدعاة الى الدين يعلقون كثيرا على فتور الشعور الدينى عند بعض الناس ، وبعض الناس يعلق كذلك على اهتزاز الدعوة الدينية عند رجالها حتى زهد أناس فى الاستجابة لهم وتشككوا فى كثير مما يسمعونه .

والحق ان بعض دعاة الاسلام استهانوا برسالتهم واتخذوها وسيلة الى الظهور وسبيلا الى الغايات المشتهاه .

حتى استباح بعضهم أن ينشر فى مجلة كبرى ان الربا حلال اذا كان لتوسيع التجارة ، والزراعة وتاثيث البيت بالفراش وما الى هذا من الرغبات التى يتعلق بها الناس، فى الترف والمظاهر فهذه الفتوى وأمثالها افتراء على الله ، وعلى دين الله ، ومناقضة لنصوص القرآن والسنة واجماع المسلمين . وكان الجميل المشكور أن الرئيس جمال عبد الناصر أعلن ،

فى خطبة له بعد هذه الفتوى بزمن قصير ان الربا كله حرام وشؤم على الاقتصاد ، وأن حكومة الثورة ستعمل على التخلص منه بالتدريج وأنها ستبدأ بذلك فى معاملة بنك التسليف الزراعى — وقد صدق الرئيس كعادته ونفذ فعلا ، وهذه الفتوى لا تزال مثار قلق عند المسلمين . ولا تزال جهات الفتوى تتلقى عنها أسئلة من المستفسرين عن مدى صحتها فى الدين وغير هذه الفتوى كثير من الشذوذات التى تهدم القيم الدينية .

فهذا سبب فى زهادة الناس ، وانصرافهم عن نداء المنادين باسم الاسلام . وهو سبب داخل ناجم من محيط الدعوة نفسها .. فاللائمة فى هذا الفتور عند بعض الناس كما يشكو العلماء عائدة على ما يستبيحه بعض رجال الدين ، من هوادة ، واستهتار بالأمانة ، والسبب الثانى — فى اهتزاز الدعوة — انها مفتوحة الأبواب لكل من يندمج فيها ، ليتخذها حيلة الى الكسب ، ووسيلة الى شهوات النفس ، وربما تجاوزت هذه الشهوات كل مستساغ من الأمور .

وما دامت الدعوة الدينية مرتعا خصبا لمن يدرى ، ومن لايدرى ، ومادام الاندماج فى اصطناعها لايكلف المفسدين جهدا بين العوام فكيف تبقى القيم الدينية ، والأدبية بوجه عام على ما فرض لها من قداسة .

وكيف تسير الدعوة صحيحة فى وجهتها ، حتى لو كانت صادرة من أربابها ؟

كثر الدخلاء فى مجال الدعوة الدينية ، فاصبحت محاولاتهم معاول هدم للعقيدة ، ولثقة الناس فى اخلاص المخلصين من أهل العلم ، وامتد افساد هؤلاء المفسدين باسم الدين الى تقويض النظام الاجتماعى ، حتى كان دين الله شرع للافساد ، وللاضرار بالانسانية ، لا للاصلاح ، والهداية .

وآخر ما لقينا من ذلك حديثا هو دعوة الاخوان المفسدين باسم الاسلام ، فقد تستروا باسم الدين ، وهم يدبرون من الشر والوبال مالا يطاق بعضه ، فضلا عن كله .

فترك المجال مفتوحا أمام المحترفين للدعوة الدينية يفتح علينا أبوابا من الشر يقتحمها الاستعمار ، ويثير علينا من زوابع السياسة ما يؤثر على نشاطنا الموفق ، ويذهب بامجادنا الثورية فى أدراج الرياح

وما دامت حكومتنا الثورية معنية بتطهير البيئة كلها من عناصر الفساد ، فجدير بها أن تسارع الى تخصيص الدعوة بهيئات معترف بها كالأزهر وجمعيات الشبان المسلمين والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وجدير بالحكومة ، أن تجعل نظام الدعوة فى سياج مصون من المهازل ، وأن تفرض من التشريعات ما يغلق باب الاحتيال فى وجه المحتالين .. وخاصة باسم الدين .

فان الدين أقوم وسيلة الى الاصلاح ، وان العبث به أفدح وسيلة الى الافساد . « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** »

وحينما يغلق الباب فى وجه المتاجرين باسم الدين يكون المجتمع فى أمان على القيم ، ويكون الرأى العام فى حصانة من الهزات ، ومن همزات الشياطين ، والله تعالى يقول « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل ، فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون »

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسوله » ثبت الله قلوبنا على الايمان .

الصوفية في إلهامهم

كنت قد كتبت لسيدى العارف بالله الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه أن بردا أصابنى فى سفرى فكتب لى أعلى الله قدره فى الأولياء ـ يقول :

وقد آلمنى ألمك الذى رافقك من سفرك ـ شفاك الله وعافاك ـ واحترس اخى من هواء الخريف لانه لطيف ولا يخاف الا من اللطيف كما قال بعض الحكماء :

احذر اخى هواء الخريف فانه
مستعذب مستلطف خطاف
يجرى من الاجسام جرى عروقها ٠
بلطافة ومن اللطيف يخاف

وأنت تراه قد تألم لما تألمت منه ، ودعا تلميذه بالشفاء والعافية ، ثم لم يفوت الفرصة

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

فى توجيهى لما ينفعنى فى دينى ودنياى ، فحذرنى أولا من هواء الخريف ، بأسلوب رقيق كما ترى ، وزاد على ذلك نصيحة صوفية رقيقة ودقيقة ، جاءت فى عبارته ، ولا يخاف الا من اللطيف . وأيدها بحكمة شعرية قديمة .

ولنفهم أولا معنى اسمه تعالى « لطيف » وقد تفضل رضى الله عنه فشرحه لى ذات مرة فى مناسبة من المناسبات وقال لى ان معناه «مصور الشىء فى قالب ضده ، فرجوته ان يزيدنى شرحا وتوضيحا فقال لى . يخرج الطفل من بطن أمه فترى له جمالا فى الخلقة ولو أنك نظرت فى سبب الخلقة لوجدته ماء مهينا ، خرج من بين الصلب والترائب ، فتحول هذا الماء المهين فى اطوار متعدده الى أن صار بقدرة الله بشرا سويا ، ذا تقويم حسن وشكل جميل ، أرأيت كيف حول الله الماء القبيح فى بدايته الى طفل وسيم فى النهاية ، فتطور بقدرة الله من القبح الى الجمال وذلك يدل على أنه تعالى لطيف ، وكذلك سجن سيدنا يوسف عليه السلام بفرية افتريت عليه ، وكان السجن مهانة وشدة صبر عليهما بضع سنين ، وقد آثر عليه السلام السجن فرارا من معصية الله ، حين ناجى ربه قائلا « رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه » فلما أراد الله له الفرج خرج من السجن حاكما لمصر ، وجاء بأهله من البدو ، وجمع شمل الأسرة بعد الفرقة ، فتذكر فضل الله عليه فى كل هذا ثم قال عليه السلام (ان ربى لطيف لما يشاء) فجعل الله له من المحن منحا ، وذلك من لطفه سبحانه .

ومقام الخوف عند السادة الصوفية من مقامات اليقين الاساسية ، لكنهم يقرنونه بالرجاء ، حتى لا ييأس المريد من رحمة ربه ، فيكون فى سيره الى الله ، بين الخوف والرجاء ، أشبه بالطائر الذى يطير بجناحيه معا .

ويقول فى ذلك العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه :

لاتيأسوا من روحه
فاليائسون كفره
او تأمنوا من مكره
فالآمنون فجره
بين خوف ورجا
تعد نفس حذره

ويقول أيضا :

يارب أنت علمتنى
لم تخف منى خافية
سقمى يزيد وانما
آيات عفوك شافية
أنا مذنب واحسرتى
أنا ما نسيت حسابية
بل خائف يأتى الحساب
وما أمنت عذابية
كنف المهيمن دائما
بين الورى أوفى بيه
مهما فعلت فاننى
راج جزيل ثوابيه

ويتشبث رضى الله عنه برحمة الله ، ولا يستند الى عمل من أعماله فيقول :

فتشت اعمالى الحسنى فوا أسفى
لم ألق من حسن يدنى لعقباه
هجرت كل مرام غير رحمته
(فانها حسناتى يوم ألقاه)

وها هو ذا سيدى العالم العارف بالله ، الشيخ أحمد الحلوانى والد شيخى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنهما يجمع بين الخوف والرجاء فى قصيدته المسماة المستغفرة فى قوله :

يا ويلتا من ذنوب
فجورها مفجور
ومن خطاى اللواتى
الى الخطا تستطير
وآه من كل اثم
عليه يطوى الضمير
ومن مقاصد سوء
جرى به التعبير
ومن خطيئات خطى
وما حوى التسطير
ومن ومن لست أدرى
فذاك شىء كثير

قبائح كنت فيها
أسرى وطورا سير
سررت منهـا زمانـا
وغمهـا مذخور
نسيتها ووعاها
كتابى المسطـور
ماذا أقـول لربى
اذا بدا التحرير
يارب أنت رحيم
وبالسماح جدير
يارب أنت عفو
وانت رب قدير
يارب أنت كريم
والعبد عبد فقير
يارب انى حقير
جدا وانت الكبير
وشأن من جل يغضى
اذا أساء الحقير
وأين ترب خسيس
من ربه يامجير
وما اريد احتجاجا
عليك بل أستجير
أجر عبيدك يامن
سواه ليس يجير
مالى سواك أغثنى
وهل سواك نصير
ولى اليك شفيع
بدر الظلام المنير
غوث الانام المرجى
اذا السماء تمور
به توسلت فاجبر
كسرى فانى كسير
وأسكب عليه التحايا
ما فاض منه النور

وكلامه رضى الله عنه يشع بنوره الفياض ، كيف لا وهو من الهام عالم عارف بالله ، قد امتلأ قلبه من محبة الله وهداه ، ويتعلق أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل بعفو الله فيقول رضى الله عنه :

من ظن أن عطاء الله عن بدل
واستكثر العفو منه ضل مانجحا
زادت ذنوبى لكن ما استجرت به
الا وجدت مقام العفو قد وضحا
ان نام قلبى من الزلات فى ظلم
فانه بضياء العفو منه صحا
الذنب يحزننى والعفو يفرحنى
فاعجب لكاسب ذنب ينتشى فرحا

وما أروع المقابلة فى كلامه المبارك فى الأبيات السابقة ـ ويغلب رضى الله عنه الرجاء على الخوف فيقول فى الهامه البديع :

من ينادى الكريم عجزا وذلا
قد أجاب الكريم فضلا نداه
ان علمتم أن الاله كريم
اتراه يرد من ناداه
لو بأعمالنا نكافأ ضعنا
انما عفوه وحسن عطاه
ان رجونا فالرجاء من العبد
جميل اذا دعا مولاه
رب رفقا بمن أتاك ضعيفا
حاملا ثقله كثيرا ، أذاه
ان ربى بما تقرر أولى
لا يرد الضعيف ان ناجاه
أنا باك ولست يوما بشاك
كيف أشكو والقلب حل حماه

ومع الرجاء فى الله يدعو رضى الله عنه الى الجهاد فى سبيل الله فيقول :

أتحب أن تعلو بغير مشقة
لولا المشقة لا ينال علاه
جاهد تنل واصبر تفز واصدق تسد
واسهر تذق واعبد يهبك عطاه
يا أيها الاخوان هل من ذاكر
عهدا مضى كنا ضياء سماه
كنا أولى أدب وفينا حكمة
الفرد منا كوكب بسناه
كنا نقوم على رضا كنا نسير
على تقى كل يحب اخاه
ما بالنا شيطاننا فى يومنا
غلب الجميع وما يرد عناه

فيقول لى أنت المحب ويثنى
لسواى يمدح أنت كنز حماه
عودوا بنا لليل نسهر بالهدى
فالليل يكشف للمريد غطاه
أننام ليلا ثم ندعى سادة
هذا الضلال البحت وا أسفاه
لا تطمئنوا للحياة وصفوها
فالصفو قبل الموت ما أرداه
لاتركنوا للنوم فى ايامكم
فالنوم للمشتاق بدء جفاه
سر يامريد على المبادىء صادقا
للمنتهى حتى تنال لقاه

والخوف يبعث على تقوى الله اتقاء لغضبه، وبالتقوى يتخذ المؤمن ربه صاحبا ،ويدع الناس جانبا ، والى اخوانى القراء مثلا من تفكير السادة الصوفية ، فيما يقربهم الى الله ، ويدعوهم الى المجاهدة فى سبيله والاعتماد عليه فى جميع أمورهم :

روى أن حاتما الأصم كان تلميذا لشقيق البلخى رضى الله عنه فقال الشيخ لتلميذه ، منذ كم صحبتنى ؟ قال منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟

قال ثمان مسائل ، قال شقيق : انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الاثمان مسائل فما هى ؟ قال : الاولى .. نظرت الى هذا الخلق ، فرأيت كل واحد يحب شيئا فلا يزال محبوبه معه ، فاذا ذهب الى قبره فارقة فجعلت الحسنات محبوبى ، قال أحسنت فما الثانية ؟ قال : نظرت فى قول الله عزوجل « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » فعلمت أن قوله تعالى حق ، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

الثالثة .. انى نظرت الى هذا الخلق . فرأيت كل من له شىء له قيمة وله عنده مقدار يحفظه ، ثم نظرت فى قول الله عز وجل : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، فكلما وقع لى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله تعالى ليبقى لى عنده

الرابعة : نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب ، فنظرت فاذا هى لا شىء ، ثم نظرت الى قوله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فعمدت الى التقوى حتى أكون عند الله كريما .

الخامسة : نظرت الى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن فى بعض ويلعن بعضهم بعضا ، فعلمت أن اصل ذلك كله الحسد فنظرت الى قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فتركت الحسد وعداوة الخلق وعلمت أن الذى قسم لى كائن لابد منه

السادسة : نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويعادى بعضهم بعضا فنظرت الى عدوى فى الحقيقة فاذا هو الشيطان وقد قال تعالى (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) فعاديته واحببت الناس اجمعين .

السابعة : نظرت الى الخلق فوجدتهم يطلبون الكثرة ، ويذلون انفسهم بسببها ، ثم نظرت الى قوله تعالى « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » فعلمت أنى من جملة المرزوقين فشتغلت بالله عز وجل وتركت ما سواه .

الثامنة : نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتوكل هذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق ينوكل على مخلوق ، فرجعت الى قوله عز وجل (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فتوكلت على الله عز وجل فقال الشيخ لتلميذه ، وفقك الله يا حاتم فقد جمعت الأمور كلها .

اللهم أنا نخافك ، وأنت الغفور الرحيم ، ونخافك وأنت القهار ذو البطش الشديد ، فاجعلنا يا الهى فى خوفنا من الراجين ، وفى رجائنا من الخائفين ليمتزج خوفنا ورجاؤنا فاننا لانخاف الا من نرجوه ، ولا نرجو الا من نخاف ، وقد سبقت رحمتك وجودنا ،ومغفرتك ذنوبنا ، وان خوفتنا فمن رحمتك بنا ، وان أطمعتنا فى رحمتك فمن احسانك الينا ، فعاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك فانك قلت وقولك الحق (ان ربك واسع المغفرة)

لقمان

لقمان

الدكتور احمد الحوفي

هما رجلان عاشا فى الماضى البعيد ،اتفقا فى الاسم ، واختلفا فى كثير مما عداه •

أحدهما عربى هو لقمان بن عاد ، عاش فى الجاهليه ، ونسجت حوله أساطير ، منها أن نساءه خانته فقتلهن ، وأقسم ليقتلن كل امرأه تلقاه ، فلقيته ابنته فقتلها •

ومنها أن أخته كانت لا تلد الا حمقى ، وودت أن يكون لها ولد حصيف ءقبل كأخيها ، فاتفقت مع احدى زوجاته على ان تتزيا بزيها ، وتنام فى فراشها ، فلامسها وهو لايعلم ، فولدت غلاما سمته لقيما ، فكان أديبا كما أرادت ، وفى هذا يقول شاعر :

لقيم بن لقمان من أختـه
فكان ابنا لـه وابنمـا

وهم يضربون به المثل فى القوة وطول العمر وكثرة الأكل ، فيقولون آكل من لقمـان ، ويزعمون انه كان يتغذى بجزور ويتعشى بجزور ، وهذا من أكاذيب العرب •

ويضربون المثل بطول عمر النسر ،ويدعون انه بعيش خمسمائة سنة ، ويزعمون انلقمان ابن عاد خير فاختار أن يعيش عمر سبعة نسور ، فاوتى سؤله ، فكان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى خربة من الجبل ، فاذا استوفى عمره أخذ فرخا آخر فوضعه مكانه الى آخر النسور ، وهذا الاخير هو الذىيسمى لبد ، وكان أطولها عمرا ولهذا قالوا أتى أبد على لبد ، وقالوا أخنى عليه الذى اخنى على لبد • قال النابغة :

اضحت خلاء واضحى اهلها احتملوا
اخنى عليها الذى اخنى على لبـد

وقال لبيد :

ولقد جرى لبد فـأدرك جـريه
ريب المنون وكان غـير مثقلٌ
لما رأى لبـد النسـور تطايرت
رفـع القوادم كالكسير الأعـزل
من تحته لقمان يرجـو نهضة
ولقد رأى لقمـان الا يـأتلى

وعجب أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى أو محمد بن مناذر من طول عمر معاذ بن مسلم ، وتهكم به فى قوله :

ان معاذ بن مسلم رجل
قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الد
هر وأثواب عمره جد
يانسر لقمان كم تعيش وكم
تلبس ثوب الحياة يالبد

وهم ضربوا المثل بعظم راسه ، ولعلهم أرادوا الدلالة على حصانته ومناعته ، فقال أبو المهوش الأسدى الشاعر المخضرم أو يزيد بن الصعق الكلابى :

اذا ما مات ميت من تميم
وسرك أن يعيش فجىء بزاد
بخبز أو بلحم أو بسمن
أو الشىء الملفف فى البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصا
ليأكل رأس لقمان بن عاد

وكانوا يعظمون شانه وشأن لقيم فى النباهة والقدر ، وفى العلم والحكمة ، وفى الفصاحة والحلم ، قال المسيب بن علس فى المدح :

ولانت أبين حين تنطق من
لقمان لما عى بالامر

وقال لبيد بن ربيعة :
واخلف قسا ليتنى ولو اننى
وأعيا على لقمان حكم التدبر

يريد أن قس بن ساعدة على شهرته بالبيان والحكمة كان يندم على بعض ما فاته أو على بعض ما فعل ، وان لقمان بن عاد لم تغن عنه حكمته وتدبره شيئا .

واشار الى حكمته النابغة فى قوله يندم على تخلفه عن غزوة مع رفيقه :

أقام كأن لقمان بن عاد
أشار له بحكمته مشير على ان الفرزدق ضرب المثل بقوته فى قوله :

لئن حومتى هابت معد حياضها
لقد كان لقمان بن عاد يهابها

وللقمان هذا ذكر فى كثير من كتب الأدب والتاريخ مثل الروض الأنف للسهيلى ا ـ ١٦٦ والتيجان فى ملوك حمير ٦٩، ٧١ وديوان الأعشى ٢٨٣ وديوان المسب بن علس الملحق به ، والمفضليات للضبى ٢ ـ ٦٢ وخزانة الادب للبغدادى ٤ ـ ٤٥٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ١ ـ ١٤٦ والعمدة لابن رشيق ٢ ـ ٢٠٢ والحيوان والبيان والتبيين للجاحظ فى مواضع متفرقة وثمار القلوب للثعالبى ٤٧٦ ومجمع الامثال للميدانى ١ ـ ٥٦ وكتاب المعمرين ٣ وأخبار عبيد بن شرية ٣٥١ وشرح ديوان زهير ٢٨٨

(٢)

وأما الآخر فهو لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم .

وهم مختلفون فى نسبه ، فهو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح ، وهو آزر أبو ابراهيم ، أو هو لقمان بن عنقاء بن سرون ، وفى رأى بعضهم انه ابن أخت النبى ايوب ، وفى رأى آخرين أنه ابن خالته .

ومختلفون كذلك فى جنسيته ، فهو اسود من سودان مصر ، أو نوبى من اهل أيلة ، أو حبشى ذو شفتين غليظتين ورجلين مشققتين .

ومختلفون أيضا فى صناعته ، فهو نجار أو خياط أو حطاب أو راع أو قاض فى بنى اسرائيل .

وهذا الاختلاف فى نسبه وجنسيته وصناعته قد امتد الى مكانته ، فبعضهم على انه نبى ، وبعضهم على أنه حكيم ، وبعضهم ذهب الى انه عاقل مصيب ، وبعضهم رأى انه عبد صالح وبعضهم يقول انه كان وليا ولم يكن نبيا .

ولكنهم وان اختلفوا فى نبوته مجمعون على حكمته ، وهم يريدون بها الصواب فى المعتقدات والفقه فى الدين والعقل والعمل احب الله تعالى فأحبه ومنحه الحكمة .

ويذكر بعضهم انه ادرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم ، وكان يفتى قبل بعثته ، فلما

بعث داود كف عن الفتوى ، فقيل له فى ذلك فقال ألا اكتفى اذ كفيت •

ويذكرون من حكمته أن سيده قال له : اذبح لى شاه واتنى بطيبها ، فأتاه باللسان والقلب ، ثم قال له يوما آخر : اذبح لى شاة وائتى اخبثها ، فالقى اللسان والقلب ، فقال له : امرتك أن تاتينى باطيبها فاتيتنى باللسان والقلب ، وامرتك ان تلقى أخبثها فالقيت اللسان والقلب • فقال لقمان : انه ليس شىء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا •

وقيل له : أى الناس شر ؟ قال : الذى لايبالى ان رآه الناس مسيئا •

ويقولون ان انسانا وقف عليه وهو فى مجلسه ، فقال : ألست الذى كنت ترعى معى فى مكان كذا وكذا ؟ قال لقمان : بلى ، قال الرجل : فما بلغ بك ما أري ؟ قال لقمان : صدق الحديث ، وأداء الامانة ، والصمت عما لا يعنينى •

ويذكرون من صمته مما لايعنيه أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، وقد لين الله له الحديد فاراد أن يساله عما يصنعه ، فادركته الحكمة ، فسكت ، فلما اتم داود الدرع لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت ، فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله ، فقال له داود ، بحق ما سميت حكيما

واغلب الظن أن بعض حكمه كان معروفا للعرب قبل الاسلام ، لأن وهب بن منبه قال - وان تغالى فى قوله - : قرات من حكمه اكثر من عشرة آلاف ، ولان الصلتان السعدى اشار الى حكمته فى قوله :

نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقى
الم تر لقمان أوصى بنيه
واوصيت عمرا فنعم الوصى
وسرك ما كان عند امرىء
وسر الثلاثة غير الخفى

وقد ذكر ابن هشام ان سويد بن الصامت قدم مكة حاجا أو معتمرا ، وكان مشهورا فى قومه بالشرف والجلد ، فتصدى له الرسول عليه الصلاة والسلام • فدعاه الى الله والى الاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى • قال الرسول : وما الذى معك ؟ قال سويد : مجلة لقمان • فقال الرسول : اعرضها على ، فعرضها عليه ، فقال له : ان هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل منه ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور ، وتلا عليه بعض القرآن ، ودعاه الى الاسلام ، فلم يبعد منه ، وقال انه لقول حسن • ثم انصرف عنه ، فقدم المدينه على قومه ، فلم يلبث ان قتلته الخزرج فى موقعة بينهم وبين الاوس ، هى يوم بعاث •

على اننا نجد فى الموطأ للامام مالك وفى بعض كتب التفسير والادب ألوانا من حكم لقمان •

ثم جمعت أمثال قصصية بعد ذلك فى كتاب اسمه (امثال لقمان) ولكن عدم ذكر كتاب بهذا الاسم فى كتب العرب القديمة وضعف أسلوب هذه الأمثال يؤكد ان أنه وضع فى عصر متأخر •

ومن هذا كله نستخلص ان لقمان الحكيم ليس عربيا ، لأنهم متفقون على انه من جنس غير عربى ، وانه صاحب حكم كثيرة تداولها العرب ، وشاعت بينهم ، وأدخلها بعضهم فى نثره أو شعره ، وانه لم يكن نبيا •

— ٣ —

وحسبه من التشريف ان ذكره الله تعالى فى قوله « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله » وأنه ذكر سبحانه وصيته لابنه ، وهى وصية حافلة بما يقيم اموره فى دينه ودنياه ، فقد نهاه عن الشرك بالله ، لأن هذا الشرك مهانة لانسانيته وجريمة لا تغتفر « **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم** » •

ونبهه على ان الله علام الغيوب ، محيط بالخفايا مهما تكن ضآلتها ، فليراقب ربه فيما يعمل **« يا بنى أنها أن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير »**

وامره باقامه الصلاه ، وبالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر على احداث الدهر، لانه اذ فعل ذلك فقد اطاع ربه واطمأن الى مرضاته وثوابه ، وساهم فى نشر الحق والخير والسلام بين الناس ، وشارك فى تطهير المجتمع من الشرور والآثام ، وهو بصبره على نوائب الدهر يغالبها بجلده ويستأنف جهوده ويقبل على الحياة **« يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الامور »**

ثم نصحه بأن يكون دمث الأخلاق ، متواضعا ، مبرأ من المخيلة والزهو والغرور، رزينا فى عمله وفى مشيته ، كاملا فى مظهره وهيئته ، معتدل الصوت اذا تكلم ، لأن رفع الصوت فى الحديث المعتاد صخب وضجيج لا يليق بانسان مهذب الخلق ، ونفره من هذا الصخب بتشبيهه بنهاق الحمير « ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير »

وبعد فانه لتشريف للقمان ايا كان جنسه ، وايا كان عمله ، وسواء أكان نبيا أم غير نبى أن يذكر القرآن الكريم فى سورة لقمان وصاته لابنه ، لتكون هديا لنا جميعا ، تأخذ بها نفوسنا ، ونربى بها أبناءنا .

واذا كان لقمان بن عاد قد تردد ذكره فى بعض المراجع التى سبقت ، فان ذكر لقمان الحكيم قد تردد فى كثير من المراجع ، منها تفسير الطبرى ٢١ـ٤٣ وتفسير الزمخشرى ٢ـ١٩٤ وتفسير أبى حيان ٨ـ١٨٦ وتفسير القرطبى ١٤ـ٥٩ وثمار القلوب للثعالبى ٩٧ والمعارف لابن قتيبة ٢٥ ومعجم البلدان لياقوت عند كلمة طبرية والحيوان للجاحظ ٣ـ٤٧٧ وسيرة ابن هشام ٢ـ٣٤

من حضارة الإسلام

القاعدة الرابعة

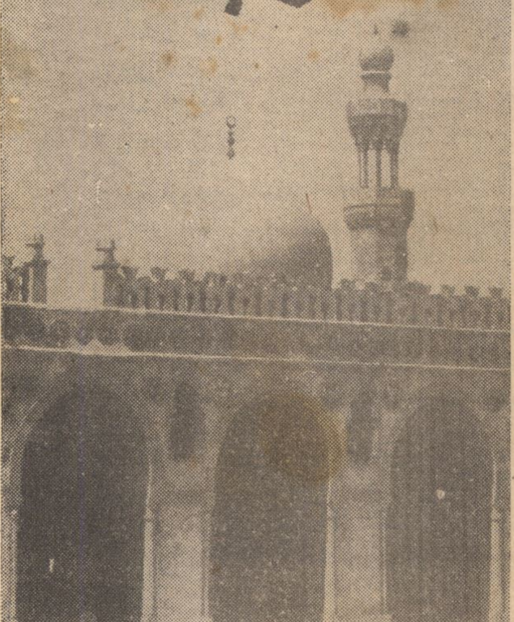

القواعد الخمس ـ الصوم جنة ـ الغنيمة الباردة ـ ليلة القدر ـ الفطرة والعيد

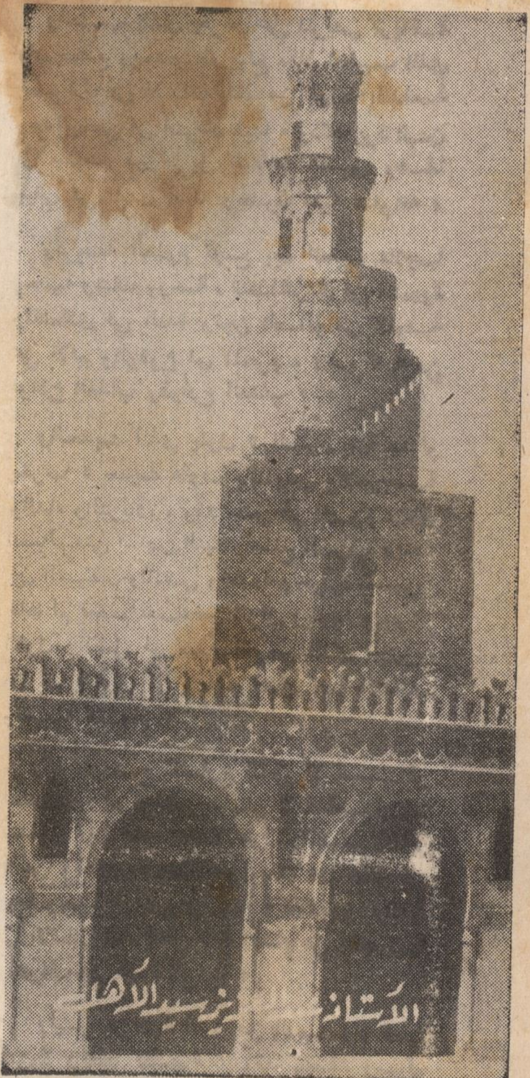

القواعد الخمس :

اتفق أهل السنة على أن صيام رمضان هو القاعدة الرابعة للاسلام استنادا الى الحديث الذى عدها خمسا ورتبها متوالية حسب أهمية كل منها ، فسبق بالشهادتين ثم جعل الصلاة ثانية مصلية تلى السابق المجلى فى الحلبة وهو التوحيد ، وجاء بالزكاة ثم بالصوم ، والحج فتمت بهذه الخمسة ـ عند أهل السنة ـ أركان الاسلام .

واءتم أهل السنة أيضا بما قاله الصحابة فى حديث البناء الذى يقول « **بنى الاسلام على خمس** .. » فقد رأوا اشارته الى ان الشارع الحكيم أراد الترتيب فى القواعد بلا مخالفة غير مبالين بما يدخل على الواو العاطفة فى أساليب اللغة من احتمال الترتيب والتعقيب أو عدم الاحتمال .

والقواعد الخمس تتشابك وتتداخل فى قوة وتماسك فلا تكاد تخلو قاعدة من أن تكون قولا أو عملا فى القاعدة التى قبلها والقاعدة التى بعدها الا القاعدة الأولى التى هى المجلى فى الحلبة فليس من شىء أمامها ، وأما القاعدة الأخيرة فالكل يفضى اليها وينصب فى موسمها .

وذلك التشابك والتداخل كان لابد منه لترتفع أركان البناء متصلة متماسكة كل منها

يستدعى ما فى الأخرى من قول المسلم وعمله وظاهره وباطنه وسلوكه واعتقاده ليكون الدين القائم على القواعد الخمس أشبه بوحدة من البناء متداخلة الأركان مشدودة البنيان :

لاتخلو فريضة الصلاة من النص بالشهادتين فى الاذان والاقامة لها والتشهد فى أثنائها وختامها • ولا تخلو الزكاة من معنى التطهير وعمله فى المال ، وكان من قبل تطهيرا للنفس والبدن فى الوضوء والصلاة ، وكان السبق لتطهير النفس اولى ، فما لم تتطهر هى لم ينشأ فيها الميل لتطهير ما تملك ، ولذلك جاورت الزكاة أختها الصلاة ، ثم ظهر هذا التجاور والتلازم من الناحية الأخرى للصيام الذى لا يقبل الا بزكاة الفطر ، وكأنما كان تطهير المال الدليل الواحد والشاهد الفارد على أن النفس قد صح نقاؤها واكتمل صفاؤها ، أما الحج فمع ما فيه من أقوال وأعمال تدور فى القواعد التى سبقته فانه لم يتقدم عن الصيام بسبب الزكاة التى شرعت عند انقضائه أو الفدية من الفطر فى أيامه ، فكانت الزكاة والصوم أقرب الى نسبة وأدنى الى قربى •

وقد حدث فى دائرة هذه القواعد أن يجرى فيها سلب وايجاب حتى تكون النواة كاملة والخلية حية متحركة ، وكان الصيام هوالركن السالب الذى تمت به النواة وتحركت فى الخلية الحياة •

وأجل ما قبل فى هذا الركن السالب قول الله سبحانه فى الحديث القدسى « الصوم لى » اذ لا مثيل لوصفه السلبى من بين العبادات ، وقد رأى أهل التصوف أنه أشبه بغيرة الهية حين يتلبس العبد بصفة صمدانية من العلو والاستغناء — مع بقائه فى قيود العبودية — لأن الحق سبحانه منزه عن الاحتياج مطلقا أبدا والعبد اذا اتصف بالتنزه كان اتصافه به فى وقت مخصوص ثم يعود الى حجاب المشاكل والمشارب وظلام المآتم والمهالك •

وهذا كله كلام موجز لايتناول غير الاجمال ، اما التفصيل بتقليب كل لبنة والتنقيب عن كل كل فكرة ففيه ما يبهر المطلع ويدهش الباحث ، لبناء الاسلام المتماسك فى احكام والتعالى فى عزة وشموخ •

الصوم جنة •

وقد جرت الحكمة بان تكون فريضة الصوم — كاكثر الفرائض — اجبارا لا اختيارا ، وفى زمن معروف بذاته محدود الطرفين • حتى لا يترك المرء سدى دون أن يؤمر وينهى ودون أن يترك هملا بلا شرع ومرتعيا بلا حدود •

والطبيب الذى يفرض على المريض ترياقه بأن يمتنع ويحتمى لم يبلغ مكان الطبيب الذى يمنع ويحمى اذ ذلك ينقذ من الورطه الداهمة وهذا يحمى من التردى فيها ، وذلك يرد البدن الى صحته من طريق النقاهة الضيق وهذا يبقى على البدن امانه ويصون عليه عنفوانه •

وفريضة الصوم تجمع بين الطبين علاجا وحمية وشفاء ورحمة ، تنقذالمتردى فى الشهوة والمتمادى فى اللذة وتجن الصائم من اللهفة على الاثم والوقوع فى المحرم ، وهى تقيه من لواذع العذاب وقوارع العقاب •

والحديث الذى يقول « الصوم جنة ما لم يخرقها » حديث عارف بالنفوس والأمزجة والداء والترياق ، وقد جعل فى الصوم حماية الصائم متى أخلص النية وأصلح السريرة وباعد بين الشيطان والنفس والأمعاء وحرارة السموم، فاذا لم يعصم نفسه من الزلل ويقيها منجرائر القول والعمل لم يصن الترس الذى اجتنبه من أن ينخرق أو ينهتك فتطير اليه القذائف وتصيبه السهام •

وكذلك منع الشارع الفطر الا لمسافر مستصعب أو مريض متلبس لا لمتخيل ولا متلمس فان الأمر جد لا هزل وتكليف يقتضى الأجر ويكافأ بالمجازاة « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » فلاتجوز المبادرة الى الافطار عند الظن لانه اقدام على المعصية واشراف على الهوة المردية •

وليس من دواء أشد من الصوم كسرا للنزوة وقطعا للشهوة ، وقد وصفه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دواء لعثمان بن

مظعون حين أراد أن يترهب ويسيح هائما فى أرجاء الارض فقال له النبى فى شطر من حديثه « فان الصوم وجاء » فوصف له اسعافه ووقاه مما رهبه وخافه .

ولا شيء من مصاعب الصوم مجازى عليه بقدره حتى خلوف فم الصائم يرتد مسكا بل أطيب من المسك فى تقدير الله وحسابه ، وانما هى اشارة الى ان كل ما يظهر فى الصيام من تغير وأذى يرجع عند الله خيرا وحسنا ، بل هو ابعد فى حقيقة الخير واحسن من المسك الفائح بين الروائح .

وقد تبين ان وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم بأنه أطيب عند الله من رائحة المسك انما هو تصوير لرضا الله عن الصائم جاء فى تشبيه بانشراح صدر العبد عند استنشاق رائحة المسك كما أنه جاء كشفا لسر من الغيب المستور لتراه النفوس رأى العين واضح الظهور .

وبذلك جاء التأكيد بالصوم تأكيدا بالغا فلا يسقط بحال حتى الموت ، ومن مات وعليه صوم صام عنه وليه أو قام بفديه صومه . ويرى أهل الاستنباط ان ذلك يرجع الى أن النفوس التى تفارق الأحياء تدرك ما فاتها من وظائف العباده وتأسى عليه وتقلق لتعلقها بدين فى الذمة ووقوفها عند باب من الوحشه ، فقيام أقرب الناس منه وأولاهم به بسد الدين فرجة للكروب ودفع للمؤاخذة على الذنوب .

الغنيمة الباردة .

ولا تكاد الغنائم تنال الا باصطلاء الحرب ، ومالم طعانها وضرابها وهى من حق الجندى ، اذا جاهد فغلب واقتحم فانتصر جزاء ما اصابه أو ماكان متوقعا أن يصيبه . وقد يتقاسم الغنيمة معه من له سابقة أو عمل متصل به فى السلاح أو الاعداد دون أن يزحف لوقعة أو محضر جهادا .

وغنيمة هذا المتقاسم دون أن يغشى الحرب ويلقى الضرب تعد غنيمة باردة لانه يناله دون أن يذوق حر السلاح والم الجراح ولكنه يساوى فيها من ذاقهما ولقى حرهما ، وهولها مستحق لانه من اهل السابقة أو المعونة والاستعداد .

وغنيمة الصوم تعد حارة اذا كان الصوم فى نهار الصيف الطويل الذى يشتد فيه العطش وتطول المخمصة والذى يقصر ليله عن القيام بوظائف العبادة . وفى اشد حرارته تكون فى بلد شاخص ابعد عن الاعتدال يمتد الى ساعات طوال . اما الشتاء فهو على خلاف هذه الصفة اذ يقصر نهار الصائم ويطول ليل القائم فغنيمة الصائم فيه تأتيه بلا معاناة مشقة ولا ملاقاة كلفة ، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا بالغنيمة الباردة تشبيها لها بغنيمة اهل السابقة وأمثالهم ممن تأتيهم الغنائم حظا وقدرا فقال صلى الله عليه وسلم « الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة » .

والزمن يدور على الناس بفصول من السنين حارة وباردة وجافه ورطبة وطويله وقصيرة وهو يدور على معظم أرض المسلمين فى عامنا الذى يمر بنا والأعوام التى تليه على مقربة منه منطفىء الحرارة قصير المدى يعين على الصيام والقيام ، والغنيمة فيه هى نفسها غنيمة الاعوام المتوقدة الحرارة طويلة الساعات فالغنيمة فيه باردة لمن صامه يسيرة لمن قامه .

على أن الصوم فى أى أجزاء الزمن بالامتناع عن الطعام والشراب تعبدا وطاعة مهما خيل لصائمه أنه بذل جهده وأفنى طاقته فانما هو أقل جهاد تنال به أعظم الغنائم ، وأجل نصيب فيها المباعدة بين وجهه وبين النار .

وقد حدث ابو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » وهو اشارة كريمة الى المكان اللطيف الذى يسكنه الصائم حيث لاتصل اليه النار مهما اشتد حرها واستعر أوارها .

واذا ابتعدت النار عن وجه الصائم لليوم الواحد الذى يصومه فى سبيل الله سبعين عاما فكم يكون بعدها عنه لصيام شهر كامل ثم لعدة شهور فى عمر ممتد الأجل موهوب الأمل!

وأهل التصوف يرون الصيام نصف جهد اذ هو امساك عن الطعام ، أما العطش فهو من الشهوات الكاذبه ، اذ الجسم يمتص ما

يحتاجه من الماء من رطوبات الغذاء ، وهم يرون أن فى قدرة الانسان أن يمسك عن الماء متى كان عدوا للنهمة مكتفيا باللقمة ٠

وقد يسر الاسلام على أهله فأجل على المسافر والمريض والمضطر الاداء ولم يفرض عليهم حين القضاء أن يعجلوا أو يتابعوا ، فليس عليهم اذا أجلوا الى شعبان وأن يصوموا تفاريق ٠ وهكذا يسر لاعسر ونجاة بالناس من التصعيب والقهر ٠

ولم يفرض الاسلام على أحد من أهله أن يواصل الصيام ، ولم يكن الوصال الا من قدر النبى وعلو همته ، وحين أبيح له وحده دون الناس خاطبهم قائلا « لست كأحد منكم ٠ انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » ٠ لئلا يضعف الامزجة ويمل الخواطر ويصل بالناس الى حد الاحجاف فينحرفوا بالملة عن الاعتدال ٠

ولم تطمس الشريعة السمحه صوم الناسى فأبقت عليه صومه وأجره دون أن تشق عليه بايجاب اعادته او نقص ثوابه ٠٠ وقد عذرت الشريعة بالنسيان فى الصوم دون غيره لأن الصوم مجرد عن الهيئة كما هى فى الصلاة من استقبال القبلة وفى الحج بالاحرام و لتجرد عن المخيط فكان الصوم أحق أن يعذر فيه ٠

وصيام رمضان لو كان تسعة وعشرين لم ينقص أجره عن ثلاثين ، وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « شهرا عيد لاينقصان رمضان وذو الحجة ، فلايتفاوت اجر ثلاثين وتسعة وعشرين سدا على كل خاطر يظن أن حظه منقوص ٠

ليلة القدر :

وتمييز شهر رمضان بأنه الذى أنزل فيه القرآن – مع أن القرآن أنزل أيضا فى غيره من الشهور – كان تشريفا له وتنبيها على قدره ٠

وقد جاء فى الأثر أن القرآن أنزل فى رمضان جملة واحدة – أول ما أنزل – الى السماء الدنيا ثم فرق انزاله على الرسول الأمين بحسب ما تدعو اليه الحاجة الطالبة والحالة الراغبة والزمن المقدور ٠

ثم جاء أن جبريل عليه السلام كان يعرض القرآن على النبى فى كل رمضان مرة ، الا فى العام الذى قبض فيه فانه عرضه عليه مرتين ٠ وكان من رواة هذا القول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه دلالة فاصلة القول قاهرة الحجة على أن القرآن لم يجمعه احد دون الله سبحانه ، وهو كما هو الآن وغدا على ذلك الجمع لأول ، وبقاؤه كما جمعه الله فى رمضان من أعظم ما كان تشريفا من الله له واعلاء لذكره ٠

وقيل ان العرض المجمل الثانى للقرآن كان فى ليله من رمضان سماها القرآن نفسه ليله القدر والليله المباركة ، أما التسميه الاولى فقد كانت اشاره الى ان بالقرآن تعرف مقادير الأشياء وأوزان الاحكام وأما التسميه الثانية فقد كانت كذلك اشاره الى أن نزول القرآن كان سببا لنزول الرحمة واجابه الدعوه وقسم لنعمة وفصل الأقضيه ٠

ولما وقعت ليله القدر فى الثلث الأخير من رمضان – على القول الغالب وعلى احتفاء دون تعيين – لم يكن أفضل من التعبد فى العشر الأواخر منه بالصلاه والدعاء وقراءه القرآن ، التماسا للاستقامه لابحثا عن الكرامه ورغبة فى الكشف عن القلوب لا الكشف عن مستور الغيوب ٠

وليلة القدر قد وصفها رسول الله بقوله « هى ليلة اضحياته كأن قمرا يفضحها » وقد ذهبت التأويلات وراء الحديث فجعله قوم وصفا لظاهر السماء وصفحة الأفق يراه الرائى ويدركه المتلمس ، وجعله قوم تشبيها وتمثيلا ولم يرد رسول الله حقيقة الافصاح التى هى انكشاف القبيح ولكنه أراد كشف السدفة عن النفوس وجلاء الظلمة عن القلب ، وكمايشقق القمر الغمام ويفضح الظلام ٠

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى رمضان مالا يجتهد فى غيره عبادة وجودا فاذا دخل العشر الأواخر منه أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر ، ودعا الله يطلب المغفرة ويدعو بالعفو ليكون قدوة الراجين واسوة الطالبين ٠

الفطرة والعيد :

وصوم رمضان يظل معلقا بين صدوره من العبد في مكانه الهابط الداني وبين مكان قبوله البعيد السامي حتى يؤدى الصائم زكاة فطره - كما جاء في الخبر - وكأن عمل الصوم يظل في مهبطه أو يحلق قليلا يرجو الصعود ويحاول القبول حتى تدفعه أجنحة الـــزكاة للطيران وتقدره على الولوج .

وكان من حق الصوم أن يضعف هكذا عن الصعود ، فان عرفان الطبائع والعلم بالميول البشرية يدركان ذلك الخلل الذى توقعه هــذه الطبائع وهذه الميول من حجاب الشهــوة الى الطعام في النهار والنهمة في الأكل بالليل ، وهو حجاب تشتد كثافته كلما أمعن الصائــم في الرى والشبع ، وكأنه يكل الى جسمه دون روحه اختزان القوة للعبادة و لانفــاق للطاعة، وليس الجسم غير احدى النوق وهو مركب مسوق .

وكذلك ما يقع في الصوم من الاثم واللمم ، وشبه النظر أو الكسب ، فجاءت زكاة الفطر لترق الحجاب وتبدد السراب .

فاذا مضى زمن الفريضة الرابعة أقبــل الناس على أحد العيدين المفترضين في الاسلام مكان عيدين في الجاهلية كان اهل المدينة قد اقتبسوهما ولعبوا فيهما ، وقيل همــا النيروز والمهرجان ، فأبدلهم الله خيرا منهما عيــد الفطر وعيد الأضحى .

وحين خشيت الشريعة أن تترك الناس على عادتهم في التنويه بشعائر الجاهلية والترويج لسنة اسلافهم فرضت التنويه فيهما بشعائر الملة الحنيفية وجملتهما بالصلاة وضروب من العبادات وتكبير الله على ما هداهم لئلا يكون اجتماع المسلمين فيهما بمحض اللعب وخالص اللهو ولئلا يخلو منهم الاجتماع الأكبر بقولهم « الله أكبر » .

وما من عيد للناس الا وهو تنويه بمناسك دين أو مشاعر مذهب أو نصر مؤزر أو نهضــة فارعة أو أمر ذى خطر يضاهى هذه أو يقاربها

وقد سمى العيد عيدا لا لعوده في كل سنة اذ لو صح ذلك لكان كل يوم في الاسبــوع عيدا لأنه يعود باسمه أو لكان كذلك كل يوم في العام لأنه يعود الى مبدئه ودورانه في زمانه من الفلك ومكانه ، ولكنه سمى كذلك للخروج من عبادة مفروضة أو ركن تمام عليه شريعة ، كالفطر الذى تنتهى به فريضة الصيـــام او أو الأضحى الذى ينتهى به ركن الحج بالوقوف في عرفات .

وفيهما معنى العود الى الفطرة الميسرة والعادة المتبعة اذ يعود المسلمون من قيود الصوم الى عادتهم من المفطر المباح ويعود الحجاج بعــد النزول من عرفة للتأهب لعاداتهم في الأعمــال ومحالهم في الأوطان .

ولقد استحبوا في الفطر خاصة أن لا يغدو المسلم على المصلى حتى يأكل تمــرات ويؤدى الزكاة ليشهد الصلاة فارغ القلب معكوك القيد مخالفا عادة الصوم عائدا الى عادته في الأيام بانقضاء الصيام .

وانهما ليسميان بالعيدين لأنه شــرع فيهما اللهو الطيب واللعب المباح ، وحرم فيهمــــا الصيام لئلا تقع الكلفة على المكلف ، بل صار له في الافطار والفرح به والابتهاج له أجر وغنم كما يصير له في فعل السنن المشروعة والفرائض المحتومة .

وفرحة العيد تعم القوم جميعا ويبتهج لها الصغير والكبير والغنى والفقير بما أدى المكلف من الطاعة وماناله المحتاج من المعروف ،وربما نعم الصغار فيه باللبس الجديد ونعم الاهل والاصدقاء بما حصلوا عليه من الود الجميل .

ولقد كان من الأسرار ذات الروعة في صلاة العيدين أن لم يشرع فيهما الأذان والاقامة لتوفر دواعى الناس على الاجتماع والخروج فيهما الى المصلى . والأذان والاقامة انما شرعا للاعلام والتنبيه وهما في العيدين حاصلان في النفوس حاضران في الأذهان والأبدان .

واجتماع المسلمين في مصلى العيد مع التكبير والتحميد عرضة كبيرة يجمع فيها اهل الملة للاعلام بكثرتهم واظهار شوكتهم ولذلك استحب خروج الجميع حتى الصبيان والنساء وذوات الخدور ، ومن منهن العذر الدائر يعتـزلن المصلى ولكنهن يشهدن دعوة المسلمين .

عود على بدء

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

عندما فرغت من الصرخه المدوية ، التى أبلغتها مجلة منبر الاسلام ، الى آذان المسلمين فى أرجاء المعمور ، محذرا مغبة هذه الخلافات المخزية ، التى مزقت الأواصر ، بين متاخرى المسلمين ، راجيا أن تتضافر جهود رؤساء المسلمين وقادتهم على وضع حد لهذا المرض الوبيل ، الذى ينخر العظم ، وينهش اللحم ٠ بينما فرغت من ذلك ، اذا بى أقرأ فى هذه الأيام ، وأسمع بمناسبة الاسراء والمعراج ، صيحات التكفير ، والتفسيق ، من بعض العلماء لكثير من المسلمين ، فيما لايصح ان يكون مجال تكفير ، أو تفسيق ، فأفزعنى أن أرى العلماء الذين يوجب عليهم دينهم السمح أن يكونوا حراسا على منافذ الشريعة ، يذودون عن أهلها ما يفرقهم ، وألا يتسببوا فى بث عوامل الخلاف بينهم ـ هم الذين يضفون على نار الخلاف حطبا جزلا ويسكبون عليها من الزيوت ما يزيدها اشتعالا فآليت على نفسى أن أسارع الى الكتابة فى هذا الموضوع بما يفصل بين ما هو عقيدة يجب اعتناقها ، ويكفر منكرها ، وبين ماهو مجرد علم ، لم يصل الى درجة التواتر المكون للعقيدة ، فكل عالم به حر فيما يوصله اليها اجتهاده ، وبذلك تخف حدة الخلاف ، ان لم تذهب ، فأقول ، وبالله التوفيق ٠

جاء فى كل كتب السنة النبوية ان العلماء فى الاسراء والمعراج ، أجمعوا على أمر واحد ، لا يجوز لمسلم أن يتعداه ، ذلك هو ما جاء فى القرآن الكريم من ان الله اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، واختلفوا فيما وراء هذا اختلافات كثيرة ، كما سيأتى بيانه ، فمواضع اختلافهم فيما يأتى ٠

هل كان كل من الاسراء والمعراج يقظة أم مناما ؟ قيل : كانا فى ليلة واحدة فى يقظته صلى الله عليه وسلم ، وقيل : كانا فى ليلة واحدة ايضا لكن فى منامه ، وقيل : وقعا جميعا فى مرتين مختلفتين ، احداهما يقظة ، وأخراهما مناما ، وقيل كان الاسراء الى بيت المقدس بخاصة يقظة ، والمعراج كان مناما ، أما فى تلك الليلة ، أو فى غيرها ، ومن الخلافات أيضا ، ماجاء من اضطراب روايات الاسراء من جهات مختلفة (١) من ناحية المكان الذى جاءته صلى الله عليه وسلم ، فيه الملائكة ـ (٢) ومن ناحية السنة التى وقع فيها (٣) ومن ناحية الشهر الذى وقع فيه ، (٤ ومن ناحية الليلة التى وقع فيها ، (٥) ومن ناحية موضع الأنبياء فى السماء ، (٦) ومن ناحية عدد مرات مراجعته صلى الله عليه وسلم ربه حتى حط عنه فرض الخمسين صلاة فى اليوم والليلة بجعلها خمسا ٠

أما الاختلاف فى المكان الذى جاءته فيه الملائكة ، فحديث مالك بن صعصعة الذى رواه البخارى يقول : بينما أنا فى الحطيم ٠ (وهو مكان بجوار الكعبة الآن) اذ أتانى آت ٠٠٠ الى آخر الحديث وفى رواية أخرى أخرجها النسائى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم ، كان نائما فى بيت أم هانىء ، بعد صلاة العشاء الآخرة اذ أتاه آت ٠٠ الى آخر الحديث ، وفى رواية لأبى ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرج (بضم الفاء وكسر الراء) عن سقف بيتى وانا بمكة ، فنزل جبريل ٠٠ الى آخر الحديث

(٢) وأما الاختلاف فى السنة التى وقع فيها ، فقد قال الحافظ بن حجر فى شرحه على البخارى : وقد أختلف فى وقت المعراج (والجمهور على أن المعراج والاسراء كانا فى ليلة واحدة) فقيل : كانا قبل البعثة ، وذهب الاكثر الى أنهما كانا بعد البعثة ، ثم اختلفوا

فقيل : كانا قبل الهجرة بسنة ، قاله ابن سعد وغيره ، وبه جزم النووى ، وقيل كانا قبلها بثمانية اشهر ، وقيل بستة أشهر ، وقيل كانا قبل الهجرة بأحد عشر شهرا ، وقيل بسنة وشهرين ، وقيل بسنة وثلاثة أشهر ، وقيل بسنة وبخمسة أشهر ، وقيل كانا فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ،وقيل بثلاث سنين ، وقيل بخمس سنين ٠

(٣و٤) أما الاختلاف فى الشهر الذى وقع فيه وفى احدى لياليه، فقال النووى فى كتاب الفتاوى : انهما كانا فى ربيع الأول ٠ وقال النووى نفسه فى شرحه على مسلم ، تبعا لعياض انهما كانا فى ربيع الآخر ، وجزمت الروضة بأنهما كانا فى رجب ، وقيل فى رمضان وقيل فى شوال ،وكانا على ماقيل فى ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة ، سبت ،وقيل كانت ليلة جمعة ٠

(٥) واما لاختلاف فى موضع الانبياء فى السماء ، فرواية انس عن ابى ذر التى جاءت فى البخارى تقول : ان ابراهيم كان فى السماء السادسة ، وفى بقية الروايات التى جاءت فى البخارى أيضا انه كان فى السابعة وفى رواية مالك بن صعصعة تقول :ان موسى كان فى السادسة ، ورواية ابن مالك نفسه انه كان فى السابعة ، وروايه ابى سعيد الخدرى تقول : ان يوسف عليه السلام فى الثانية ، ورواية مالك بن صعصعة : انه كان فى الثالثة ، ورواية ابن مالك وشريك تقول إن هارون فى الرابعة ، ورواية مالك بن صعصعة تقول : كان فى الخامسة ، ورواية مالك بن صعصعة تقول : ان عيسى ويحيى كانا فى السماء الثانية ، ورواية أبى سعيد الخدرى ، كان فى الثالثة ، ورواية ابن مالك وأبى ذر تقول ٠ ان ادريس عليه السلام كان فى الثانية ، ورواية شريك تقول : كان فى الثالثة ، ورواية مالك بن صعصعة فى الرابعة ، ورواية يزيد بن مالك فى الخامسة

(٦) وأما الاختلاف فى عدد مرات مراجعته صلى الله عليه وسلم ربه ، وما وضع عنه وعن أمته من الصلوات فى كل مرة ، فرواية انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان الله سبحانه وتعالى كان يحط من الصلاة عشرا عشرا ، فمقتضى هذا ان المراجعه جعلت خمس مرات حط فى كل مرة من الاربع الاول عشرا وفى الخامسة خمسا ، وفى روايه إنس عن أبى ذر ، قال : صلى الله عليه وسلم : « فرض الله سبحانه وتعالى خمسين صلاة ، فراجعته فوضع شطرها ، فراجعته فوضع شطرها فراجعته، فقال هن خمس فى الفعل وخمسون فى الأجر »

فمقتضى هذا أن المراجعة حصلت ثلاث مرات، وفى رواية ثابت البنانى عن انس قال صلى الله عليه وسلم : راجعت ربى فحط عنى خمسا فراجعته فحط خمسا ، فرجعته فحط خمسا ، الى آخر الحديث ، قال الحافظ بن حجر فقد حققت رواية ثابت هذه أن التخفيف كان خمسا خمسا ، فمقتضى هذا أن المراجعة مع التخفيف حصلت تسع مرات ٠

وقال : وقد حاول شراح الحديث الاجابة على جميع ماورد على طرق هذا الحديث من شبه بأجوبه بعضها قوى ٠ وبعضها فيه تكلف ٠

ولما كان المجال يقتضى ان نتعرض لادلة كل من الفريقين فى اسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم من ناحية حدوثهما مناما او يقظة نقول أدلة من رأى حدوثه يقظة — هى :

(أولا) أنه سبحانه وتعالى قال : «أسرى بعبده » والعبد : اسم للجسم والروح معا ، والرؤيا لاتكون الا بالروح فقط ،(ثانيا) :انه صلى الله عليه وسلم لم ير بيت المقدس قبل هذا الحادث ، ومع هذ فقد وصف لهم بيت المقدس بكل دقة ،ووصف لهم حال قافلة تجارة كانت قادمة من الشام ، وصفا تفصيليا ، وان فيها جملا لونه كذا ٠٠ الى غير ذلك ، فلو لم يكن بالجسم والروح لماأمكنه أن يصف بيت المقدس ولا القافلة ،(ثالثا)لولم يكن يقظة لما كذبه قريش لأن الرؤيا تحصل من كل احد ولا يصح لغيره ان يكذبه فيها ٠

رابعا : ان الصلاة فرضت فى تلك الليلة ، وفرضيتها تكليف والتكليف مرفوع عن النائم ٠
(للحديث بقية)

الأستاذ محمود كمال

فى عدد ابريل سنة ١٩٦٥ من مجلة منبر الاسلام نشرت مقالا عن « سياستنا تجاه اسرائيل » تناولت الكلام فيه على الخطوط العريضة للسياسة العربية تجاه تلك الدولة المزعومة ، استعدادا لليوم الموعود بالعودة الى الوطن السليب ، وكان هذا المقال قاصرا عن الافاضة فى كل نقطة من النقط التى اشتمل عليها ، لان المجال لم يكن يتسع لاكثر من الاجمال ، ولكنى كنت قد وعدت بتفصيل ما اجملت عندما تسنح لى فرصة ذلك .

وفى عدد سابق فصلت ماكنت قد اجملته عن نهر الاردن باعتباره خطا رئيسيا فعالا من الخطوط السياسية التى وردت فى ذلك المقال .. واليوم افصل ما اجملت عن البترول فى البلاد العربية .

وقبل ان استرسل فى الحديث الى القراء عن « الذهب الاسود » ، خاصة فى الشرق العربى ، احب ان اوجه النظر الى ملاحظة عابرة فى هذا الصدد ، هى ان زعيم العروبة هو اول عربى لفت الانظار ، فى وضوح وجلاء ، الى الاهمية القصوى التى يجب ان نعلقها على هذا المعدن النفيس كسلاح قاطع ضد الاستعمار . وضد الاحتكارات البترولية ، والى ضرورة استعماله فى المواقف الجدية لشل اية حركة عدوانية آتية من جانب اية دولة اوروبية بالقضاء على مقومات الحياة فيهـا .. ثم الى ضرورة الاستفادة منه فى امكان رفع مستوى المعيشة فى البلاد العربية بسبب كونه قد اصبح محط انظار العالم ، فى هذا الزمان ، والعنصر الاهم فى الحياة الاقتصادية فى انحاء المعمورة .

ولعل هذه التوجيهات من قبل زعيم العروبة مؤسسة على ثقافته الحربية . وعلى ماعنده من معلومات مكتسبة من الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ومن تجاربه التى مر بها اثناء العدوان الثلاثى الذى وقع على بلادنا سنة ١٩٥٦ ، وعلى دراسته لبعض العوامل والاعتبـارات الاقتصادية التى سيأتى الكلام عليها فى هذا المقال .

والبترول لم يعرف لدى العالم الا منذ سنة ١٨٥٩ عندما قام « دريك » بحفر اول بئر من آباره التى وجدت فى امريكا ، والتى اعطت اول انتاج منه .

ولم يكن العالم يعرف . فى ذلك الوقت ، اشيـاء كثيرة عن فوائده واستعمالاته المختلفة ، وكل ماكان لديه من علم فى شانه هو اعتباره شافيا من بعض الامراض اذا ما تدلك به ، وكذلك اعتبار بعض الزيوت النباتية عنصرا مضيئا مبددا للظلام ثم امكن بعد ذلك ، استقطاره غازات للاضاءة من الفحم ، الى ان كانت سنة ١٨٥٩ حينما التفت الانسان الى امكان تقطيره والحصول منه على الكيروسين واستعماله للاضاءة ، ثم امكن الحصول منه بواسطة التقطير ، على مشـتقات اخرى مختلفة الصفات .

وكان اختراع السيارة ، بعد حين ، سببا مؤديا الى تقدم صناعة البترول ، فى خطوات واسعة وسريعة نحو الكمال .

ثم انشئت معامل التقطير ، ومعامل التكرير ، وانتهى امر تلك الصناعات الى ماهى عليه فى الوقت الحاضر بحيث اصبحت « صناعة البترول هى المصـدر الاول للطاقات التى تدير عجلات الانتاج فى كل حقل من حقول النشاط الصناعى والاقتصادى » ، وبحيث صار البترول عصب الحياة والحضارة فى القرن العشرين ، واهم مورد للطاقات الاقتصادية . ذلك لان « حضارة اليوم حضارة مواصلات وقوة محركة ، والبترول ولا شك انه دم هذه الحضارة وروحها » فهو حياة القوى والآلات ، ومادة حركتها ، وقد اصبح هو المادة الخام التى تقوم عليها الصناعات الكيماوية وصناعات اخرى لاحصر لها ، سواء اكان انتاجها مما يلزم فى اوقات السلم او مما يلزم فى اوقات الحروب .

ومن منتجات صناعته المطاط الصناعى ، والجـوارب الصناعية ، والوقود المحرك للسيارات وآلات الحرب والآلات الاخرى فى المحركات المختلفة ، والاسفلت الذى ترصف به الشوارع والطرق ، والتليفون ، اى الصندوق الذى يكون الهيكل الذى يوضع فيه ، واحبار الطباعة ، وورنيش التنظيف ، وطلاء الحوائط ، وغيرها ، والشمع الذى تفرش به الارضيات او تجلد به الكتب او يستعمل فى اغراض اخرى ، و ادوات البلاستيك مثل ازرار الكهرباء وفرشاة الشعر وامشاطه ، والصابون اذ عنه تخرج الاحماض الدهنية التى تقوم عليها تلك الصناعة ، ثم الكيروسين ، والبنزين ، والسـولار ، والبوتاجاز ، والديزل ، وغيرها من انواع الوقود ، ثم الشمع ، والكريم المستعمل فى الحلاقة وفى غير ذلك من الاغراض ، والروائح العطرية التى يدخل الزيت فى تركيبها .. ثم انه يستعمل ، ايضا ، فى تشحيم العدد والآلات والادوات المختلفة ، .. وغير ذلك كثير .

واذا كان للبترول هـذا الشـان فيمـا يختص بالمنتجات البترولية زمن السلم فان له شانا اكبر واهم بالنسبة للمنتجات فى زمن الحروب . كما فى ادارة الطيارات ، والمدافع ، والسيارات ، والاساطيل ، والغواصات ، والقنابل التى تحشى بمفرقعات صنعت من مشتقاته ، والصواريخ التى تشق الفضاء ، وغير ذلك من الادوات والمعدات ، وهذه ليست سوى قطع من حديد صلد لافائدة منها بدون الزيت ، ولا تكون لها بدونه روح ولا حياة ولا حركة .

ولقد لفت كليمنصو رئيس وزراء فرنسـا ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، وكيرزون رئيس وزراء انجلترا ، الانظار الى تلك الاهمية القصوى للبترول ـ تلك الاهمية التى ادت الى اعتباره الدم الذى يجرى فى الآلات والمعدات الحربية فيبعث فيها الحياة والحركة . فاذا ما افتقد فلم يوجد ماتت تلك الآلات والمعدات واصبحت بمثابة جسد لاحراك به . وقد قال كليمنصو « ان البترول ضرورى كالدم » ، وقال كيرزون « ان الحلفاء كسبوا الحرب بالدماء ، والبترول وانهم وصلوا الى النصر عبر بحر من البترول » ، وقال الجنرال لودندورف القـائد الالمانى المشهور ان « افتقار المانيا الى البترول كان له اكبر الاثر فى مطالبة المانيا بالصلح عام ١٩١٨ » .

كذلك فان المانيا خرت صريعة فى الحـرب العالمية الثانية لاسباب من اهمها نفاد البترول وعدم امكانهـا الحصول على كفايتها منه اذ ان حربها ضد روسيا كانت قد ابتلعت ماكان لديها من الذهب الاسود ولم تستطع ان تمد معداتها وآلاتها بدم الحياة رغم استيلائها على كثير من مصادر الزيت فى البلاد التى قهرتها وتغلبت عليها .

وفى حرب السويس . سنة ١٩٥٦ ، نودى بضرورة وقف السيل المتدفق من البترول على دول الاعتداء الثلاثى لامكان قطع شريان الحياة عنها . اذ ان تلك الدول تفتقر الى البترول . لانه ليس لديها شئ منه ، وما لديها من الاحتياطى المخزون لايكفى الا لزمن محدود ، ولن تستطيع الولايات المتحدة ان تمدها بكفايتها منه حتى ولو كانت قد ارادت ذلك . فاذا ما انقطع عنها ذلك السيل البترولى الآتى اليها من الشرق العربى ، توقفت الحركة العامة عندها ، فلا سيارات ، ولا طيارات ، حتى ولا وقود للاضاءة والتدفئة ، ولا بواخر ، او اساطيل يمكن ان تمخر عباب البحار ، كما توقفت مصانعها عن الحركة فلا تعود تنتج شيئا من لوازم الحياة .

ولقد هب العالم العربى ، حينذاك ، فى حماس ، واخذ فى قطع خطوط انابيب البترول الموصلة له من منابعه الى موانئ التصدير ، وكانت هذه تجربة ايقظت الوعى العربى فادرك قيمة هذه المادة الذهبية التى تغذى الدولة الاوربية وتمدها بالحياة .

وليس استعمال سلاح البترول للضغط السياسى قاصرا على ما قام به العرب اثناء الاعتداء الثلاثى سنة

١٩٥٦ ، ولكن روسيا قد اتخذت منه سلاحا للضغط السياسى ايضا « فحين وقع الخلاف بينها وبين يوغوسلافيا منعت عنها البترول ، وحين اعترضت على تاليف وزارة فنلندية هددت بمنع البترول فسقطت الوزارة على الاثر .. لذلك ترى اوربا الغربية انه على الرغم من انها تستفيد من البترول السوفيتى فانها غير مرتاحة اليه » .

وهنا يجب ان نسجل بعض الحقائق عن البترول وانتاجه فى البلاد العربية ، خاصة مما يتيح للقارىء تقدير اهمية ومقدار ماله من اثر وتاثير فى حضارة القرن العشرين واقتصادياته .

وقد قلنا ، قبلا ، ان البترول ظهر ، اول ما ظهر فى امريكا ، سنة ١٨٥٩ ، حينما قام « دريك » باستخراجه من اول بئر من آباره ثم امد العالم بما استخرجه منه .

اما البلاد العربية فقد ظهر البترول فيها سنة ١٩٢٧ وكان اول ظهوره فى العراق .

وتلا العراق قطر حيث ظهر فيها البترول سنة ١٩٣٥ ثم تلا قطر بلاد البحرين سنة ١٩٣٢ .

ثم المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٩ ، فالكويت سنة ١٩٤٦ ، فليبيا سنة ١٩٦٣ ، والجزائر ، وابوظبى فى الخليج العربى حديثا .

واول دول العالم من حيث وفرة الانتاج هى الولايات المتحدة الامريكية ، وتليها البلاد العربية التى كانت منذ قريب ، منذ سنة ١٩٦٠ ، الثالثة فى الترتيب بين بلاد العالم فاصبحت الثانية الآن ، وتقدمت بذلك على الاتحاد السوفيتى .. ثم يلى الاتحاد السوفيتى دولة فنزويلا فى امريكا الجنوبية .

على انه ، وان كانت روسيا هى الثالثة الآن فى الترتيب ، غير انها اصبحت تنتج «مايقدر بمائتى مليون طن سنويا » بينما ان انتاجها عقب الحرب العالمية الثانية لم يكن يزيد على عشرين مليون طن ، ولم يكن يكفى للاستهلاك المحلى ، « اى انها ضاعفت انتاجها » منذ نهاية ذلك الحرب « الى عشرة امثاله » وان البترول السوفيتى ـ وفقا للخطة المرسومة عندهم ـ سيصل سنة ١٩٧٠ الى ٢٩٠ مليون طن ، وفى سنة ١٩٨٠ الى نحو ٧٠٠ مليون طن ، وحين يصل الى هذا العدد يصبح انتاج البترول السوفيتى مثل انتاج البترول الامريكى »

وقد بلغ الانتاج العالمى ، سنة ١٩٦٣ ، نحو ١٣٠٤ مليونا من الاطنان ، فى حين بلغ انتاج البلاد العربية

وفى تلك السنة نحو ٢٧٦ مليونا اى بنسبة ٢٢٪ تقريبا من الانتاج العالمى .

وكما تقول هيئة الامم المتحدة فى تقرير لهـا فان متوسط انتاج البئر فى الشرق يوميا ، يبلغ « ٣٧٢٨ برميلا مقابل ١١ برميلا فى الولايات المتحدة »

وكان انتاج الكويت وحدها ، فى السنة نفسها ، نحو ١٠٠ مليون من الاطنان ، وانتاج السعودية نحو ٨٠ مليونا ، وانتاج قطر ، سنة ١٩٦٢ ، نحو ٧٠ مليونا ، وبلغ مجموع ماتم تصديره من العراق سنة ١٩٦٣ ، نحو ٥٣ مليونا .

اما مصر فقد بدا الانتاج فيها سنة ١٩١٠ من بئر جمسة ثم حفر بئر الغردقة سنة ١٩١٣ ، وبئر حقل راس غارب سنة ١٩٣٨ ، وحقل ابو دربة سنة ١٩٢١ ، ثم وجد البترول فى منطقة سدر سنة ١٩٤٦ على بعد ٢٥ ميلا جنوبى السويس ، ثم فى حقل الرخاء ، وحقل عسل .

وبلغ الانتاجسنة ١٩٤٨ ـ ١٣ر١٧٢ر٦٤٨ برميلا ،

ويكفى ان نعلم ان طاقة معمل التكرير فى السويس كانت ١٨ الف طن سنويا قبل قيام الثورة سنة ١٩٥٢ ثم اصبحت طاقته ٣ ملايين من الاطنان ، ونحن نقرا فى الجرائد ، فى كثير من الاحيان ، عن استكشاف آبار جديدة تبشر بخير عميم ان شاء الله .

ويلاحظ ان حقول البترول المصرية تقع كلهـا على شاطىء خليج السويس .

ويقدر احتياطى البلاد العربيـة باكثر من ٦١٪ من الاحتياطى العالمى ، منه نحو ٢١٪ بالكويت .. و ١٧٪ بالسعودية .. و ٩٪ بالعراق .

والمقدر ان يبقى احتياطى الكويت ١١٥ سنة ، واحتياطى السعودية ١٢٠ سنة ، واحتياطى العراق ١٠٠ سنة ، بينما انه من المقدر ان لايبقى احتياطى الولايات المتحدة الامريكية الا الى اكثر قليلا من ١٢ سنة .

واهم حقول البترول فى الكويت هو حقل بورغان الذى اكتشف سنة ١٩٣٨ ، واكبر المناطق انتاجا فى السعودية هى منطقة عبقيق المكتشفة عام ١٩٤٠ ، ثم منطقه ضمام ، ومنطقه القطيف .. وكركوك فى العراق هى المصدر الاول والاهم ، وهو الذى تستمد منه كميات البترول الهائلة هناك .

ويبلغ عدد معامل التكرير فى البلاد الشرقية ٢٢ معملا بطاقة اجمالية قدرها ١ر١ مليون برميل يوميا ، ويوجد منها اربعة معامل فى العراق ، ومعملان فى مصر .

وينقل البترول اما عبر خطوط انابيب تمتد من جهة انتاجه الى ميناء الشحن ، كما فى العراق ، واما على ناقلات البترول ، فقد اخذت بعض البلاد العربية فى بناء ناقلات بترول ذات حمولة كبيرة ، كما فى الكويت حيث توجد ناقلتان من هذا النوع ، وكما فى مصر حيث توجد سبع ناقلات وذلك بخلاف الناقلات الاجنبيـة الضخمة .

وتستهلك الدول العربية فى داخل بلادها نحو ١٠٪ من مجموع انتاجها ، ومن المنتظر ان يزداد هذا الاستهلاك بارتفاع مستوى المعيشة والاتجاه المتزايد الى التصنيع .

والدول العربية تصدر نحو ٨٢٪ من انتاجها الى دول غرب اوربا ، ثم هى تحصل على ٥٠٪ من صافى ارباح الشركات الاحتكارية ، ومما يلاحظ انه ينالها من جراء ذلك غبن فادح بالقياس الى ما تحصل عليه بعض الدول الاخرى من الارباح ، ومثال ذلك ، ان فنزويلا تحصل على نحو ٦٨٪ وكما يقول السيد عبد الله الطريفى مستشار النفط فى السعودية فى بحث له منشور بمجلة الوطن فان فنزويلا تحصل على ٩٠ سنتا للبرميل الواحد ، بينما ان البلاد العربية لاتجمع اكثر من ٧٠ سنتا للبرميل من نفس النوع والجودة .

ومن الحقائق المرتبطة بانخفاض هذه الارباح فى الدول العربية ماورد فى تقرير لهيئة الامم المتحدة من ان وفرة الانتاج فى الشرق « ورخص الايدى العاملة .. وانخفاض

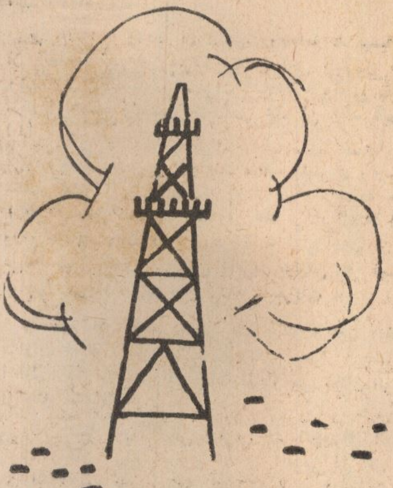

الحصيلة يجعل نفقات الانتاج منخفضة » ولكن يجب ان يلاحظ بصدد ما ورد فى هذا التقرير عن انخفاض الحصيلة . ان الاسعار التى تباع بها كل مادة مهما يصدر الى الخارج لاتخضع عادة لتكاليف انتاجها بل يجب ان تباع باسعار لاتزيد عن اسعار البضاعة فى الاسواق العالمية . ولكنها فى الوقت نفسه . لاتقل عنها . وكان من مقتضى ذلك ان تحصل البلاد العربية مقابل بترولها على ارباح مماثلة للارباح التى تحصل عليها فنزويلا . ولكن الشركات هى المتحكمه فى حكومات البلاد العربية وليست متحكمة فى فنزويلا . مما ادى الى حصول البلاد العربية على نسبة من الارباح اقل كثيرا عما تحصل عليه فنزويلا او غيرها من الدول المنتجة للبترول .

ويبلغ دخل الكويت السنوى من عائد بترولها نحو ٥٠٠ مليون دولار وهو مايمثل ٩٤٪ من ميزانية الدولة . ويبلغ دخل السعودية نحو ٨٠٠ مليون دولار يمثل نحو ٨٠٪ من الميزانية .

اما ليبيا فقد حصلت على ٢٣ مليونا من الجنيهات سنة ١٩٦٣ ، ومن المنظور ارتفاع ذلك الدخل قريبا حيث كان معدل انتاجها سنة ١٩٦٣ نحو ١٢٥ مليون برميل . ومنتظر ان يصل الى نحو ٣٠٠ مليون برميل سنة ١٩٦٤

وتقضى السياسة الاستعمارية بربط الدول العربية المنتجة للبترول بالشركات الاحتكارية لفترات طويلة جدا :

١ ـ فامتياز شركة ارامكو الامريكية فى السعودية يمتد الى سنة ١٩٩٩ .

٢ ـ ويمتد امتياز شركة بترول الكويت . وهى بريطانية الى سنة ٢٠٠٩ .

٣ ـ وشركة بترول قطر الى سنة ٢٠٩٠ .

٤ ـ وشركة العراق وهى بريطانية . فرنسية و امريكية ، هولندية الى سنة ٢٠١٢ .

كما تهدف تلك السياسة الى تحقيق نتائج معينة فى مصلحتها وضد مصلحة البلاد العربية ، ومن ذلك :

ا) امكان الحصول على المواد الاولية بالسعر الذى تحدده طالما ان الاحتكارات البترولية جاثمة على صدرها .

ب) وتغذية مصانعها بالبترول الخام .

ح) وتوفير فرص العمل امام مواطنيها فى مجالات الصناعات البترولية .

د) وفى الوقت نفسه حرمان البلاد العربية من دخول الميادين الصناعية وحرمان الايدى العاملة فيها من مزاولة العمل فى الصناعات البترولية .

هـ) وربط اقتصاد الدول العربية بعجلة الغرب

و) وفتح الاسواق العربية للمنتجات البترولية المصنعة بها

ز) وتحقيق حصيلة جمركية من عوائد البترول . وعلى سبيل المثال ، فقد وصل مقدار هذه الحصيلة ، فى انجلترا الى نحو ١٫٦ مليار دولار سنويا .

وكذلك الحصول على ارباح كبيرة سنويا من نصيب الحكومات فى اسهم الشركات الاحتكارية . وعلى سبيل المثال ، ايضا ، فان دخل انجلترا من البرميل يعادل ٣٫٩٠ دولار ، اى اكثر من خمسة اضعاف دخل البرميل فى كل من الدول العربية المنتجة وذلك حسب البيانات المستقاة من « منظمة الدول المصدرة للبترول (الاوبك) » وسياتى ذكرها بعد

والدول الغربية تتدخل فى تسعير البترول المستخرج فى البلاد المنتجة . استنادا الى كونها مالكة لتلك الاسهم وكما ورد فى بحث للاستاذ الطريقى فان كنيدى الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكيه قال مرة انه « لايمكن التغاضى عن الحقيقة التى مفادها ان اسعار المواد الخام التى تنتجها الدول المتخلفة فى انخفاض مستمر بينما اسعار المنتجات الصناعية فى ارتفاع مستمر ، مما ينتج عنه تدهور الوضع الاقتصادى فى بعض الاحيان .. وعليه فاننا .. سنجد بلادنا منطقة غنية فى عالم فقير تهدده جميع الأخطار التى يجلبها الفقر معه وسيؤثر ذلك علينا فى النهاية » .

ولم يكن بد . وهذه هى الحالة فى الدول المنتجه ، من اتخاذ ما يمكن اتخاذه من اساليب لامكان النظر فى مستقبل البترول وزيادة عوائده . والاستفادة منه الى ابعد حدود مستطاعة فكان ان تم فى سنة ١٩٦١ انشاء منظمة « الاوبك » التى تضم العراق . والسعودية ، والكويت وقطر . وليبيا ، كما تضم بلادا اخرى غير عربية . هى اندونيسيا وايران . وفنزويلا . بغرض تنسيق مواقفها البترولية . وحماية مصالحها وترجيح كفتها فيما قد ينشأ من منازعات

ولهذه المنظمة « طابع ايجابى باعتبارها جبهة عمل موحدة واسعة . تضم الدول المصدرة فى العالم ولها مصالح مشتركة هى الوقوف فى وجه المصالح الاجنبية » ، وقد قامت بمطالبة الشركات بتشغيل ابناء

القطر فيها بدلا من الاجانب وتطبيق القوانين العمالية ، وشهر العطاءات الانشائية فى داخل القطر بدلا من قيام شركات اجنبية بتنفيذ تلك العطاءات وباستيرادخاماتها من الخارج .

كذلك انشئت فى مصر المؤسسة المصرية العامة للبترول ومهمتها زيادة انتاج البترول ، وتكريره ، وتصنيعه ، ونقله وتخزينه ، وذلك فى « اطار مسئوليتين اساسيتين هما :

١ - تنمية الاقتصاد القومى بما يتمشى مع السياسة العامة للدولة .

٢ - الاشراف على شركات البترول التى تتكون منها المؤسسة وتنسيق العمل مع الشركات الاخرى التى تعمل فى نفس القطاع »

واسست فى العراق « شركة النفط العراقية » لتقوم بانتاج النفط وتسويقه خارج البلاد .

كما اخذ فى عقد مؤتمرات للبترول تضم الدول آنفة الذكر ، وكان اخرها هو المؤتمر الخامس المنعقدبالقاهرة فى مارس سنة١٩٦٥ بمقر الجامعةالعربية . وقد نشرت جريدة الاخبار ، بتاريخ ٢١ مارس ان وزير النفط العراقى آنذاك قال « ان مؤتمر البترول لايزال حتى الآن مجرد تجمع لالقاء الخطب واستعراض البحوث العربية ، ولا تصدر عنه توصيات تصل الى مستويات عليا فتجد مجالا للتطبيق بصفة الالزام » . وقال « وهذا لايمنعنى من ان اقرر ان المؤتمر نجح فعلا فى خلق وعى بترولى عملى ، وهذا من شانه ان يجعل الشعب العربى يدرك قيمة البترول كثروة قومية ويجبر بعض حكامه على ان يضعوا البترول فى خدمة النضال الثورى للامة العربية .

وقد طالب السيد الوزير بضرورة اعادة النظر فى العقود والاتفاقات التى تتحكم فى البترول لانها عقدت فى فترة لم تكن الحكومات العربية تملك قدراتها بسبب السيطرة الاجنبية عليها » .

ثم قال : « واحب ان اشير ... انه قد ثبت علميا ان الطاقة النووية وغيرها ستحل محل البترول بمقدار ١٠٪ فقط خلال العشر سنوات القادمة . ومعنى ذلك ان البترول كمادة وكعنصر اقتصادى هام لن يفقد قيمته ابدا » .

وقد قدمت للمؤتمر مقترحات بتاميم البترول ، وبانشاء منظمة يعهد اليها بمهمة « وضع خطة مرسومة طويلة الاجل بقصد تسخير البترول العربى لرفاهية العرب ودفع مستوى معيشتهم » تلك الخطة التى يجب ان تقوم على « مبدا العمل الجماعى العربى وليس على اساس مواجهة كل دولة عربية بمفردها للشركات »

والمفهوم ان المؤتمر انهى هذه الدورة دون اتخاذ قرارات فعالة قابلة للتنفيذ ، ولكن المأمول ، بطبيعة الحال ، هو ان تثمر المجهودات المتعاونةفى امكان الوصول الى مثل هذه القرارات .

وكما قلنا فان الوعى العربى قد اتجه الى البترول كوسيلة مثلى لرفع مستوى الدخل القومى فى كل دولة من الدول العربية المنتجة له وكل خطة هدفها تسخير البترول لرفاهية العرب يجب ان تقوم اساسا على مبدا العمل الجماعى وليس على اساس مواجهة كل دولة بمفردها للشركات الاحتكارية .

وفى ختام هذا المقال نكرر القول بان البترول اصبح ، الى جانب العوامل السالف بيانها ، اداة فعالة للضغط السياسى عند الضرورات التى تحتم استعماله لهذا الغرض .

بسم الله الرحمن الرحيم

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جنهم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » صدق الله العظيم

خواطر مستشار

المستشار علي علي منصور

- مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية
- حول السياسة الشرعية والقانونين الدستوري والإداري

ابدأ بشكر قراء مجلة «منبر الاسلام» على تتبعهم هذه السلسله من المقالات فى صدد المقارنة بين الشريعه الاسلامية والقوانين الوضعية • اذ وصلتنى بعض الكتب الخاصة يسأل فيها مرسلوها عن سبب انقطاع هذه السلسلة وعدم نشر شيء منها فى عدد رجب سنة ١٣٨٥ - اكتوبر سنة ١٩٦٥ • وانى أعتذر للاخوة الكرام وللمجلة عن ذلك ، فقد كنت خارج البلاد فترة الصيف وامتدت غيبتى عما كان محددا لها شهرا ، فقصرت المقالات التى تركتها عن تغطية ذلك الشهر •

ولكى يكون الحديث موصولا أشير الى أن هذه السلسلة عن نظم الحكم والادارة فى الاسلام بدأت بمقارنات عن السياسة الشرعية الاسلامية والقانونين الدستورى والادارى ، ومهدت لها بذكر موجز عن نظم الحكم لدى العرب قبل بعثة الرسول وبعدها • وكيف تكونت الدولة الاسلامية الأولى فى مكة ثم فى المدينة بعد الهجرة • وكيف كان يختار الرسول العمال والولاة ، وينظم أعمالهم ويتعهدهم بالرقابة ويتابعهم بالتفتيش • كما تناول الحديث مجلس الشورى فى عهد الرسول والكتاب والتراجمة والتعليم وكيف كان المسجد مكانا للعبادة والدراسة ومقرا للحكم والادارة المركزية • وكيف كان الشعر من أهم وسائل الاعلام • وتحدثنا عن قيادة الجيش وعن كتب الرسول الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاعتراف بالاسلام ودولته • وكذا عن بيت المال وعن الجيش ودور المرأة فى ذلك كله •

وتابعنا الكلام عن نظم الحكم والادارة فى عهد الخلفاء الراشدين وبدأنا بخلافة ابى بكر الصديق وتكلمنا عن معنى الخلافة ومرادفاتها من امامة وامارة للمؤمنين ، وكيف واجه المسلمون الأوائل مشكلة الخلافة فى سقيفة بنى ساعدة وفصلنا القواعد الدستورية لنظم الحكم فى الاسلام وأهمها وجوب نصب الخليفة ، وان الخلافة من حق أى مسلم متى توافرت فيه شروطها دون أن تكون محصورة فى قريش • وأن الخليفة يتنصب بالاختيار والبيعة من أهل الحل والعقد • ويصبح الخليفة بمجرد توليه مسئولا أمام الأمة وعليه أن يقيم حكمه على أساس الشورى • وعددنا الشروط التى يجب توافرها فيمن يولى الخلافة • وقارنا بين نظام الحكم فى الاسلام وبين التيوقراطية •

أما عن الادارة فى عهد أبى بكر فقلنا انه سار فيها على نهج الرسول الا ما اقتضت

الضرورة والمصلحة استحداثه ، كاعادة تقسيم الجزيرة العربية وتوابعها الى ولايات بلغت اثنتى عشرة ولاية ، وكتحريم الاتجار على الخليفة اذ يجب أن يفرغ كل وقته لأعمال الخلافة مقابل راتب يتقاضاه من بيت مال المسلمين ، وكان آخر ما وصلنا اليه حروب الردة فى عهد أبى بكر وختمنا بها المقال الأخير قبل انقطاع السلسلة •

وها نحن بعون الله نتابع الكلام •

الادارة فى عهد عمر بن الخطاب

قيل ان أبا بكر قبل وفاته عهد بالخلافة الى عمر وهذا القول صحيح فى ظاهره الا أن ما رتبه البعض عليه من جواز ولاية العهد غير صحيح على اطلاقه •

وحاصل ما ورد فى كتب السيرة وكتب التاريخ الاسلامى ، أن ابا بكر خشى على من بعده الفرقة والشتات فى أمر الخلافة ، وانه لقريب عهد بالردة وما جرته على الأمة من حروب ، وكانت الحروب مشتعلة بين المسلمين والفرس والروم • ولذلك نظر فى أصحابه ليتخير منهم رجلا يكون شديدا فى غير عنف، ولينا فى غير ضعف ، وعلى ذلك حصر الأمر فى رجلين ، عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، ثم انتهى الى اختيار عمر ، فشاور بعض الصحابة ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف حيث قال له : أخبرنى عن عمر فقال ماتسألنى عن أمر الا وأنت به أعلم منى • فقال أبو بكر وان – أى ولو – فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ولكن فيه غلظة ، فقال أبو بكر ذلك لأنه يرانى رقيقا • ثم دعا عثمان وقال له : أخبرنى عن عمر ، فقال : أنت به أخبرنا ، وعلمى به أن سريرته أفضل من علانيته وليس فينا مثله • ثم سأل أبو بكر أسيد بن خضير فقال له لن يلى هذا الأمر خير منه ، وكان ممن قد استشارهم أبو بكر سعد بن زيد وغيره من المهاجرين والأنصار• وقيل أن أبا بكر أملى باختيار عمر عهدا كتبه عثمان جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى الفاجر، انى اخترت لكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمى به ، وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب • »

قيل فلما قرىء هذا العهد على الناس قالوا: سمعنا وأطعنا •

وفرع الفقهاء على ذلك أن الصحابة أجمعوا على ذلك ، وهو ما قال به الماوردى وابن خلدون ، وعلل له بأن الخليفة محل ثقة الأمة ، فاذا اختار لهم من يتولى أمورهم بعد مماته فهو جائز ، وابن حزم من هذا الرأى أيضا ، بل انه ذهب الى أن أحسن وجوه عقد الامامة وأصحها أن يعهد الامام الى انسان يختاره اماما بعد موته ، واستشهد بما صح لديه من أن الرسول فعل ذلك بالنسبة لأبى بكر، أى أوصى له بالخلافة ، وبما فعله سليمان بن عبد الملك حين عهد الى عمر بن عبد العزيز •

ثم يقول ابن حزم « وهذا الوجه هو الذى نختاره ونكره غيره ، لما فيه من اتصال الامامة وانتظام أمر الاسلام واهله ، ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب وحدوث الأطماع » •

واعترض بعض الفقهاء على هذا الاطلاق وقيدوه بأمور منها :

١ – أن يكون الامام الذى يعهد شرعيا ، أى صاحب الحق الشرعى، أى أن يكون قد انتخب وبويع ببيعة صحيحة • وأن يكون عندما يعهد لغيره مستوفيا لكل الشرائط ، من حيث الثقة والورع والنصح للمسلمين حتى لايتهم فى أنه لا يبغى الا المصلحة •

٢ – واشترطوا فيمن يعهد اليه أن يكون مستوفيا لشروط الامامة ، والا يكون صغيرا أو فاسقا عند موت من عهد اليه •

٣ – والا يكون العهد لابن من يعهد اذ الامامة لا تورث ، ويقول ابن خلدون « اما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية ، اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء ، حتى ابن حزم يقول ولا يجوز التوارث فيها ، ويمكن ان يضاف الى هذه الأدلة على نفى الوراثة من القرآن

الكريم بقول الله تعالى « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ».

ويذهب آخرون من الفقهاء ، وهو ما نستصوبه أن ولاية العهد لا تخرج عن كونها ترشيحا من الخليفه السابق ، ومرجع الأمر للامة بعد وفاته تختار من تشاء ، وقد أوضح ذلك الطبرى وغيره .

وابن تيمية من هذا الرأى أيضا ، وقد أورد الكثير من الحجج فى كتابه منهاج السنة ومنها :

١ - قوله « وكذلك عمر لما عهد اليه أبوبكر انما صار اماما لما بايعوه وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبى بكر ولم يبايعوه لم يصر اماما . »

٢ - وقال مثل هذا الكلام عن عثمان اذ أنه لم يصر اماما باختيار الستة المشاورين ، بل بمبايعة الناس له جميعا .

٣ - واورد قول الامام أحمد بن حنبل من أن بيعة عثمان كانت باجماع القوم والا لو قدر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه على ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر اماما .

من نظم الادارة فى عهد عمر

قيل فى شأن عبقرية عمر وكونه المثل الأعلى فى السياسة والادارة ، وقول الحق والعمل به ، ان أمما كثيرة عقمت أن تنجب أفضل من عمر . وكان كما قال المغيرة بن شعبة : « عمر أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع » .

وكان عمر معروفا قبل خلافته بالشدة والصرامة وقيل : ان بعض الصحابة خشى على الرعية من خلافة عمر ، وكاشفوا أبا بكر بذلك حينما حضرته الوفاة وفكر فى أن يعهد لعمر بالخلافة ، فلما آلت الخلافة الى عمر كان من ضمن خطبه قوله: « انى قد وليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد اضعفت وهى انما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين ، فأنا الين لهم من بعضهم لبعض وانى بعد شدتى تلك اضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف » .

حسن اختيار عمر للولاة والعمال :

كان عمر يختار الرجل القوى الامين ويضعه فى المكان المناسب لتخصصه ولما يحسنه الى جانب التقوى ، فليست التقوى لديه هى كل شىء ، ومن أقواله فى هذا الصدد وأفعاله ما يأتى :

١ - المسلم الضعيف التقى ضعفه على المسلمين وفضله لنفسه ، والمسلم القوى الشداد قوته للمسلمين وشداده على نفسه .

٢ - عزل أحد العمال لما بلغه عنه انه قال أبياتا فى الغزل :

٣ - عزل شرحبيل بن حسنة من ولاية الشام ، واستعمل بدله معاوية واعتذر على رؤوس الاشهاد أنه لم يعزله عن شىء هجنه به ، بل أراد رجلا أقوى من رجل .

٤ - كان كثيرا ما يستعمل قوما ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل الذى يتولونه وقال مرة :

« انى أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، واذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم » ، وكان اذا وثق بالوالى ترك له حرية تقدير رأيه ، وهذا ما فعله مع حذيفة بن اليمان حيث ولاه المدائن وكتب له فى عهده ، ان اسمعوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم . فلما قرأ العهد على أهل البلاد قالوا سلنا ما شئت قال : أسألكم طعاما آكله ، وعلفا لحمارى ما دمت فيكم .

٥ - ومن وصاياه لعماله « عد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك واياك والهدايا فانها من الرشا .

٦ - وكان لا يولى أحدا القرابة أو نسب فلما ولى سعد بن أبى وقاص قال له على رؤوس الاشهاد ، ما وليت بنسب فلا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ، فانه ليس بين الله وبين أحد نسب .

٧ - وكان على شدته يحمى عماله حفظا لهيبة الولاية ، فقد سمع أن أهل العراق حصبوا واليهم مرة بعد مرة ، فغضب وقال لأهل الشام : تجهزوا لأهل العراق فان الشيطان قد باض فيهم وأفرخ .

رمضان و القرآن

الاستاذ عبد الرحيم فودة

أعظم ما يذكر به شهر رمضان من مآثر ومفاخر هو انه كما يقول الله « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

فنزول القرآن فى هذا الشهر هو الذى قرن به كل ما يذكر له من خير . والليلة التى أنزل فيها القرآن من هذا الشهر سماها الله ليلة القدر . وجعلها خيرا من الف شهر ، ووصفها بكثرة البركة وزيادة الخير حيث يقول – جل شأنه – « انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم » .

فالبركة – وهى زيادة الخير – والرحمة – وهى من جانب الله تفسر بالنعمة – ، وارسال محمد – عليه الصلاة والسلام – رحمة للعالمين ، كما يقول الله فيه .. كل هذه المعانى تذكرنا بهذا الشهر الكريم العظيم وتشعرنا بما له من قيمة عظيمة بين سائر الشهور والأيام ..

فاذا أضيف الى ذلك ان اسمه يقترن بكثير من الانتصارات الباهرة التى أحرزها المسلمون فى معاركهم مع أعدائهم وأعداء دينهم لغزوة بدر ، وفتح مكة ، وغزوة تبوك . وكانتصارهم على القوط فى الأندلس وعلى التتار فى عين جالوت ، وعلى الفرنسيين فى المنصورة ... كان لنا ان نزداد يقينا وايمانا بأنه شهر البر والخير ، وأن نتفاءل بهلاله كلما أطل علينا هلاله . ونحييه بما كان يحييه به رسول الله : اذ كان يقول : **اللهم أهله علينا بالأمن والايمان . والسلامة والاسلام . ربى وربك الله . هلال رشد وخير .**

لقد أنزل الله القرآن فى ليلة مباركة من هذا الشهر ، ووصفه القرآن بأنه مبارك حيث يقول : **كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته** ورفع بهذا القرآن قدر هذه الأمة الى المستوى الذى لم تصل اليه امة ، كما يفهم من قوله تعالى : « **وانه لذكر لك ولقومك** » وقوله سبحانه « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » وقوله - جل شأنه « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » .

ومن ثم كان علينا أن نعبر عن شكرنا لله بالصيام له فى هذا الشهر ، مع ما فى الصوم من الغايات الكريمة العظيمة التى تلتقى فى معنى قوله تعالى « **لعلكم تتقون** » .

وكما قرن الله الصيام بالغاية التى ترمى منه - وهى التقوى - فى قوله - جل شأنه -

« **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » قرن القرآن بالتقوى فى قوله سبحانه « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

ومن ذلك نفهم التناسب القوى . والتجاوب القريب بين تأثير الصيام فى النفوس وتأثير القرآن فيها ، فالصوم سبيل الى التقوى . والتقوى سبيل الى الهدى ، والهدى يستمد من القرآن ، لأنه نفسه هدى ، ولأنه كما يقول الله فيه : **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** » .

وكما قرن الله رمضان بالقرآن . وجعل الخير أعظم الخير فى هذا الشهر ، نجد النبى - صلى الله عليه وسلم - قرن كلا منهما بالآخر اذ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أى ربى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان** » .

ومن ذلك نفهم أن قراءة القرآن فى هذا الشهر لها ثواب أعظم وأضخم منه فى غيره .

مع أن تلاوة القرآن فى كل وقت وأن أفضل عبادة كما يفهم من قوله عليه الصلاة والسلام أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن .

اما ثواب الصوم فى هذا الشهر فلا يرقى الى تقديره غير النبى -صلى الله عليه وسلم- قال الله عز وجل : « **كل عمل ابن آدم له الا الصيام . فانه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة ووقاية ، فاذا كان يوم صوم احدكم فلا**

يرفث (أى لا يفحش فى القول) ولا يصخب (أى لا يرفع صوته بالضجيج) ولا يجهل (أى لا يكن احمق سفيها) فان شاتمه احد أو قاتله فليقل انى صائم . انى صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم (أى تغير رائحته) أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما . اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه .

لقد فرض الله صوم هذا الشهر ، وجعل صيامه ركنا من أركان الاسلام كما يفهم من قول الله « **يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ، وقول النبى - صلى الله عليه وسلم - **بنى الاسلام على خمس . شهادة الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت** » وقوله عليه الصلاة والسلام « **قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه . تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من الف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم** » ..

فلنتجه اليه بقلوب راضية، وعزائم ماضية، وأمل فى الله عريض ، ولنقبل على القرآن فيه ، نتدبره ونتفهمه ونسترشد بهديه . ونتعبد بتلاوته ، فانه كما يقول الله فيه « **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » وكما يصفه النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : **القرآن حبل الله المتين ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم** .

الدعوة روح الفكرة

الأستاذ عبد السميع البطل

كل مذهب جديد ، وكل دعوه جديده ، فى الدين أو السياسة، أو الاجتماع، أو الاقتصاد، لا تحيا وتنتشر ويعم نجاحها ، الا بقيـام الداعى اليها بالاعلان عنها، بالكتابة ، والخطابة وسائر طرق الاعلان التى اتسع ميدانها فى هذا العصر كالاذاعة بأنواعها ، والاضـواء الملونة ، والنشرات الموزعة ، وكل دعـوه او فكرة لم ينشط الداعى اليهـا فى التعريـف بها ، وتقريب الناس منها ، وتحبيبهم فيها يسرع اليها الفناء ، ولا يضمن لها بقاء .

والرأى الذى يخرج الى الناس قويا فى كل عناصر الحياة والقوة ، ويبرزه ـ مع ذلك ـ صاحبه بالطرق المشوقة ، والاسلوب الجذاب ، يلقى الرواج والقبول ، ولا يتعثر فى طريقه .

لذلك كانت الدعوة من انجح السبل الى ابراز كل جديد ، واقبـال الناس على كل طريف ، استعملها الانبياء عليهم الصـلاة والسلام فى نشر دعوتهم ، ولقـوا فى ذلك ما افصح عنه القرآن الكريم ، من صنوف الاذى ، والاضطهـاد والتسفيه والتهكم ، وناهيك بما اعترض طريق الدعوة الاسلامية من عقبات ، وما وقف فى سبيل الداعى اليها من عثرات ، ثم كانت العاقبـة للصابرين .
واستعملهـا دعاة السـياسة المحنكون ، مستخدمين قوة التأثير فى الجماهير ، مع المثابرة وقوة العزيمة ، وقـوة الشخصية ، فانقاد الناس لهم ووصلوا الى مقام الزعامة فى اممهم .

واذا كان الله جـل شأنه ، وهو خالق الخلق ، وهو اعرف المعارف ، قد اعلن عن وجوده بالكائنات التى ابدعهـا ، واحكم صنعها ، وأرسل الرسل لئلا يكون للناس على الله حجة ، ليعبدوه وحده ، والكائنات علويها وسفليها ، ماثلة امام عباده فى كل لحظة تذكرهم بربهم ، وتحيى فيهم روح الايمان ، وتطبعهم على محبته ، واذا كان المؤذن يصيح فى أوقات مختلفة من الليل والنهار للتذكير بطاعة الله ـ واذا كان كل ذلك حقا لا ريب فيه ، وهو جد حقيـق فكيف لا نكـون محتاجين الى الدعاية فى كل وقت لأعمالنا ، ومشروعاتنا ، ومخترعاتنـا ، ومنشآتنـا ، وصناعاتنا ، وكل اثر لنـا ، لنعلن عن نهضتنا الجديدة ، ووثبتنا البعيدة . ونجذب الناس الى زيارة بلادنا . والتعـرف الـى مدى ما وصلنا اليه فيعرف من لم يعرف اننا تحولنا من حال الى حال تحولنا من امة خامدة الحركة ، جامدة الفـكرة ، ضعيفة الحس، متخلفة فى كل مقوماتها ومشخصاتها، مستخذية للمستعمر ، تأتمر بأمره ، وتنتهى بنهيه ، لا رأى لها ولا حرية الى امة طفرت طفرة بعيدة المدى ، الى حيـاة الامم التى سبقتهـا من قرون ، واصبحت تسابقهـا فتسبقها ، وأسمعت صوتهـا فى المجالات الدولية ، والمؤتمرات العالمية ، تعبر عن رأيها، وتقترح الحلول لمشاكل العصر ، بل اصبحت اماما للامم الناميـة ، يترسمون خطاها ، ويصيخون لصوتها ، ويعملون بمشورتها .

نعم ، اننا فى عصر الدعايات التى اصبحت سلاحا مرهوبا فى يد الامم الكبيرة والصغيرة، تنفق ملايين الجنيهات عليها ، وهى مطمئنة ، لانها تعلم ان هذه الملايين التى رصدتها فى ميزانياتها لن تذهب هباء ، بل ستعوضهـا اضعافا مضاعفة ، وستعود عليهـا بالفائدة المرجوة .

نحن امة نامية خلقتنا الثورة خلقا جديدا، طبعتنا على مبادىء مستقاة من ديننـا ، ومتفقة مع مزاجنا : ولكن ظروف حياتنـا قبل الثورة ، ورثتنا مبادىء وتعاليم ، وضعها

المستعمر ، مستعينا بملوكنا وأمرائنا لتنفيذ سياستهم ، التى شطرت الامة شطرين او جزاتهم طبقتين : طبقة عالية هى يد المستعمر وعونه وبوقه الذى ينفخ فيه ، وبيد هذه الطبقة المال الوفير ، والمركز الكبير ، وهؤلاء هم الاقطاعيون وطبقة كادحة ، عاملة ناصبة، تشقى ليسعد الآخرون ، وتحرم لينعم المحظوظون ، فتقطع أمر الامة بينها ، وولدت هذه السياسة الخرقاء ، العداوة والبغضاء ، بين أبناء الامة الواحدة ، والقرآن الكريم ينادى الاغنياء بأن يؤتوا من مال الله الذى آتاهم ، وبأن فى أموالهم حقا معلوما للسائل والمحروم ، وان الذى لا ينفق مما رزقه الله يندم اذا جاءه الموت فيقول « رب ، لولا أخرتنى الى أجل قريب ، فأصدق وأكن من الصالحين » .

لا شك أن هذه هى الاشتراكية التى ندعو اليها الآن ، والتى يضيق بها صدر الاقطاعيين وان كان قد بقى لهم وجود .

ان الاشتراكية هى روح الاسلام ، ولو لم يفرضها الاسلام ، لفرضها قانون الانسانية، فكيف والقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف مليئان بهذه النصوص ، التى تطبع الامة على حب الخير ، وتدعو الى التعاطف والتراحم ، وغرس أصول الفضائل ، « فليس من المسلمين من بات شبعان ، وجاره جائع» « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » « ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » « الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

والله يقول : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم » .

فالله يكره أن يكون المال بين جماعة يتداولونه بينهم وباقى الامة محروم .. وفى الحديث « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » ولو شئنا لاوردنا كثيرا من النصوص فى هذا الباب .

هكذا بث الاسلام فى أهله هذه الروح العالية ، روح التضافر على الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، وطهرهم من رذيلة الشح التى تطبع صاحبها على الاثرة ، والتعامى عن حاجة المحتاج « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ومن قواعد الشريعة أن لولى الامر ان يأخذ من مال الاغنياء ما يرى الامة بحاجة اليه ، والواقع ان المال مال الله ، يتصرف فيه الاغنياء وأولياء الامور فى المصالح العامة ، وما جنى على الامة فى دينها ودنياها الا البعد عن روح الدين ، وتقصير أهل المعرفة فى الدعوة اليه ، ومن طبيعة الامم انها اذا طال عليها أمد الدعوة أن تقسو قلوبها ، وتبعد عن هدى دينها ، وكلما أمعنت فى هذا البعد ، قربت من الضلال ، واستولت عليها العقد ، وكانت أنانية لا يفكر أهلها فى مصيرها ، وقد يكون الانحلال ، وفقد الاستقلال :

وهل أنا الا من غزية ان غوت
غويت ، وان ترشد غزية أرشد

فيأهل الدعوة والغيرة ، نبهوا الناس الى ما يجب عليهم بعضهم لبعض ، نبهوهم الى أن الغنى مسئول عن الجائع والمحروم ، نبهوهم الى أن الضعيف فى حماية القوى ، لا طعام له يزدرده .

وليست الاشتراكية فى الثروة وحدها ، فهناك اشتراكية التعليم ، وهو حق مقدس للجميع ، لا يجوز حرمان أحد منه وهناك اشتراكية الوظائف ، يراعى فيها تكافؤ الفرص ، بلا محاباة ولا ظلم .

هذه كلمة فى الدعوة ومدى أثرها ، وشدة حاجتنا اليها ، أسوقها للذكرى ، عسى ان تنفع الذكرى ، وسيتلوها مقال آخر فى وصف الداعى ، ومدى نجاحه أو اخفاقه ، فالى اللقاء .

الصيام وظيفة اجتماعية

الدكتور محمد طلعت عيسى

تتفق الأديان السماوية جميعها في نظرتها الى الصيام ، فمهما اختلفت طقوس الصيام ومظاهره ، فان هناك حقيقة تشترك فيها الديانات السماوية جميعا وهى أن الصيام تدريب للنفس الانسانية على الصبر وتعويد لها على تحمل الصعاب والمشاق .

واذا حاولنا أن نتبين سر هذه المهمة الترويضية ، نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعل الصيام من قبيل الأوامر القدسية السماوية التى يلتزم الأفراد بطاعتها والأخذ بها فحسب ، بل جعل لها وظيفة اجتماعية دنيوية تهدف الى تحقيق السعادة لبنى البشر .

١ ـ تكامل القوى الروحية والدنيوية في الصيام :

فللصيام اذن وظيفة اجتماعية دنيوية الى جانب وظائفه الروحية السماوية • فالفرد الذى يروض نفسه على الخضوع لأحكام العقل ، يجد فى ذلك سعادة قصوى ، فهو لايشبع نزعاته الفطرية الى التدين والاتصال الروحى بالخالق جلت قدرته والوصول الى مغفرته ورضوانه ، فحسب ، وانما تتكامل سعادته فى أن الله سبحانه وتعالى قد منحه العقل الذى يرشده الى السبيل السوى والطريق الرشيد ، ذلك العقل الذى تميز به الانسان عن سائر الكائنات الأخرى • ولا يمنح الله العلى القدير بنى الانسان هذه الميزة الكبرى الا ليستخدموها فى سعادتهم ورفاهيتهم ، وعن طريق الصيام الذى يضفى عليه صبغة روحية يجد الأفراد طريق المجد فى الدنيا وفى الآخرة •

هذا من ناحية الفرد ، وبالمثل من ناحية المجتمع ، لابوصفه مجموعة من الأفراد ، وانما باعتباره وحدة انسانية متكاملة •

٢ ـ الصيام يستلزم التدبير والروية والتعقل:

ولكى نفهم ماهية الصيام من وجهة النظر الاجتماعية ، فان علينا أن نتعمق وراء مشخصاته الروحية والدنيوية على السواء • فالصيام فى أبسط مراميه الدنيوية يعنى التدبير والروية والتعقل •

والتدبير يستلزم القياس فى كافة مظاهره ، قياس الحاجيات وترتيبها ، وقياس الموارد وتصنيفها بقصد تلبية الحاجات واشباعها فى أفضل صورها • فالحاجة القصوى للانسان هى السعادة التى يمنحها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المخلصين ، والامكانيات الانسانية وحدها لن تكفى بأى حال من الأحوال للوصول الى أسمى مراتب هذه السعادة الا بالاشراق المتمثل فى صفاء النفس وتطهرها عن كافة النزوات والمثالب • والصيام طريق تلقائى محبب الى النفس يساعد الانسان على قياس امكانياته فى مقاومة شهواته ونزواته وفى تحقيق الرضا المتمثل فى الانسجام الكامل مع الجماعة والتعاون المتناغم لكافة أعضاء الجسد للوقوف فى خشوع تحت سيطرة العقل والروح •

فالصيام تدريب للفرد وللجماعة على القياس السليم والتحكم الارادى فى تيار القوى الشهوية بحيث يتصف الانسان بمقومات الفضيلة والارادة والعقل الذى يتميز به على الكائنات الأخرى •

والقياس هنا يتسع ليضم المجال الزمنى والحدود الانسانية ، كما يضم الخصائص النوعية لما يدخل فى باب التدبير للصيام •

أما المجال الزمنى فهو احترام مواعيد معينة وتوقيت زمنى محدد يتم فيه الصيام • ولا بد أن تتفاعل ماهية هذا المجال الزمنى ومضمونه تفاعلا تاما مع القوى العاقله لدى الفرد بحيث يدرك بما لايدع مجالا للشك أن لهذه الحدود الزمنية فلسفتين روحية علوية تستلزم التقديس والتبجيل وأخرى دنيوية أرضية تهدف الى تناسق الجماعة ووحدتها وارتباط شملها وتناغم كافة أجزائها • وهذا الجانب الدنيوى لايقل فى خطورته عن الجانب الروحى ذلك أن المشخصات المنبثقة عن الفلسفة الدنيوية تتمثل فى الأنماط والقوالب الاجتماعية والأخلاقية للبشر فى أسمى درجات وحدة الهدف ووحدة العقيدة ووحدة الفكر ووحدة القوى الباعثة على الحركة والفعل والتفاعل •

ففى ظل الصيام تتحرك قوى الخير لتصارع ولتصرع قوى الشر وفى اطار الصيام تظهر قوة خارقة تتمثل فى الدفع الجماعى المنبثق عن الايمان والاحساس بالرضا عن النفس وهو طاقة لايمكن تجميعها فى أى مجال زمنى آخر غير الصيام •

هذا عن المجال الزمني ، أما عن الحدود الانسانية فنقصد بها المستلزمات الصحية والأخلاقية التى يكون الصيام واجبا فى اطارها • فمن نعم الله على بنى البشر أنه منحها

ويكلفها بما تستطيعه وتطقه ويعفيها من كل ما لا طاقه لها به ۰ اما حدود هذه الطاقة فبالرغم من أنها تقديرية معيارية الا أنها اصبحت اليوم تقريرية وصفية بمعنى أن الانسان القادر والمكلف بالصيام أمر متفق عليه ومعروف خصائصه ومقوماته ، وأن الانسان الذى لايطيق الصيام فلم يعد هناك جدل أو لبس فى ماهيته ومضمونه ولهذا فان المعنى الاجتماعى والانسانى للصيام يتمثل فى هذا التفريد الذى يتسامى الى صيانة الفرد من أجل صيانة الجماعة ووحدتها لتدعيم المجتمع وقوته ٠

وأما الخصائص النوعية للنواهى والمحرمات والمقبول والمسموح به فهو طريق البشر الى مجتمع الرفاهية الذى يتمكن فيه الناس من الصبر والروية للوصول الى المستوى الذى يهيىء لهم حياة لايستغل فيها الانسان أخاه الانسان ولا يسيطر فيها القوى على الضعيف أو يتسلط فيها الغنى على الفقير ٠فمجموعة الممنوعات والمسموحات هى مشاعل على طريق المجتمع الانسانى تضىء للبشر امكانيات التعامل الناجح القائم على التكافل والتعاون من أجل مجتمع يسوده المحبة والوئام ٠

فالموازنة بين ما هو مقبول وما هو ممنوع وتغليب ما أمر به الله سبحانه وتعالى لخير البشر أنفسهم والامتناع عما نهى عنه عز وعلا لسعادة الانسانية ككل : هو خير تدريب للافراد والجماعات والمجتمعات فى التدبير والروية والتعقل ، وبهذا يستطيعون التقدم فى سلم الرقى وتحقيق أقصى درجات الرفاهية للجنس البشرى ٠

وقد اوصانا الله رب العالمين بالتحلى بالصبر ، والصبر لايعنى الضعف او الخنوع أو الاستسلام ، وانما يعنى الايمان التطلع الى حياة افضل فى جوانبها الروحية والانسانية ٠

والصيام بمعناه الواسع هو البعد عن الرزايا والتحرر من الخطايا ، وبهذا يصل اسمى درجات التدبير والروية ، فالصائم يقيس المنفعه لابمقياس اللذة الأبيقورية وانما يقيسها بمقياس السعادة فى الدنيا وفى الآخرة ، تلك السعادة التى تتحقق فى الشعور بالمسئولية الاجتماعية والأخلاقية ، السعادة المنبعثة عن فضائل العمل والانتاج والاحساس بالواجب فيعمل الأفراد والجماعات على توجيه طاقتهم توجيها يقوم على التعاون بدلا من الصراع ٠

والصيام هو الذى يشيع فى النفس الاحساس بالانسانية ويدربها على التحلى بالغيرية والتحرر من الأنانية ، ويربى فيها المقدرة على تحمل المشاق لكى يمكن للانسان أن يمهد طريق السعادة للجيل الصاعد من ابنائه واحفاده ٠

أما التعقل فيعنى التضحية بالكماليات من أجل الضروريات ، والتخلص من الحاجات التى يمكن تحويلها الى مجرد رغبات ، كما يعنى التحرر من عبودية العادات السيئة والمعتقدات القاسية ٠ فمن نعم الله علينا أن منحنا القدرة على الادراك والتمييز ، والصيام من أكثر ما يمر بالفرد من اختبارات لادراكه وتمييزه ٠ ففى فترة الصيام يسعى الصائم الى تجنب بعض العادات المرذولة والمعتقدات الفاسدة ، ومن المعروف ان التكرار من أهم دواعى التثبيت وبالعكس فان غياب الفعل وعدم انتظام حدوثه يعتبر من أهم دواعى التحرر من سلطانه ٠

ولهذا يساعد الصيام على التخلص من كثير من الشوائب التى يستحيل على الفرد أن يقف فى وجهها دون أن يشعر بقسوة الحرمان، فالجوانب الروحية فى الصيام هى التى تخفف حدة الحرمان وتجعل منه متعة للنفس وللروح وهى من أهم مقوماته الاجتماعية ٠

من آداب الصيام

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

شرع الله العبادات لغايتين عظيمتين ، أولاهما تحسين العلاقة بين العبد وربه • وربط المخلوق بخالقه بالاقرار له بالألوهية والاستعانة به فى كل أحواله « اياك نعبد واياك نستعين » ، وثانيتهما تحسين علاقة الانسان بأخيه الانسان وتوثيق الروابط بين أفراد المجتمع ليستطيعوا أداء الأمانة العظمى والنهوض بالتبعة الكبرى فى عمارة الكون بالخير ، وتحقيق الخلافة فى الأرض • فالعبادات تقوى الايمان وتزكى النفس وتطهر الروح وتقوم الخلق وتنظم السلوك ، وذلك اذا أديت على وجهها الصحيح من الاخلاص والدقة والخشوع ، والفهم الواعى لما يجرى به اللسان وتتحرك به الجوارح • فاذا لم تظهر هذه الآثار على المؤمن كانت عبادته كالجسد الخالى من الروح ، والشجرة العقيم التى لا تثمر ، فهى لا تعدو أن تكون مظهرا يسحر الناظر ويخدع المعاشر ، ويغطى على مساوىء داخلية تتحرك فى الخفاء وترتكب المنكرات •

والصيام وهو ركن من أهم أركان الاسلام وعبادة من أعظم العبادات المشروعة ، فرضه الله للحد من شهوات النفس ولتقوية سلطان الروح ، حتى يستجيب المؤمن لنداء الله ، ويقف عند حدود الدين • والامساك عن الحلال الطيب من الطعام والشراب وما اليهما مما تقوم به الحياة الشخصية ويرتكز عليه بقاء النوع الانسانى ، فيه ايحاء قوى بوجوب الامساك عن كل محرم من الأقوال والأفعال • والشخص الذى يصوم صوم الحيوانات ، غافلا عن هذه المعانى السامية ، ومطلقا لنفسه العنان فتتمتع بما تشاء • قد أتعب نفسه وأرهق بدنه بالجوع والعطش والسهر ، وحرم من الثواب العظيم المدخر للصائمين الفاهمين الواعين لحكمة التشريع ، وهذا هو ما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » وقوله فيما رواه النسائى وابن ماجة وغيرهما عن أبى هريرة أيضا « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع وقائم ليس له من قيامه الا السهر » • والزور هو كل باطل ينكره الشرع ويأباه العقل ، والله قد نهى عن المشاركة فيه بالقول أو العمل أو الاقرار له ، فالسباب والغيبة والنميمة والطعن فى المقدسات والقدح فى الأعراض كله من الزور ، والغش والخداع والرياء والنفاق والدجل والترويج للمنكرات والافساد فى الأرض كله زور • والعباد المخلصون يأبون المشاركة فيه خصوصا اذا كانوا فى رمضان • قال تعالى فى وصف عباد الرحمن ، « والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما »

لاينبغى أن يكون رمضان فرصة للتفنن فى المأكولات والمشروبات ، فان ذلك – الى جانب اضراره بالصحة وتعريض ميزانية الأسرة للهزات – مناف تمام المنافاة لحكمة مشروعية الصيام ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه الترمذى عن المقدام بن معد يكرب « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه »

لاينبغى للصائمين أن تكون مجالسهم وزياراتهم مجالا للتفكه بنهش أعراض الناس بالغيبة والبهتان وكثرة القيل والقال ، وينبغى التنزه عن الفحش من القول والهجر من الكلام فتلك أمور محرمة فى رمضان وغير رمضان

يحبط بها العمل ويضيع الثواب ، وقد ندب النبى صلى الله عليه وسلم من ابتلى بفاسق تعدى عليه بسباب ونحوه أن يمسك لسانه عن رد السوء فقد ورد فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة « فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم » وندبه كذلك الى العفو والصفح عن المسىء ، وبين له أن الله يعوضه عن صبره وحلمه خيرا كبيرا ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا »

لا ينبغى للصائم ان يرتاد الأماكن العامة كالمقاهى والمتنزهات دون حاجة تدعو الى ذلك، ويحرم عليه اذ ذاك أن يشيع النساء بالنظرات والتعليقات التى تتنافى مع الشهامة وكرم الأخلاق ، ففى الحديث الشريف «أعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى وردالسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى .

لاينبغى للصائم ان يتذرع بالصيام فيثور ويغضب لأتفه الأسباب ، فان العبادة ماكانت لتؤدى الى هذه النتيجة أبدا ، وماكان أدب الله لعباده حربا على الآداب والأخلاق . والحديث الشريف يقول « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة .

ان رمضان فرصة لتغذية الروح والعقل ، وتطهير النفس وارهاف الحس ، بما شرع الله من صيام نهاره وقيام ليله ، فينبغى أن تكون بيوت المسلمين عامرة فيه بقراءة القرآن ومجالس العلم والتذكير ، لتشرق نفوسهم بالخير وتتزود أرواحهم بالقوة ، وتتنزل عليهم رحمات الله . وان يكون للصيام أثره فى بعث الرحمة فى القلوب ومد يد المعونة للبائسين من الفقراء والارامل واليتامى وذوى الحاجات والحديث الشريف يخبر انه ما نقصت صدقة من مال، والقرآن الكريم يؤكد زيادته وبركته فيقول « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام فيدارسه القرآن . فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، كما يرويه البخارى ومسلم عن ابن عباس والحديث الشريف يقول «ان أفضل الأعمال سرور تدخله على أخيك المسلم ، تشبع جوعته أو تستر عورته أو تقضى حاجته ، كما رواه الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم لقيامة يقول الصيام : أى رب ، منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال : فيشفعان »رواه احمد والحاكم عن ابن عمر .

لايليق بالمسلمين أن تضيع منهم هذه الفرصة الثمينة ، فيفطر بعضهم بغير عذر مقبول بل ينبغى لمن أحل الله له الفطر الا يجاهر به أمام الناس ، ففيه ايذاء للشعور ومظنة للتهمة واغراء للغير بالتقليد والعاصون المفطرون المجاهرون يقول النبى صلى الله عليه وسلم فيهم « كل أمتى معافى الا المجاهرين رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

ينبغى أن يكون المسلمون فى هذا الشهر عنوانا كريما على حرصهم على طاعة الله واتباع ارشاداته ، وأن تشيع بينهم روح المحبة والمودة ، وأن يخرجوا منه وقد صفت نفوسهم وزكت أرواحهم ، وأن يكون لذلك أثره فى معاملاتهم ، والصوم لا يؤتى ثمرته الطيبة الا باتباع الطريق الواضح الذى بينه القرآن الكريم ، والهدى النبوى الشريف ، وحددت معالمه سيرة الأمجاد السابقين ، والله ولى الصالحين .

من وحي
رمضان

الاستاذ أبو الوفا المراغي

خصلتان أودعهما الله الانسان وألهمه الحرص عليهما حتى انه ليبذل من نفسه وماله فى سبيل المحافظة عليهما ، وهمـــا حب الحرية وحب الانتصار ، والحرية هى القـــدرة على التصرف وحسب ارادة الانسان أن يقول أو يفعل فى جو من الأمن والاطمئنان ، والانتصار هو الظفر بالمطلوب من رغبات مادية ومعنوية فى نطاق المبادىء الانسانية وهاتان الخصلتان هما مظهر الانسانية فى الانسان فبدون الحرية يكون الانسان مخلوقا لا يفضـــل غيره من الحيوان بل انه ليكون دون الحيوان مرتبـــة وقدرا وبدون محاولة الانتصار فيما يطلب يكون بليد الاحساس ناقص الانسانية .

ولا يدرك قيمة الحرية ولا يحس بخطرها الا مستعبد كما لا يعرف فضل الصـــحة الا مريض ولا يعرف لذة الانتصار الا من بذل فيه وسعى اليه وكد فى الحصول عليه ، ولخطر الحرية وقدرهـــا امتن الله عـــلى قريش بأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فالأمن من الخوف وهو مظهر الحرية نعمة تعدل اشباع النفس [illegible] وفى خطر الانتصار ولذته يقول الرسول صلى الله عليه وســـلم : **ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب** ، فامتــلاك النفس عند الغضب انتصار على النفس والله يحب الانتصـــار على النفس لأن انتصار الانسان على نفسه يملكه زمامها ويمكنه بسائق العقـــل والدين من توجيهها وجهة الخير والبر .

وقد كتب الكاتبون كثيرا فى حكمة الصوم وفوائده طبيا وخلقيا ومنافعه للفرد والجماعة ومع هذه الفوائد البارزة التى أشار اليها الكاتبون قد يلمح فيه الانسان معانى أخرى ، ففى الصوم اشعار الانسان بقيمـــة الحرية ولذة الانتصارفالصائم بحبس نفسه عن الطعام والشراب ولذائذ الجسد والحس طول اليوم فى الصيف أو الشتاء لمدة شهر كامل يتطلع الى الطعام والشراب والشهوات الأخرى فى نهم وقرم ولكنه يجد نفسه مقيدا بقيـــود الدين والتكليف فلا يستطيع تحقيق رغباته ، هنالك يحس بقيمة الحرية ولذتها ويتنبه الى النعمة

التى وهبه الله اياها فيعمل جاهدا على الاستمساك بها والحفاظ عليها تكميلا لانسانيته ، ففى الصوم لفت الى قيمة الحرية كنعمة من النعم التى حبا الله بها الانسان كما أن فيه لفتا الى أن هذه الحرية لا ينبغى أن تنفلت طاقتها طائشة ترد كل مورد وتذهب كل مذهب بل ينبغى أن يكون لها حدود من وضع الدين ومواضعات العرف والتقاليد وينبغى أن تمارس حيث لا يكون فيها اعتداء على حقوق الأفراد والجماعات .

ففى الصوم تنبيه الى مكان الحرية وأنها نعمة لايدرك خطرها الا بالحرمان وتنبيه الى أن الحرية تحتاج أحيانا الى شيء من التمرين والرياضة حتى يمكن ان يطوعها الانسان كما يريد وفيما يفيد ، لأن النفس كما قال البوصيرى :

تطغى اذا مكنت من لذة وهوى
طغى الجياد اذا عضت على اللجم

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى الصيام : **كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا أجزى به ، انه يدع طعامه وشرابه من اجلى .** ففى نظير أن يملك الصائم زمام نفسه ويحد من حريته فى شهواته ارضاء لربه يجزل له الجزاء ويكثر العطاء وكأنما كان ذلك كفاء ما تنازل به من حريته .

وفى الصوم تنبيه الى لذة الانتصار ففى كل يوم من رمضان يجاهد الصائم نفسه ويصارع هواه وشهوته حتى ينتصر بتمام صومه فى يومه فيفرح بذلك الانتصار ويتكرر فرحه كل يوم حتى ينتهى رمضان وتنتهى المعركة بين دواعى المسئولية والواجب ودواعى الهوى والشهوات واذا استتم صوم الشهر فقد اكتمل جهاده وتحقق انتصاره وكان له أن يحتفل بذلك يوم عيد الفطر عقب رمضان ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه .**

وللذة الانتصار على النفس نجد كثيرا من المفرطين فى تكاليف الدين وكثيرا من الصبية يتحدون أنفسهم فى رمضان ويصممون على صيامه امتحانا لعزائمهم فى ميدان الخير ونجدهم أكثر ما يكونون فرحا بلذة النصر حين يقدرون على صيامه أو صيام شيء منه . كما يباهى بعض الصبية بالصيام دلالة على جلدهم واحتمالهم وانتصارهم على أنفسهم باداء هذه العبادة .

وفى مقدور المربين والقائمين على النشء أن يتخذوا من فريضة الصيام وسيلة الى اشعار النشء بمكان الحرية فى حياة الانسان والى أنها حق من حقوقه لا ينبغى أن تقيد الا حيث يكون فى تقييدها خير للانسان أو للجماعة ، والى اشعارهم بأن للانتصار لذة تستعذب لها المشاق وتحتمل فى سبيلها المصاعب والآلام .

هذه لمحات مما يمكن أن تشير اليها فريضة الصيام وهى بالطبع على الهامش مما بينه الله

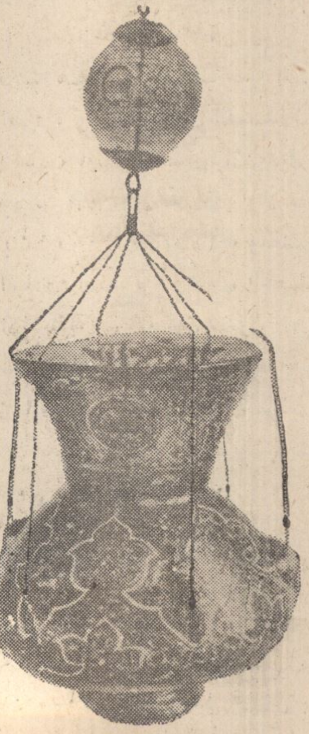

في آية الصوم من مقاصد وأهداف حيث يقول عز وجل : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات » .

اى ان الله فرض على المسلمين الصيام كما فرضه على الأمم من قبلهم ليعدهم للتقوى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتطهير نفوسهم وتصفية قلوبهم من المعاصى والآثام ويكونوا فى وقاية وحفظ من شرور الدنيا وعذاب الآخرة ، فبالصوم الذى رسم الاسلام حدوده وأوضح سننه وآدابه يبلغ الصائم مرتبة التقوى وهى من أعظم مراتب الايمان وأجل مقامات السائرين الى الحق الطامعين فى السعادة والفوز ، ومجمل ما رسم من السنن والآداب فى الصيام أن يصون الصائم

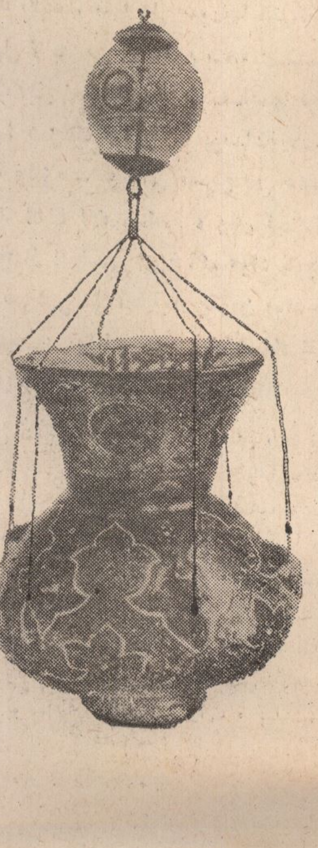

قلبه وجوارحه عما يسخط الرب ويسوء الخلق فالصوم الذى يلابسه الرياء والنفاق ويخالطه أذى الناس واساءتهم صوم صورى اذ أسقط الغرض فلن يكون له الثواب الغامر الذى وعد الله أن يتولاه حيث يقول - عز وجل - وكل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » فالصيام الحقيقى هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصيام جنة أى وقاية من المعاصى ، يجرد الصائم للخير الخالص فلا يطلق لسانه بالرفث واللغو ولا يسب أحدا ولا يخاصمه فان سابه أحد او قاتله فلا يقابل الاساءة بمثلها وليقل انى صائم ليذكر نفسه ولعله يذكر من يخاصمه بان كلا منهما فى عبادة تدعو الى التسامح والصفح ، والصيام الحقيقى يدعو الى البذل والسخاء حين يحس الصائم لذع الجوع وألم الحرمان فيتذكر بؤس البائسين وحاجة المحرومين ولذلك كان النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو الذى بلغ المدى فى الجود أجود ما يكون فى رمضان حتى كان فيه أجود بالخير من الريح المرسلة ، وللسخاء فى رمضان فضل وثواب لا يكون فى غيره ولعل ذلك لاغاثة المحتاجين واعانتهم على القيام بفريضة الصيام ، ففى حديث الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة فى رمضان . لذلك كان لرمضان بين شهور العام طابعه الاجتماعى الى جانب طابعه الدينى والروحى يسوده الرخاء والصفاء وكأنما أيامه كلها أعياد متصلة بالخيرات والبركات .

نسأل الله أن يوفقنا لصيامه وأن يجعلنا من الصائمين حقا المطيعين صدقا الفائزين فيه بالرضا والقبول الداخلين فى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

مغزى الصيام

الدكتور مصطفى عبد العزيز

منذ أمد ليس بقريب قدر لى أن أقضى بين ربوع انجلترا ثلاثة أعوام طلبا للعلم .. وطالب العلم فى هذه البلاد لا تقتصر رسالته على الارتشاف من ينابيع العلم دون غيرها من ينابيع، بل هناك من العادات والتقاليد ما فيها عظة وفيها الهام للتفكير! .. ومن بينها ما استرعت اهتمامى من هذه العادات ما جبل عليه الكثيرون من المقتدرين من تخصيص فترة معينة فى كل عام يقضونه فى احد المستشفيات، لا لعلة يشتكون منها أو لمرض من الامراض، بل لتكون هذه الفترة لهم بمثابة ترميم للآلة الجسدية. وقد انهكها الاجهاد طول العام، ولعل أكثر أجزاء الآلة الجسدية التى يلاحقها الاجهاد ليل نهار هو الاجهاد طول العام، ولعل أكثر اجزاء الآلة يتلقف اللقمات منذ ولوجها فى الافواه حتى يتم هضمها واستخلاص الصالح منها لفائدة الاجساد والتخلص مما يتبقى من نفايات، والغذاء الذى يتناوله الانسان يكون عادة على هيئة مركبات غاية فى التعقيد التركيبى، ولا يستفيد الجسم منها على صورتها التى يأخذها بها، بل لا بد من أن يقوم بتحويلها الى مركبات أقل تعقيدا يمكن امتصاصها، وذلك بتفتيتها فيزائيا وكيميائيا بوساطة عصارات هاضمة وانزيمات حتى تصبح على صورة تركيبية قابلة للامتصاص، وأى اختلال فى آلية الجهاز الهضمى أو تراكم مواد ناتجة عن الهضم فى غير مواضعها أو تكوين مواد ضارة لا عهد للجسد بها قد تسبب للاجساد السقام أو تودى بها الى الهلاك.

ولكى نتبين مدى الاجهاد الذى يتعرض له الجسد أثناء عملية الهضم، وما يتطلبه ذلك من ارهاق على المخ والاعصاب، يجدر بنا شرح عملية الهضم باسهاب.. يبدأ هضم الطعام داخل الفم بوساطة اللعاب، ويستمر الهضم فى المعدة التى تصب على الطعام عصارة هاضمة من انزيمات وحامض الكلوردريك، ويتم الهضم داخل الامعاء الدقيقة بوساطة ثلاث عصارات مختلفة،

هى العصارات البنكرياسية والكبدية والمعوية، ويعد الحامض الذى تفرزه المعدة بمثابة حافز يستحث الغدد الصم الموجودة فى جدر الامعاء لافراز هرمون خاص يعرف بهرمون « السيكريتين » ، الذى يسرى فى تيار الدم ليصل الى غدة البنكرياس ويعمل على تنشيطها لافراز مختلف الانزيمات ، وهى فى الواقع اهم الانزيمات الهاضمة لانها تقوم بهضم جميع الطرز المختلفة من الاغذية ، سواء أكانت من مواد كربوايدراتية أو دهنية او بروتينية !.

ويقوم الكبد كذلك بدور هام للمحافظة على التوازن بين الممتص والمختزن من المواد الكربوايدراتية ، اذ أن الدم يمتص كميات كبيرة من سكر الجلوكوز بسبب احتواء غالبية الاغذية العادية على كميات وافرة منه ، وبقاء تلك الكميات فى الدم يؤدى الى ارتفاع نسبة الجلوكوز فى الجسم ويجعله عرضة للتلوثات البكتيرية والاختلالات الغذائية ، الا أن الكبد له اهمية كبيرة فى الحيلولة دون مثل تلك التلوثات والاختلالات ، وذلك لان الدم عندما يمتص سكر الجلوكوز من الامعاء يحمله الى الكبد قبل توزيعه فى سائر اجزاء الاجساد ، فان كانت نسبة الجلوكوز فى الدم أكثر من النسبة العادية المألوفة استخلص الكبد من الدم الفائض من سكر الجلوكوز ليحيله الى مادة نشوية معقدة التركيب ، تعرف باسم النشاء الحيوانى أو الجليكوجين ، ويرسب هذا النشاء فى خلايا الكبد ذاتها ويظل مختزنا بداخلها حتى يحتاج اليه الجسم مرة ثانية ، الا ان قدرة الكبد على هذا الاختزان تكون عادة محدودة، اذ لايمكنه أن يختزن فى المتوسط أكثر من مائتين جرام من تلك المادة، فان زادت كمية السكر فى الدم زيادة كبيرة تفوق قدرة الكبد على التخزين ففى العضلات الاخرى للجسم متسع أكبر من الكبد للتخزين، فهى تستطيع بدورها ان تختزن فى المتوسط ما يقرب من ٣٥٠ جراما من الجليكوجين ، وهذا يحدث عادة فى الاشخاص الذين لا يتناولون من الغذاء الا المقدار المعقول !.

أما اذا كان ما يتناوله الانسان من هذا السكر أكثر مما تستطيع أن تختزنه الكبد والعضلات فان الزائد منه فى الدم يذهب الى الاحشاء وتحت الجلد ، حيث يتحول الى مواد دهنية تأخذ فى التراكم فى تلك المواضع من الجسد .. واذا استهلك كل ما فى الكبد من مادة الجليكوجين ، ويحدث هذا عادة فى حالات الصيام ، فان الموجود منها بالعضلات يتحول الى حامض اللبنيك (اللاكتيك) ، ثم الى سكر الجلوكوز الذى يخرج من الكبد ويسرى فى الدم . اما اذا طالت مدة الصوم واستهلك كل المختزن من الجليكوجين فى الكبد والعضلات فيبدأ حينئذ المدخر من المواد الدهنية فى التحول الى سكر الجلوكوز الذى ينتقل الى تيار الدم ليحافظ على ثبوت نسبة السكر فى الدم !.

وهذه الدورة المعقدة لسكر الجلوكوز التى تتضمن تحويله الى نشاء حيوانى للتخزين فى الكبد والعضلات ، أو تحويله الى مواد دهنية تترسب فى مختلف الأجزاء، كما تتضمن كذلك تحويل النشاء الحيوانى والدهون مرة ثانية الى سكر الجلوكوز عندما تحتاج اليه الاجساد ، يسيطر عليها مواد من طراز خاص تعرف بالهرمونات ، وهذه الهرمونات هى هرمون البنكرياس المعروف باسم « الانسولين » وهرمون الجزء النخاعى للغدة الكظرية (الفوق كلوية) المعروف باسم « الادرنالين » ، ثم هرمونات التمثيل الكربوايدراتى التى تفرزها الفص الامامى الغدة النخامية . والهرمونات هى مواد خاصة تنتجها غدد خاصة فى الجسد تعرف باسم « الغدد الصم » ، ولا يوجد لتلك الغدد قنوات خاصة تحمل ما تصنعه كيميائيا من هرمونات لتوزيعها على مختلف الأعضاء ، بل انها تقذف بافرازاتها من الهرمونات الى تيار الدم ، حيث يقوم الاخير بتوزيعها على مختلف اجزاء الآلة الجسدية لتنسيق حركاتها والتحكم فى سائر أوجه نشاطها ... ويتعاون هرمون الانسولين تعاونا وثيقا مع هرمون الادرنالين للمحافظة على ثبوت نسبة السكر فى الدم ، فاذا زادت كمية السكر فى الدم اخذ

البنكرياس فى افراز هرمون « الانسولين » ليعمل على تحويل هذا السكر الزائد الى نشاء حيوانى تختزنه الاجساد ، واذا نقصت كمية السكر فى الدم بدأت الغده الكظرية فى افراز هرمون الادرينالين لتحويل جزء من النشاء الحيوانى المختزن فى الجسم الى مادة السكر التى تسرى فى الدم . وهنـاك من النواتج الايضية للنشـاط الانزيمى الذى تتضمنه عملية الهضم ما ينتج عنه تراكم مواد ضارة بالجسم ، فمادة الكولسترول التى توجد فى بعض الاحيـان فى الدم تعمل على تصلب الشرايين ، بل وجد من بين حالات السرطان ما هى ناتجة عن اختـلال الايض والتمثيل الغذائى !.

والهدف الرئيسى الذى مضى من اجله الكثيرون فى انجلترا فترة من العام فى احدى المستشفيات هو الكشف عن هذا الموتور - أو الجهاز الهضمى - الذى يعمل باستمرار ، والعمل على اراحته وترميمه باتباع رجيم غذائى ، هو فى الحقيقة طـراز مخفف من الصيام ، واتاحة الفرصة لتخليص هذا الجهاز مما ترسب فيه أو فى غيره من الاعضاء من مخلفات الغذاء ، قد تكون مادة الكوسترول الذى تعمل على تصلب الشرايين وتقصـير عمر المصاب ، وقد تكون موادا أخرى تثير فى الجسد الاختلال وتورث السقام . وللتخلص من فائض النشاء الحيوانى والدهون وغيرها من مخلفات ، حتى تستعيد الكبد والعضلات نشاطها ويكون لديها القدرة على القيام بما يتطلبه الجسد منها من مستلزمات ، من بينها تخليص الدم من الزائد من سكر الجلوكوز وتذويب الدهون، التى تتحول نتيجة التجويع بالصيام الى سكر يعمل على استعادة نسبته الثابتة فى الدم ... ولذلك فان حكمة الدين الاسلامى من فريضة الصيام بعده المفزى ، حيث تعد بمثابة ترميم للجهاز الهضمى بعد انهاك وللتخلص مما يشوبه من فضـلات ، والعمل على موازنة المواد الكربوايدراتية فى الاجساد ، صوازن السكر فى الدم يعمل على ملافاة الامراض ويحول دون تراكم الدهنيات، ويعد الصيام بمثابة علاج سنوى تتعرض له الاجساد لاراحة الاجهزة الهضمية بعد ارهاق، وهو عـلاج تتسم بالاشتراكية ، فالترميم الصحى - باتباع رجيم غذائى قاس - الذى يقوم به بعض المواطنين فى انجلترا كل عـام انما لا يستطيع القيام به الا المقتدرون ، وهو يهدف الى نفس ما يهدف اليـه الصيام من مغزى بعيد ، الا أن الصيام يستطيع أن يقوم به الجميع، لا فرق فى ذلك بين الغنى والفقير. بل ان مما يزيد من الفائدة الصحية المرجوة من الصيام هى الاقتصار عند الافطار على المواد الغذائيه اللازمه للاجساد دون افـراط اذ ان القيمة الصحية للطعام لا تقدر بكمياته بل بمحتوياته من مختلف العنـاصر التى تتطلبها الأجســاد لتقوية بنيانها وازدياد مقاومتها !.

ولما كانت المراكز المخية هى التى تسيطر وتوجه كافة ما تقوم به الاجساد من اوجـه نشاط ، فان ما تقوم به طول العام من اجهاد لتوفير كافة المقـومات والهرمونات اللازمة لتنسيق عمليـة الهضم وتحقيـق شتى احتياجاتها ، وهى عملية تتكرر كل يوم عدة مرات ،بل وهناك من الناس من يعمـل على استمرارها ليل نهار ، فان ذلك يحـول بين هذه المراكز وبين هـذه الواجبات توجيـه الطاقات العقلية لما فيـه خير الانسان ... فالصفاء الذهنى الذى يصاحب عادة الصيام انما هو مظهر من مظاهر تفرغ المراكز المخية لتوجيه الطاقات العقلية ، دون انشغالها بين كل حين وآخر بالعملية الهضمية وما تتضمنه من شتى الاعباء ، وينعكس هذا التفرغ فيما يستطيع أن يقوم به الصائم من أعمال ذهنية تتسم بالسمو والصفاء !.

أما المغزى الاجتماعى للصيام فهو الذى سبق أن تنـاوله بالدراسة الكثيـرون ،

ويتمثل فيما يشعر به الصائم من جوع ، وما يستحث ذلك فى احساساته فى أن هناك من بين زملائه من بنى الانسان من تعوزهم الامكانيات المادية لسد رمق او لمقاومة مسغبة، فيجود بما يستطيع ، وما أكثر ما يستطيع الانسان المقتدر أن يجود به من طعام ، او اتخم به جسده أورثه العلة والسقام ، ولو جاد به لازمته الصحة والسعادة فى دنياه ، وكان له فى الآخرة أحسن الجزاء !.

وهو ماتوخاه الدين من تنظيم شتى التشريعات،

ومما يسترعى أعظم اهتمام ، وينم عما فى الدين الاسلامى وفى القرآن من معجزات ، هو ما توخاه الدين من تنظيم شتى التشريعات فلم يتناول فقط التشريعات التى تنظم الصلات الاجتماعية بين الناس ، بل تناول كذلك التشريعات الصحية التى تكفل للمؤمنين به دوام الصحة وسلامة الاجساد ..

فلقد فرض الصيام لتخليص الأجساد من شوائبها ولتطهير النفوس من أدرانها ، فكما يعمل الصيام على تخليص الاجساد من شوائب ترسبت نتيجة للعمل المتواصل للجهاز الهضمى طول العام ، فهناك من الادران التى تلتصق بالنفوس ما يستشعر الانسان باوزارها أثناء الصيام ، من خطيئة أو معصية ارتكبها ، أو اساءة الى زميل أو الى احد الاقارب أو الاصدقاء ، فيوحى اليه الصيام بما يتضمنه من روحانيات بتخليص نفسه من مثل هذه الادران ، فتصفى النفوس وتتجدد الصلات . وحين أنزل القرآن لم يكن الطب قد بلغ من التقدم ما بلغه الآن حتى يستطيع أن يتبين الانسان أن فى الصيام مافيه من منفعة صحية للاجساد ومقاومة للامراض ، ولكن ما تضمنه القرآن من معجزات لم تكن فى وقت مضى مما يحيط بها علم الانسان ، ومنها فريضة الصيام ، لاكبر دليل على ان الذى اوحى بالقرآن هو مالك الارض والسموات ، والذى أحاط علما بكافة الاشياء !.

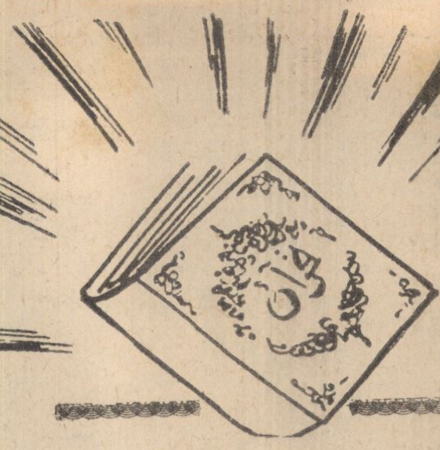

آيات الصيام بين الإحكام والنسخ

الدكتور مصطفى زيد

١ - من الحقائق المقررة فى تاريخ التشريع الاسلامى أن صيام رمضان لم يفرض على المسلمين الا فى العام الثانى للهجرة ، عندما نزل قوله تعالى فى سورة البقرة : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون • شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام اخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ماهداكم ، ولعلكم تشكرون ،

ومع أن هذه الآيات - فيما يتبادر الى الذهن لأول وهلة - قد أنزلت دفعة واحدة - فقد ذهب بعض المفسرين الى أن فيها حكمين قد وقع عليهما النسخ ، فلم يعد سائغا ان يعمل بهما • وأن ناسخ الحكم الأول من هذين الحكمين حكم قررته هذه الآيات نفسها • أما الحكم الثانى فقد تصيدوه من هذه الآيات تصيدا دون أن تدل عليه ، ليقرروا أنه منسوخ بالآية التى يقول الله عز وجل فيها :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وانتم لباس لهن ، علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم اتموا الصيام الى الليل ••• ••• » - الآية فى السورة نفسها - •

٢ - ونتناول بشىء من التفصيل هاتين الدعويين ، بعد أن نعرضهما فى ايجاز فنقول :

تدور الدعوى الأولى حول قوله عز وجل : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، فقد ذهبت طائفة من المفسرين الى أن المراد بالذين يطيقونه - فيها - هم القادرون على الصيام دون مشقة ، محتجين بأن العرب لايعرفون الاطاقة الا بمعنى القدرة • ومن ثم ذهبوا الى أن الصيام فرض أول الأمر على التخيير ، فللقادرين على الصوم من المقيمين الأصحاء أن يفطروا رمضان اذا شاءوا ، على أن يفدوا فيطعموا عن كل يوم مسكينا ثم نسخ هذا التخيير بالالزام عندما نزل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » •

فالمنسوخ عند هؤلاء هو اذن قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

والناسخ هو قوله عز وجل : « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » ..

٣ ـ ولكنا لاندرى : كيف ساغ فى نظر هؤلاء المفسرين الذين يرون تخيير المقيم الصحيح بين الصوم والافطار مع الفدية ـ أن يوجب الله عز وجل (فى الآية نفسها) الصوم على المريض والمسافر ، بدليل ايجاب القضاء عليهما اذا أفطرا ألم يقل اللهعز وجل فى الآية: « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » قبل أن يقول : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ؟ فكيف يتحتم القضاء على من لم يستطع الصوم بسبب السفر أو المرض ـ مع أن فى وسعه أن يفدى ـ ولا يجب الصوم على المقيم الصحيح القادر اكتفاء بالفدية ، مع أنه لاعذر له اذا أفطر ؟ وبعبارة أخرى : كيف تكفى الفدية من لاعذر له ، ويفرض القضاء على المريض والمسافر مع أن لهما عذرا يبيح الفطر ؟ .

كذلك لاندرى : كيف فهم هؤلاء ماتقرره الآية الأولى من آيات الصيام ، من أن الصيام قد كتب على المؤمنين ، وهى انما تخاطب المطيقين ، لأنه لاتكليف الا بما يطاق . وما تقرره الآية الثانية ـ وهى التى زعموا أنها منسوخة ـ من أن الصيام قد فرض على التخيير لا على الالزام مع أنهم لم يزعموا أن آية التخيير ناسخة لآية الالزام ؟

ونحن لاندرى ثالثا : كيف ساغ على تفسيرهم هذا أن يقول الله عز وجل فى الآية التى تنسخ التخيير بالالزام فى زعمهم ـ وهى الآية التى تحتم الصوم على كل من شهد رمضان مقيما صحيحا ، ولا تقبل بدلا منه الفدية ـ : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، مع أن الالزام بعد التخيير عسر وليس يسرا ؟ ؟

٤ ـ من أجل هذا نرفض دعوى النسخ هنا بالرغم من الآثار الكثيرة التى استند اليها أصحاب هذه الدعوى ، ومن ترجيح الطبرى لها . ونرى ان خير مايفسر به (الذين يطيقونه) فى الآية هو ما صح عن ابن عباس رضى الله عنهما برواية عطاء ـ وقد أخرجه البخارى فى صحيحه ـ : هو الشيخ الكبير ، والمرأة الكبيرة ، يعجز كل منهما عن الصوم بسبب كبر سنه ، فيطعمان عن كل يوم مسكينا . وهذه هى رواية البخارى عن ابن عباس ، وقد رواها عن ابن عباس كثير من التابعين غير عطاء : حدثنا عمرو بن دينار، عن عطاء ـ أنه ـ سمع ابن عباس يقرأ : « وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين » قال ابن عباس : « ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة ، لايستطيعان أن يصوما ، فليطعما مكان كل يوم مسكينا » : ـ كتاب التفسير فى صحيح البخارى ، باب قوله . أياما معدودات .

ومما يشهد لهذا التفسير أن من بين القراءات الصحيحة ليطيقونه : يطيقونه (بفتح الياء الأولى ، وتشديد الطاء والياء الثانية مفتوحة بن أيضا) ، ويطيقونة (بضم الياء الأولى ، وتشديد الثانية مفتوحة) ، ويطوقونه (بضم أوله ، وتشديد الواو المفتوحة) وقد سلفت فى الأثر المروى عن ابن عباس ، ومعناها فى جميع هذه القراءات المروية الصحيحة يجشمونه ، ويكلفونه ، وفيه معنى أياما معدودات ـ .

٥ ـ ونعود أخيرا الى مازعمه مدعو النسخ، من أن معنى يطيقونه على القراءة المشهورة هو: يقدرون عليه دون جهد ولا مشقة ، فنجد أنه ليس صحيحا . ان الراغب الأصفهانى يقول فى مفردات القرآن : (الطاقة اسم لمقدار مايمكن للانسان أن يفعله بمشقة ، وذلك تشبيه بالطوق الذى يحيط بالشىء . فقوله : « **ولا تحملنا مالا طاقة لنا به** » أى ما يصعب علينا مزاولته ، وليس معناه ولا تحملنا مالا قدرة لنا عليه) . والعرب أصحاب اللغة أنفسهم لايعرفون الطاقة الا بهذا المعنى ، فهم لايقولون مثلا : فلان يطيق حمل الابرة ، وانما يقولون : فلان يطيق عناء البحث ، ووعورة الطريق ، وخوض المعارك الطاحنة . فمعنى « وعلى الذين يطيقونه » اذن : يستنفد أقصى طاقتهم ، ويكون أداؤهم له سببا فى اعناتهم ، وهؤلاء هم الشيخ

الكبير ، والمرأة العجوز • وقد ألحق بهما بعض الفقهاء الحامل اذا خافت على الجنين ، والمرضع اذا خافت على طفلها •

٦ – وهنا ينبغي أن ندع هذه الدعوى الى الثانية • وسنجد أنها تدور حول قوله عز وجل : « كما كتب على الذين من قبلكم » وعلى مافيه من تشبيه ، فقد اختلف المفسرون في بيان المراد بالذين من قبلنا ، أهم النصارى خاصة ، أم أهل الكتاب عامة ، أم الناس جميعا : كتابيين وغير كتابيين ؟ واختلفوا كذلك في وجه الشبه بين صيامنا وصيامهم . أهو الوقت ، أو الكيفية ، أو المقدار ، أو مطلق الوجوب ؟ •

ومن بين المذاهب التي ترتبت على هذا الخلاف في التفسير ، مذهب يقول أصحابه ان المراد بالذين من قبلنا هم النصارى خاصة ، وأن وجه الشبه بين صيامنا وصيامهم هو الكيفية والصفة • وقد كانوا يصومون من العتمة الى العتمة ، أي من حين نجب العشاء أو ينام أحدهم عقب المغرب الى غروب شمس اليوم التالي • فاذا نام أحدهم عقب غروب الشمس ، أو وجبت عليه العشاء الآخرة – وذلك بدخول وقتها – حرم عليه الطعام والشراب والمباشرة ، حتى تغرب شمس اليوم التالي • فلم يزل المسلمون على ذلك حتى كان من أمر أبي قيس صرمة بن قيس الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ما كان ، فنزل قوله تعالى : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل** » – : سورة البقرة – ، وبذلك حل لهم الأكل والشرب والمباشرة حتى الفجر

٧ – وقبل أن نناقش هذه الدعوى ، نرى أن نورد هذين الأثرين الصحيحين ، في بيان ما كان من صرمة بن أبي قيس الأنصاري ، وعمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) لما لهما من صلة وثيقة بالحكم الذي تقرره الآية

يروى أبو اسحق السبيعي ، عن البراء بن عازب الأنصاري : كان أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فنام الأخيرة •

قبل أن يفطر لم يأكل الى مثلها • وان أبا قيس صرمة بن قيس الأنصاري كان صائما ، وكان توجه ذلك اليوم فعمل في أرضه ، فلما حضر الافطار أتى الى امرأته فقال : هل عندكم طعام؟ فقالت : لا ، ولكن انطلق فاطلب لك • فغلبته عينه فنام • وجاءت امرأته فقالت : قد نمت ! فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية: « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم •• الى : من الخيط الأسود من الفجر » ، ففرحوا بذلك فرحا شديدا •)

ويروى عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه (كان الناس في رمضان اذا صام الرجل فأمسى فنام – حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد • فرجع عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده ، فوجد امرأته قد نامت ، فأرادها ، فقالت اني قد نمت • فقال مانمت ، وظن أنها تعتل ، ثم وقع بها • وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره • فأنزل الله تعالى ذكره : « علم الله أنكم كنتم تختانون انفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن » الآية –•

٨ – ولسنا نشك في صحة هذين الأثرين كما أسلفنا ، ومن ثم نؤكد أن تغييرا قد حدث في كيفية الصوم ، فأصبح الامساك – بعد هذا التغيير – واجبا من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، بعد أن كان أول الأمر واجبا من حين النوم أو وجوب صلاة العشاء • يوحي بوقوع هذا التغيير أسلوب الآية ، فقد بدأت بقوله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » مما يوحي بأنه قبل نزولها لم يكن يحل الا في وقت قصير من الليل • ويؤكد وقوع التغيير قوله تعالى في الآية : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا

عنكم ، فالآن باشروهن ... ... » ، لأنه يقرر انه كانت هناك مخالفة واختيان ، وأنه قبل (الآن) - وذلك حين نزول الآية - لم يكن حلالا ! •

٩ - ونخرج من هذا كله بأن الآية الأخيرة قد نسخت حكما كان مقررا قبلهـا ، وكان متعلقا بصفة الصوم وكيفيته وبالوقت الذى يجب الامساك فيه عن الطعام والشراب والنساء • لكن : هل كان هـذا الحكم المنسوخ قـد شرع بالآية الأولى من آيات الصيام ، وهى الآية التى زعموا أن النسخ وقع على التشبيه فيها ؟ •

ان كل ما يفيده هذا التشبيه هو أننـا (نحن المسلمين) قد فرض علينا الصوم ، كما كان مفروضا على الأمم السابقة ، فهو تشبيه فى مطلق الوجوب ، دون تقيـد بوقت • أو مقدار . أو صفة • وانما ذكرته الآية لتبين أن لهذه الأمة فى هذا التكليف أسـوة بالأمم المتقدمة ، حتى يهون عليها ما فيه من المشقة، فان الأمور الشاقة اذا عمت خفت •

أما الحكم الذى نسخته الآية التى أحلت الأكل والشرب والنساء فى ليالى رمضان حتى الفجر - فلا بد أن يكون قد ثبت بالسـنة العملية كما يقـول الطبرى وابن العربى ، ومن ثم نستطيع أن نقرر أن آيات الصيام لم يقع النسخ على شىء منها ، وأن الآية الأخيرة منها - وهى الآية ١٨٧ - قد نسخت حكما كان معمولا به قبـل نزولها ، وكان مقررا بالسنة العملية •

١٠ - على أننا لا نحب أن نختم هذا المقـال قبل أن نشير الى حكم آخر متعلق بالصـوم وقد شرعته السنة ونسخته فرضية صوم رمضان بالآية • ذلكم هو صوم يوم عاشوراء فقد كان صيامه مفروضا على المسلمين قبل أن يوجب الله عليهم صيام رمضان ، فلما فرض صوم رمضان بنص الآية اصبح صيامه تطوعا: من شاء صامه ، ومن شاء لم يصمه • وهذا هو منطوق قول عائشة رضى الله عنها : « كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة ، وترك عاشوراء فكان من شاء صامه ، ومن شاء لم يصمه » • وهو أثر صحيح أخرجه البخارى فى صحيحه•

وهكذا يخلص لنا أخيرا أن صوم رمضان فرض على الالزام من أول الأمر ، فلم يكن - بعد فرضه - محل تخيير قط • وأن كيفية الصيام قد شرعت أولا بالسـنة العمليـة ، وكانت فيها مشقة شـديدة على المسلمين ، فنسخها الله عز وجل بالآية الأخيرة من آيات الصيام ، تيسيرا عليهم • وأن آيات الصيام جميعا محكمة لم يقع النسخ على شىء منها •

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعـالى :

« وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » •

صدق الله العظيم

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

الدكتور عبد الحليم كامل

اذا أهل على المؤمنين شهر رمضان المبارك ، فان الكثيرين منهم لا يرون فيه الا أنه شهر الصيام . واذا كان شهر رمضان حقيقة هو شهر العبادة والصيام ، فهو أيضا شهر القرآن « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

وفى هذه الآية الكريمة يحدثنا الله جلت قدرته ـ عن فضل شهر رمضان فيقول :

« الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس » ، ويقول سبحانه وتعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وليلة القدر هذه هى الليلة التى ينكشف فيها شىء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : « **انا أنزلناه فى ليلة القدر** » ولهذه الليلة أيضا مكانتها التى هى خير من ألف شهر .

ولنزول القرآن فى الاسلام معنى يفوق كل ما يتصوره المرء من معان ، فهو المعجزة الخالدة الباقية ما بقيت السموات والأرض « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » .

وبنزول القرآن فى شهر رمضان وضح الطريق أمام البشر جميعا ووضح الحلال من الحرام ووضحت الحقيقة وظهر الطريق القويم والصراط المستقيم ، واننا لا نستطيع أن نذكر نزول القرآن الكريم دون أن نذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى مكة المكرمة يعتكف فى غار حراء مفكرا متعبدا داعيا الى الله أن ينير له الطريق ، طريق الهداية وطريق الرشاد ، فتنجلى الظلمات التى تعيش فى طياتها مكة من عبادة الأصنام وشرك بالله ، وجاهلية قاتلة مميتة ، وعصبية بغيضة ، ويتجه ـ صلوات الله عليه ـ الى ربه فاطر السموات والأرض ، ويقول :

« يا رب هذا الكون ، يا خالق هذه السموات ، يا خالق الشمس والقمر والنجوم .. يا خالق هذه الأرض وهذه الجبال .. يا ربى وخالقى وخالق الكائنات ، أريد وجهك أريد وجهك » .

ويستجيب الله الدعاء ، وبينما هو كعادته فى الغار ، وفى شهر رمضان المبارك ، وقد صفت نفسه فأصبحت أصفى من الصفاء .. وامتلأ قلبه بالنور الالهى فيزداد نورا على نور فيرى ضوءا عجيبا ويسمع صوتا غريبا .

ويهبط عليه الوحى ويأتيه الروح الأمين قائلا « اقرأ » فيقول الرسول الكريم « ما أنا بقارىء » ويقول الرسول صلوات الله عليه « فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم

أرسلني » وقال « اقرأ » فقلت « ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني » وقال « اقرأ » فقلت « ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني » فقال « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

ويرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الى السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها ويقول « زملونى » فزملوه ، حتى اذا ذهب عنه الروع وقص على السيدة خديجة ما حدث قائلا « لقد خشيت على نفسى » وترد عليه السيدة خديجة قائلة « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وان خلقك لكريم » .. ثم تنطلق به - رضى الله عنها - الى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم السيدة خديجة ، ولقد كان ورقة عربيا أصلا من ذروة من بيوتات قريش ، وهو كما يقول عنه صاحب الأغانى « أحد من اعتزل عبادة الأوثان فى الجاهلية ، وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان » ويقول البخارى عنه « انه كان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب عن الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب » .

وكان ورقة فى فترة بدء نزول الوحى هذه شيخا كبيرا ذهب بصره وزهد فى الدنيا فهو لا يبغى منها رفعة أو جاها .

فلما سمع ورقة قصة رسول الله ، رفع رأسه الى السماء وقال « قدوس ، قدوس .. والذى نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى » ، ويلتفت الى محمد - عليه الصلاة والسلام - ويقول : « يا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك » .. فسأله النبى « أو مخرجى هم .. » فيقول ورقة « نعم .. لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا » .

ولعل ما هز مشاعر ورقة ، ومس شغاف قلبه وغمره بالنور والمعرفة فانطلق لسانه بما قال وما تنبأ به أن ما سمعه من قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ويدل هذا على أنه وحى من السماء .. كيف لا ولم تكن القراءة باسم عظيم من عظماء قريش أو باسم سيد من سادات العرب ، أو باسم أمير من أمرائهم ولكنها باسم الله الذى خلق ، خلق الانسان من علق .

ولعل هذه الآية الكريمة الأولى وقد ابتدأ بها نزول الوحى والقرآن تقول يا محمد اقرأ باسم ربك ، وجاهد باسم ربك ، وعش باسم ربك ، وادع الى سبيل ربك وعبادة ربك ، ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، والذى خلق الدنيا وما فيها لا باسم هبل ، ولا باسم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى .

ثم هى من ناحية أخرى دعوة الى الايمان بالله والايمان بقدرته ووحدانيته وعظمته وهل يؤمن الانسان الا بمن خلقه من عدم وبعث ، من طين لازب الى انسان حى كائن .. ولهذا يحدثنا القرآن فى أكثر من آية من آياته فيقول « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ويقول أيضا : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » .

وفى شهر رمضان أنزل القرآن الذى كرم الانسان معتبرا اياه أشرف المخلوقات وأكرمها عند الله ، فيقول - سبحانه وتعالى - فى سورة التين : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ، ويقول - جلت قدرته - فى سورة الاسراء « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وفى هذه الآيات وغيرها تكريم لآدم وذريته ورفعة لشأنه وشأنهم ، وهل هناك شهادة أسمى من شهادة الله الواحد الأحد خالق

كل شيء ، والموجد لكل شيء . بل استمعوا لقوله تعالى :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا» .. ويقول جلت قدرته مخاطبا ملائكته « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ويقول تبارك وتعالى فى سورة أخرى « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون » .

ومع هذا التكريم والتعظيم ، عصى آدم ربه وغوى ولكن الله يعفو ويغفر ، أليس هو الغفور الرحيم ، ويتوب الله على آدم ويجتبيه **« وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»** ويقول أيضا ـ سبحانه وتعالى ـ :

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » .

وفى شهر رمضان أنزل القرآن الذى يحدثنا عن ذلك الانسان الذى عصى ثم تاب عليه والذى غوى ثم هدى ، وغفر له أن الله ـ جلت قدرته ـ قد سخر له الدنيا وما فيها أرضها وسماءها وبحارها وأنهارها ، ووديانها وسهولها ، وليلها ونهارها ، وشمسها وقمرها .. استمعوا لقوله تعالى :

« ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

ويقول ـ سبحانه ـ « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ويقول ـ تبارك اسمه ـ « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

حتى اذا عرفنا نعمه ـ سبحانه وتعالى ـ واحسسنا بقدرته وعظمته ، واعترفنا بقوته وسطوته ، كما نؤمن بعفوه ورحمته ، عندئذ تتجلى لنا الأمور وتصفو النفوس . وتتطلع القلوب الى نوره الذى لا نور بعده وترجو رحمته التى لا رحمة بعدها والتى وسعت كل شيء وعمت كل شيء .

وفى شهر رمضان أنزل القرآن الذى سوى بين الناس جميعا بقوله تعالى **« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .**

وهكذا يقول القرآن الكريم **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** فلا أبيض ولا أسود ولا أوروبى ولا أفريقى ، الكل من آدم وآدم من من تراب .. فاستمعوا لقوله تعالى :

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » .. « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » .

هذا حديث القرآن منذ أربعة عشر قرنا وها نحن الآن نسمع عن روديسيا ما نسمع .. أن حكومة من الأقلية البيضاء تعلن الاستقلال من جانب واحد لتسيطر على الأغلبية السوداء أصحاب الأرض وأصحاب البلاد .. وهكذا نتحدث عن المدنية وحقوق الانسان التى ماضاعت الا بأيدى من يتحدثون عنها ويتمشدقون بها ، فها هى أمريكا بلد الحرية والمساواة وحقوق الانسان ، كما يقولون ، حرب مستعرة بين البيض والزنوج .. فهناك أبيض له كل الحقوق .. وهناك زنجى مسلوب الحقوق محروم حتى من أن يجلس بجانب الابيض فى دور العبادة حيث تتطلع النفوس الى رب هذا الوجود . وهكذا يتحدثون عن الحرية وهم عنها بعيدون .. وهكذا يتحدثون بالعدل والمساواة ، وهم للعدل والمساواة منكرون فاستمعوا لقوله تعالى : **« ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .**

أجل لا عصبية ولا شعوبية ولا فروق بين الناس بسبب اللغة أو اللون .. وهكذا سوى

القرآن بين الناس جميعا فاصبحوا سواسية كأسنان المشط ، أكرمهم عند الله أتقاهم ، وليس بأبيضهم أو أحمرهم .

ثم يدعونا الله الى أن نقول الحق ونشهد بالحق ، ونحكم بين الناس بالحق ، حتى ولو كانت هذه الشهادة ضد أنفسنا ، وهذه الأحكام لمصلحة قوم قد لا نحبهم لأى أمر من الامور فاقرءوا قوله تعالى :

« يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .. ويقول أيضا - سبحانه وتعالى - : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

ويقول - تبارك اسمه - « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » .

وفى شهر رمضان أنزل القرآن الذى يدعو فى أول آية من آياته الى العلم فيقول : « الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » ، ولا يتركنا القرآن الكريم نفكر كيف نشاء بل يأخذ بيدنا منيرا لنا الطريق فيقول : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق، ويقول أيضا« أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه » ويقول - سبحانه وتعالى - فى سورة أخرى : « وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما . ويقول - تعالى - فى موضع آخر : « فلينظر الانسان مم خلق» ، ثم يشجع القرآن من يدرس العلم ويقبل عليه فيقول : « وقل رب زدنى علما » ويقول أيضا « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ، ويقول فى آية أخرى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ولا يدعو القرآن الكريم الى العلم ، ويحض على التعلم لا رغبة فى العلم وحده ، بل لأنه الطريق الوحيد الى معرفة الله سبحانه وتعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » .

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن يدعونا الى الصيام فيقول « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ويقول - سبحانه وتعالى - « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

والصيام طاعة فى سبيل الله ، يعود على الصبر ويكبح الشهوات ، وينمى القناعة ويدعو لحب الخير للخير ، والرحمة بالفقير والضعيف ، وغير ذلك من مقومات الحياة الكريمة ، والصوم علاوة على أنه عبادة من العبد لربه فهو أيضا علاج لما يصيب البدن من كثير من الأمراض كما أنه وسيله للوقاية وسبب من أسباب الصحة والنشاط ، ولعل الكثيرين منا قد قرأوا فى الاهرام الصادر فى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٦٥ الموافق ٦ رجب سنة ١٣٨٥ ما حدثنا به بطل العالم فى الملاكمة « محمد على كلاى » من ان الفضل فى قوته وما وصل اليه للحمية ، ويقول وما اكثر الذين فازوا بالطولة وهم جوعى ، فلما ترفهوا صرعتهم الرفاهية .

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن الذى أعطى الانسان كل حقوقه وهداه الى طريق الحق والهداية والذى خلق من الأمة العربية فى ذلك الوقت القصير خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله فارتقت الى ذروة المجد وامتدت فتوحاتها الى الشرق والغرب ، عرفت الله فعرفها، عبدت الله وحده فنصرها وأعزها، وما أحوجنا فى هذا الشهر الكريم ونحن صائمون وأقرب ما نكون الى الله - سبحانه وتعالى - أن ندعوه أن يوفقنا جميعا ويوفق الاسلام والمسلمين الى وحدة كاملة شاملة تجمع الكلمة وتوحد الهدف فى سبيل الرفعة والنصر .. وأن يعيد الله هذا الشهر على الامة العربية بالخير والبركة والسعادة .

المنهج التربوى فى تشريع الصيام

فضيلة الشيخ عطية صقر

ان التشريعات التى توضع لتنظيم حياة البشر لاتبلغ درجة الأحكام الا اذا كانت قائمة على أسس تنبع من واقع الناس وتتصل بأحاسيسهم وتلبى حاجاتهم ، وتساعدهم على بلوغ أهدافهم التى يسعون من أجلها ، ويبذلون الجهد للوصول اليها ، ولا يتم ذلك الا بالمعرفة التامة لخصائص النفس البشرية ، والاحاطة الشاملة بالغرائز والميول ، وادراك سر العواطف والانفعالات ، والعلم بحقيقة الرسالة السامية التى خلق لأجلها البشر •

ولا يمكن لكائن من كان من البشر ، مهما أوتى من سعة العلم ووفرة الذكاء وسداد الرأى أن يصل الى هذه المرتبة السامية من العلم التام بكل هذه العوامل والظروف التى يحيا على سننها البشر ، فليس ذلك الا لله وحده الذى خلقهم وسواهم وعلم سرهم ونجواهم ، وبيده الأمر كله ، أحاط بكل شىء علما ،وأحصى كل شىء عددا •

ومن هنا كانت الشرائع السماوية أحكم التشريعات وأعدلها وأقومها وأهداها سبيلا « صنع الله الذى أتقن كل شىء » « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة »

وكان وضع الشرائع على هذه الأسس دليل صدق على رسالة من حملوها الى الناس من الرسل ، فان بشريتهم لاتتطاول - مهما كان قدرها - الى مثل هذه المنزلة من احكام التشريع ودقة التنظيم . واذا كانت هناك بعض العقول لاتتكشف لها كل جوانب الحكمة من التشريع السماوى ، فلا ينبغى أن يتخذ ذلك ذريعة الى الانكار والمجادلة بالباطل والطعن فى قدسية الدين ، فالعقول متفاوتة وهى فى تغير وتطور مستمر ، وقد يدرك العقل فى المستقبل ما خفى عليه فى الحاضر، على أن العقول اذا لم تصل الى أسرار التشريع بالرغم مما بذلت من جهود ، فان عجزها لايمس قدسيته « والله يعلم وأنتم لاتعلمون » « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

والصيام ركن من أركان التشريع الاسلامى ، وضعه الله لاصلاح الفرد والمجتمع، وقد حاول العلماء أن يصلوا الى ادراك أسراره وفهم مراميه كلها فانتهى بهم المطاف الى مجموعة من الآثار النفسية والروحية والاجتماعية ، ولم تستطع بحوثهم على كثرتها وعمقها أن تفسر المعنى الدقيق لهذه الكلمة الموجزة « لعلكم تتقون » .

وليس من غرضى فى هذه الكلمة أن أكرر ما قيل فى هذه المناسبة من تعداد آثار الصيام وفوائده ، ولكنى سأنتحى ناحية أخرى هى الناحية التربوية أو الأسلوب الحكيم الذى سلكه التشريع حين فرض الصيام على المسلمين .

معلوم أن الانسان لايستغنى فى حياته الشخصية عن الطعام والشراب ، ولا فى حياته النوعية عن الشهوة الجنسية ، والغرائز التى زود بها الانسان من يوم ولادته وتوارثتها الأجيال عبر القرون المتطاولة ، هى قواعد أساسية وركائز أصيلة لايمكن أن تنتزع من شخصية الانسان كانسان والا كان نوعا آخر من المخلوقات . وبعض هذه الغرائز له من القوة العارمة ما لايمكن أبدا مقاومتها بالكبت، والا كان الانفجار والفساد .

والاسلام حين بزغت شمسه على الوجود لم يشأ أن يعاجل الناس بمقاومة غرائزهم مقاومة عنيفة ، أو يفجاهم بذلك دون مقدمات وتمهيدات . بل عنى أول ماعنى بالعقيدة واقتلاع جذور الشرك من القلوب ، فتوالى الوحى مشحونا فى أكثر آياته بالأدلة والبراهين النفسية والكونية على وحدانية الله وجمع القلوب على الايمان به ، واستمر النبى على هذا المنوال طوال ثلاثة عشر عاما قضاها بمكة ، لايشير الى الصيام بادنى اشارة ، على الرغم من كثرة الآيات التى ورد فيها الأمر باقامة الصلاة ، حتى اذا هاجر الى المدينة وبدأ تكوين المجتمع الجديد المستقر ، برزت الحاجة القوية الى خلق وعى اجتماعى يواجه الظروف المستقبلة ، ويعد لاقامة الدولة الرسمية التى ستبلغ الرسالة العالمية الى الناس كافة . وتمر سنتان فى المهجر الجديد وقد اختلط المهاجرون بالأنصار فى امتزاج تام انصهرت فيه عواطفهم وتوحدت مشاعرهم ، وتقدم الأنصار ، بنفوس سخية باذلين أحب أموالهم لاخوانهم الذين تربطهم بهم رابطة أقوى من رابطة الدم والنسب ، فأنقذوا المجتمع الاسلامى من أزمة خطيرة يعانى من أمثالها كثير من الدول حين تكون الهجرات ويكثر اللاجئون . والوعى الاجتماعى يتجلى بأروع مظاهرة فى البذل والسخاء والايثار ، ولايتم ذلك الابقهر النفس وترويضها وفطامها عن بعض مشتهياتها ، والحد من شرهها وأنانيتها ، والوسيلة المثلى للوصول الى ذلك هو الصيام ، فهو تربية عملية تطبيقية لاتغنى عنها الأقوال والمواعظ مهما كثرت وقويت . وكان فرضه فى السنة الثانية من الهجرة .

ان فرضية الصيام فى هذا الميقات كان حكما نابعا من حاجة المجتمع ، ومستمدا من

واقع حياة المسلمين ، مهدت له الظروف ويسرت السبيل اليه عوامل كثيرة • وكانت المادة التى حملت نص التشريع هى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » •

فلننظر الى الأسلوب التربوى الحكيم الذى صبت فى قالبه هذه الآية الكريمة ، ولنحاول أن ندرك بعض جوانب العظمة فى نظم القرآن المعجز ودقته البالغة فى التعبير واحكامه المتناهى فى وضع الترتيبات التى تهيىء النفوس لقبول التكليف •

١ ـ أول ما بدأ الله به مادة التشريع ناداهم بهذا الوصف الجميل ، وهو وصف الايمان الذى رسخ فى أعماق نفوسهم ومرنوا عليه من قبل حتى امتزجت به أرواحهم ، وتكيفت به أحاسيسهم • والايمان اذا تمكن من القلب تهيأت النفس لقبول كل تكليف وبادرت بالاستجابة اليه لأنه فى نظرها تشريف •

٢ ـ أتبع نداءهم بوصف الايمان تقرير أن الصوم حل حتمى لابد منه لاعداد الفرد لحياة فاضلة ، ودعم أركان المجتمع ليعيش سعيدا ويستطيع أن ينهض بأعبائه الجسام فقال ، « كتب عليكم الصيام » فهو مفروض لامحالة ، ومقدر لامفر منه ، وقدجاءت مناسبته وحان أجله ، وكان بناء الفعل للمجهول دون ذكر الفاعل الذى هو صاحب التشريع اشارة الى أن الصوم حكم نابع من طبيعة الحياة واقتضته ضرورة الاجتماع ، فهو أمر مفروغ منه لاحاجة فيه الى بيان من فرضه وأوجبه ، ولعل فى اضطرار بعض الحيوانات الى الامتناع عن الطعام والشراب أياما وشهورا طوالا ، ما يؤكد أن الصيام ضرورة طبيعية للكائنات، لافرق فيه بين الحيوان والانسان •

٣ ـ من عادة النفس البشرية أنها اذا ووجهت بصدمة أو وقعت فى ازمة ورأت أن ما حدث لها أمر عام يشترك فيه سائر الناس، ولم تقصد هى وحدها بذلك ، هان عليها وقع الصدمة وخفت عنها وطأة الازمة ، فالتأسى بالغير ، والتعزية بمن يشتركون مع الانسان فى التجربة لها دخل كبير فى مثل هذه المواطن الشديدة ، وهذا هو ما يشير اليه قوله تعالى « كما كتب على الذين من قبلكم » • فكل الناس على مدى التاريخ سواء فى أصل هذا التشريع، وان كان لكل أمة منهاج فيه •

٤ ـ ثم ماذا بعد هذا النداء بوصف الايمان وبيان حتمية التشريع وعمومه فى جميع العصور ؟ انه الاغراء بالثمرة المرجوة والفائدة المرتقبة ، والجنى الطيب الذى ينتظر من وراء هذا الغرس الكريم ، والمشاهد فى حياة البشر أن الانسان اذا آمن بنتيجة جهده هون عليه ذلك الايمان متاعب العمل ، ودفعه دفعا الى بذل أقصى مايستطيع من جهد، فكم قاسى المريض من شرب الدواء المر بغية الشفاء ، وكم عانى من مبضع الجراح وهو صابر محتسب يعزيه عن ذلك رجاء زوال الداء ، وكم هان على الانسان بذل المال فى سبيل تعليم ولده أو تنمية تجارته مرتقبا من وراء ذلك راحة النفس وهدوء البال وواسع الثراء • والمكلف بالصيام اذا أغرى بالثمرة الطيبة أقبل على عبادته بنفس راضية وهمة عالية وعزيمة صادقة ، وهذه الثمرة هى التى أعيت الباحثين أن يصلوا الى ادراك قيمتها الحقيقية وأثرها البالغ ، ولكن الله جمع كل ذلك فى هذه الكلمة الموجزة « لعلكم تتقون »

٥ ـ وماذا بعد ذلك من التمهيدات التى تهيىء النفس لقبول الحكم ؟

انه تحديد مدة الحبس للنفس داخل أسوار الترويض والتهذيب ، ان الحكم ليس قاسيا ولا طويل الأمد ، انه أولا ساعات من نهار ، وثانيا أيام قلائل ، لاشهور ولا أعوام ، هى من قلتها بحيث يمكن عدها بسهولة ، ولا شك أن تقليل مدة التجربة النفسية يهون

عليها ممارستها ، وذلك بعض من سر التعبير الالهى « أياما معدودات »

٦ ـ لكن هذه مرغبات عامة تساق بها كل النفوس الى قبول التكليف ، غير أن هناك مرغبات شخصية أخرى ، هى خاصة بحالات فردية يتعرض لهـا بعض المكلفين ، منهـا المرض والتعب فى سـبيل تحصيل العيش بمثل السفر والتنقل للتجارة وغيرها ، ولو كلف أمثال هؤلاء بالصيام وهم فى حالة أحوج مايكونون فيها الى مقاومة المرض ، والى الطاقة التى تحركهم لكسب عيشهم وجهـادهم فى الحياة ، لكان ذلك تكليفا أشبه بما لايطاق ، ولخرج التشريع عن حكمته من ربط المخلوقين بالخالق ، وحبهم له واقبالهم عليه ، ولظهر فيه معنى الحرج والاعنات ، وهو مايتنزه عنه سبحانه ، فهو الرحمن الرحيم ، وبعباده لطيف خبير ، وفى تشريعه عادل حكيم • لقد أباح الله لأمثال هؤلاء أن يفطروا ما دامت هذه الظروف قائمة بهم ، وعليهم أن يصوموا بدله عند زوال هذه الظروف ، قال تعالى « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »•

٧ ـ هذا ويبدو أن فرض الصيام فى أول أمره كان على التخير ، كفترة تمرين عليه لمن شاءأن يدخل هذ هالتجربة ، فاذا لمسـوا أثرها وفائدتها وأنست نفوسهم اليها ألزمهم الله اياها بعد ذلك ، غير أنه سبحانه جعـل على من لم يرد أن يصوم ، لأنه يحس بحاجته الدائمة الى الغذاء أو رغبته القوية فى المتعة ، أن يطعم عن كل يوم مسكينا • وكانت الكفارة هى بالذات اطعام المساكين اشارة قوية الى المعنى الاجتماعى الذى يقصد من وراء تشريع الصيام ، والى وضوح حاجة المجتمع الى قوة الوعى الجماعى ، وتطبيق ذلك عمليا بالتعاون والتكافل والايثار ، وهنـا تبرز معانى الاشتراكية المثالية فى مجاليها المادى والروحى التى وضع الاسلام أساسها المتين على قاعدة الايمان والعقيدة والعبادة والتـدين • قال تعالى « وعلى الذين يطيقونه ـ أى يقومون به بشدة وكلفة ـ فدية طعام مسكين » ويبدو بعد ذلك حرص الاسلام على الجمع بين الرياضية الروحية بالصيام وبين البذل وخدمة المجتمع ، فى قوله تعـالى « فمن تطوع خيرا فهو خير له » أى من يتطوع بالصـيام مع الاطعام فهو خير له على ماقاله بعض المفسرين• كما يبدو حرص الاسـلام على كثرة البذل بالزيادة على القـدر الذى يكفى المسكين ، بما فسرت به الجملة السابقة بأن من تطوع خيرا باطعام المسكين فوق مايكفيه أو باطعام أكثر من مسكين فهو خير له •

٨ ـ ولما كانت بعض النفوس تميـل الى التضحية بالمال دون التضحية باللذة فى المطعم والمشرب والشهوة ، فهم يؤثرون أن يخرجوا كفارة ولا يكلفوا الصيام أرشدهم الله الى خير الأمرين ، وبين لهم أن الصوم أفضل من الفطر مع الكفارة ، فان الصيام الصحيح يدفع الى البذل دون حاجة الى من يأمر به ، فالاحساس بألم الجوع والعطش يسوق النفس الخيرة الى رحمـة الجائعين والعطف على البائسين قال تعالى « وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون »

٩ ـ وأخيرا بعـد أن نجحت التجربة وتمرن الناس على الصوم وأدركوا لذته ولمسوا فوائده الروحية والخلقية ، وآثاره الاجتماعية: تجىء الخطوة التالية وهى تعميم فرضيته وانهاء حكم التخير وبهـذا يتحتم على كل قادر أن يصوم فترة معينة من السنة اختار الله لها أن تكون هى شهر رمضان وذلك لحكمة عظمى أفاض العلماء فى بيانها كثيرا وأبقى التشريع على استثناء ذوى الظروف القاسية وبين الله أنه لايريد بهذا التكليف عنتا أومشقة، فهو أعلم بطاقاتهم ولكن يريد لهم الخير فى أنفسهم وفى مجتمعهم ، ولهذا يجب عليهم أن يقروا بعظمته وحكمته ، وأن يشكروه على هدايتـه وتربيته لهم قال تعالى « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للنـاس وبينات من الهدى والفرقان • فمن شهد منكم الشـهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » •

"أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم"

صدق رسول الله

أخلاق في الإسلام

فضيلة الشيخ
محمود الحصري

كان الاسلام ومازال ذلك الدين القيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمنارة الهادية ، والشعلة المتوقدة التى تتوهج فى قلب كل مؤمن بشريعة الحق شريعة رب العالمين المنزه عن الهوى لتزيده ايمانا وتملأه قوة وثباتا على الحق وفى الحق .

دعا الاسلام فيما دعا الى الحركة والضرب فى شعاب الأرض سعيا وراء الرزق ، والعلم والدعوة الى الخير والمحبة والصفاء .. قال سبحانه وتعالى فى محكم آياته :

« فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فان لذيذ العيش فى النصب

انى رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طلب وان لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب

كان هذا ما حرى بالرحالة العرب منذ فجر التاريخ الاسلامى الى العمل الدائب على نشر لواء الاسلام وتعاليمه فى كل أرض وطاتها أقدامهم بقصد التجارة والسعى وراء الرزق حينا والرحلة والمشاهدة حينا آخر ..

ومع أن جهودهم فى هذا المضمار كانت جهودا تتسم بالفردية الا أنها مهدت طريق الدعاة الى دعوة الناس للدخول فى دين الله أفواجا ..

وقد حدثتنا كتب التاريخ والسير عن أخبار الكثيرين من هؤلاء الرجال الذين قطعوا شوطا كبيرا من حياتهم يجولون فى شتى الاقطار والامصار ، وما كان لهم من شأن الا نشر الاسلام وتعاليمه ، والتعريف بقيمه ومبادئه على أوسع نطاق .

وكان من أشهر هؤلاء الرحالة العرب المسلمين أبو القاسم بن حوقل وعبد الله بن احمد بن سليم الاسوانى فقد كان لهما باع كبير فى العمل على نشر الاسلام فى القرن الرابع الهجرى فى ربوع الأراضى السودانية وما جاورها من بلاد الحبشة والصومال وغيرهما .

كذلك ابن بطوطه فى القرون الوسطى ورحلاته المشهورة حول العالم الاسلامى وفى العصر الحديث ظهرت رحلات أحمد فارس الشدياق وأمين الريحانى وغيرهم ، كما ظهرت رحلة رفاعة الطهطاوى الى باريس فى كتابه المعروف باسم « تلخيص الابريز فى تلخيص باريس »

ومما لاشك فيه أن هؤلاء الرحالة كانوا خير رسل لنشر الثقافة الاسلامية وحمل الدين الاسلامى الى ما وصلوا اليه من بقاع بعيدة وأقطار نائية فما منهم الا وعالم أو فقيه أو متحدث كل حسب ما يحمل بين ظهرانيه من أسباب العلم والمعرفة .

هكذا الرحلة منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا ..

ولقد كان لى الشرف ان أجول ببعض البلدان الاسلاميه الدين ، العربية اللغة ، أو البلدان الاسلامية الدين ولكنها ليست عربية اللغة ، خلال شهر رمضان المعظم من كل عام بغية احياء لياليه المباركة بالذكر الحكيم الذى انزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وقد تعودت فيما تعودت أن اقرأ كل ما كتب عن تاريخ دخول الاسلام البلد الذى أتاهب لزيارته قبل أن أزوره حتى أتعرف على نفسية أهله وعاداتهم وتقاليدهم الدينية وأطبق ما قرأت على ماشاهدت وأدون هذا كله حتى يكون بمثابة تعريف بأحوال اخوة لنا تجمعنا وأياهم صلة لاتنفصم عراها الا وهى صلة **شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله**

واليوم احكى لكم أخبار احدى جولاتى فى القطر العربى الاسلامى العراق الشقيق ... فما أن نزلت ارضه حتى استقبلت بالبشر والترحاب بالكرم العربى الأصيل أحسست أنى عشت بين أهلى وعشيرتى طيلة أيام شهر رمضان المعظم .

فى احدى جلساتى مع احد العلماء ، وفى حديث عن العراق حدثنى يقول :

« ان العراق يجاور جغرافيا ايران وتركيا وسوريا والاردن والعربية السعودية والكويت دخلها الاسلام عندما توافدت عليها القبائل العربية بعد الفتح الاسلامى تحمل التجارة ومعها مبادىء الاسلام السمحة لتنشرها بين الأهالى ، الأمر الذى مكن الاسلام على مر السنين فى هذه البقعة من الأرض بل وصبغ الناس بالصبغة الاسلامية الخالصة ؟

ولعلنى لمست ذلك جيدا من خلال ما رأيته من المظاهر الدينية المتوارثة أيام شهر رمضان

المعظم ، فترى المساجد العراقية كلها وقد زينت بالثريات وجلس الناس فى مجموعات حول الفقهاء ينهلون من معينهم خاصة فى المسجد الجامع ومسجد الرصافة ذات الطابع الاسلامى البحت وهذا المنظر الاسلامى الجميل لا يتكرر الا فى شهر رمضان التماسا للبركة وطلبا للغفران ..

كما رأيت أيضا من عادات أولى الأمر من حكام العراق ان يدعوا كل يوم بالقصر الجمهورى ما يقرب من الفى صائم من مختلف طوائف العراق كالعلماء والضباط والموظفين والتجار والصناع ، والأعيان ، لسماع تلاوة ماتيسر من آيات الذكر الحكيم .. الى ان يحين موعد أذان المغرب فيؤذن للصلاة ويتوجه المدعوون جميعا الى صلاة المغرب بالمسجد الذى أعد للصلاة بالقصر الجمهورى .

يؤم المصلين السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية وبعد الصلاة مباشرة يتوجهون الى موائد الطعام وبعده يشربون الشاى والقهوة ويتجاذبون أطراف الحديث وماهى الا برهة حتى يطلبون من السيد عبد السلام عارف ان يخطب فيهم فيتناول الحديث معهم الى قرب موعد صلاة العشاء فتترك فرصة لمن يريد الانصراف كى ينصرف

اما من يريد البقاء لصلاة العشاء والتراويح فله ان يبقى .

ولعلك معى داخل أحد مساجد العراق لتراها غاصة بالمصلين وترى أيضا حلقات الذكر ومدارسة القرآن الكريم والاستمتاع بالتواشيح الدينية التى تظل حتى صلاة العشاء حيث يقام بعدها صلاة التراويح .

ويقام فى العاصمة «بغداد» سرادق كبير يتلى فيه القرآن الكريم بعد الصلاة وحتى ساعة متأخرة من الليل ، يفد اليه الأهالى وكبار رجال الدولة والأعيان من كل مدن العراق تبركا بليالى الشهر الكريم .

ومن العادات الرمضانية التى رأيتها أثناء اقامتى بالعراق اقامة المآدب طوال أيام الشهر للفقراء والمساكين فى كل بيت من بيوت المسلمين القادرين ، ولهم أيضا عادة توارثوها وهى : بدء افطارهم بتناول حبات من التمر وكوب من اللبن سنة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .. ثم يصلون صلاة المغرب

وكما أن للصائمين الكبار عادات كذلك فللصغار عاداتهم ايضا .. فما ان ينتهى وقت تناول الفطور حتى تراهم يتسابقون فى الخروج الى الشوارع يغنون الاغانى والأهازيج التى تشبه الموشحات .. وتظل الشوارع تموج بهم طوال الليل ، وحتى موعد السحور حيث تسمع اصوات المسحرين الذين يوقظون من غلبه النوم .

كذلك رأيت الاحتفالات الدينية الهائلة التى تقام من منتصف الشهر حتى آخره ، كما أن هناك منها حفل كبير يحضره السيد عبد السلام عارف ، وهو الاحتفال بليلة القدر ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم .

وهكذا .. وعندما ينتهى شهر رمضان الكريم مودعا المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يطالعنا صباح أول ايام عيد الفطر المبارك ترى شيخ كل أسرة من الأسر العراقية حاملا زكاتها ليوزعها على الأسر المجاورة كل حسب ما يراه من حاجة .

هكذا رأيت العراق .. وما رأيت اكرم من أهله ومارأيت أدنى تغيير فى عاداته وتقاليده الاسلامية المتوارثة ، شهر رمضان المعظم فيه شهر عبادة وذكر .. يوحى الى قلب كل مؤمن بعظمة الاسلام قال نبى الهدى صلى الله عليه وسلم .

« ان الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامة فمن صامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »

والى هنا أقف بكم عند هذا القدر من مشاهداتى اثناء رحلتى القرآنية الى القطر العربى العراق الشقيق .. والى الملتقى فى رحلة اسلامية أخرى .

حلواء رمضان

الاستاذ على الجندى

فى اللغة :

الحلو : ضد المر . وحلا الشىء يحلو حلاوة ، واحلولى ايضا . والحلواء والحلوى بالمد والقصر : ما يؤكل . وحلى الشىء - بالتشديد - وأحلاه جعله حلوا ، والهمز غير قياس . واستحلى الشىء ، وتحلاه واحلولاه : بمعنى . وتقول : حلا بعينى وقلبى - كدعا - وحلى بعينى وقلبى - كرضى - ويقول الأصمعى : حلا فى الفم - كدعا - وحلى بالعين والقلب - كرضى - . والرجل حلو : وجمعه : حلوون - بضم فسكون والمرأة حلوة وجمعها حلوات - بضم فسكون كذلك .

الحلواء بعامة :

امتنا العربية - صانها الله ورعاها - أمة حلوه ، وهى لذلك تحب الحلواء !! وكان رسولها الأكرم خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وآله وسلم - يحب الحلواء ويحب العسل . وقد سأله ابن عباس - رضى الله عنهما : أى الشراب أفضل ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام : « الحلو البارد » . أى العسل .

ويقول ابو عبيدة : يقول العرب : كل طعام لا حلواء فيه ، فهو خداج !!

« الخداج ككتات . القاء الناقة ولدها لغير تمام » يعنى انه ناقص غير تام ولا كامل .

وقال رجل للاحنف بن قيس . لا شىء ابغض الى من الحلواء !! فأجابه الأحنف : رب ملوم لا ذنب له !!

وكانت الحلواء يختم بها الطعام كما نفعل نحن الآن، ومن كلام ابن القاسم : العوائد أحمد من الباديات ، والفوائد فى النتائج لا فى المقدمات ، كما ختم الطعام بالحلواء ، ونسخ الظلام بالضياء ، وبعث محمد خاتم الأنبياء !!

ويقول بختيشوع الحلواء كلها . حقها ان تؤكل بعد الطعام ، لأن للمعدة ثورانا عقب الامتلاء كثوران الفقاع ، فاذا صادفت الحلاوة سكنت !!

« الفقاع كرمان : شراب يرتفع الزبد فى اعلاه » .

ثم يقول : كلام الناس : ان فى المعدة زاوية لا تسدها الا الحلاوة على أصله !! والآكل - اذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها - وجد حواسه ناقصة !!

حلوانى اشتراكى .

حكى الزمخشرى فى ربيع الابرار . ان رجلا من الأغنياء اراد ان يطعم الفقراء الحلواء !! فاشترى أحمالا من السكر، وأمر ان يصنع منها مسجد ذو شرفات ومحاريب واعمدة منقوشة !!

ثم دعاهم اليه فهدموه ونهبوه وأكلوه !!

حلواء العرب :

أشهر الحلواء عند العرب :

١ - التمر مع الزبد ، ويحبه أهل البداوة بخاصة ؛ وفيه يقول الشعبى فقيه العراق : ما رايت فارسا احسن من زبد على تمر !! وانشد لبعض الشعراء

الا ليت لى خبزا تسربل رائبا
وخيلا من البرنى فارسها الزبد

« البرنى كنجدى التمر . يتمنى الشاعر خبزا مغموسا فى اللبن الرائب . وتمرا مفعما بالزبد »

وقال الحجاج لجلسائه يوما : ليكتب كل رجل فى رقعة احب الطعام اليه ، ويجعلها تحت مصلاه !!

فكتبوا جميعا : الزبد والتمر .

٢ - الخبيصة أو الخبيص . ويعمل فى الأصل من السمن والتمر ، وقد يعمل من العسل ونقى الدقيق .

وكان سفيان يقول : لابد للعاقل فى كل أربعين يوما من خبيصة تحفظ عليه قوته !!

وحكى مالك بن انس عن شيخه ربيعة الراى : ان اكل الخبيصة يزيد فى الدماغ !!

وأول من خبص الخبيصة عثمان - رضى الله عنه - ، فقد خلط بين العسل ونقى الدقيق ، ثم بعث به الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى منزل زوجته

السيدة « أم سلمة » فرفع الرسول الكريم وجهه الكريم الى السماء وقال : « اللهم ان عثمان يسترضيك فارض عنه !! »

٣ ـ الفالوذج أو الفالوذق ـ بفتح الذال .

ويقال له : الفالوذ . وفى شفاء الغليل : الفالوذ والفالوذق معربان عن « بالوذة » أى البالوظ.وهى حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، أو من لباب البر « القمح » والسمن والشهد .

وفى الحديث : أن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يأكل الدجاج والفالوذ .

وأول من صنعه فى العرب : عبدالله بن جدعان القرشى التيمى ، أكله عند كسرى فابتاع غلاما فارسيا وقدم به مكة فصنعه ، ووضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ودعا الناس ليأكلوه !!

وكانت جفانه يأكل منها القائم والراكب ،حتى أن صبيا وقع فى أحداها فغرق! فضرب بها المثل فى العظم! ويقول الثعالبى : أولى بضرب المثل : جفان سليمان ـ عليه السلام ـ التى يقول الله تعالى فيها « وجفان كالجواب»

من طرائف الفالوذج :

سمع الحسن البصرى قائلا: يعيب الفالوذج ، فقال لباب البر ، بلعاب النحل ، بخالص السمن !! ماعاب هذا مسلم قط !! ثم تلا قوله ـ تعالى ـ : « قل من حرم زينة التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وقيل لأبى الحارث جمين : ما تقول فى الفالوذج ؟ فقال: وددت أن الموت والفالوذج اعتلجا فى صدرى الى يوم القيامة !! والله لو أن موسى لقى فرعون بفالوذجة لآمن ، ولكنه لقيه بعصا !!

وقيل لأعرابى ـ على مائدة بعض الرؤساء ـ : لم يشبع أحد من الفالوذج الا مات !! فأمسك الاعرابى قليلا يفكر ويقدر !! ثم ضرب بيده الخمس ، وقال : استوصوا بعيالى خيرا !

وكان أحمد بن خالد وزير المأمون مضرب المثل فى الشراهة ، حتى قيل : انه ولى رجلا كورة جليلة « مدينة أو صقعا » لأنه أهدى اليه خوانا من الفالوذ !!

٤ ـ اللوزينج ـ بسكون الواو وكسر الزاى وفتح النون :

شبه القطائف ، يؤدم بدهن اللوز ، فارسى معرب . وكان يسمى عندهم : « قاضى الحلاوات » والمنافسة بينه وبين الفالوذج قوية عنيفة ، ويقصون فى ذلك : أن الرشيد وزبيدة اختلفا فيهما أيهما أطيب) فاحتكما الى القاضى أبى يوسف ، فقال .ياأمير المؤمنين لا يقضى بين غائبين !! فاذا حضر الخصمان حكمت بينهما !! فجىء اليه بطبق من كل منهما !! فجعل يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة حتى أتى عليهما !!

ثم قال : والله ، يا أمير المؤمنين ، كلما أردت أن أقضى لأحدهما جاء الآخر بحجته !!

فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار .. وأمرت له زبيدة الا واحدا ، تأدبا مع الخليفة !

وقيل لبعضهم : التمر يسبح فى البطن ، فقال : على هذا التقدير ، اللوزينج يصلى فى البطن التراويح !!

حلواء رمضان :

تؤكل الحلواء فى كل زمان ومكان ولكن ثلاث منها يكثر صنعها وأكلها فى شهر الصيام ، وهى الكنافة ، والقطائف ثم الزلابية .

ومن العقائد الموروثة : أن للحلواء أثرا محمودا فى رد قوة الصائم اليه ، يقول وهب بن منبه : اذا صام الرجل زاغ بصره !! فاذا أفطر على الحلواء رجع اليه ! وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام « يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم تكن رطبات فتمرات ، فان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء » رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

ويقول الدكتور نجيب عبد السلام طبيب العيون المشهور : ان الصائم عادة يكثر من أكل الحلواء ، وهذا يفيد العيون عموما ، والعيون المريضة على وجه الخصوص !!

وقد بلغ من شهرة الكنافة والقطائف : أن جلال الدين السيوطى جمع ما قيل فيهما فى كتاب سماه : « منهل اللطائف فى الكنافة والقطائف » !!

الكنافة :

يذكر ابن فضل الله العمرى : أن أول من اتخذ الكنافة من العرب معاوية بن أبى سفيان زمن ولايته الشام فى عهد الخليفة عثمان ، وكان يأكلها فى السحور ، وذلك انه شكا الى طبيبه الجوع ـ وكان معاوية من الأكلة المعروفين ـ فوصفها له !! ولا يزال أهل الشام من أبرع الناس فى صنع الكنافة وهم يحشونها بالصنوبر !! وقد وصف الكنافة كثير من شعراء مصر ، فمن ذلك قول أبى الحسين الجزار المصرى ، وهو من المكثرين فيها :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لأوقات « المخلل » انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وفى القطر تورية ، والمعنى البعيد المراد : ما تسقى به الكنافة من العسل وذوب السكر .

ويقول ابن نباتة :

لجود قاضى القضاة أشكو
عجزى عن الحلو فى صيامى
والقطر أرجو وما عجيب
للقطر يرجى من الغمام

القطائف :

والقطائف : طعام يسوى من الدقيق المرقق بالماء ، شبهت بخمل القطيفة التى تفرش . والتشبيه صحيح لأن القطيفة دثار مخمل . انظر لسان العرب والصحاح .

وفى القاموس القطائف المأكولة لا تعرفها العرب ، أو لما عليها من نحو خمل القطيفة الملبوسة .

ويقول الصفدى يصفها ـ وقد استعمل التضمين ـ :

رعى الله نعماك التى من أقلها
قطائف من قطر «النبات» لها قطر
أمد لها كفى فاهتز فرحة
«كما انتفض العصفور بلله القطر»

« يريد بقطر النبات : دوب سكر النبات » .

ويقول آخر :

قطائف قد حشيت باللوز
والعسل الماذى والجوز

تسبح فى آذى دهن الجوز
سررت لما وقعت فى حوزى

سرور عباس بقرب فوز

« الماذى » : العسل الابيض . والآذى : الموج . وعباس الشاعر العباسى : العباس بن الأحنف . وفوز : معشوقته

وبعض الشعراء يفضل القطائف على الكنافة ، وفى ذلك يقول سعد الدين بن عربى :

قال القطائف للكنافة ما
بالى أراك رقيقة الجسد ؟

أنا بالقلوب حلاوتى حشيت
فتقطعى من كثرة الحسد

الزلابية :

قيل : هى مولدة ، والصحيح انها عربية لورودها فى رجز قديم . ولم يكثر الشعراء من وصفها كالكنافة والقطائف . ومن قول ابن الرومى يصفها ويصف قالبه وكان - عفا الله عنه - من المفهومين بالوان الطعام !! :

ومستقر على كرسيه تعب
روحى الفداء له من منصب تعب

رأيته سحرا يقلى زلابية
فى رقة القشر والتجويف كالقصب

يلقى العجين لجينا من أنامله
فيستحيل شبابيكا من الذهب

ومما يتصل بهذا . ان اهل بلدنا معروفون بصنع حلواء تدعى « فطيرة الصحن » وتصنع للضيوف فى رمضان ، وقد أكلها عندى الصديق المرحوم الشاعر الكبير محمدالأسمر ، فحدث بهابعض الأخوان ، فحتموا على أن اصنعها لهم بكمية كبيرة ، كان فيها « خراب البيت وكب الزيت » كما نقول فى الصعيد !! فقلت فى ذلك هذه القصيدة الفكاهية :

عذيرى من الشاعر العبقرى
وان كان عندى أبر الصحاب

جنى !! والجناية من مثله
- على شرف القصد - فوق العتاب

شدا بالفطيرة شدو الهزار
على عذبات الغصون الرطاب

وشهرها بين اهل القريض
فكل من الغيظ يفرى اهابى

وجاء الى منزلى عشر
غلاظ الرقاب يدقون بابى

وصاحوا بى : اخرج عداك الاما
ن فيومك مثل جناح الغراب

حكمنا عليك فخل الخلاف
فانف المخالف تحت التراب

وعجل بها كاكف الملاح
تانق فى صبغها بالخضاب

ومحشوة بالزبيب الأحم
ومسقية بالشهاد المذاب

اذا جال فيها بنان الاديب
تنسم منها اريج الملاب

وان أوغلت يده فى الصميم
اتته بكل عجيب عجاب

ذخائر فى جوفها أودعت
كما سكن الدر جوف العباب

وان زدت فى الكرم الحاتمى
فاهلا بها بعد أكل « الكباب »

فمزقت ثوبى لفرط الأسى
وصحت بملء فمى : يا خرابى

وقلت : لهم قصة صاغها
اديب يحلق فوق السحاب

فلا تؤمنوا بالذى قاله
وان كان ينطق فصل الخطاب

صديق يشيد بقدر الصديق
ويضفى عليه قشيب الثياب

وقد يكذب الشاعر العبقرى
وخير من الصدق بعض الكذاب

أترضون ان نقودى تبيد
وقد جمعت من « دموع الكلاب »

سارحل عن منزلى القاهرى
الى الريف. والريف خصب الجنات

وان ادم جسمى لذع البعوض
وان صك سمعى طنين الذباب

وابقى هنالك فى معزل
الى ان يحين أوان « الحساب »

وكيف بصبرى على عيشة
تسلم ذقنى لكف « المرابى »

وقد يهجر المرء اوطانه
اذا وجد الأمن فى الاغتراب

نسال الله ان يعيننا على صيام هذا الشهر الميمون وقيامه وان يتقبلهما منا ، وان يعيده على الأمة العربية والأمم الاسلامية بالخير والسعادة والرفعة والعزه امين ■

شهر رمضان

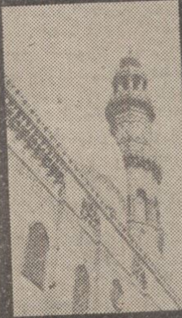

أفضل الشهور على الإطلاق

الأستاذ محمد محمد السباعى

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

قضت حكمة العليم الخبير أن يكون فى الناس وفى سائر الاشياء والمخلوقات فاضل ومفضول بما أودعه من مميزات وخصائص فى بعضها دون البعض الآخر . يمنح هذا تفضلا منه ورحمة ويمنع ذاك لحكمة سبق عليه بها فى الازل . فهناك رسل أفضل من رسل وانبياء خير من أنبياء والله أعلم حيث يجعل رسالته « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » .

وهناك ناس أفضل من ناس بالتقوى والعمل الصالح « انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » حتى العلماء يتفاضلون وفوق كل ذى علم عليم .

وهناك أيضا بعض الايام أفضل من بعض فايام الاعياد والايام التى لها مناسبات وذكريات دينية تفضل غيرها من الايام وورد أن يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وانه بمثابة عيد عند المسلمين ولذلك فانه لا يجوز صيام هذا اليوم منفردا وقيل ان فيه ساعة اجابة يستجاب فيها الدعاء اذا دعا فيها المؤمن تفضل عليه رب العزة بالاجابة ويقول صلى الله عليه وسلم : ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة . واليوم المشهود الذى أقسم به الله تعالى فى القرآن قالوا انه هو يوم الجمعة .

حتى البلاد — حتى المساجد فيها فاضل ومفضول فأفضل البلاد مكة المكرمة وهى بيت الله الحرام وتليها المدينة المنورة التى ولد بها النبى محمد عليه الصلاة والسلام وأفضل المساجد وأشرفها المسجد الحرام بمكة والمسجد الاقصى بالقدس ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وقالوا ان الصلاة الوسطى افضل الصلوات المكتوبة لقوله تعالى فى كتابه العزيز :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » اما ماهى هذه الصلاة الوسطى المفضلة فقد قال بعضهم انها صلاة العصر مستدلا على ذلك بقوله « والعصر ان الانسان لفى خسر » وقال بعضهم غير ذلك وعلى العموم فقد اختلف فى تعيينها ولعل فى خفائها على الناس سرا حتى يحافظوا على الصلوات كلها .

ووقت السحر أفضل الاوقات على الاطلاق وأنسبها للعبادة وللاتصال الروحى برب الارباب ففى هذا الوقت والناس نيام فى مراقدهم يناجى العبد المخلص ذو القلب الخاشع ربه راكعا أو ساجدا أو قائما أو قاعدا وكأنه على ميعاد مع أرحم الراحمين الذى ينادى عباده فى مثل هذا الوقت ويدعوهم اليه قائلا . هل من تائب فأتوب عليه! هل من مستغفر فاغفر له ..! هل من سائل فاعطيه ..! هل من كذا .. هل من كذا حتى مطلع الفجر .

بل ان بعض الحيوانات والطيور والاشجار والازهار والاثمار تفوق غيرها حسنا وجمالا ورونقا وبهاء وتيها ودلالا ومذاقا وشذى وعطرا — ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار . الذين أدركوا بفطرهم السليمة أن الذى خلق هذا العالم وأبدعه اله قادر عظيم . فسبحانه قد أنشأ الخلق بقدرته ونظمه بحكمته ورتبه وفق ارادته وذلله لاهل طاعته وجعل منه دليلا على وجوده ووحدانيته وسبيلا الى مرضاته وطريقا الى جنة أعدها لأحبائه والصالحين من عباده حيث ينعمون فيها بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أخى المسلم الكريم – ما ظنك بعد هذا الاستطراد في ضرب الامثلة اعتقد انه لا عجب ولا غرابة اذا كان الله تبارك وتعالى قد فضل شهر رمضان وميزه عن سائر الأشهر وخصه بمزيد من الفضل وكثير من الخيرلأسباب تتصل كلها برحمته لانه رحمن رحيم . وقد أدرك رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم هذا الفضل فقال :

« أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء وينظر فيه الى تنافسكم فى الخير ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقى من حرم من رحمة الله عز وجل » .

أما لماذا خص الله تعالى هذا الشهر بهذا الفضل فذلك لأسباب كثيرة نذكر منها :

١ – نزول القرآن الكريم فى شهر رمضان .
٢ – وقوع ليلة القدر فى شهر رمضان
٣ – صيام شهر كامل هو شهر رمضان
٤ – كثرة العبادة والطاعة فى شهر رمضان .
٥ – اشاعة روح المحبة والتعاطف والتعاون فى شهر رمضان .
٦ – كثرة النفحات وزيادة البركات وافاضة الخيرات فى شهر رمضان .
٧ – طهرة النفوس بفضل زكاة الفطر فى شهر رمضان .

ولنتحدث بشىء من التفصيل عن كل ميزة من هذه الميزات والله المستعان .

١ – نزول القرآن الكريم فى شهر رمضان

القرآن الكريم كتاب الله تبارك وتعالى قدمه لعباده بقوله : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا » .

وهذه التقدمة البليغة قد بينت مقاصد القرآن الكريم فقد هدى الله به الناس بعد أن كانوا فى حيرة وفى بلبلة وانقذ البشرية من الضلالة التى اركست فيها مئات السنين . اذ أن الكتب السماوية السابقة لعبت بها الايدى ونالها التحريف والتزييف والتبديل لتوافق أهواء الحاكمين ومن فى أيديهم سلطة توجيه الناس الى ما يريدون . فكانت نتيجة ذلك كله الضلال المبين والبعد عن طريق النور .

فلما جاء القرآن وسلط أضواءه الكاشفة بددالظلمات وأوضح الرؤية وقذف نوره فى قلوب آمنت بالحق لما جاءهم وصدقت بكلمات الله ورسله وتعلقت بحب أستاذ البشرية وقرة عين الانسانية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم – فالقرآن الكريم كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

ومالهم لا يشغفون به والرسول يخاطبهم بلسان القرآن: قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين .

قبل نزول هذا القرآن كان هناك ضلال ما بعده ضلال ضلال فى العقائد وضلال فى معاملات الناس بعضهم لبعض وضلال فى سلوكهم وضلال فى قلوبهم وفى أفهامهم وعقولهم الى ان بعث الله نبيه ومصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم بقرآن كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . جاء ليصحح الأوضاع ويقوم ما اعوج من الاخلاق ويعيد الطريق ويوضح الرؤية حتى يحيا من يحيا عن بينة ويهلك من يهلك عن بينة . فكان مجيئه صلى الله عليه وسلم وفى بمناه القرآن الكريم رحمه للعالمين ونورا يهتدى به السالكون فى ظلمات البر والبحر وفى خضم الحياة .

من أجل هذا أثنى عليه ربه بقوله : يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

ولهذا كان القرآن هو المعجزة الكبرى لمحمد صلى الله عليه وسلم تحدى به الكفار والمشركين ومن وقفوا منه موقف المعاندين والمكذبين فدعاهم أن يأتوا بمثله أو بمثل أصغر سورة منه فما استطاعوا ولن يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

لقد كان هذا القرآن وسوف يظل دائما مضرب الامثال للبلاغة البالغة والفصاحة السامقة والحكمة العالية والاخلاق الرفيعة والسلوك الحسن . أوضح بجلاء اخلاق وأحوال وعادات الامم السابقة ومعتقداتها ومواقفها من الانبياء وقص علينا أبلغ القصص عن تصرفات المناوئين لرسلهم وعاقبة أمرهم فاهلك الله الكافرين بعدله ونجى المؤمنين بكرمه وفضله .

لم يترك القرآن شاردة ولا واردة ولا كبيرة ولا صغيرة الا احصاها فلقد اشتمل على أصح العقائد والاخلاق والاحكام . لا تتغير معالمه بتغير الازمان ولا تتبدل أحكامه بتبديل العصور فهو دستور الحياة وقوامها وهو اصل العلوم والمعارف وأساسها . لا غنى للبشرية عنه وقد تولى الحكيم العزيز حفظه بنفسه اذ يقول : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وفى هذا القرآن الكريم يقول الرسول العظيم أستاذ الانسانية الاكبر ومعلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم يصف هذا القرآن :

كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم . وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به . من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم . » رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه .

لقد اشاد هذا القرآن بالحكمة والحكماء ونوه بفضل العلم والعلماء . فقال جل شانه :

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب .

وقال فى شأن العلماء : انما يخشى الله من عباده العلماء .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » .

ويكفى العلم والعلماء شرفا فى اى عصر من عصور الحضارة والمدنية ان الله تبارك وتعالى الذى علم الانسان مالم يعلم .

اقسم بالقلم فى محكم كتابه الكريم حين قال : « ن . والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون » . وما ذلك الا لان القلم آلة الفهم والادراك ومصدر العلوم والمعارف والثقافة على اختلاف انواعها .

ذلك قبس عن القرآن الكريم الذى ختم الله به الكتب السماوية ونسخ به الرسالات السابقة ونزل على النبى صلى الله عليه وسلم وكان بدء نزوله فى شهر رمضان .

لهذا كان شهر رمضان افضل الشهور على الاطلاق .

٢ ـ ليلة القدر فى رمضان

« انا انزلناه فى ليلة القدر . وماادراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر »

قرآن كريم

« من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » .

حديث شريف

نزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر وهى ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم .

ويصف رب العزة سبحانه وتعالى هذه الليلة بانها خير من الف شهر اذ تتنزل الملائكة والأمين جبريل فى هذه الليلة المباركة . يتنزلون باذن ربهم من العالم الروحانى ويخالطون النفوس الآمنة المطمئنة والقلوب الصافية العامرة بالايمان المخلصة لله الواحد القهار والتى تقضى ليلها فى تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وتعظيم من بيده مقاليد الأمور ومقلب القلوب والأبصار وتظل هذه الليلة المباركة هى والمقيمون لها فى خير ويمن وسلام حتى مطلع الفجر .

وسميت هذه الليلة ليلة القدر لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس الى ما ينقذهم مما كانوا فيه ـ أو القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم فلان له قدر اى لهشرف وعظمة لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة. هذا ما يقوله المرحوم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تفسيره لكلمة القدر وهو تفسير معقول وكلام له شرف وقدر .

بقى أن نتأكد من ان ليلة القدر تأتى فى رمضان أو أن شهر رمضان كان ظرفا لهذه الليلة العظيمة .

يقول الله تبارك وتعالى : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .

ومفهوم هذا ان بدء نزول القرآن كان فى شهر رمضان من غير جدال .

ويقول سبحانه : انا انزلناه فى ليلة القدر .

ومفهوم هذا أيضا أن القرآن كان بدء نزوله فى ليلة القدر .

ويستدل من مقابلة الآيتين ببعضهما والجمع بينهما ان ليلة القدر وقعت فى شهر رمضان .

اذن من المؤكد أن ليلة القدر هى ليلة من ليالى شهر رمضان ولكن أى ليلة هى على التحقيق . ذلك علمه عند الله . ويقول المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى هذا الشأن « وكتاب الله لم يعينها وما ورد فى الأحاديث من ذكرها انما قصد به حث المؤمنين على احيائها بالعبادة شكرا لله تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذى ابتدأ الله افاضته فيهم فى اثنائها ولهم أن يعبدوا الله فيها افرادا وجماعات فمن رجع عنده خبر فى ليلة احياها ومن أراد أن يوافقها على التحقيق فعليه أن يشكر الله بالفراغ اليه بالعبادة فى الشهر كله وهذا هو السر فى عدم تعيينها » .

وقد وصف الله هذه الليلة المباركة فى سورة الدخان بقوله : « حم . والكتاب المبين . انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم » .

فالليلة اذن مباركة من غير شك يفرق فيها كل أمر حكيم صادر من قبل الله رب العالمين الموصوف بانه رحمن رحيم وانه سميع عليم . والليلة لذلك خير من الف شهر حيث قد مضى على الامم آلاف من الشهور وهم يتخبطون فى ظلمات الضلال وليلة يسطع فيها نور الهدى خير من الف شهر من شهورهم الأولى .

هذه الليلة المباركة العظيمة هى ليلة من ليالى شهر رمضان كما رأيت .

وبفضل هذه الليلة استحق شهر رمضان ان يكون افضل الشهور على الاطلاق .

٣ ـ صيام شهر رمضان

« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

حديث شريف

« ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه احد غيرهم . يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »

رواه البخارى

فرض الله تبارك وتعالى الصوم على عباده من قديم الزمان بدليل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »

والصوم فضلا عن كونه عبادة تقرب العبد من مولاه القوى العزيز وتدنيه من خالقه الواحد القهار فهو جماع للخير كله لما تنطوى عليه هذه العبادة من حكم بالغة وأسرار عظيمة فكم فيه من صبر وقوة عزيمة وصلابة ارادة وطهارة نفس وكم فيه من صقل فكر وصفاء قريحة. فاذا اضفنا الى ذلك تخلص بدن الصائم من الفضلات الزائدة ومما تراكم داخله من الشحوم والدهون خلال العام المنصرم كان الصوم عاملا اخلاقيا وتربويا وصحيا يظهر أثره فى سلوك الناس وفى معاملتهم للاخرين وفيما يبدو عليهم من روحانية لا يتوفر وجودها فى غير هذا الشهر .

يشعر الصائم خلال صومه بحاجة الفقراء والمساكين الذين يظلون طوال العام يتضورون جوعا وعراء . الجوع ينهك قواهم ويفت فى عضدهم والعراء يمكن البرد القارس والحر الشديد من الفتك بهم . فاذا ما أدرك الصائم حال هؤلاء ولمس بطريقة عملية مايقاسونه لان قلبه ورق شعوره وسما وجدانه وتحركت فيه عوامل الايثار ونوازع الخير واندفع مسرعا الى اغاثة الملهوف ومساعدة ذوى الحاجة ونراه يتفاعل مع بنى جنسه . اذ ذاك تنعكس عليه صورة المؤمن الذى لا يتم ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويصبح هو ومن يخالطونه ويعيشون معه فى صعيد واحد كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ان طبيعة الصوم واحكامه وآدابه تحول بين الصائم وبين ايذاء الغير وملابسة الحرام ومقارفة المنكروالشبهات فيعيش فى حالة من الطهر والزهد والتقشف وكأنه ملاك طاهر هبط من السماء ليمشى على الارض بين الناس .

يفعل الصائم ذلك ابتغاء مرضاة الله وامتثالا لحرمة الصوم وانعطافا لقول الله تعالى فى حديثه القدسى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه ـ وفى رواية : يترك طعامه « أى الصائم » وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها .

فلهذه المزايا الماثلة فى فريضة الصوم ولغيرها مما لم يتسع المقام لذكره كان شهر رمضان أفضل الشهور على الاطلاق .

٤ – العبادة فى رمضان

« من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها » .

ان فضل الله كبير ورحمته وسعت كل شيء واقتضت حكمته أن من عمل حسنة كان له عشر أمثالها ومن هم بحسنة وحيل بينه وبين أدائها كتبت له حسنة ومن عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن هم بسيئة ولم يعملها طواعية واختيارا فلا اثم عليه ومن لم يعملها بسبب خارج عن ارادته فرحمة الله واسعة وارادته هى النافذة ولا معقب لحكمه .

هذه هى القاعدة العامة .

ولكن فى شهر رمضان تضاعف الحسنات وتضاعف على غير قاعدة معروفة حتى لا يعلم منتهاها الا الله الذى وسع كرسيه السموات والارض .

فلا عجب ان نرى هذا الشهر الكريم موسما للطاعات وميقاتا لاقبال الناس على المساجد وبيوت الله محافظين على الصلوات عاكفين على ذكر الله وشكره وتسبيحه فى غدوهم ورواحهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ويقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد . فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب .

ان هم كل صائم فى رمضان ان يحافظ على صحة صومه بالمحافظة على أحكامه وآدابه فكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع . ولذلك فان الصائم صوما حقيقيا فى عبادة دائمة والصائمون العاكفون هم حقا عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .. والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما . أولئك يتقبل الله صيامهم ويتقبل منهم احسن ما عملوا ويجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما .

يبلغ الصائم العابد العاكف هذه المنزلة الرفيعة فى شهر رمضان . فما أعظمه وما أكرمه من شهر !

لهذا كان شهر رمضان أفضل الشهور على الاطلاق .

٥ – رمضان شهر التعاطف والبر والاحسان .

٦ – تكثر النفحات وتزيد البركات ويعم الخير فى شهر رمضان .

٧ – تزكو النفوس وتزول الاحقاد بزكاة الفطر فى شهر رمضان .

حينما يقبل شهر رمضان من كل عام ترى الناس وقد ابتهجت نفوسهم وانشرحت صدورهم وشاعت الفرحة فى الأبدان لعلمهم انه شهر التعاطف والمحبة والتعاون والبر والاحسان والسمو الروحى .

يتسابق الناس فيه على اختلاف ميولهم ونزعاتهم ومشاربهم الى فعل الخير فيتعاطفون ويتراحمون ويتزاورون ويتجاذبون اطراف الحديث البرىء فلا يصدر منهم كلمة نابية او عبارة جافية او اشارة لاذعة او لمحة جارحة اذ يرون ذلك منافيا لآداب الصوم واحكامه . فلا كذب ولا خيانة ولا غش ولا زور ولا بهتان ولا غيبة ولا نميمة ولا حسد ولا حقد يحب بعضهم بعضا وكأنهم أسرة واحدة يفرح الواحد منهم لفرح اخيه ويساعد غنيهم فقيرهم ويعين قويهم ضعيفهم ويمد ذو المروءة والجاه يده الى من ولت عنه الدنيا وادارت ظهرها له الأيام وتنكرت له أسباب الرزق وضاقت فى وجهه سبل الحياة .

وانك لن تجد شهرا آخر غير هذا الشهر العظيم تهبط فيه الرحمات وتكثر فيه الخيرات وتعم فيه البركات ويرفع فيه العمل الصالح وترفرف فيه على الصائمين الوية السعادة والنعيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

كيف لا وتقواهم التى يتحلون بها فى هذا الشهر الكريم تجعلهم فى عداد الملائكة ويجعل الله لهم بها مخرجا من كل ضيق وفرجا من كل كرب ويرزقهم بها رزقا واسعا حسنا – كيف لا وقد استقاموا على الطريقة وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط العزيز الحميد الذى له ما فى السموات وما فى الأرض والذى هداهم الى الاسلام ووفقهم الى صيام شهر رمضان . لابد وان ينفذ فيهم وعد الله وان يصدق فيهم قوله : « وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » أى أغناهم الله وبسط أرزاقهم . وقوله « استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكل جنات ويجعل لكم أنهارا .. »

وليس بعد هذه السعادة سعادة لمستزيد – ان فى ذلك لذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

أما زكاة الفطر فهى من أقرب القربات الى الله تعالى وهى ركن ركين من أركان الاسلام جعلها الله زكاة للنفوس وطهرة للصائم من اللغو والرفث وهى غياث للمستغيثين واسعاف للمحتاجين وعون فى يوم العيد للفقراء والمساكين بها تطيب نفوسهم وينسون مرارة الحرمان وترتسم على وجوههم ووجوه أبنائهم اشراقة جميلة وابتسامة حلوة فيأكل ويلبس هؤلاء كما يأكل ويلبس الأغنياء أو أواسط الناس . ويروح أطفالهم ويغدون ويمرحون ويلهون ويلعبون كما يفعل ابناء الموسرين – ثم هى بعد ذلك كله أى الزكاة سبب لقبول صيام الصائمين حيث ورد ان صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع « أى لا يقبل » الا بزكاة الفطر . لهذا كله كان شهر رمضان أفضل الشهور على الأطلاق .

ولولا أن الله تعالى أكرم هذه الأمة المحمدية فجعلها من خيار الأمم بل خير أمة اخرجت للناس لما تفضل عليها كل عام بنفحات هذا الشهر العظيم – شهر رمضان الكريم ذلكم الشهر الذى تسمو فيه القيم الروحية والأخلاقية وتتآلف فيه القلوب وتتحد فيه المشاعر وتغفر فيه الذنوب وتمحى فيه السيئات وترفع فيه درجات الصائمين والمؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون .

ولاختتم هذه الكلمة بحديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اذا جاء شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصفدت الشياطين ونادى مناد : يا باغى الخير اقبل ويا باغى الشر اقصر »

شهر رمضان

وتربية الشخصية

الدكتور سعد الدين الجيزاوي

من الاهداف العليا التى رمت اليها مبادىء الاسلام غرس الشعور بالمسئوليه الشخصية فى نفس المسلم ، وخلق الرقابة الذاتية بين جوانحه ، واقامة ضميره مقام المحاسب على كل مايصدر منه من اعمال ، حتى يصبح المرء فى كل حين وهو يزن اعماله بميزان عادل ، لايشعر فى مقاييسه بغبن ولا فى تقديراته بظلم لانه هو الذى يحكم على نفسه وهو حينئذ ادرى بما صدر منه • واصدق حسا فى تقديره . واقدر على اصلاح مايجده فى تصرفاته من خلل او تقصير • فيكون الانسان المنشود الذى يصلح ان يصبح عضوا نافعا فى مجتمع سليم •

ان اساس المجتمع السليم هو الافراد الصالحون • وكيفما كانت صلاحية القوانين الوضعية التى تسن لقيادة الافراد والجماعات ، فانها - ابدا - بحاجة ماسة الى سلطة الضمير ، وشعور الفرد بالمسئولية الشخصية التى تنبع من الشعور بالمسئواية الكبرى امام رب العالمين فى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم •

ولو أننا تتبعنا آيات الكتاب الكريم ، وسنة الرسول الامين ، لوجدنا عناية فائقة بالتوجيه نحو المسئولية الشخصية التى تجعل المرء كيانا مستقلا فلا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يعتمد فى نجاته على عظيم او كبير ولو كان اقرب المقربين اليه •

ان القرآن الكريم يرسم لنا خطوطا واضحة المعالم نحو تحمل المسئولية الشخصية فمعصية الابن لايغفرها صلاح الاب ، ولو كان الاب نبيا قال نوح : « رب . ان ابنى من اهلى ، وان وعدك الحق ، وانت احكم الحاكمين » • قال : « يانوح ، انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح . فلا تسالن ماليس لك به علم ، انى اعظك ان تكون من الجاهلين » • ومعصية الاب لايغفرها صلاح الابن • ولو كان الابن نبيا « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه • ان ابراهيم لأواه حليم • »

وهكذا ، فان صلاح الزوجة لاينفع زوجها ان كان من الكافرين كما تقرا فى قصة امراة فرعون وصلاح الزوج لا يغنى عن فساد زوجته شيئا كما نقرا فى قصتى نوح ولوط عليهما السلام •

وهذا واضح صريح فى ان كل امرىء مسئول عما اجترم من الخطايا « يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ماعملت ، وهم لايظلمون » ولا يقع الاحتجاج بتاثير المتبوعين واستضعاف التابعين •« اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا • وراوا العذاب ، وتقطعت بهم الاسباب » •

ورسولنا الامين عليه صلوات الله وسلامه يقول لابنته فاطمة وعمته صفية « اعلمى يافاطمة بنت محمد ان محمدا لايغنى عنك من الله شيئا . واعلمى ياصفية عمة رسول الله ان رسول الله لايغنى عنك من الله شيئا •• « ولقد كان اول نداء وجهه الرسول الكريم يعالن العرب بدعوة الاسلام حين صعد على الصفا ، مضمنا التوجيه الى المسئواية الشخصية « والله لتموتن كما تنامون ••• ولتبعثن كما تستيقظون . ولتحاسبن على ماتعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا •• »

ويجمع الرسول التحذير من الغاء شخصية المرء فى عبارة جامعة من جوامع كلمه : « لا يكن احدكم امعة ، يقول : ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسات •• »

ان العبادات المتنوعة التى شرعها الله لعباده تهدف جميعها الى اشعار المرء بكيانه ومنزلته بين المخلوقات ، وتوجه نظره الى انه مثاب ان هو اطاع واتبع ومعاقب ان هو خالف وعصى لان هذه العبادات تؤدى به الى سبل الامن •• والسلامة ونقاء الضمير •

ولننظر الى شهر رمضان ومكانته بين الشهور • وما شرع الله فيه من تعبد بالصوم لنرى اثر ذلك وصداه فى شخصية المسلم المنشودة •

ان ايام شهر رمضان ولياليه ، هي ايام وليال كغيرها من سائر الايام والليالي تشرق شمسها عند كل صباح ، وتغرب عند كل مساء ، وهي تتراوح بين الطول والقصر .. وفقا لنظام الفصول الفلكية .. ولكن : يشعر الناس بشخصية خاصة لهذا الشهر المبارك تميزه على سائر الشهور وتميز ايامه ولياليه على سائر الايام والليالي

واول مايلاحظ على شخصيه هذا الشهر هو الالتفات الى حركة الزمن عندما يحين اوانه ، وتحرى رؤية هلاله في اهتمام بالغ من سائر الشعوب الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ذلك لان الصوم - وهو احد اركان الاسلام الخمسة - لايصح الا بعد التاكد من ان زمنا معينا قد بدا فعلا بظهور هلال رمضان . ذلك الهلال الذى ياخذ في النمو حتى يصير بدرا ، ثم ياخذ في النقصان حتى يتم دورته في ابراجه المقدورة ، ثم يظهر اهتمام المسلمين مرة اخرى للتاكد من انتهاء تلك الدورة لينهوا صومهم الذى لايصح بعد التاكد من مولد هلال جديد - ونحن نعلم من دروس الفقه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى المسلمين عن صوم يوم الشك لاحتمال ان يكون من شهر آخر ، فلا يصح صومه على انه من ايام رمضان .

وعندما ندقق النظر في الاهتمام بتحديد ذلك الاطار للفترة من الزمن نجد انفسنا امام شخصيه معنوية قد سيطرت على مقدار معدود من الايام ، وتحكمت في تصرفات المسلمين فيها وفق نظام محدد قد رسمته تعاليم الشرع الشريف . واعتبره الاسلام ركنا من اركانه ذلك هو صوم رمضان . وعندما يطبق ذلك التحكم وتلك التصرفات في غير شهر رمضان يكون لها في الشرع حكم اخر اذ لاتكون فرضا يكمل به اسلام المسلم مع تشابه المؤدى في الحالتين .

ونلاحظ كذلك ان ساعات الليل والنهار والدقائق ، تسير في ايام رمضان .. كغيرها ولكن مابال المسلمين يلتفتون الى سيرها التفاتا غير مالوف في سائر الايام ؟

انها هنا تحدد وقت التعبد فلو زادت عن القدر المحدود او نقصت لفسد الصوم . فلو ان المسلم استيقظ من نومه بعد اذان الفجر لادرك على الفور ان حكما قد صدر بعدم سحوره . ومن الذى اصدر هذا الحكم ؟ انها الساعات والدقائق انها شخصية الزمن المحدد للصوم ولا يستطيع احدنا ان يخرق هذا الحكم لاننا لانملك ارجاع الزمن ولا مخالفة الحكم الذى اصدره اذا كنا على علم سابق بان تعبدنا بالصوم يتوقف على احترام الفترة المحدده من الزمن لاباحة تناول المفطرات وقد مضت . وكذلك الحال لو ان احدنا ظن ان وقت الافطار قد حان فافطر ثم اتضح له ان الشمس لم تغب

وملحوظة ثالثة : ان الصائم يخلو بنفسه ، ويامن مراقبه الناس ان اراد . ولكنه يشعر بان هناك رقابة اقوى من رقابة الناس ، بعثها الضمير والخوف من الله والرغبة في اداء صومه كاملا .. فما الذى يحكم كل ذلك ويجعل الصائم يشعر بانه ممنوع من تناول ماهو حلال ؟ انه شخصية الزمن المحدد لفترة الامتناع ، فترة الصوم المشروعة . وهنا تبرز لنا حقيقة واضحة ، هي ان التعبد بالصوم في رمضان لايؤدى بالحرمان من المفطرات وحده . بل كذلك باحترام ذلك الوقت المحدد من الزمن .. الذى يتحتم فيه الحرمان . اذ لو كان الامر مقصورا على الحرمان وحده لامكن تحديد ساعات ايا كانت للامتناع عن المفطرات فكان الانسان يستطيع مثلا ان يريد ساعتين عن وقت الامساك ولو في حالات الاضطرار . ثم يعوضها بعد الغروب . ولكنها حكمة الله العلى القدير الذى اراد ان يبين للنـــاس اهمية الزمن . ويجعل المحافظة عليه شرطا لصحة العبادة .

ان هذه الدقة في مراعاة سير الزمن ومراعاة الساعات والدقائق واحترام الوقت بالليل وبالنهار . تتكرر في ثلاثين يوما من كل عام وهى فترة كافية لان تطبع في نفس الصائم تفهم معنى الشخصية والاعتـــداد بها ، وتجعله يلتفت الى ذاته فيقيم لكيانه وزنا ، فلا يكون امعة يتبع كل ناعق ، بل يضع الحق دائما نصب عينيه فلا يقول الا ما يعتقد انه الحق . ولا يطيع من فوقه طاعة عمياء ، لو كان فيها ضرر بالغير متمثلا قول الرسول الكريم « السمع والطاعة على المرء المسلم مالم يـؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

اننا في حاجة ماسة لتكرار هذه المعاني في صباحنا وفي مسائنا ازاء مايعانيه مجتمعنا من ضعف في بعض الافراد يتعبدون بحرفية اللوائح والقوانين الوضعية التى تفرضها النظم في مصالحنا ومؤسساتنا العامة فان مراعاة الصالح العام ينبغى ان تكون هي الاساس ولكن في حدود ماشرع الله ورسوله ومايحفظ للمجتمع كيانه وامنه .

تامل قول الله تعالى « ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول . واولى الامر منكم . فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول . ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير واحسن تاويلا »

على ان هذا كان سلفنا الصالح زمان الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ويوم ان ابتعدنا عن هذه السنن الرشيدة وصلنا الى مالا نحب ان نعود اليه واستضعف وزراؤنا وكبراؤنا ، وراحوا ينفذون ماكان يشير به الطغاة والمستعمرون حتى حقت عليهم جميعا لعنة الله وزال عنهم ماكانوا فيه من نعيم .

واليوم : هاهو ذا رئيسنا جمال ينادى في كل مناسبة بضرورة يقظة الشعب للمحافظة على حقوقه ومحاسبة الحكام والرقابة على تصرفاتهم وهو بهذه السياسة الرشيدة يعيد الينا سيرة السلف الصالح وعلينا ان نتفهم جيدا مايرمى اليه من وراء هذه السياسة الرشيدة وان نستمسك بها حتى لايطمع طامع ممن تحدثهم نفوسهم بالعبث بحقوق الشعب ونصبح كما كان الرعيل الاول صالحين : حاكمين ومحكومين فيكون زماننا خير الازمنة

افلا يكون لنا من احترام الزمن الذى نصح به العادة ، وبروز شخصيه شهر رمضان المبارك بين الشهور دافع لان نحترم شخصياتنا . ونحترم عقولنا وآراءنا مادامت على صواب فنامن الزلل . ونسلم من الارتداد في هاوية الذلة والاستعباد ؟

سبحانك ربى لقد وجهت نظرنا في كتابك الكريم الى ملكوت السماوات والارض وطالبتنا بان نلتفت الى دورة الافلاك وما ينشا منها من ليل ونهار .. « ان في خلق السموات والارض واختـلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب » .

اللهم انر بصائرنا حتى ندرك الحكمة في دقائق ماخلقت وننتفع بما ندرك من اسرار عظمتك .

ما احوجنا الى التفكير في مظاهر الـكون العجيبة « لخلق السموات والارض . اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لايعلمون »

سبحان الله العظيم :

« هو الذى جعل الشمس ضـيـاء . والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون » .

العلماء المسلمون والفكر الإقتصادى

الأستاذ احمد بديع

ان الاقتصاد كعلم وكتطبيق لا يمكن ان ينفصل عن المجتمع البشرى فاينما وجد هذا المجتمع فلا بد من نشوء وتطبيق الافكار الاقتصادية فيما بين افراده من ناحية وفيما بين المجتمع ككل وما حوله من مجتمعات انسانية من ناحية اخرى .

ولهذا .. ومنذ ان وجد المجتمع البشرى وجد الاقتصاد .

وفى الحقيقة لم يكن علم الاقتصاد وقد تحدد وتخطط ووضحت معالمه بالصورة التى هى عليها اليوم وذلك ابان القرون الغابرة، ولكن ذلك لا يحول دون القول بانه ما من شعب من الشعوب مهما اغرق فى القدم ، الا وكان لدى علمائه وفلاسفته - فالفلسفة والعلم لم يكونا منفصلين قديما - ولدى حكامه مبادىء وتطبيقات اقتصادية نادوا وقاموا بها .

ان المشاكل الاقتصادية يوجدها مجرد وجود مجتمع بشرى ولا بد لهذه المشاكل من ان تحل ولذلك لا بد من وجود الافكار والتطبيقات الاقتصادية تبعا .

ولقد جاء الاسلام ثورة اجتماعية انسانية عالية .

وفى المجتمع الاسلامى ظهرت المشاكل الاقتصادية ، وكانت لها فى اقوال وتطبيقات العلماء المسلمين المستمدة من القرآن والسنة ومن اجتهادهم الخاص حلول واعية مستنيرة

ولا نجادل فى أن الاقتصاد لم يظهر كعلم محدد المعالم على يد العلماء المسلمين الأول وان كان فى افكار عالم خالد كابن خلدون - كما جاء فى مقدمته - ما يمكن أن يستخلص منه مبادىء واصول لعلم الاقتصاد .

ولئن كان لدراسة آراء علماء المسلمين الأوائل فى المشكلات الاقتصادية من أثر فانما هو فتح الباب امام التعمق فى تلك الافكار التى يجب أن نسير على نهجها وأن نرسى فوقها من هدى ديننا ووحى مبادئه ما يكتمل به البناء راسخا شامخا متينا .

ففى نطاق الفطرة الاجتماعية الى الملكية الفردية نجد الاسلام يقر وجودها ويحميها ويعتبرها وسيلة الفرد الى السعى الجاد استزادة من رزق الله ، ولكن امام معرفته لغلبة الشهوات على البشر نجده يحد التوسع منها والانتفاع بها بحدود ترتد أسسها جميعا الى مراعاة صالح الامة الاسلامية .

جاء فى الحديث الشريف « ان لله اقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نزعها الله منهم فحولها الى غيرهم » .

فالملكية لم تكن اذن حقا مطلقا يتصرف صاحبه كيف شاء ولا معقب عليه ولكنه حق اجتماعى اختص الله به افرادا لا لمصالحهم ذواتهم فحسب ولكن لتكون أموالهم وسيلة خير للمجموع فان لم يحسنوا أداء هذا الواجب سلب الله الفضل منهم .

ولعل ذلك أبلغ قول وافصح دليل على أن الملكية مقيدة بما يؤدى للمصلحة العامة ، فان صالح المجموع أولى عند الله والناس من صالح الافراد باشخاصهم ، خاصة اذا ما تنكب هؤلاء الافراد سواء السبيل .

وليس من مانع ان تقوم الملكية العامة حين يستوجب صالح المجتمع وجودها فلقد وضعت أهم مصادر الثروة ابان نشوء المجتمع الاسلامى تحت سيطرة الملكية العامة بقوله عليه الصلاة والسلام « الناس شركاء فى ثلاثة .. الكلأ والنار والماء » .

اما نظرة الاسلام الى العدل الاجتماعى فهى فى حقيقة الامر واضحة لا يمكن ان تؤول لغير ما تهدف اليه وتبتغيه .

انها جلية ناطقة فيما امر به القرآن الكريم وجاءت به السنة الشريفة ثم ما سار عليه حكام المسلمين وأشار اليه علماء الاسلام جيلا بعد جيل .

ان وجداننا يهتز حتى اليوم لافكار الامام العظيم خليفة المسلمين على بن ابى طالب ، وهى ليست سوى مرآة للافكار الاسلامية عامة ، الأفكار التى نزلت على محمد آمرة أمة المسلمين باتباع نهجها ومقيمة بينهم الخير والعدل الاجتماعى والسياسى .. ان عليا هو القائل « ما دون أربعة آلاف درهم نفقة وما بعدها فهو كنز » .

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » .

ذلك لان الاسلام لا يقر كنز المال ولا يعرف الفئة الارستقراطية الباغية العاطلة ولكنه يعرف السعى لاكتساب الرزق والتصدق بما أفاء الله من خير زائد مع بقية المسلمين .

وقبل الصدقة لا بد من ايتاء الزكاة بحقها المعروف ، وهى وسيلة العدل التى شرعها الله لعباده حتى لا يكون بينهم جائع ولا عار ولا مظلوم ولا ناقم .

فالزكاة سواء فى النظرة الاقتصادية او الاجتماعية — قمة الوسائل وامثل السبل لتحقيق غايات العدالة والتراحم بين افراد الامة الواحدة — وفى الحديث عنها كثير مما يجعل هذه الفريضة نورا يجب ان يهتدى بهديه أولو الامر جميعا وذوو العلم والعرفان .

ولكن يجب حتى تؤتى ثمارها ان تطبق بحزم وشمول مثلما طبقها بحد السيف الخليفة العظيم ابو بكر الصديق مع من تجاسروا على منعها .

والى جانب الزكاة يؤكد القرآن فى اكثر من موضع ويذكر بايتاء الحق للفقراء والمساكين ولكل ذى حاجة .

وما هو بالاحسان ولا التفضل ولكنه واجب يقتضى وحق يؤدى « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا » .

فما منح الله الاموال للاغنياء كى يتمتعوا بها وحسب او يستعلوا بسلطانها وكفى ولكن لتكون وسيلة بين ايديهم يبتغى بها العدل الاجتماعى .

فما كان بالمعجز ان يعطى الله لعباده كل قدر اخيه ، وان يمن على كل من فى الارض برزق مساو — ولكن لحكمة ارتآها سبحانه جعل الاختلاف فى الرزق ، وتفضيل بعض الناس على بعض .

والمؤكد ان ليس ذلك ايثارا ولا خيارا ولكنها حكم محباة لها اسمى غاية ، ويريد الله تعالى لمن بيده المال ان كان ابقاؤه هذا المال خيرا له ان يجعله وسيلة الى الثواب والرضوان بأن يبتغى وجه الله فيعطى من حوله محققا عدالة لم يامر الاسلام الا بها ، ومشاركة لم يات بخير منها .

مال الاغنياء لهم وللفقراء :

يقول على بن ابى طالب : فى أموال الاغنياء

ما يكفى الفقراء فما جاع فقير الا بما منع به غنى والله تعالى سائلهم عن ذلك » .

فالمال اذن لا يهيأ فحسب لابتغاء الشهوات وارضائها ولا لنفع ذاتى يبتعد عن صالح المسلمين جميعا ، فمن يسرف فيه بغير غاية الا ان يبسط سلطانه على الناس أو يستعرض ابهته وكثرة مالديه من اخوان الشياطين وهو باغ مستكبر ، فالاسلام يكره ذلك ، ويدفعه علماؤه وينذرون به ولو كان ذلك من خليفة المسلمين .

فمعاوية حين بنى مقرا فخما تفنن فيه ، وكان واضحا انه ما قصد الا ان يبنيه بما له من سلطان - مر به الصحابى الجليل ابو ذر الغفارى فقال له « ان كان هذا من مالك فهو اسراف وان كان من مال المسلمين فهو خيانة » .

وكلاهما - اى الخائن والمسرف - فى النار .

وأبو ذر الصحابى نفسه هو الذى ارسل اليه معاوية يوما يسترضيه بالف دينار من الذهب فوزعها على الفقراء والمساكين والمحتاجين .

لقد فعلها ليجعل ايمانه بمبادىء دينه افعالا وتطبيقا لا مجرد أقوال جوفاء - فعلها ليحقق ايمانه باهمية العدالة الاجتماعية .

وبعد ذلك ليس بذى بال ان يغضب الخليفة او يستنكر - وقد غضب الخليفة منه فعلا ان اخذ هديته ليفرقها على أبناء المسلمين .

هذا هو موقف الاسلام وموقف البررة المصلحين من ابنائه .

* * *

تلك كانت آراء وحلول عملية للمشكلات الاقتصادية التى صادفت المسلمين الاوائل ولكنها جاءت مترفقة ومختلطة الى حد كبير بمبادىء علوم الاجتماع والفلسفة والدين .

ولكن كل علم حينما يبدأ فى الاستقلال بذاته عن العلوم الاخرى يكون له رواده الذين يرسون له قواعد محددة يبنى عليها من تبعهم لبنة فوق لبنة حتى يرتفع البناء .

وعلم الاقتصاد كذلك له رواده الاول الذين لهم هذا الفضل - فضل الريادة ووضع الأسس الاولى على الأرض المجهولة ، وليس بعد ذلك ان ينال النقد اليوم من افكارهم ليهدمها أو ليبين انها قامت على اساس غير سليم من واقع الحياة أو طبائع البشر أو انه قد فاتها التعليل السديد او النظرة الصادقة .

واذا كان يحلو للغربيين دائما أن يحيطوا روادهم بهالات براقة من التمجيد والاطراء ويعرضوا أفكارهم ويشيدوا بنبوغهم بقصد اخفاء فضل غيرهم من علماء الامم الاخرى - هؤلاء الغربيون يرفعون دائما أسماء آدم سميث وجون ميل وريكاردو ليضعوها فى المصاف الاولى - دون غيرهم - باسم من بنوا علم الاقتصاد وأقاموا صرحه .

واذا كنا لا ننكر على هؤلاء العلماء ونعتز بتراثهم العلمى لان العلم ملك للانسانية جمعاء، بل هو قبل كل شىء لا يعرف الطائفية ولا التميز ولا انكار الفضل لذويه ، نحن نؤمن بكل ذلك ولكنه لا يصح لنا أن نغفل ما قام به علماء المسلمين فى هذا المجال .

وقد عرضنا صورا وتطبيقات مختصرة عن افعال واحاديث لعلمائنا المسلمين الذين تناولوا الافكار الاقتصادية كمبادىء لا تنفصل عمليا عن الأفكار الاجتماعية والدينية ، بل عرفوها كجزء منها .

اما بالنسبة لرواد الاقتصاد كعلم مستقل وهم من حددوا حديثهم عنه تحديدا يصح معه ان تؤخذ افكارهم واضحة صريحة كلبنة اولى وضعت فى الصرح العظيم الذى نعرفه ونتابعه اليوم ، من هؤلاء الرواد مسلمون أوائل على راسهم بلا شك العالم الكبير ابن خلدون .

فابن خلدون فى مقدمته التى بلغ بها حدا من الاعجاز الفكرى يضعه فى مقدمة مفكرى عصره بل العصور التالية حتى اليوم - ابن خلدون قد ارسى قواعد علمية مستندة الى

الترتيب العقلى والمنطقى والتجريبى ، قواعد اساسية لعلم الاقتصاد .

وحقيقة ان المقدمة لم تقتصر على الاقتصاد وحده ولكن الجديد فيها ان الافكار الاقتصادية قد وضعت محددة المعالم وليست مختلطة بغيرها من الافكار الاجتماعية او السياسية او الاخلاقية الاختلاط المتشابك .

ولن نخوض كثيرا فى مكانة مقدمة ابن خلدون فالكلام عنها كثير وجليل جلالة قدرها .

كل ما نود ان نشير اليه هو أن ابن خلدون قد اعتبر فى نظر كل محقق محايد بما كتبه فى المقدمة رائدا عظيما من رواد علم الاجتماع - لا شك فى ذلك - بل هو أول الرواد واعظمهم قدرا ، الا لدى هؤلاء الذين يحملون على العرب والمسلمين فانهم لم يستطيعوا غير ان يحاولوا المباعدة بينه وبين كونه ابا لعلم الاجتماع مقررين - فالحقيقة تلزمهم - انه من بين من أسهموا فيه بقدر .

اما عن الاقتصاد فالمطلع على المقدمة يجده قد تحدث حديث العالم - بلا تشويش او اضطراب - عن افكار اقتصادية كانت ولاتزال من أهم أسس هذا العلم كما ستظل حديث علمائه ومحل مناقشاتهم ومعايناتهم .

لقد تعرض ابن خلدون لنواح كثيرة يحتاج الحديث عنها شرحا وتفصيلا اكثر من مقال .

ولكننا فى مجال الاقتصار والايجاز نقول أن من بين ما عرض له تقسيم السلع الى ضرورية وترفيهية وان مقدار الطلب على هذا النوع الاخير يختلف باختلاف تقدم المجتمع ، فالمجتمعات المتقدمة تستهلك منها الكثير فضلا عن انها قد تنقلب لديها الى سلع ضرورية .

كما عرج على بحث أثر الطلب على تحسين الانتاج ، وانتهى بحق الى انه اذا كثر الطلب فى بلد نفقت سوق الصناعة به واستجادت، بعكس ما اذا اعرض الناس عن انتاج معين فانه « يفقد بالاهمال » .

ثم استطرد العالم الكبير الى بحث تأثير ما ينفق على انتاج سلعة بالنسبة لسعرها فقرر أن ثمن الحبوب - كسلعة - يزداد اذا ما زرعت فى اراضى اقل خصوبة تنفق عليها اموال اكثر مما يؤدى الى هذه الزيادة فى الثمن ، ولا شك ان هذا النظر الصائب ينطبق على اية سلعة تخضع لمثل هذه النفقات وتلك الظروف .

واخيرا ، فقد كان من بين ما تحدث عنه ابن خلدون - وليس كل ما ذكرنا هو الذى افاض فيه ولكنه كثير لايتسع المقام لسرده - كان من بين ماتحدث عنه موضوع تقسيم العمل وفكرة تقسيم العمل فكرة ذات خط كبير فى العلم الاقتصادى - وخاصة ابان نشوئه وارتقائه - اذ هى فى الواقع اساس التقدم العمرانى والصناعى ، وهى تحظى باهتمام علماء الاقتصاد جميعا منذ آدم سميث حتى يومنا هذا ، وقد اشار ابن خلدون اليها والى ضرورة وجودها بين الافراد فالواحد من البشر لا يمكن ان يستقل « بتحصيل حاجاته فى معاشه » ثم ربط بين هذه الفكرة وبين تزايد السكان وبين ان هذا التزايد يؤدى بالتبعية الى نشوء ذلك التقسيم فى العمل .

هكذا كان ابن خلدون فى مقدمته ، وهذه بعض أفكاره التى عرضها فى اسلوب علمى منظم ، وفصل الى حد كبير - ربما لاول مرة - بين الاقتصاد وبين غيره من علوم الدين والاخلاق والفلسفة والاجتماع ، ولولا انه لم يفصل غرضه لهذه الآراء الاقتصادية عن نواحى آرائه الاخرى فصلا تاما دقيقا قاطعا شاملا لكان على حد قول الاستاذ الدكتور لبيب شقير فى « تاريخ الفكر البشرى » مؤسس علم الاقتصاد .

وبعد ، فهذه ليست دراسة شاملة لما قدمه العلماء المسلمون للفكر الاقتصادي بقدر ما هى لمحة خاطفة واشارة واجبة الى علمهم وتنبيه الى ما قدموه واعتراف بفضل ما فعله الأولون . فالخير لا ينسى والفضل لا ينكر ووسيلة الاعتراف به ليس الحديث عنه فحسب ولكن متابعة السير فى طريقهم فى ظل تعاليم الله ولواء الدين .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا »

قد توسط الاشاعرة بين المعتزلة والظاهرية واهل الاثر ، وجعلوا من العقل مجرد مؤيد للنصوص ولو كانت لاتنطبق الفاظها على مقتضى منطقه الفلسفي •

ونحن في عصرنا هذا احوج ما نكون الى فهم اسلامى سليم يحترم الاخذ بالنص ويحترم العقل وانما فى الحدود التى كرمه الله بها لانه المخاطب بالنقل •• وان كان الوجدان هو المخاطب الحقيقى ، فالوجدان اعم من العقل فى ادراك الحقائق الغيبية واشمل من الحواس الخمس ومن منطق العقل •

فالحاسة السادسة كما يسمونها هى مرتبة الشعور الذاتى • وهى بمعنى البصيرة فى لغتنا لانها تدرك بهدى من البصيرة والوجدان • ما لاتدركه كفايتا العقل والحس •

ونحن فى هذا العصر فى حاجة الى مثل هذا الهدى لانه فى الحقيقة والواقع ان لاتضاد بين الوحى والعقل وان تعارضا احيانا كان سبب التعارض لان الالفاظ التى يعتمد عليها الجاحدون للتوسط ان هى الا مجرد قوالب للمعانى وليس الامر بالعكس ، لان المعانى لاتحدد دائما بظواهر النص - كيد الله فوق ايدهم مثلا -

ورأينا : ان لانقبل من اوضاع المتاخرين فى الدين « مثل الحواشى والهوامش وحواشى الحواشى » الا ما وافق موافقة صريحة لواضح مذاهب الائمة • ولا نقبل من هذه المذاهب الا ما وافق موافقة صريحة للاجماع وصدر الامة ، وصح استنباطه من الكتاب والسنة او جاء عن القياس الصحيح • ولا نقبل من الاجماع الا ما وافق موافقة صريحة او ضمنية لاحكام الكتاب العزيز او كان مبينا لها « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » •

ويقول ابن المقفع فى رسالة الصحابة :

« ان الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم فى خلقين : الدين ، والعقل ، والعقول وان كانت من نعم الله العظيمة فهى لاتبلغ الى معرفة الهدى ولا تبلغ اهلها رضوان الله بما اكمل الله للناس من نعمة الدين الذى شرعه لهم • ولولا ان الدين جاء من عند الله كتابا لم يغادر حرفا من الاحكام التى يحتاج الناس اليها فى الدين والدنيا الى يوم القيامة لكان الناس قد كلفوا غير وسعهم واتاهم مالا يفهمونه ، ولحارت عقولهم ولكانت لغوا لايحتاجون اليه فى شئ • لذلك جاء الدين باشياء ماكانت تصل اليها العقول وترك ما سوى ذلك الى الراى • وجعل الراى لولاة الامر وليس للناس الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة » •

وهنا يجمل القول بان نذكر ما سرده حجة الاسلام الامام الغزالى رحمه الله تعالى حيث قال : « لا مجال للعلوم التجريبية الا بما يشاهد على سبيل التكرار • ومن ذا الذى رجع الى ذلك العالم الالهى فادرك بالمشاهدة مايقع فيه واخبر عنه ، ولا يدرك بقياس العقل مابعد الموت ولا يرشد اليه على وجه التحقيق والتحرير كما ورد به الشرع ، بل اقروا بجملتهم ان ذلك لايدرك الا بنور النبوة وهى قوة وراء العقل يدرك بها من امر الغيب فى الماضى والمستقبل امورا لا على طريق التعريف بالاسباب العقلية ، وهذا ما اتفق عليه الاوائل والحكماء فضلا عن الاولياء والعلماء الراسخين ، بل والمقتبسين من نور مشكاة النبوة المعترفين بقصور كل قوة سوى هذه القوة » •

فالعقل على راى الغزالى هو الاداة التى يمكن ان تعرف بواسطتها صدق النقل ، وهو ايضا السلاح الذى يدافع به عن الشرع • وان قصر بعض ماجاء به الوحى •

ويقول الغزالى ايضا : « ان معرفة الله سبحانه وتعالى وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لها لا بالعقل خلافا للمعتزلة • لان العقل وان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال ، فان العقل لايوجب العبث ، واما ان يوجبها لفائده وغرض وذلك الغرض لايخلو من ان يرجع للمعبود وذلك محال فى حقه تعالى فانه يقدس عن الاعراض والفوائد • بل الطاعة والعصيان ثانويان بالنسبة لقدسية الله واستغنائه بذاته عنهما » •

هذه صورة مصغرة لراى الغزالى فى موضوع بحثنا •

وسنورد الآن رايا لامام الحرمين الجويني كما اقتبسناه من كتابه الارشاد • والجويني كما ترجم له ابن خلكان اعلم المتاخرين من اصحاب الامام الشافعي والمتفق على غزاره مادته وتفننه في العلوم من الاصول والفروع ، ولما توفي والده اقعد مكانه للتدريس وهو في نحو العشرين من عمره • وهو مع ذلك من الائمة المحققين كما يقول ابن تقي الدين السبكي • وتخرج في هذا العلم علم الكلام - على ابي القاسم عبد الجبار بن الاسفرييني تلميذ ابي اسحق ابراهيم بن محمد الاسفرييني تلميذ امام اهل السنة ابي الحسن الاشعري •

ويرى الجويني : « ان اول مايجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ او الحلم شرعا، القصد الى النظر الصحيح المفضي الى العلم بحدوث العالم • والنظر في اصطلاح الموحدين هو الفكر الذي يطلب ممن قام به علما او غلبه ظن ، ثم ينقسم النظر قسمين : الى صحيح والى فاسد • والصحيح منه كل مايؤدي الى العثور على الوجه الذي منه يدل الدليل • والفاسد ماعداه •

ثم قد يفسد النظر بحيده عن سنن الدليل اصلا ، وقد يفسد مع اسناده للسداد لطرو، قاطع »

والادلــة التي يتوصل بصحيح النظر فيهـا الى ما لم يعلم في مستقر العادة ، تنقســم الى العقلي والسمعي •

فاما العقلي من الادلة : مما دل بصفة لازمة ولا يتقرر في العقل تقدير وجود غير دال على مدلوله كالحـدث الدال بجواز وجوده على ما يخصصه بالوجود الجائز ، وكذلك الاتفاق والتخصيص والدالان على علم المتيقن وارادة المخصص •

والسمعي : هو الذي يستند الى خبر صدق او امر يجب اتباعه وجوب النظر شرعا : النظر الموصل الى المعارف واجب يقرر وجوبه الشرع ، وجملـة احكام التكليف متلقاه من الادلة السمعية والقضايا الشرعيه • مما يسلم به العقل وان غاب عنه الكنه

فان نفيتم وجوب الشرع عقلا ، كان منكم تحد للانبياء عليهم السلام ويتحسم سبيل الاحتجاج ، فانهم دعـوا الخلق الى ماظهر من امرهم واستدعوا منهم النظر فيما ابدوه من المعجزات وخصصوا به من الآيات •

ولذا : لايجب النظر الا بشرع مستقر وتكليف ثابت مستمر • فان عدلوا عن هذا الاعتقاد بعثهم على البعد عن الرشاد والتمادي في الجحد والعناد •

وفي كتاب « الجام العوام » لابي حامد الغزالي : ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يسال عن القرآن ، اهو مخلوق ام لا ؟ فتعجب عمر من قوله فاخذه بيده حتى جاء به الى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فقال : يا ابا الحسن استمع مايقول هذا الرجل •

قال : وما يقول ياامير المؤمنين • قال الرجل : سالته عن القرآن اهو مخلوق ام لا • فوجم لها كرم الله وجهه وطاطا راسه ثم رفع راسه وقال : سيكون لكلام هذا نبا في آخر الزمان ، ولو وليت من امره ماوليت لضربت عنقه •

وروى الامام احمد بن حنبل هذا عن ابي هريرة •

قال ابو حامد الغزالي : فهذا قول علي بحضور عمر وابي هريرة رضي الله عنهم ولم يخف على رضي الله عنه في نفسه ان هذا السؤال فتنة وتعرف لحكم كلام الله ، لان القرآن الذي هو معجزة دالة على صـــدق الرسول ، هو نفسه الدليل المعرف لاحكام التكليف •

فانظر الى فراسة علي واشراقه على ان ذلك قرع لباب الفتنة . وان ذلك سينتشر في اخر الزمان الذي هو موسم الفتن ومطيتها بوعد رسول الله صلى الله عليـه وسلم •

وانظر الى تشديده وقوله : ولو وليت لضربت عنقه •• فمثل اولئك السادة الاكابر الذين شـاهدوا الوحي والتنزيل . واطلعوا على اسرار الدين وحقائقه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الاول : « لو لم ابعث لبعث عمر » وقال في الثاني : « انا مدينة العلم وعلي بابها » يزجرون السائل عن مثل هذا السؤال •

ثم يزعم من بعدهم من المشغوفين بالكلام والمجادلة ، وممن لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ قدر احدهم ولا نصفه •

ان الحق والصواب قبول هذا السؤال والخوض في الجواب وفتح هذا الباب ••! ثم يعتقد فيه انه محق وفي علي وعمر انهما مبطلان •• هيهات وما ابعد هذا عن التحصيل [illegible] يقول به الا من رجح المجادلين على الائمة الراشدين والسلف الصالحين •

ودخل رجل على مالك بن انس يساله عن قول الله تعالى « الرحمن على العرش استوى » فقال في جوابه : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمـــان به واجب والسؤال عنه بدعة •

ودخل ابو حنيفة على ابنه حماد وهو يناظر رجلا في القدر ، فزجره وقال : اياك ان تعود الى مثـل هذا والخوض فيه مرة ثانية • ودخل عليه بشر المريسي يناظره في الكلام فانتهره وقال له : اخرج عني ياكافر

وروى ابو يوسف قال : كنا جلوسا عند ابي حنيفة اذ دخل جماعة في ايديهم رجلان فقالوا : ان هذا يقول القرآن مخلوق ، وهذا ينازعه ويقول هو غير مخلوق •

قال : لاتصلوا خلفهما • قال ابو يوسف : قلت اما الاول فنعم لانه لايقول بقدم القرآن ، واما الآخر فما باله لايصلى خلفه • فقال : انهما يتنازعان في الدين ، والمنازعة في الدين بدعة •

ونقل الزاهدي في كتاب التخليص عن ابي حنيفة : انه كان لايجوز الصلاة خلف المتكلم يرى انه مبتدع • وعنه من رواية ابي يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكمياء افتقر • ومن طلب غريب الحديث كذب •

وقال الامام الشافعي رضي الله عنه : لان يلقى العبد الله بكل ذنب خلا الشرك اضر له من يلقاه بعلم الكلام • وقال : لقد اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننت مسلما يقوله • وقال : اذا سمعت الرجل يقول هل الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهـل الكلام ولا دين له • وقال ايضا : لو علم الناس مافي هذا الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد •

وعن احمد بن حنبل انه قال : علماء الكلام زنادقة • « يريد الجدل في الدين » وقال : لايصلح صاحب الكلام ابدا ، ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دخل •

الى غير ذلك من اقوال الائمة مما لو اردنا نقله لاتسع مجال المقال ، واذا كنت لاتقنع بما نقلناه لك من قول عمر وعلي وابي هريرة وائمة الدين اصحاب المذاهب المتبعة المشهود لهم بالصلاح وتحري طريقة رسول الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وتقولت لذلك التأويل التى تراها فى كتب علم الكلام . فانا انقل لك من اقوال علماء الكلام فمن وفقه الله قبل موته الى ترك هذا العلم الممقوت ، والرجوع عنه الى طريقة السلف بعد ان اشتغل فيه زمنا طويلا والف فيه كتبا كثيرة .

فهذا ابو الحسن الاشعرى امام المتكلمين فى عصره ، وشيخ اهل السنة والجماعة رجع فى آخر عمره عن كل معتقداته التى اخذها من علم الكلام . وذكر فى كتابه « الامانة » وهو آخر مؤلفاته انه رجع فى عقائده الى مذهب احمد بن حنبل رضى الله عنه الذى هو مذهب الصحابة والتابعين .

فما اجدر الذين ينتسبون اليه فى عصرنا وينتحلون عقائده ويقتدون به ان يرجعوا الى مثل مارجع اليه امامهم ، ويطرحوا كتب البدع والخرافات بعد ماتبين لهم من رجوع امامهم عما هم عليه اليوم .. ، ولايحملهم التعصب الباطل والتمسك بما وجدوا عليه اسلافهم على الوقوع فى الاشعرى والطعن فيه لرجوعه عن الاعتدال ما مكثوا زمنا يقتدون به .

وابو حامد الغزالى على كثرة اشتغاله بهذا العلم وكثرة مؤلفاته فيه ، انتهى به البحث الى التوقف والحيرة فى المسائل الكلامية ، ثم اعرض عن تلك الطرق واقبل على احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمات والبخارى على صدره ، وقد نقلنا لك طرفا من كلامه فى ذم هذا العلم والآمدى افضل اهل عصره وصاحب المذاهب المشهورة فى الكلام ، توقف فى آخر عمره وتحير .. والامام فخر الدين الرازى على ماعلمت من حاله فى هذا العلم قال فى كتابه الذى صنفه فى اقسام الذات :

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال فيه : ولقد تاملت الطرق الكلامية ذات المناهج الفلسفية فما رايتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورايت اقرب الطرق طريق القرآن ، اقرا فى الاثبات « الرحمن على العرش استوى » واقرا فى النفى « ليس كمثله شىء » و « لايحيطون به علما » ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى .

وقال ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى يذكر حيرة هؤلاء الاقوام :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر
على ذقن او قارعا سن نادم

وقال امام الحرمين : يا اصحابنا لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى الى مابلغه ما اشتغلت به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم وخليت اهل الاسلام وعلومهم ، ودخلت فيما نهوا عنه ، فان لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لابن الجوينى ، وها انا ذا اموت على عقيدة عجائز نيسابور . ونحن نعقب على تلك الاقوال الواردة عن كبار ائمة الدين بقولنا الذى رددناه مرارا « ان الوحى يهبط من افاق متساوية - لايمكن للعقل شرفه عند الله والناس التحويم حولها فضلا عن الوصول اليها وانما تعرف تصريح اليقينى المصدق لما جاء به القرآن من عند الله وفسر الرسول صلى الله عليه وسلم بشريعته الغراء

كيف كان أجدادنا يحيون شهر رمضان ؟

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

ان مكانة شهر رمضان المبارك فى الاسلام جعلت المسلمين فى كل زمان ومكان يحرصون على احيائه احياء يتناسب وتلك المكانة العظيمة ويتخذ احياء شهر رمضان مظاهر عدة ، منها ماهو دينى ومنها ماهو ثقافى ومنها ماهو اجتماعى .. ولكن جميع هذه المظاهر وان تعددت فانها تعبر عن احساس واحد عميق نحو هذا الشهر ، وهذا الاحساس فى حقيقة امره مزيج من الحب والتقدير والاجلال : الحب لشهر انزل فيه القرآن هدى للناس ، والتقدير والاجلال لذكريات عزيزة على قلب مسلم ، ارتبطت بهذا الشهر وتركت اثرا عميقا فى حياة البشر وتاريخهم .

ومصر التى عرفت دائما بانها مركز مضىء من مراكز الاسلام ، حرص اهلها دائما على احياء شهر رمضان احياء كله بهجة وبهاء ، وساعدهم على ذلك طبيعة البلاد ووفرة خيراتها وصفاء سمائها وسهولة الحياة فيها ، فضلا عما اشتهر به اهل مصر من تقوى وورع واخلاص للدين .

والمعروف ان قدرا كبيرا من العادات والتقاليد التى تمسك بها المصريون فى احياء المناسبات الدينية العديدة انما ترجع اصولها الى ايام الفاطميين بالذات . وهم الذين اسرفوا فى اقامة الاسمطة فى الاعياد والمواسم ، وابتكروا الوانا من الطعام والحلوى ربطوا بينها وبين كثير من الاعياد الدينية . وكان من الطبيعى ان يحظى شهر رمضان بالذات بكثير من عناية الخلفاء الفاطميين ورعايتهم ، فاسرفوا فى الوان الطعام والشراب فيه ، واكثروا من الزينات والاضواء فى لياليه ، وابتدعوا فيه عددا من التقاليد المستحدثة التى ما زال بعضها باقيا حتى اليوم . على انه ثمة مبدا غريب طبقه الفاطميون فى مصر فى شهر رمضان لانهم اعتبروه من اصول المذهب الشيعى ، وهذا المبدا هو تقييد شهر رمضان بتسعة وعشرين يوما دون الارتباط برؤية الهلال . واذا كان المعروف عند اهل السنة من شهر رمضان ينتهى بظهور هلال شوال ، وذلك عملا بالحديث الشريف « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ، فان جوهر الصقلى لم يرض بتطبيق هذا الرأى غداة فتحه مصر ، وانما قرر

ابطال الصوم بعد التاسع والعشرين من رمضان وصلى العيد قبل رؤية هلال شوال · وعندما اعترض اهل الفسطاط على مافعله الصقلي · وصاموا اليوم الثلاثين · ثم صلوا العيد بعد ذلك عندما تاكدوا من رؤية هلال شوال ، غضب جوهر ، وانكر على قاضي الفسطاط مافعله وتهدده ·

ومهما يكن من امر ، فان الاحتفال بشهر رمضان بلغ ذروته من العظمة على عصر سلاطين المماليك في مصر ، وساعد على ذلك ما تمتعت به مصر في ذلك العصر من ثروة طائلة فضلا عن ضعف الخطرين الصليبي والمغولي في اواخر ذلك العصر ·· وقد وصف الرحالة ابن بطوطة طريقة احتفال المصريين في القرن الثامن الهجري برؤية هلال رمضان ، وكان ذلك بمدينة ابيار · فقال انه في يوم الركبة - وهو يوم ارتقاب هلال رمضان ويوافق التاسع والعشرين من شعبان - اجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر بدار القاضي الشافعي · وكان يقف على باب الدار نقيب المتعممين · فاذا اتى احد الفقهاء او الاعيان تلقاه ذلك النقيب ومضى بين يديه قائلا « بسم الله سيدنا فلان الدين » · فيقوم القاضي ومن معه ويجلسه النقيب في موضع يليق به · وعندما يتكاملون هنالك · يركبون جميعا وعلى داسهم القاضي ، ويتبعهم من بالمدينة من الرجال والصبيان ، حتى اذا ما انتهوا الى موضع مرتفع خارج المدينة - وهو مرتقب الهلال ينزل القاضي ومن معه يرتقبون الهلال · وبعد صلاة المغرب يعودون جميعا وبين ايديهم الشموع والمشاعل والفوانيس · فيكون ذلك دليلا على ثبوت رؤية الهلال · اما اذا حدث ارتباك بسبب كثرة السحب او رؤية الهلال في بعض الجهات وعدم رؤيته في البعض الاخر فان الحاضرين يكتفون بشهادة اثنين من الرجال ·

وبعد ثبوت الرؤية يوقد التجار الشموع بحوانيتهم ، وتكثر الانوار في الطرقات والدروب والمساجد ، وبذلك يتحول الليل نهارا طيلة شهر رمضان · وقد شهد احد الرحالة الاجانب في عصر المماليك - هو برنارد دى بريدنباخ - ليالي رمضان في القاهرة ·فوصف وسائل السرور عند الناس ومنها الغناء ودق الطبول طول الليل حتى تعذر عليه النوم · اما فابر الذى زار مصر سنة ١٤٨٣ م فدهش ليلة دخوله القاهرة لكثرة الانوار والمشاعل في الطرقات ، والفوانيس المختلفة الاشكال التى يحملها الكبار والصغار · ولما استفسر عن سبب كل هذه الجلبة ، قيل له ان الشهر رمضان · وان المسلمين يحتفلون به على ذلك الوجه · كذلك لحظ الرحالة سيمون سيجولى ان الحوانيت - لاسيما محال الطعام والمطابخ - تظل ابوابها مفتوحة طوال ليالى شهر رمضان ·

ويذكر ابن الحاج في كتابه المدخل ان المدن المصرية في عصر المماليك اختلفت في طريقة التسحير ، ففي القاهرة ومصر جرت العادة ان يطوف اصحاب الارباع وغيرهم بالطبلة على البيوت وهم يضربون عليها ·

اما اهل الاسكندرية فاعتادوا ان يكون التسحير بدق الابواب على اصحاب البيوت والمناداة على كل فرد باسمه · ويذكر السخاوى ان بعض العلماء اقترح على السلطان برسباى سنة ٨٣٠ هـ عدم اطفاء القناديل في رمضان الا قبيل طلوع الفجر ، ايذانا باخر فرصة للتسحير ·

وكانت قراءة صحيح البخارى بالقلعة من اهم المظاهر الرسمية لاحياء شهر رمضان في ذلك العصر · وقد جرت العادة ايام السلطان شعبان ان يبتدا بقراءة البخارى في اول يوم من شهر رمضان بين يدى السلطان ، ويحضره طائفة من قضاة القضاة والفقهاء · ولم يزل الامر على ذلك حتى تسلطن المؤيد شيخ · فجعل قراءة البخارى بالقلعة تبدا من اول شعبان وتستمر حتى السابع والعشرين من رمضان · وزاد السلطان شيخ على ذلك ان دعا لحضور ذلك المجلس جمعا كبيرا من مشايخ العلم والطلبة · حتى زاد عددهم سنة ٨١٩ هـ على ستين فقيها « صرف لكل منهم الف درهم فلوسا » على قول المقريزى ·

وقد دارت في هذه المجالس بحوث ، دبما اشتدت فيها المناقشات والجدل حتى يسيء بعضهم الى بعض ، فينقلب المجلس الى صياح وشتائم مما جعل المقريزى يصف هذه المجالس بانها « منكر في صورة معروف ، ومعصية في زى طاعة » · وذلك نظرا لما كانت تثيره من حزازات بين رجال العلم والدين وقد عالج السلطان جمقمق هذا الاشكال سنة ٨٤٢ هـ بان منع الحاضرين من البحث وحرم عليهم المناقشة اثناء المجلس « فانكفوا عن ذلك والحمد لله » · فاذا تم ختم البخارى - وذلك عادة في الثلث الاخير من شهر رمضان - احتفل السلطان بذلك احتفالا كبيرا في القلعة ، فترسل الخلع الى القضاة والعلماء والفقهاء ، وتوزع الاموال « والصور » على الناس ·

كذلك اهتم سلاطين المماليك بالتوسع في الاحسان والصدقة طيلة رمضان · فالسلطان برقوق اعتاد ان يذبح طوال سلطنته في كل يوم من ايام رمضان خمسة وعشرين بقرة ، يتصدق بلحومها - مع مايطبخ من الطعام ومايخبز من الاف الارغفة - على اهل الجوامع والخوانق والربط والسجون ، بحيث يخص كل فرد رطل لحم مطبوخ وثلاثة ارغفة · وحاكى السلطان برقوق في ذلك من اتى بعده من السلاطين · فاكثروا من ذبح الابقار وتفريق لحومها · اما المساكين والمعدمون · فرتب لهم

سلاطين المماليك فى شهر رمضان مطابخ لافطار الصائمين وتوزيع الصدقات عليهم . وقد بلغ عدد الطاعمين فى هذه المطابخ ايام السلطان الظاهر بيبرس خمسة الاف نفس فى كل يوم من ايام شهر رمضان . كذلك اعتاد سلاطين المماليك ان يعتق الواحد منهم فى شهر رمضان ثلاثين نسمة . اى بعدد ايام الشهر . يضاف الى ذلك كله انواع التوسعة على العلماء واصحاب المرتبات « الجامكيات » الذين يصرف لهم رواتب اضافية فى شهر رمضان . وبخاصة من السكر الذى كانت تتضاعف كمية المستهلك منه فى هذا الشهر بسبب الاكثار من عمل الحلوى . وقد بلغ راتب السكر ايام الناصر محمد فى رمضان سنة ٧٤٥ هـ ثلاثة الاف قنطار قيمتها ثلاثون الف دينار . منها ستون قنطارا كل يوم من ايام رمضان برسم الدور السلطانية .

اما امراء المماليك فقد حاكوا سلاطينهم فى الاكثار من الصدقة والاحسان فى شهر رمضان . من ذلك ان الامير طشتمر البدرى عرف عنه حرصه على الاكثار من ذبح البقر والغنم فى ليالى رمضان . كذلك يروى ابو المحاسن فى كتابه مورد اللطافة ان السلطان برقوق كان يفعل ذلك ايام امارته قبل ان يصبح سلطانا .

واذا كان هذا هو شان السلاطين والامراء فى عصر المماليك فان عامة الناس لم يكونوا اقل احتفاء بشهر رمضان . فاذا تخلف فرد عن زيارة قريبه او صاحبه او معلمه فى شهر رمضان ، ادى ذلك الى سوء تفاهم بين الطرفين كما يذكر ابن الحاج . وعمد كثير من الناس الى احياء رمضان فى الجوامع والمساجد بقراءة صحيح البخارى او صحيح مسلم او بالذكر او بالصلاة ، لاسيما صلاة التراويح .

وجرت العادة فى عصر المماليك انه عند ختم القرآن باحد المساجد فى شهر رمضان يحتفل بذلك احتفالا كبيرا ، فتقرا القصائد ويجتمع المؤذنون ليكبروا جماعة فى موضع الختم . ثم يؤتى بفرس او بغلة ليركبها القارىء الذى تولى قراءة الختمة ، ويزفوه الى بيته فى موكب هائل وامامه القراء يقراون والمؤذنون يكبرون والفقراء يذكرون ، وربما اضاف بعضهم الى ذلك ضرب الطبل والدف والابواق .

وفى اواخر شهر رمضان يستعد الناس لتوديع هذا الشهر الكريم واستقبال عيد الفطر فى الايام الثلاثة الاولى من شوال . ويستعد الناس اتم الاستعداد لهذا العيد فيسهرون ليلة العيد حتى ساعة متاخرة من الليل فى صقل الملابس واعداد الزخارف . اما الكعك وغيره من اصناف الحلوى فصنعها الناس فى اواخر شهر رمضان ليتبادلوا بها التهنئة فى العيد . ويبدو ان العادة الموجودة اليوم عند كثيرين من تفضيل اكل السمك المجفف فى عيد الفطر ، مستمدة من الاوضاع التى سادت فى العصور الوسطى عندما كان المصريون فى عصر المماليك يفضلون اكل « السمك المشقوق » ، كما يسميه ابن الحاج . وفى الصباح المبكر لاول ايام العيد ، يجتمع اهل الحى امام منزل الامام الذى سيصلى بهم صلاة العيد فى المسجد ، فاذا خرج اليهم زفوه حتى المسجد وبايديهم القناديل وهم يكبرون طوال الطريق . وبعد انتهاء الصلاة يعودون به الى منزله على الصورة نفسها التى احضروه بها .

اما مواطن الانس التى اعتاد الناس ان يهرعوا اليها فى العيد ، والتى يستعدون للخروج اليها من اواخر رمضان ، فاهمها القرافة والنيل . فيخرجون الى القرافة زرافات ومعهم نساؤهم واولادهم . او يقصدون شاطىء النيل حيث يستاجرون المراكب للنزهة . وفى كلتا الحالتين كانت تحدث مفاسد كثيرة تتعارض مع مبادىء الاخلاق والدين ، مما حدا بحكومة المماليك الى المناداة فى شوارع القاهرة فى آخر ايام رمضان - اى ليلة العيد - بمنع الناس كافة والنساء خاصة من الخروج الى القرافة وركوب المراكب بالنيل طوال العيد . ويهدد من يفعل ذلك بتوسيطه هو والمكارى والحمار فى الحالة الاولى ، او باحراقه هو والنوتى والمركب فى الحالة الثانية .

كذلك جرى العرف فى عصر المماليك ان يصعد ناظر خاص الى القلعة فى آخر ايام رمضان ، ويكون ذلك فى موكب كبير وبصحبته عدد عظيم من الحمالين يحملون خلع العيد . وفى هذه الليلة - ليلة العيد - يدخل الامراء جميعا على السلطان « للتهنئة وتقبيل يده » ، على حد تعبير المقريزى .

فاذا ما اصبح الصباح واستهل اول ايام العيد ، نزل السلطان الى الحوش السلطانى لتادية صلاة العيد ، وذلك فى موكب من افخم المواكب السلطانية . وبعد ان يصلى السلطان صلاة العيد ويسمع الخطبة ، يعود الى الايوان الكبير بالقلعة حيث يمد سماط حافل بلغت تكاليفه فى بعض السنوات خمسين الف درهم . واخيرا يخلع السلطان على الامراء وارباب الوظائف ، كما يفرج عن بعض المساجين « بمناسبة العيد المبارك » على حد تعبير ابى المحاسن .

وهكذا اعتاد المسلمون فى مصر ان يعتبروا شهر رمضان والايام الثلاثة الاولى من شوال اعيادا متصلة ، يحتفلون بها ويمجدونها ويحرصون على اضفاء هالة خاصة من الفرح والسرور عليها . ونحن اذا حرصنا اليوم على احياء بعض التقاليد الخاصة بشهر رمضان وتمسكنا احيانا بتناول الوان معينة من الطعام والشراب ، فضلا عن اعمال البر والاحسان والزلفى ، فاننا فى كل ذلك انما نحافظ على تراث كبير من العادات والتقاليد والاخلاق ورثناه عن آبائنا واجدادنا منذ قرون بعيدة .

الشورى في غزوة بدر

الدكتور محمد محمد ابو شهبة

الشورى هى عدم الاستبداد بالراى واستخراج الراى الصائب بمراجعة اصحاب العقول السليمة والالباب الطاهرة النيرة . وذوى الدين والخلق ، واولى العلم والخبرة فى اى شان من شئون الدنيا وكذلك فى امور الدين مما لم يرد فيه نص من كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والشورى من الاصول التى دعا اليها الاسلام ، لان عليها يتوقف الكثير من مصالح العباد والبلاد ، وبواسطتها تحل العقد والمشكلات ، والشورى وان كانت من القواعد العمرانية الاصلاحية الا ان الاسلام - كما هو شأنه - صبغها بالصبغة الدينية لتكون اعظم وازعا ، واقوى اثرا ويحرص عليها المسلمون حرصهم على اى اصل من اصول دينهم ، وليس ادل على حرص الاسلام على الشورى من ان بعض سور القرآن الكريم الذى هو كتاب الاسلام - قد سميت بسورة « الشورى » . وفيها قال الله عز شأنه : « فما اوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ومن لطائف القرآن الكريم الذى لاتنتهى عجائبه ولا تفنى درره ، انه وسط التنويه بالشورى بين اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مع انهما لا يكادان يذكران فى القرآن الا متقارنين والصلاة عمود الدين وراس العبادات البدنية والزكاة عماد المجتمع وراس العبادات المالية ، وفى هذا اشارة الى منزلة الشورى فى الاسلام ، وان فيها الخير الدينى والدينوى ، وفى هذا ايضا دلالة تكاد تكون ناطقة ان المجتمع الذى تقام فيه الصلوات ، وتؤدى الزكوات ولا يطبق فيه مبدا الشورى - مجتمع ابتر ، لايرجى منه كثير خير ، ولا كبير غناء .

وفى سورة آل عمران امر الله صفوة خلقه ، واكملهم عقلا وخلقا ، وعلما وعملا ان يشاور اصحابه فقال عز شانه « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » آل عمران الآية ١٥٩

ومما ينبغى ان يعلم ان امر الله لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه باستشارة اصحابه انما هو فى الامور التى لم ينزل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم وحى وذلك كشئون السياسة والحرب والمعاهدات والصلح ، والمصالح العامة اما ماتكفل الشرع ببيانه من الحلال والحرام والعبادات والمعاملات والحدود ونحوها فليست محلا للاستشارة مادام ان الشارع الحكيم قطع فيها براى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الالتزام لهذا المبدا الخالد ولا سيما فى الحروب والغزوات والصلح والمعاهدات ، كما فصل بسنته مايتعلق بها من

متولة وكيفية ، والصفات التى لابد منها لمن يكون اهلا للاستشارة واوصى المستشار ان يكون امينا وان لايقصر فى المشورة وبذل النصح . واستخلاص الراى الصواب مما لايتسع له مقالنا الآن .

واتناول فى هذا المقال مظاهر الشورى فى غزوة بدر الكبرى التى كانت اية من آيات الله فى نصر الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة والتى كان لها ابعد الاثر فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وانتشار الاسلام واول مايطالعنا من تنفيذ هذا المبدا ان النبى لما بلغه ان قريشا خرجت فى خيلها وخيلائها لتمنع عيرها تغير وجه الامر ولم يعد مقصورا على اللحاق بالعير ، بل اضحى القتال والمناجزة راجح الكفة . فلم يكن بد للنبى من ان يستشير اصحابه فى القتال ، فقال : « اشيروا على ايها الناس » وقد كانت هذه الاستشارة بمثابة اختبار لايمان القوم ومبلغ استعدادهم للقتال ، والتضحيه فى سبيل الاسلام فقام الصديق ابو بكر فقال واحسن الكلام ، وقام الفاروق عمر . فقال واحسن الكلام ، ثم قام المقداد بن الاسود فقال:«يارسول الله، امض لما اراك الله فنحن معك . والله لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون وفى رواية البخارى : « ولكن نقاتل عن يمينك . وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك » فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد - مكان فى طريق اليمن بينه وبين مكة خمس ليال - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله خيرا ودعا له ، ثم قال رسول الله : « اشيروا على ايها الناس » وانما يريد الانصار ، لانهم لما بايعوه ليلة العقبة بايعوه على ان يمنعوه مما يمنعون منه ابناءهم ونساءهم ما دام بين اظهرهم ولم تكن المبايعة على قتال خارج المدينة ، وانها لشورة حقه ممن كان اصدق الناس بالوعود ، واوفاهم بالعهود وابعدهم عن التوريط والخداع ، وقد فطن لهذا السيد الجليل سعد بن معاذ ، فقال : « والله لكانك تريدنا يارسول الله » ؟ قال : « اجل » فقال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك . وشهدنا ان ماجئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض لما اردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء . لعل الله يريك ماتقر به عينك فسر على بركة الله . فسر رسول الله واشرق وجهه . ثم بشر القوم بالنصر قائلا : «اسيروا وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين . والله لكانى انظر الى مصارع القوم » وهكذا نجح الصحابة فى هذا الاختبار ايما نجاح ، ودللوا بحق على انهم اهل لحمل رسالة الاسلام .

ومن المشورات الحكيمة ان النبى صلوات الله وسلامه عليه لما نزل بالمسلمين ببدر بعيدا عن الماء قال له السيد الجليل الحباب بن المنذر - وكان معروفا بجودة الراى والدربة فى الحروب - : ارايت هذا المنزل . امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدم او نتاخر عنه، ام هو الراى والحرب ، والمكيدة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل هو الراى والحرب والمكيدة » فقال الحباب :

يارسول الله فان هذا ليس بمنزل ، فامض الناس حتى ناتى ادنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ماوراءه من الابار ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد اشرت بالراى » ونفذ ما اشاربه الحباب .

وقد دلل النبى بهذا على تاصل روح الشورى فى نفسه الشريفة فيما لم ينزل عليه فيه وحى ، وانه على جلالة قدره ، ووفور عقله ، وبعد نظره لايستبد برايه ، ولا يانف من الرجوع الى الحق كما هو شان الكثيرين من القادة والزعماء السياسيين ، فان الواحد منهم قد يودى

بامة فى سبيل التشبث برايه وقد يكون خطا ، وما ذلك الا لانه صلى الله عليه وسلم نبى وكفى !

وفى قصة الحباب هذه مايدل ايضا على ان مايتعلق بالحرب والغزوات ، والعهود والمصالحات ليس كله باجتهاد فقد يكون بوحى والهام للرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لقول الحباب : اورايت هذا المنزل ، امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدم او نتاخر عنه ؟؟ وليس ادل على هذا مما حدث فى صلح الحديبية . فقد كانت بعض الشروط قاسية فى نظر بعض المسلمين حتى كلموا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا فقال لهم : « هو امر الله ولن يضيعنى » وقد صدقت الحوادث ما قاله الرسول باسرع مما كان يظن . ولم تمض الا فترة وجيزة حتى جاء المشركون انفسهم يعرضون على رسول الله والمسلمين التنازل عن هذا الشرط الذى كان فى ظاهره جائرا على المسلمين ومن المشورات الصائبة مشورة السيد الجليل سعدبن معاذ سيد الاوس فقدقال: يانبى الله نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك اقوام مانحن باشد حبا لك منهم . ولوظنوا انك تلقى حربا ماتخلفوا عنك . يمنعك الله بهم ، ويناصحونك ويجاهدون معك ، فاثنى عليه النبى صلوات الله وسلامه خيرا ودعا له بخير ، ثم بنى للرسول عريش على تل مشرف على ميدان القتال فكان فيه ومعه صاحبه الصديق ابو بكر يتولى حراسته ، والذب عنه بسيفه وهذه الفكرة التى اشار بها سيدنا سعد بن معاذ هى من ادق فنون الحرب واصوله ، فالقائد العام ينبغى ان يكون بمناى عن ميدان القتال حتى يكون قادرا على التوجيه ، والاشارة بما يراه من اساليب الحرب والقتال ، وحتى لايصاب فينفرط باصابته عقد الجيش فيكون ماله الفشل والهزيمة . وقضى الرسول فى ذلك العريش ليلته ومعه الصديق ، واقام سعد بن معاذ على مدخل العريش بسيفه ، خيفة ان يتسلل اليه احد المشركين ومن مظاهر الشورى فى بدر ماحدث من استشارة النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يصنعون بالاسارى فقال الصديق ابو بكر - رضى الله عنه - وكان رحيما رقيقا : يارسول قومك واهلك وانى ارى ان تاخذ منهم الفداء ، فيكون ما اخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماترى يا ابن الخطاب » ؟فقال عمر - رضى الله عنه - وكان صلبا فى الحق شديدا : والله ما ارى ما راى ابو بكر ، ولكنى ارى ان تمكننى من فلان - قريب له - فاضرب عنقه ، وتمكن عليا من اخيه عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزه من اخيه فلان فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم ، وائمتهم ، وقادتهم . وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله انظر واديا كثير الحطب ، فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئا ، ومكث ساعة ثم خرج والصحابة مابين قائل براي ابى بكر ، وقائل براى عمر ، وقائل براى ابن رواحة . فقال : « ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين . وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة ، وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم قال : « فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم » وكمثل عيسى قال : « ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » وان مثلك ياعمر كمثل نوح قال : « رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا » وكمثل موسى قال : « ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم » انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد الا بفداء او ضربة عنق » وبهذا رجح النبى صلى الله عليه وسلم راى الصديق لما جبل عليه قلبه من الرافة والرحمة وما كان يرجوه من ايمانهم واسلامهم .

هذه مظاهر من الشورى فى غزوة بدر تدل على تاصل الشورى فى نفس النبى ونفوس اصحابه ، وان الاسلام دين الشورى حقا ، وان المسلمين فى باب الشورى سبقوا الغربيين فى تنفيذ هذا المبدا والاستفادة منه قبل ان يطبق الغرب هذا المبدا بمئات السنين .

ا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وحظـك موفور وعرضك صين
سانك لا تذكر به عـورة امرىء
فـكلك عورات وللنـاس ألسن
ينك ان بدت اليك معايبـا
فصنهـا وقـل يا عين للناس أعين
اشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفـارق ولـكن بالتى هى أحسـن

« على بن ابى طالب »

من توجيهات النبوة

فى استقبال شهر رمضان المعظم

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

روى الامامان البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اذا حضر رمضان فتحت ابواب الجنة واغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين » وروى ابن حبان فى صحيحه والبيهقى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغى له ان يتحفظ كفر ما قبله » وروى الطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله الى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فاروا الله من انفسكم خيرا فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

اقتضت حكمة المدبر الحكيم جل شانه ان يفاضل بين مخلوقاته وان يميز بعض كائناته بشىء من نفحاته لأسرار يكتها القدر ولا يجليها الله الا للمخلصين من عباده لذا رفع بعض الادميين على بعض درجات وخص بعض الأمكنة بما شاء من الهبات ومنح بعض الأزمنة فضلا كبيرا ففاضل بين الليالى والأيام وطوى فى بعض شهور العام خيرا كثيرا .

والاحاديث النبوية السابقة تعبر فى وضوح عما نال شهر رمضان من هذا التكريم والفضل وتوضح فى جلاء مدى ما اختصه الله به من الخير والبر - يتجلى مظهر هذا التكريم فى أمرين عظيمين أولهما أن انزل الله فيه القرآن وثانيهما ان فرض الله فيه الصيام وبامعان النظر فى هذين الأمرين نجد ان كليهما حياة للبشرية وقوام للمعانى الانسانية ولا عجب فان فى القرآن غذاء وفى الصوم صيانة نعم ان فى القرآن غذاء للروح وتربية للنفس وتقويما فى الخلق وتنظيما فى السلوك ولا غرو فقد وصفه الله تعالى بقوله « ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا » .

وقوله « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وقوله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » وقوله « كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » كيف وهو « تنزيل من حكيم حميد » ويكفى انه رسم لسلوك الانسان فى حياته طريقا ان سار فيه الانسان نجا ، وان انحرف عنه هوى « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

اما الصوم فانه حقيقة صيانة للصائم من فضلات الهوى ونزعات النفس ونوازع الشيطان لا يجد شىء من ايها سبيلا الى نفس الصائم لأن الصوم سد مسالكها ونزع من الصائم رغبتها ولعل الحديث الأول من الاحاديث السابقة يفيد هذا المعنى ذلك ان قول الحديث (فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين » للعلماء فى شرحه رايان الأول يقول ان فتح هذه الابواب وغلق الاخرى وتصفيد الشياطين على حقيقته فتفتح ابواب الجنة طوال شهر رمضان حقيقة وتغلق فيه ابواب النار حقيقة وتصفد فيه الشياطين حقيقة تكريما لشهر رمضان المبارك .

والرأى الثانى يقول : ان فتح ابواب الجنة وغلق ابواب النار وتصفيد الشياطين كنايات عن معان طويت فى الكلام وصرح في الكلام بلازمها ففتح ابواب الجنة فى شهر رمضان كناية عن كثرة الطاعات فى هذا الشهر طوى هذا المعنى فى الكلام وصرح بلازمه وهو فتح ابواب الجنة لان كثرة الطاعات موصلة الى الجنة فكنى عنها بلازمها وهو فتح ابواب الجنة . وغلق ابواب النار كناية عن قلة المعاصى فى شهر رمضان طوى هذا المعنى فى الكلام وصرح بلازمه وهو غلق ابواب النار لأن المعاصى موصلة الى النار فكنى عن قلة المعاصى بلازمها وهو غلق باب النار .

وتصفيد الشياطين كناية عن انصراف النفس عن شهواتها وعزوفها عن الرغبة فيها لان الشياطين تغرى بالشهوات وتدعو الى المعاصى والصوم يحد من جموح النفس ويضعف من رغبتها فى الشهوات طوى هذا وصرح بلازمه وهو تصفيد الشياطين (اى تقييدها بالاغلال) .

والمعنى الذى افاده الراى الثانى أقرب الى المراد من الحديث من المعنى الاول وهو يؤيد ان الصوم صيانة للصائم من مضلات الهوى ونزعات النفس ونوازع النفس ونوازع الشيطان كما قلت سابقا ـ قد يقال هنا كيف تكون الشياطين مصفدة ومقيدة مع اننا نرى الشرور والمعاصى ترتكب جهارا نهارا فى رمضان كثيرا فلو كانت الشياطين مقيدة وممنوعة من الحركة فى هذا الشهر حقيقة لم يقع شىء من هذه الآثام التى نشاهدها فى رمضان .

ويمكن رد هذا السؤال بان تصفيد الشياطين كناية لا حقيقة كما فهمنا .

ولايضاح هذا اقول ان الصائمين نوعان النوع الاول صيام رمضان ملتزما طريقة الصوم الواردة فى السنة وعمل الصحابة اخذا نفسه بالاداب التى نبه اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصوم وان الشياطين لا تجد طريقها الى مثل هذا الصائم وامثاله كالمقيد بالاغلال لا يستطيع ان يصل من هذا الصائم الى غايته .

النوع الثانى جعل الصيام امساكا عن الطعام والشراب والجماع فحسب واطلق لنفسه العنان فى لذائذه وشهواته فصوم هذا النوع ليس فيه مناعة تحمى الصائم من عبث الشيطان بل يد الشيطان فيه جائلة واغراءاته اليه مرسلة وواصلة .

ومن هذا الصائم وامثاله تقع الشرور والمعاصى التى نشاهدها فى رمضان لان الشياطين متصلة بهم تفعل افاعيلها معهم وفيهم يقول الرسول « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » .

ولا يفوتنى ان اذكر شيئا من السنة التى تبين الصوم المطلوب المحقق لاسراره وحكمته والذى يوضحه قول الرسول « اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولايصخب ولا يجهل فان شاتمه احد او قاتله فليقل انى صائم انى صائم » ومعنى قوله فى الحديث لا يرفث اى لا يأتى بفحش فى القول او العمل ومعنى ولا يصخب اى لايجهر بالسوء ومعنى لا يجهل اى لا يتصرف فى سلوكه تصرف الجهلاء الذين يخرجون عن الحدود اللازمة فى التعامل فاذا ما اجتنب الصائم المحظورات وتحاشى المحرمات وامعن فى ذلك مرتقيا درجات الصالحين ومنازل المخلصين يصل المثل الأعلى الذى حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم للصائم بقوله « ان الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقوله « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » المراد بالزور هنا كل المحرمات قولا وفعلا وفى امثالهم يقول الرسول فى الحديث الثالث السابق اول المقال من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغى له ان يتحفظ كفر ما قبله » .

نخلص من هذا الى ان فى الصوم سرا مكنونا يتجلى فى الصائم الذى صام عن كل ما نهى الله عنه فتصفو روحه وتطهر نفسه ويرهف حسه فيرى بنور الله ما لم ير غيره وتحسن علاقته بالله وبالناس وهذا هو سبيل التقوى التى جعلها الله حكمة الصوم اذ يقول (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) لعل للترجى وهو هنا معناه تحقق المرجو فى الجملة التى بعدها لصدوره من الله عز وجل اى يرجى ان يكون فى الصوم تقوى الله وطاعته ـ كيف والصوم يضعف القوى الجسمانية ويضعف تحكمها فى العبد وكلما ضعفت القوى الجسمانية وضعف تحكمها ضعفت شهوة العبد وطهرت نفسه وصفت روحه ويتجلى فيه معنى قول الرسول (الصوم جنة) اى وقاية للصائم من مباشرة المعاصى والتعلق بهما لذا نرى ان الرسول الحكيم ينصح الى الشباب بقوله (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) الوجاء هو رض عروق الخصية فتشل حركتها وتكون كانها غير موجودة وهو شبيه بالخصاء الذى هو فصل الخصية من صاحبها فاذا كان فى الصوم هذه القوة المعنوية التى تحول بين العبد وبين مباشرته اى منكر فهو بحق وسيلة تيسر للعبد الحصول على التقوى .

ومن ناحية اخرى فان الصوم عبادة اذا صحت كانت آية الاخلاص وعنوان العبودية المحضة لله وحده فان العبد لا يؤديها رياء ولا حبا فى حسن السمعة والمحمدة لانه لا يتأتى مع هذه العبادة رياء ابدا لانه لو تظاهر الصائم امام الناس بانه صائم ولم يتناول شيئا بين ايديهم ولكنه تناول ذلك مستخفيا عن الناس غير مستخف من الله وهو معه فليس بصائم لانه تناول مفطرا

من اجل هذا يقول الرسول فيما رواه مسلم (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى « الا الصوم فانه لى وانا أجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى . للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك » فالصوم ركن ركين من اركان الاسلام وسبيل الى تقوى الله التى ضمنها الله حكمة الصوم واسراره فى الآية الكريمة الصوم تشريع خطير وعمل جليل يربى فى الصائم حسن الخلق ويعوده الحنو والعطف ومد يد المعونة لاخوانه ، بالصوم تخف وطأة الشرور وتقل نسبة الجرائم ويستتب الامن وتظهر روح الاخاء فيتبادل الصائمون المصالح ويتعاونون على دفع المضار وجلب المنافع اخوانا متحابين واصدقاء متعافين وهذه سنة الله فى الصوم والصائمين .

واني أعود بالقارىء الكريم الى الحديث الثالث فى اول هذا المقال فانه دفع روحى للتفانى فى اداء هذه

العبادة العظيمة اذ يقول الرسول « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله الى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فاروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

هذا وللصوم احكام واداب لا غنى للصائم عن العلم بها ليؤدى هذه العبادة العظيمة على وفق هذه الاحكام والاداب رجاء القبول وحسن الثواب وانى أنصح كل صائم ان يأخذ من وقته جزءا يقرأ فيه هذه الاحكام والاداب او يسعى لدى المختصين بهذه الاحكام والاداب يتعلم منهم ما لم يكن يعلم او يتذكر منهم ما يكون قد نسى حتى يلقى الله عبدا طائعا له جزاء العاملين .

واحب ان اذكر بعضا من احكام الصوم فى هذا المقال رجاء النفع العاجل لمن يريد من الصائمين المحتاجين اليها فنقول الصوم فرض من فرائض الاسلام بل هو احد اركانه الخمسة التى بينها رسول الله فى قوله « بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ومعنى الصوم ـ شرعا ـ الامساك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس .

ويجب اداء الصوم على كل مسلم بالغ عاقل خال من الاعذار الموجبة للفطر كالمرض الشديد الذى يتسبب عنه الهلاك او حصول ضرر شديد للصائم وكالحيض والنفاس بالنسبة للمراة فيحرم الصوم على المريض مرضا شديدا وعلى المراة الحائض والنفساء وعليها فاذا حل رمضان وهى حائض او نفساء أن لا تنوى الصوم ولا تفعله حتى تطهر من دمها هذا واذا نزل بها الحيض او حصل لها النفاس اثناء شهر رمضان نهارا او ليلا بمجرد ان ترى الدم وجب عليها الفطر وحرم الصوم حتى تطهر فاذا انقطع عنها دم الحيض او النفاس قبل الفجر وجب عليها ان تبيت نية الصوم وتصبح صائمة يومها واذا انقطع هذا الدم نهارا فى اى جزء من النهار وجب ان تمسك بقية اليوم عن كل مفطر وتنوى صوم اليوم التالى مباشرة وعليها قضاء كل الايام التى أفطرتها بسبب الحيض او النفاس .

والمراد بالطهر الذى يوجب الصوم عليها هو النقاء من دم الحيض والنفاس لا الغسل لان الغسل من الحيض او النفاس بل ومن الجنابة ليس شرطا فى صحة الصوم ويحرم على المراة ان تصوم تطوعا بغير اذن زوجها اذا كان حاضرا معها فى البلد لا غائبا .

ونية الصوم ركن من اركان الصوم لا تتحقق الصوم الا بها . ويرى بعض العلماء ان النية شرط فى الصوم لا ركن له .

والنية هى عبارة عن قصد الصوم والعزم المصمم على فعله . والنية من اعمال القلوب لذا لا يشترط النطق بها فى اداء اية عبادة من العبادات ويرى بعضهم ان النطق بها مندوب ليساعد اللسان القلب ويرى البعض ان النطق بها مكروه .

ووقت النية فى الصوم هو الليل كله من غروب الشمس الى قرب طلوع الفجر الصادق فى اى جزء منه اوله او وسطه او آخره ولا يضر مطلقا تناول شئ من المحظورات على الصائم من شهوتى البطن والفرج ما دام ذلك قبل طلوع الفجر ولا يجب تجديدها بعده .

ويرى بعض العلماء ان نية الصوم شهر رمضان كله فى اول ليلة منه كافية لصيام الشهر كله دون ان ينوى كل ليلة فاذا صمم المسلم على صيام شهر رمضان كله فى اى جزء من أجزاء ليلة شهر رمضان الاولى من بعد غروب شمس آخر يوم من شعبان الى قبل فجرها بقليل هذه النية كافية للشهر كله ولا يجب عليه تجديدها كل ليلة لان الشهر كله عبادة واحدة ويكفى للعبادة الواحدة نية واحدة لكى يندب تجديد النية كل ليلة فقط ويرى البعض انه يجب تجديد النية كل ليلة .

ويبطل الصوم بتناول اى شىء مما يجب على الصائم ان يمسك عنه من شهوتى البطن والفرج سواء تناوله عمدا أو نسيانا الا أنه اذا تناوله عمدا بدون عذر شرعى منتهكا حرمة الشهر فعليه القضاء والكفارة اذا كان الصوم صوم اداء رمضان وفوق هذا فهو كبيرة من الكبائر تجب فيها التوبة واذا تناوله نسيانا امسك بقية يومه هذا ووجب عليه قضاؤه فقط دون كفارة ولا ذنب عليه .

ويرى بعض العلماء ان تناول المفطر نسيانا لا يبطل الصوم ولا يوجب القضاء كما يرى بعضهم أن الكفارة لا تجب على الصائم الا فى حالة واحدة فقط هى الجماع فى نهار رمضان وذكر لذلك شروطا

والكفارة انواع ثلاثة :

١ ـ عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب المضرة .

٢ ـ ان لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين لا يفطر اثناءها ولا يوما واحدا فان صام اول شهر عربى اعتبر الشهر شهرا ولو كان تسعة وعشرين يوما والا اكمل الشهرين ستين يوما متتابعة كما سبق .

٣ ـ وان لم يستطع الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا .

ويرى بعض العلماء ان ترتيب هذه الانواع واجب بحيث لا يفعل واحدا منها الا عند العجز عن سابقه .

ويرى البعض ان هذا الترتيب غير واجب بل هو مخير فى اى الانواع شاء غايته ان هذا الترتيب مندوب فقط .

ونرجو الله التوفيق لاخواننا المسلمين فى اداء هذه العبادة على ما بينته الشريعة من احكام واداب فانه تعالى ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق .

رمضان شهر الروح

الدكتور عبد الغني الراجحي

كثيرون هم الذين كتبوا ويكتبون وسوف يكتبون عن رمضان وصيامه .. فموضوع رمضان وصيامه من الموضوعات الموسمية التي تكثر فيها الكتابة بحكم العادة .

ولكل كاتب طريقته الخاصة في معالجته موضوعا كهذا الموضوع المترامي الاطراف والمتشعب النواحي .

أرجو ان لا أكون ابعدت النجعة اذا رايت الان وفي هذا المقام والمقال أن أتناول هذا الموضوع بادىء ذي بدء من ناحية قد تبدو بادى الرأى بعيدة عنه لكنها في جوهر أمرها على صلة وثيقة به .

الانسان مزدوج . مركب من عنصرين . مادى طيني جسدى هو جسمه وربانى روحانى هو نفسه الانسانية وروحه الادمية التي هو بها على الحقيقة انسان ونفسيته الناطقة التي قيل فيها

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

لما خلق الله الانسان مركبا من هذين العنصرين . لم ينس سبحانه أن يتكفل ويجود للعنصرين بما به غذاؤهما وتربيتهما وانتعاشهما واستكمال كمالهما وفاعليتهما في الوجود .

أما العنصر المادى البدني فقد انزل الله غذاءه ومقومات بقائه ومابه حياته وكماله فيما خلق سبحانه من عوالم مادية في الارض والسماء . والماء والهواء . والشمس والضياء . والحيوان والنبات والجماد « الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » « الله الذي خلق السموات والارض وأنزل

من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار » .

واما العنصر الروحانى الربانى النفس البشرية الناطقة ، فقد انزل الله لها هى الاخرى ما به غذاؤها وقوامها وصلاح امرها . الديانات . النبوات . الهدايات الرسالات الكتب السماوية . ما ارسل الله الرسل وانزل الكتب الا لصلاح الانفس واسعادها فى معاشها ومعادها . كل عبادة أوجبتها الديانات مهما كانت ملامستها للابدان فالقصد فيها فى النهاية الى الروح وكمالها وسموها واعلائها .

فاذا كانت قمة الكتب السماوية وذروتها تتمثل فى القرآن الكريم . وكان هو نفسه روحا لانه مدد الارواح وغذاؤها ، ومادة كمالها وبهائها واشراقها . فان رمضان شهر الروح ، لأن القرآن نزل فى رمضان ، أما ان القرآن نفسه روح لان به حياة القلوب والنفوس واسعاد البشرية فى معاشها ومعادها . البشرية بدونه فى عداد الموتى فقد نطق بذلك القرآن نفسه حيث يقول تعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقال كثير من المفسرين انه « اى القرآن » هو المقصود بالروح فى قوله تعالى : « ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد سمى الله وحيه الذى ينزله مع الملائكة على رسله روحا فقال سبحانه : « ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده » .

اما ان القرآن . هذا الروح . نزل فى رمضان ، فقد نطقت بذلك الآيات الكريمة « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا اوعلى سفر فعدة من أيام أخر » . « انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر . سلام هى حتى مطلع الفجر » . « حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . امرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم » . والليلة المباركة التى هى ليلة القدر والتى نزل فيها القرآن . بينت السنة الصحيحة المطهرة أنها فى العشر الأواخر من رمضان فقد جاء فى صحيح البخارى . ان الناس بينما هم فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . اذ خرج عليهم ليعلمهم بليلة القدر فوجد بالمسجد انسانين يتلاحيان . فقال لهم انى خرجت لأعلمكم بليلة القدر . وانه قد تلاحى فلان وفلان فرفع علمها من راسى . وعسى ان يكون خيرا لكم . التمسوها فى الخامس والعشرين والسابع والعشرين والتاسع والعشرين . وفى رواية . فى خامسة تبقى . فى سابعة تبقى . فى تاسعة تبقى . اى من شهر رمضان .

واذا كان جبريل الذى ينزل بالقرآن هو الآخر روحا . كما تفيده بعض النصوص القرآنية . فان رمضان من هذه الناحية أيضا . شهر الروح . وهذا بالاضافة الى ان جبريل كان فى رمضان بالذات كثير الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . يتدارسان القرآن فى لياليه . يعرض القرآن كله عليه . مرة فى كل رمضان . وفى رمضان الاخير من حياة رسول الله عرض القرآن عليه مرتين . ويقول ابن عباس فى صحيح البخارى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس . وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن . فلرسول الله اجود بالخير من الريح المرسلة .

واذا كان امس العبادات والصق الفرائض . بالجانب الروحى فى الانسان هو الصيام . فان رمضان من هذه الجهة أيضا هو شهر الروح لأنه شهر الصيام . اما ان الصوم امس العبادات وألصقها بالجانب الروحى فى الانسان فذلك واضح .

اولا : من طبيعة الصوم نفسه لانه حرمان البدن طول النهار من الفجر الى غروب الشمس مع النية . من المآكل والمشارب والملذات الجنسية . المظاهر الثلاثة الحيوانية التى بها تشتد ضراوة النفس الامارة بالسوء ويزداد فيها انهماكها فى عالم البهيمية وبعدها عن عالم الروحانية والصفاء والاشراق . فما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه . نقاوة القلب . وبلادة الذهن . والغفلة عن الحق . وردىء العادات . وفتح أبواب الشهوات والمحرمات . والتسفل الى الدرك الاسفل من رتبة الحيوانية ولوازمها . وقبائح المعاصى وظلماتها . ورفقة الشياطين واتباعها فى الغواية والعماية . كل ذلك مما يساعد عليه . ويدفع اليه . ويقويه . استرسال النفس فى الاستزادة من الملذات . وقمع النفس بالصيام وحرمانها وقهرها وتاديبها وكفها عن الاسترسال فى مطالب البدن . يقوى فى الانسان جانب الروح والتجرد والطهارة والترفع عن الدنايا . بقوة الارادة . والصعود فى معارج القرب من الله وطاعته ومرضاته . ولهذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه يوصى عائشة رضى الله عنها بقوله . داومى قرع باب الجنة فتقول بم يارسول الله ؟ فيقول . بالجوع . ويقول « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدماء فى العروق . فضيقوا مجاريه بالجوع » .

ان الشهوات هى الأرض الخصبة بالنسبة للشياطين يرتعون فيها . فمادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم . ولم ينكشف للعبد جلال الله وجماله . وكان محجوبا عن ملاقاته . والتذوق لحلاوة معرفته ومشاهدته . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات » .

ومن هنا نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر الصوم جنة ـ أى وقاية ـ من المعاصى والشهوات والانفعالات النفسية . وهيجان القوى الغضبية الغاشمة التى تتنافى مع الكمالات الروحية تمام المنافاة فيقول فى حديثه الصحيح « الصوم جنة . فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب . وان شتمه احد فليقل انى صائم . انى صائم »

ويعتبر صلى الله عليه وسلم رمضان فرصة ذهبية سانحة لشيوع الفضيلة ومعانى الخير والرحمة والكمال وهزيمة الشر والشيطان وضعف فاعليته فيقول « اذا كان رمضان فتحت ابواب الجنة واغلقت ابواب النار . وصفدت الشياطين . ونادى مناد يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر اقصر » .

ثانيا ـ الصائم ـ وهو صائم ـ روحانى بحت متجرد على قدر الطاقة من المادة وعلائقها نسى او تناسى بدنه

ومطالبه . صار ملائكيا . فالملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تشتهى جبلة وطبعا . ولكن الانسان حين يفعل ذلك يفعله مجاهدة ومجالدة ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذ يباهى الله ملائكته بالعبد الصائم . يقول : انظرو يا ملائكتى . ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجلى وفى رواية اخرى عن العبد الصائم انه سبحانه يقول فيه . هو عندى كبعض ملائكتى . فالانسان مرتبته فوق مرتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه . وهو مبتلى بمجاهدتها . فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى أسفل سافلين . والتحق بعالم البهائم . وكلما قمع الشهوات ارتفع الى أعلى عليين . والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله . والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله كقربهم . بل ان الله نفسه صمد . لا يأكل ولا يشرب . فالصائم فى كماله الحادث بالصوم متشبه بكماله سبحانه . الكمال الذاتى السرمدى وعلماء الفلسفة والحكمة الاسلاميون يقولون عن الحكمة والفلسفة . أنها هى التشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية وفى الحديث الشريف « تخلقوا باخلاق الله ، وفيه أيضا « ان الله خلق آدم يوم خلقه على صورته » فبالصوم يصير الصائم ملاكا فوق ظهر هذه الأرض . بل يصير ربانيا فى عداد الملأ الأعلى .

ولعل ذلك مما يساعد الباحثين والدارسين فى الكشف عن السبب فى تخصيص الصوم من بين أعمال الانسان بانه لله . مع أن العبادات كلها له سبحانه . وذلك فى قوله تعالى فى حديثه القدسى المشهور « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به » .

فكما أن البيت الحرام خص لمزية فيه بانه بيت الله مع أن البيوت والارض كلها لله . فكذلك الصوم خص من بين العبادات بانه لله للمزية التى أشرنا اليها .

هذا بالاضافة الى أن الصوم عمل موكول الى ضمير العبد . لا يحفز اليه الا وازع حقيقى من باطن النفس والوجدان ومراقبة الله جل علاه واستحضار خشيته دائما أبدا . والا فيستطيع الانسان أن يخلو بنفسه بعيدا عن أعين الناس فيأكل ما يشاء ثم يتظاهر امام الناس بالصيام .

فالصوم اذن اعلاء للنفس وتربية للروح وتنمية للضمير والوجدان ورمضان اذن شهر الروح والخير والصفاء وصدق الله اذ يقول فى محكم كتابه « وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون »

« اذا امتلأت المعدة خرست الحكمة، ونامت الفطنة وسكتت الاعضاء عن العبادة » .

(لقمان الحكيم)

الإعتكاف

سنة مؤكدة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر من رمضان

فضيلة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني

مقدمة

ان شهر رمضان شهر العبادة ، وشهر التوبة والانابة وشهر التقرب والتحبب الى المعبود الحق سبحانه ، بطرق شتى ، التى تكون فى نطاق وسع العبد وطاقته .

فى هذا الشهر المبارك « الذى أنزل فيه القرآن » يصوم الصائم نهاره ، ويقوم ليله يصوم فيمسك عن الاكل والشرب والجماع ، من الفجر الى غروب الشمس، ويتقى عما لا يتفق مع حكمة الصيام ، ويتنافى تشريعه من أعمال وأقوال ، وبهذا يقضى نهاره .

وبعد تناول الفطور بما عنده من الرزق الميسور ، وذهاب العطش وابتلال العروق وحصول الأجر بمشيئة الله « كما فى الحديث النبوى فيما رواه ابو داود » يقوم ليله يصلى صلاة التراويح ويسبح باسم ربه كثيرا ويستغفره ، وكذلك يختم أو يسمع كتاب الله عز وجل فى ليالى الشهر الميمون فى ركعات صلاة التراويح التى يقيمها بالجماعة خلف امام قارىء مع أهل حيه فى مسجد الحى « أو يقيمها على الاقل فى جماعة مع أهل بيته وأفراد أسرته » وبهذا يؤدى سنة التراويح وسنة ختم القرآن فى التراويح ، فينال الأجر والثواب ، عند الله الملك الوهاب ، كما يقوم بتلاوة القرآن المجيد خارج الصلاة تلاوة انفرادية ، أو يستمع

الى تلاوته من قارىء ، ويتذكر « فى الحالتين » بالقرآن ويتفكر ما فيه من التعليمات والأحكام ، وينتفع بما له من معان قدسية ، وأهداف سامية ، ومواعظ حسنة .

وبالاجمال : يذكر الصائم ربه سبحانه آناء الليل وآناء النهار ذكرا كثيرا بطرق متعددة ، وبهذا وذلك يفوز بمزيد الأجر ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وبهذه العبادات والأذكار ، ولا سيما بتادية فريضة الصيام فى النهار ، « مع طوله أو شدة الحر فيه » يروض نفسه الأمارة ويزكيها ، ويرد جماحها فيعودها على الصبر والتقوى .

هذا هو شان الصائمين فى شهر رمضان ، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من السماء .

وقد ورد فى العبادة فى رمضان وعلى الأخص فى العشر الأواخر منه ، أحاديث كثيرة ، فقد روى الامام مسلم فى صحيحه بسنده المتصل الى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر « الأواخر » أحيا الليل «استغرق بالسهر فى عبادة ربه سبحانه وايقظ أهله « لاغتنام الليالى بذكر الله وعبادته واستماع القرآن وتلاوته » وجد « أى اجتهد فى عبادة ربه » وشد المئزر « أى تشمر وزاد فى العبادة زيادة ملموسة على ما هو المعتاد عنده ، واعتزل نساءه حتى يتفرغ لعبادة ربه عز وجل » .

ويضاهيه فى المعنى ما رواه الامام مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أيضا . قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر « من رمضان » مالا يجتهد فى غيرها وكان ذلك كله اغتناما لهذه الأيام والليالى المباركة ، وتعليما منه صلى الله عليه وسلم لأمته ، خير أمة أخرجت للناس .

وبناء على هذا الشان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعتكاف فى العشر الأواخر من هذا الشهر شهر العبادة لله ، وشهر الأنس بالله والتحبب الى الله عز وجل .

ذلك الاعتكاف الذى يتفق مع حكمة الصيام فيه وفلسفته وأهدافه العليا ، ويتمشى ويتناسب مع ما شرع فيه من تشريع وتعاليم روحية وخلقية ، تزكى نفس الانسان ، وتصفى روحه ، وتقربه من ربه سبحانه تقربا فريدا يختص بايام معدودات ، يجب « على كل مسلم ومسلمة » اغتنامها والحرص فى اكتساب البركة والفيوض الالهية فيها ، والتيقظ على حفاظتها عن الضياع بالغفلة او بما لا ينبغى من العمل .

هذا هو سر سنية الاعتكاف ، وهذه هى حكمته فى نظر الدين الاسلامى . هذا مع ما فى الاعتكاف من التماس ليلة القدر وادراكها بالعبادة ، كما فى الأحاديث الصحيحة وسنفردها فى بحث .

« ما نزل من القرآن المجيد بشان الاعتكاف »

وقد نزلت من القرآن المجيد بشان الاعتكاف آيتان . الآية الأولى قوله عز وجل « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ،وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

فان فى هذه الآية اشارة وترغيبا الى العكوف « الاعتكاف » فى بيت الله « المسجد » لعبادة الله وذكره مطلقا ، اى فى رمضان وغيره من الشهور .

والآية الثانية : قوله سبحانه « ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد » الآية ١٨٧ من البقرة .

وفى هذه الآية تصريح بمشروعية الاعتكاف فى رمضان مع بعض محظوراته ، وذلك بدليل ان الآية من الآيات التى نزلت بشان صيام رمضان وأحكامه .

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم العكوف « الاعتكاف » فى المساجد ، المفهوم من هذه الآية تفسيرا عمليا ، بحيث حدد به كيفية الاعتكاف واوقاته ومايتعلق به من الأحكام .

وبهذا ثبتت فى الشريعة الاسلامية ، سنية الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان وصرح بسنيتها « سنة مؤكدة » الأئمة الأربعة المجتهدون ، أصحاب المذاهب الأربعة ، وبينوا للمسلمين أحكام هذا الاعتكاف المسنون وآدابه ، وأوضحوا ما يجوز فيه ومالا يجوز بكل اهتمام ، وقد خصصت فى الكتب الفقهية « للمذاهب الأربعة كلها » أبواب وفصول خاصة بالاعتكاف ، مما يدل على اهتمام السلف الصالحين ومن بعدهم من الخلف ، بهذه السنة النبوية .

سبب نزول هذه الآية

وسبب نزول هذه الآية الثانية ، وهى التى تتعلق بموضوع البحث مباشرة ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يعتكفون فى المسجد فى ليالى رمضان الأخيرة ، اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى أهله دخل عليها وخلا بها ، ثم اغتسل ورجع الى المسجد حيث يعتكف فيه ، فنهاهم الله سبحانه بهذه الآية عن ذلك . حتى يفرغوا من اعتكافهم ، كذا فى تفسير البغوى .

ويظهر ان اولئك المعتكفين كانوا يعتمدون فى تصرفهم هذا على قوله تعالى « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » فى الآية ١٨٧ من البقرة .

فان الرفث فى اللغة كلام يستقبح التلفظ به ، وهو كناية هنا عن الجماع .

ما ورد من الأحاديث بشان الاعتكاف

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشان الاعتكاف .

١ ـ منها ما رواه الامام البخارى ومسلم بسندهما المتصل الى عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان .

٢ ـ ومنها ما رواه الامامان البخارى ومسلم أيضا بسندهما المتصل الى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ان النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه بعده .

أقول يستنبط من خاتمة هذا الحديث مشروعية الاعتكاف للنساء أيضا ، ويؤيده ما رواه الامام مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها ، فانه يفهم منه انه صلى الله عليه وسلم لبعض أزواجه بضرب خبائها فى المسجد للاعتكاف ، ثم ضرب خباء سائر الأزواج المطهرات رضى الله عنهن واحدة بعد واحدة فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر واراد الدخول فى خبائه للاعتكاف ، نظر فاذا الأخبية « قد ضربت حول خبائه » فقال البر يردن ؟ فامر بخبائه فقوض « أى أزيل » وترك الاعتكاف حتى اعتكف هو وحده فى العشر الأول من شوال فى ذلك العام .

قال الامام النووى فى شرح هذا الحديث : البر اى لطاعته ؟ قال القاضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكلام انكارا لفعلهن وقد كان صلى الله عليه وسلم أذن لبعضهن فى ذلك كما رواه البخارى ،قال وسبب انكاره أنه خاف أن يكن غير مخلصات فى الاعتكاف ، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن ، فكره ملازمتهن المسجد ، مع أنه « المسجد » يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون ، وهن محتاجات الى الخروج والدخول لما يعرض لهن « من العوارض » فيبتذلن بذلك ، أو لانه صلى الله عليه وسلم راهن عنده فى المسجد وهو فى المسجد فصار كانه فى منزله بحضوره مع ازواجه ، وذهب المهم « الاساسى » من مقصود الاعتكاف ، وهو التخلى من الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك أو لانهن ضيقن المسجد بأبنيتهن « أخبيتهن » .

ثم قال النووى : وفى هذا الحديث دليل لصحة اعتكاف النساء ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان أذن لهن ، وانما منعهن بعد ذلك لعارض .

اقول : وفى قول الامام النووى « اذن لهن » نظر ،لأن الاذن انما كان لبعضهن كما رواه البخارى ، فتامل .

٣ ـ ومنها ما ورواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : كان يعرض القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرا ،فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض .

اقول : قوله « يعرض القرآن اى فى رمضان من قبل جبريل ، كما فى سائر الأحاديث .

٤ ـ ومنها ما رواه الامام الترمذى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان ، فلم يعتكف عامه فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين . أقول وروى أبو داود وابن ماجة نص هذا الحديث عن أبى بن كعب رضى الله عنه ، ولا يخفى أن الحديث يدل على اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتكاف ، كما قال الامام ابن القيم الجوزية ما نصه : كان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل « يشير الى حديث عائشة رضى الله عنها » وتركه مرة فقضاه فى شوال .

تعريف الاعتكاف

قال فى كتاب الفقه على المذاهب الاربعة هو العكوف « اللبث » فى المسجد للعبادة على وجه مخصوص .

وقال صاحب كتاب « الهداية » (فى الفقه الحنفى) هو اللبث فى المسجد مع الصوم ونية الاعتكاف ، أما اللبث فركنه « لانه ينبىء عنه فكان وجوده به ، والصوم من شرطه عندنا والنية شرط فى العبادات .

بعض أحكام الاعتكاف

١ ـ والصحيح أنه سنة مؤكدة ، لأن النبى عليه السلام واظب عليه ، والمواظبة دليل السنة . الهداية اختصارا .

وفى كون السنة مؤكدة ، الحنابلة قالوا : سنة مؤكدة فى رمضان وآكده فى العشر الأواخر منه ، والشافعية قالوا : ان الاعتكاف سنة مؤكدة فى رمضان وغيره ،وهو فى العشر الأواخر منه آكد ، والمالكية قالوا :وهومستحب فى رمضان وغيره ويتاكد فى رمضان مطلقا ، وآكده فى العشر الأواخر منه ، والحنفية قالوا : هو سنة مؤكدة على الكفاية فى العشر الأواخر من رمضان ، ومستحب فى غيرها . « الفقة على المذاهب » .

اقول . فالمذاهب الأربعة متفقة فى أن الاعتكاف سنة مؤكدة فى العشر الأواخر من رمضان ولكنه سنة مؤكدة على الكفاية فى المذهب الحنفى ، بحيث اذا اعتكف بعض « فى الحى أو البلد على الاختلاف » كفى الجميع ، والا أثم الجميع بترك السنة المؤكدة ، كما يفهم من كتب الفقه الحنفى .

٢ ـ ثم الاعتكاف لا يصح الا فى مسجد الجماعة،لقول حذيفة رضى الله عنه لا اعتكاف الا فى مسجد جماعة ، وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه لا يصح الا فى مسجد يصلى فيه الصلوات الخمس ، لأنه « الاعتكاف » عبادة انتظار الصلاة ، فيختص بمكان تؤدى فيه » «الهداية» فى الفقه الحنفى .

٣ ـ أما المرأة فانها تعتكف فى مسجد بيتها الذى أعدته لصلاتها ، ويكره تنزيها اعتكافها فى مسجد الجماعة ولا يصح لها أن تعتكف فى غير موضع صلاتها المعتاد » « الفقه على المذاهب الأربعة » .

أما المرأة فتعتكف فى مسجد بيتها ، لأنه هو الموضع لصلاتها ، فيتحقق انتظارها فيه ، ولو لم يكن لها فى البيت مسجد ، تجعل موضعا فيه فتعتكف فيه . « الهداية »

٤ ـ ولا يخرج « المعتكف » من المسجد الا لحاجة الانسان اما الحاجة فلحديث عائشة رضى الله عنها « كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يخرج من معتكفه الا لحاجة الانسان » ولانه معلوم وقوعها ، ولابد من الخروج فى تقضيتها ، فيصير الخروج لها مستثنى ، ولا يمكث بعد فراغه من الطهور ، لان ما ثبت للضرورة يتقدر بقدرها « أى بقدر الضرورة » « أما الجمعة فلانها ن أهم حوائجه وهى معلوم وقوعها ،وقال الشافعى رحمه لله الخروج اليها مفسد ، لانه يمكن الاعتكاف فى الجامع . ونحن « الحنفية » نقول الاعتكاف فى كل مسجد مشروع . واذا صح الشروع فالضرورة مطلقة فى الخروج ، ثم انه يخرج « لصلاة الجمعة اذا لم يكن فى الجامع » حين تزول الشمس ، لأن الخطاب « فاسعوا الى ذكر الله » يتوجه بعده « بعد الزوال » وان كان منزله « المعتكف » بعيدا عنه « عن الجامع » يخرج فى وقت يمكن ادراكها ، ويصلى قبلها أربعا ، وفى روايته ستا ، الأربع سنة والركعتان تحية المسجد ، وبعدها أربعا أو ستا « على حسب الاختلاف فى سنة الجمعة » وسننها توابع لها فالحقت بها ، ولو أقام فى مسجد الجامع أكثر من ذلك لا يفسد اعتكافه لانه موضع اعتكاف ، الا أنه لا يستحب « انه مكروه » لانه « المعتكف » التزم أداءه « الاعتكاف » فى مسجد واحد فلا يتمه فى مسجدين من غير ضرورة . « لهداية »

٥ ـ ولو خرج من المسجد ساعة بدون عذر فسد اعتكافه عند أبى حنيفة رحمه الله لوجود المنافى وهو القياس . « الهداية »

٦ ـ والأعذار التى تبيح الخروج من المسجد للمعتكف ثلاثة أقسام ، أ ـ أعذار طبيعية كالبول أو الغائط ، أو الجنابة بالاحتلام ، حيث لايمكنه الاغتسال فى المسجد ونحو ذلك ، فان المعتكف يخرج من المسجد « موضع اعتكافه » للاغتسال من الجنابة ولقضاء حاجة الانسان بشرط أن لا يمكث خارج المسجد الا بقدر قضائها .

ب ـ أعذار شرعية كالخروج لصلاة الجمعة اذا كان المسجد المعتكف فيه لا تقام فيه الجمعة « أى صلاتها

ج ـ اعذار ضرورية كالخوف على نفسه او متاعه اذا استمر فى هذا المسجد ، وكذا اذا انهدم المسجد ، فانه يخرج منه بشرط ان يذهب الى مسجد آخر فوراً ناويا الاعتكاف فيه » « الفقه على المذاهب الاربعة »

٧ ـ واما الاكل والشرب والنوم يكون فى معتكفه «لأن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن له ماوى الا المسجد « فكان ياكل ويشرب وينام فيه » ولانه يمكن قضاء هذه الحاجة فى المسجد فلا ضرورة الى الخروج . « الهداية » .

٨ ـ ولا باس بان يبيع ويبتاع « يشترى » فى المسجد من غير ان يحضر السلعة ، لانه « المعتكف » قد يحتاج الى ذلك ، بان لا يجد من يقوم بذلك ، الا انهم قالوا يكره احضار السلعة للبيع والشراء ، لان المسجد محرز عن حقوق العباد « مخصوص لحق الله وهو العبادة » وفيه شغله بها . « الهداية »

٩ ـ ولا يتكلم الا بخير ، ويكره الصمت لان صوم الصمت ليس بقربة فى شريعتنا . « الهداية »

١٠ ـ وأما آدابه . فمنها ان لايتكلم الا بخير ، وأن يختار افضل المساجد وهو المسجد الحرام ، ثم الحرم النبوى ، ثم المسجد الاقصى ، لمن كان مقيما هناك ثم المسجد الجامع ، ويلازم التلاوة « تلاوة القرآن » والحديث « النبوى » والعلم وتدريسه ونحو ذلك «قول الحنفية من الفقه على المذاهب » .

اقول : هذه هى سنية الاعتكاف فى العشر الاواخر من رمضان ، وهذه عدة أحكام تتعلق به رويناهابنصوصها من كتاب الفقه على المذاهب الاربعة ، ومن كتاب الهداية لبرهان الدين المرغنانى التركستانى ، وفى هذه الاحكام « كما يرى القارىء الكريم » كل تيسير لتادية هذه السنة على ما هو الاصل من أصول التشريع الالهى ، حتى ان طرح فراش او وضع سرير مسموح شرعا للمعتكف ، فقد روى ابن ماجة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال . ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اعتكف يطرح له فراشه او يوضع له سريره وراء اسطوانة التوبة .

نعم . انه امر يسير لمن يسره الله سبحانه» ، وانما يتطلب من المؤمن ان يضحى ببعض راحته ، فى أيام معدودة من سنته ، التى ربما أمضى معظمها فيما يهواه من راحته ونومه وسنته ، كما يتطلب حسن نيته وصدق عزيمته ، حتى ينال التقرب الى ربه ورحمته ، والمثل الفارسى يقول :

ميان جان وجانان فاصله نيست ، ولى تراحوصله نيست !

يعنى . لا فاصلة بين المحب والمحبوب « فالوصول اليه ميسر » ولكن ليس لك همة !

هذا ويحسن هنا ان نروى راى الامام ابن القيم الجوزية ، قال رحمه الله فى كتابه « زاد المعاد فى هدى خير العباد » ما نصه :

« لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق يسره الى الله تعالى متوقفا على جمعيته على الله ، ولمشعثه باقباله بالكلية على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالطة الانام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام ، مما يزيده « القلب » شعثا ، ويشتته فى كل واد ، ويقطعه عن يسره الى الله عز وجل ، ويضعفه او يعوقه ويوقفه ، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده ، أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة عن يسره الى الله تعالى ، شرعه « الصوم » بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد فى دنياه واخراه ، ولا يضره ، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة .

وشرع لعباده الاعتكاف الذى مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه ، والخلوة به ، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق للاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه . فى محل هموم القلب وخطراته ، فيستولى عليه بدلها ، ويصير الهم كله به سبحانه ، والخطرات كلها بذكره ، والتفكر فى تحصيل مراضيه وما يقرب منه ، فيصير انسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق فيعده بذلك لانسه به سبحانه يوم الوحشة فى القبور ، حين لا أنيس له ، ولا ما يفرح به سواه ، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم »

انتهى اختصارا .

وفى الختام اقول :

لقد قلنا « بعد ما أثبتنا » فيما سبق من هذا البحث ، ان المذاهب الأربعة متفقة فى أن الاعتكاف سنة مؤكدة فى العشر الأواخر من رمضان ، ولكنه سنة مؤكدة على الكفاية فى المذهب الحنفى .

ولهذا كان ائمة الأمة ومشايخ الطرق الصوفية فى بخارى وتركستان « رحمة الله عليهم » يعتكفون فى العشر الاواخر من رمضان . فضلا عن اعتكاف النفل فى بعض الشهور الأخرى . وانما ذلك اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتادية لسنته ، وعملا بالمذهب الحنفى ، « حيث لا توجد المذاهب الثلاثة الباقية هناك » .

وكان منهم حضرة شيخى واكبر اساتذتى الشيخ محمد أكرم خان فى ناشكند ، وحضرة شيخى ومن كبار أساتذتى الشيخ محمد خال مراد مفتى بخارى ، وحضرة والدى واستاذى وشيخى الشيخ السيد محمد خالد فى طراز ، وقد داموا بالقيام لتادية هذه السنة النبوية وتعريفها ونشرها بين الأمة المحمدية فى تلك البلاد ، الى أن توفاهم الله عز وجل فلحقوا بالرفيق الأعلى .

وكانوا ينوون فيما ينوون فى اعتكافهم هذا ، الكفاية ايضا عن سائر المسلمين فى بلادهم لاسقاط هذه السنة المؤكدة عن ذمم العامة ، حتى لا يأثموا بتركها ، نظرا لحكم المذهب الحنفى .

وهناك ائمة ومشايخ المسلمين فى افغانستان وباكستان وفى سائر البلاد الاسلامية والعربية وعلى رأسها مكة المعظمة والمدينة المنورة ، يعتكفون فى العشر الاواخر من رمضان ، بنفس النية ونفس الغرض المقدس ، كبعض المشايخ فى قرى مصر وارياقها .

وكم كنا نود « ولا نزال نود بكل حرص » ان يكون فى القاهرة عاصمة مصر « حفظها الله عن كل سوء »هنا وهناك من المساجد ، وعلى الأخص فى مسجد الجامع الأزهر « مرجع العالم الاسلامى والعربى منذ أكثر من الف سنة ، فى تعليم الكتاب والسنة ومعقل الحفاظ على التراث الاسلامى » أئمة ومشايخ يقومون بتادية هذه السنة المؤكدة فى المذاهب الأربعة وذلك تادية عن أنفسهم وكفاية عن اخوتهم المسلمين واحياء لهذه السنة النبوية فى المجتمع الاسلامى .

والتوفيق من الله عز وجل .

وما علينا الا البلاغ المبين .

حكم الصيام
وآداب الصائم

فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل البليني

بسم الله الرحمن الرحيم ـ قال الله تعالى :

« يأيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

أيها القارىء الكريم :

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ أجرى على عباده فيوض رحمته وأغدق عليهم غيوث فضله وجوده ، وكرمه وبره .

كما قال تعالى . « وما بكم من نعمة فمن الله » ـ وقال :

« ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

وقد حقق لهم بذلك السعادة الوارفة ، والنعمة السابغة ، والعيشة الراضية ، والخير العظيم ، والنعيم المقيم .

وان آثار رحمة الله تعالى كثيرة متنوعة ، عديدة متشعبة ، يدرك العبد مواهبها في النوم واليقظة والسكون والحركة ، واللفتة والنظرة ، والنور والظلمة . وغير هذا مما لا تحصيه العد ، ولا يحويه الحصر ، ولا يحيط به الاحصاء .

ويدل عليه قول الله تعالى : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم » .

ويرحم الله القائل

أعطى الخلائق بالافضال نعمه
وسابغ الجود يسديه ويوليه
والمرء ما دامت الدنيا له سكنا
فالله كافله والرزق يأتيه
وليس يحرم من آلاء بارئه
ولو يكون غريقا في مساويه

ومن اهم آثار رحمة الله بعباده فريضة الصوم التي كلفهم بها ، وحذرهم من التهاون فيها ، لما ينجم عنها من الخيرات والبركات ، والفوائد والثمرات . والدليل عليه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - . « ان الله فرض عليكم صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقد عين الله سبحانه وتعالى للصوم شهر رمضان من كل عام ، وجعل فيه لعباده عوائد الخير ، ونوافح البر ، وسوانح الاحسان . فقال - جلا وعلا - « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .

ثم بين - جل شانه - مبدأ الصيام اليومى وغايته ، فجعله من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ، وذلك فى قوله تعالى :

« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » .

فقد افادت هذه الآية الكريمة أن للصائم الأكل والشرب حتى يظهر نور الفجر كالخيط الدقيق . وأن عليه الامساك عنهما حتى يدخل الليل .

ويعزز هذه الغاية قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « اذا أقبل الليل من ها هنا فقد أفطر الصائم » .

ومن كل هذا يعلم أن ما يفعله بعض الفرق من ادامة الأكل والشرب فى مبدأ يوم الصيام حتى يسطع النور ، ومن تأخير الافطار حتى ينتشر الظلام ، لا مستند له ، ولا حجة لأصحابه .

هذا ، وان للصوم ثمرات وحكما ، وفوائد ونتائج ، يدركها ويفوز بها من سلك فى صومه منهج الدين ، وسار على طريقه القويم . ولا يتأتى له ذلك الا اذا خفف طعامه وشرابه ، واكتفى بلقيمات يقمن صلبه ، ويقضين اربه ، ويذهبن سغبه .

أما اذا تناول فى الوقت المباح ما لذ وطاب ، واستعاض فيه عما فاته أثناء الصيام ، فانه يحرم الثمرة ، ويخرج من شهر الصوم بقسوة قلبه ، وجمود نفسه ، وتبلد احساسه .

ومن حكم الصوم أنه يكسر شهوة النفس ، وينأى بها عن الخسائس ، ويطهرها من الدنايا ، ويسمو بها الى مواطن الأخيار ، ومنازل الأبرار .

قال الامام الغزالى . المقصود بالصوم هو الاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان ، فانهم منزهون عن الشهوات . والانسان رتبة فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه ، وكونه مبتلى بمجاهدتها . فكلما انهمك فى الشهوات انحط والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل ، والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله كقربهم ، فان الشبيه من القريب قريب .

واقول مما لا شك فيه أنه اذا كانت للصوم هذه الثمرة المباركة ، فانه يكون حافلا بالخير ، عائدا على النفس والغير بما يرفع الذكر ، ويعلى من الشأن ، ويسدى من الاصلاح ، وينشر من السلام .

ذلك أن الانسان اذا برىء من المساوىء ، وسلم من النقائص ، وصدف عن المناكر ، فانه يكون مثلا أعلى للصالحات ، ونسمة طيبة تؤنس الأرواح ، وتحيي القلوب وتملأ الدنيا عبيرا .

واذا كان المرء على جانب من الخلق الحميد ، والسير على نهج الفضيلة ، وكان على نور يهتدى به فى مزالق الفتنة ، ونوازع الشر ، - فانه يقضى حياته فى الصلاح والاصلاح ، والعزة والنجاح .

لو أنني خيرت كل فضيلة
ما اخترت غير مكارم الاخلاق
كل الامور تبيد منك وتنقضي
الا الثناء فانه لك باقي

ومن حكم الصوم أنه يغرس فى النفس الرحمة والرافة والحنو والشفقة ، والكرم والندى ، والبذل والجدى .

فكثيرا ما نرى الصائم العارف ، الوادع الخاشع ، يعطف على البائس ، ويرأف بالعانى ، ويرق للمكدود ، ويألم للمفئود ، ويقف نفسه على البر والعون ، والكرم والعطاء .

كل ذلك ينادى بما للصوم من جليل النفع ، وجميل الأثر ، فى النفوس التى تدرك وحى حكمته ، وتفوز بنيل ثمرته .

وبعد فهذا الأثر الذى ينبع من الصوم نوع من الاشتراكية ، التى تثمر اغاثة الملهوف ، واجارة المكروب واعانة المحدود ، وابدال المسغبة مرحمة .

ولا شك أنه هو الذى ينشده المصلحون ، الذين يسيرون بالأمة الى مواطن العزة ، ومنازل الكرامة ، وفردوس السعادة .

لذلك كله لا نجافى الحقيقة اذا قلنا : ان الاشتراكية التى تنشرها الثورة وتنشدها ، قد قررها الاسلام فى أحكامه ومبادئه ، وجاء بها منذ بلغه سيد المصلحين .

ولو ان الامة الاسلامية استمسكت باحكامه ، وسارت على مناهجه التى أرادها العليم الحكيم ، لما كان للفقر موضع فى اوساطها ، ولما فاز البعض بالثراء ، وحرم البعض لذة الرخاء .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الموضع أن الرحمة والرأفة ، والاغداق والاحسان ، يأسر القلوب ، ويؤلف النفوس . ويذود عن الكريم اذى الحاسد ، ونقمة الشانىء ، وصولة الصائل . وقديما قالوا

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

ومن حكم الصوم أنه يربى فى النفس الأمانة ، ويجتث منها وصمة الخيانة ، ويعود الانسان الوفاء بما التزم ،

والأداء لما وجب ، والرعاية لما وكل اليه ، والقيام بمـــا عهد اليه .

وبهذا كله يفوز بالرضا ، ويحوز الثقة ، وينال الشرف ويكون طاهر السريرة ، محمود السيرة .

وذلك أن الصائم يترك لذيذ الطعام فى خلوته ، ويعرض عما يشتهى فى انفراده ، مع الظفر به والرغبة فيه ، – ولا يحمله على ذلك الا حفظ أمانة الصوم الذى هو سر بينه وبين ربه ، قد استرعاه اياه ، ووعده على صيانته حسن الجزاء ، وجزيل الثواب .

ولله در القائل فى مدح الصائم :

يرى الصائم الماء الفـــرات مجاورا
ويمنـــع عنـــه النفس فى الخـلوات
ويعرض عن كل اللـــــذائذ طائعــا
ولا يبتغى غيــــــر النعيم الآتى
وما من رقيـــب انمـــا الله خصـــه
بوازع دين ، أو ســــديد حصـــاة

واذا خاف الانسان مقام ربه فى خلوته ، ونهى النفس عن الهوى ، فقد ارتفع ذكره ، وسما قدره ، وكان فضل الله عليه عظيما .

ومن حكم الصوم انه يربى النفس على الصـــبر فى النوازل ، والثبات عند الشدائد ، واستقبال الخطوب بعزم لا يلتوى ، وحزم لا يلين .

وذلك أن النفس عادة طماحة الى اخضاع صـــاحبها تواقة الى اذلاله . ميالة الى التحكم فيه .

فاذا كسر شهوتها بالصوم ، وقمع صولتها بالحرمان ، اصبحت ذليلة بعد ان كانت مذلة ، محكومة بعد أن كانت حاكمة . وبذلك يملك الانسان زمامها . ويستمسك أمـام أعاصير اهوائها ، ولا يجعل لها اليه سبيلا .

وهذا التحكم فى النفس يؤدى الى تربية ملكة الصبر، والوصول الى القمة فى الاحتمال ، وهو من أجل ثمـرات الصوم ، ومن أعظم حكمه ، وأندى بركاته

وقد دلت التجــارب أنه اذا توفرت فى انسان قــوة الصبر والاحتمال ، فانه يصلح للقيــــادة والسيادة ، وسياسة الأمة فى المحن والشدائد ، والسير بها فى طريق الشرف ، ولو كان طريقه محفوفا بالمكاره .

ومن الجائز أن تعترضه عقبات ومعوقات ، ولكنه سرعان ما يتخطاها بصبره وجده ، حتى يصـــل الى أهدافه المرجوة ، وغاياته المنشودة .

ويرحم الله القائل :

لا تيــأسن وان طالت مطالبــــة
اذا استعنت بصبر أن ترى فــرجا
اخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القـــرع للأبواب أن يلجــا
ان الأمور اذا انســدت مســالكها
فالصـــبر يفتح منها كل ما رتجــا

هذا ، وان للصوم آدابا نحث الصائم على التحلى بها ، ليزداد عند الله أجره ، ويعظم لديه بره .

من تلك الآداب غض البصر ، وكفه عن النظر الى مايذم ويكره ، بدافع السوء ، وخواطر الفسوق .

فقد قال عليه الصلاة والسلام : « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله ، فمن تركها خوفا من الله تعالى آتاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه » .

وقال عليه الصلاة والسلام لسيدنا على كرم الله وجهه: « لا تتبع النظرة النظـــرة فان لك الأولى وليست لك الثانية » .

وجاء النهى عن النظر الى الأجنبيات فى حديث آداب الطريق . فقال عليه الصلاة والسلام . « اياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها . قال : فان أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا . وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر » .

ومن آداب الصوم حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة ، والكذب والافتراء . فان النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : « خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والنميمة »

وقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

فاذا أدب الصائم نفسه بكف لســـانه عن الاقذاع والفحش ، فقد صان صومه عن الضياع ، وسما بنفسه عن الدنايا ، وحاز أجره كاملا غير منقوص .

أما اذا أطلق لسانه فى اختلاق المساوىء ، وتحقير الغير فى المجالس والمحافل ، فقد خسرت فى الصيام صفقته ، وبارت مع الله تجارته ، وكان فى شهر رمضـــــان من المتخلفين .

فما أجدر المسلمين اذا أقبل هذا الشهر الفضيل أن يتحلوا بالاخلاق الكريمة ويتجنبوا الافعال الذميمة، وان ينتهزوا فرصة زمان رمضان ، فيعملوا فيه عملا يدخرونه ليوم توفى فيه كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .

ويرحم الله القائل :

أغضض الطرف واللســان أكففنه
وكذا السمع صنه حين تصـــوم
ليس من ضيع الثــلاثة عنـــدى
بحقوق الصـــيام حقـــا يقوم

ومن آداب الصوم كف بقية الجوارح من اليد والرجل والبطن عن الآثام ، وتناول الحرام .

فقد قيل فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » : انه انما عنى الذى يصوم ويفطر على الحرام .

ومن تلك الآداب أن يكون قلب الصـــائم معلقا بالله ، متخشعا له ، خائفا منه ، لا يدرى أيقبل منه صومه أم لا يقبله .

مر الحسن البصرى رضى الله عنه بقوم فى رمضان وهم يضحكون ويلعبون ، فقال لهم : ان الله تعالى قد جعـــل شهر رمضان مضمارا لخلقه ، يتســـابقون فيه لطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا . فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيــــه السابقون ، وخاب المبطلون . أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه ، واشتغل المسىء باساءته .

وبعد فهذه نبذ من حكم الصوم وآدابه ، نطالع بهـــا المسلمين فى هذا الشهر المبارك راجين لهم من الله حسن العمل والتوفيق ، ضارعين اليه سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الشهر الكريم ميمون الطلعة ، ناصع العزة ، تتحقق فيه آمال الوطن فى ظل رئيسه وصحبه .

والله ولى التوفيق .

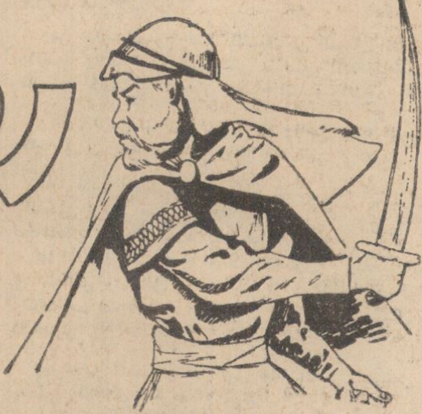

روح بدر

الدكتور القطب محمد طبلية

تقع بدر فى مكان بين مكة والمدينة . وسميت كذلك باسم بئر كان صاحبها يحمل هذا الاسم .

وفوق هذه الارض فى رمضان من السنة الثانية للهجرة دارت حرب بين الرسول واصحابه من المهاجرين والانصار من جهة . وبين كفار قريش من جهة اخرى . وتعرف هذه الحرب باسم « غزوة بدر الكبرى » .

وكان المسلمون قد خرجوا فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا . على سبعين بعيرا وفرسين للاقاة عير عائدة من الشام بتجارة لقريش يقودها اربعون من الرجال بزعامة ابى سفيان . وكان هذا الاخير قد علم بان المسلمين يريدونه . فبعث يستنفر قريشا التى خرجت فى الف رجل ومائة فرس وسبعمائة بعير . قاصدة حماية تجارتها . ومنازلة الرسول واصحابه، وعسكروا فى بدر .

واتخذ ابو سفيان طريقا استطاع معها الفرار والنجاة وعند بدر . عرف الرسول انه بالقلة من رجاله سيواجه الكثرة من صناديد قريش .

هذه هى الصورة المادية والحسابية لتلك الموقعة من المواقع التى خاضها المسلمون . وما اكثر ماخاضوا !!

انها - فى صورتها هذه - التحام لم يستمر طويلا ، على بقعة صغيرة فى صحراء شاسعة ، واشترك فيها عدد قليل نسبيا من الطرفين ، مستخدمين البدائى من الوسائل والآلات .

اين هى - من هذه الزاوية - من حروب كبيرة كثيرة خاضها المسلمون وغيرهم على مدى التاريخ ؟

ومع ذلك يحتفل المسلمون كل عام ، وفى كل الدنيا ، بذكرى بدر بالذات . وليس لهم بغيرها مثل اهتمامهم بها .

ان المسلمين - حين يفعلون ذلك - انما يحتفلون بروح بدر .

ان لبدر روحا كبيرا ليس له مثيل ولا نظير بين الحروب .

لقد شرف الله سبحانه وتعالى يوم بدر ، وسماه « يوم الفرقان » ، يوم الحسم بين الحق والباطل . يوم الحرب بين حزب الله وحزب الشيطان .

كان المسلمون - كما اشرنا - قد نفروا للاقاة العير ، عير ابى سفيان . واذا بهم - وجها لوجه - امام النفير ، وامام قريش بفخرها وخيلائها ، وقضها وقضيضها ، وعدتها وعديدها .

ولم يشأ رسول الله ، وسيد الخلق ، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ان يقرر شيئا دون ان يطرح الامر كله على هؤلاء الذين سيقومون بتنفيذه ، ويتحملون مسئوليته ونتائجه ، فاقبل على اصحابه يستشيرهم : فقال ابوبكر وعمر واحسنا . ثم قام المقداد بن عمرو وقال : « امض لما امرك الله ، فانا معك حيثما احببت .

لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » ثم عاد الرسول وقال : اشيروا علي ايها الناس . وهو يريد الانصار . اذ تخوف الا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة « وفقا لبيعة العقبة » فقام سعد بن معاذ وقال : « لكانك تريدنا يارسول الله . فقال : اجل . قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ، فامض يارسول الله ، فو الذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك » . قال الرسول عليه الصلاة والسلام « سيروا على بركة الله تعالى وابشروا ، فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكانى انظر الى مصارع القوم . » وفى هذا المعنى نزل قوله تعالى :

« واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ، وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » - ٧ و ٨ - الانفال -

وكانت قريش قد نزلت بالعدوة القصوى من الوادى .

وبادر الرسول الى مكان ما من بدر . فجاءه الحباب ابن المنذر بن الجموح وقال : يارسول الله : « اهذا منزل انزلكه الله ، ليس لنا ان نتقدمه او نتاخره ، ام انه الراى والحرب والمكيدة ؟ قال الرسول : بل هو الراى والحرب والمكيدة .

فقال الحباب : فان هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس » واقترح الحباب مكانا يستطيع فيه المسلمون الشرب من الماء دون الكفار . وفعل الرسول وجيشه ما اشار به الحباب .

وجاء سعد بن معاذ الى الرسول وقال له : يارسول الله ، نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونناجز عدونا ، فان اعزنا الله كان ذلك ، وان كانت الاخرى لحقت بمن وراءنا من قومنا ، فيمنعك الله بهم . واقيم العريش من جريد ، ووقف بعض الصحابة عليه يحمون الرسول من ان تمتد اليه يد بمكروه .

وبينما كانت احاديث العزم والتصميم والتضحية والفداء ، والتواصى بالحق والصبر - تسود بين المسلمين كان التردد يتنقل بين الآخرين . ولولا حماقة من ابى جهل لعادت قريش بلا حرب .

وبدا الكفار بالتمرس وطلب المبارزة ، والتقى الجمعان

ويقف رسول الله فى العريش مشفقا ومبتهلا ويقول : « اللهم انجزلى ماوعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلن تعبد فى الارض » . واغفى الرسول اغفاءة ثم انتبه ، ولقد انزل الله عليه « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى . ولتطمئن به قلوبكم . وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس امنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماءليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ، ويثبت به الاقدام » - ٩ و ١٠ و ١١ الانفال -

وخرج الرسول يبشر المسلمين ويقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ثم اخذ يحرضهم وينادى « والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » .

وحميت الحرب ، واندفع المسلمون غير مبالين ، يريدون النصر والجنة معا .

وتناول الرسول حفنة من تراب رمى بها قريشا وهو يقول :

« شاهت الوجوه » .

وقتل من المشركين من قتل . واسر من اسر . لقد غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » - ٢٤٩ - البقرة -

لقد كان الله وملائكته مع المسلمين فى بدر : مع التوحيد ضد الشرك ، مع الايمان ضد الكفر ، مع الطهر ضد الرجز ، مع النور ضد الظلام ، مع الفئة الصابرة المحتسبة ضدالفئة الباغية الفاجرة ، مع المجتمع الجديد الذى يدين بالشورى والمساواة والايثار والتضحية ، ضد المجتمع القديم الذى يتساقط تحت اثقال من الترف والتباهى بالالقاب والانساب . « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » - ١٢ - الانفال - « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ، ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » - ١٧ و ١٨ الانفال -

لقد كانت بدر بداية النصر الكبير لمواكب الحق الزاحفة ، وكانت بدر بداية النهاية لفلول الباطل الآفلة الزاهقة .

وفى هذه المعانى ، وفى مثلها وما يتصل بها ، يتجسم روح بدر ، وبها يحتفل المسلمون كل عام فى جميع بقاع الارض .

وسيبقى روح بدر حيا وذا فاعلية حتى تعلو كلمة الله « ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين . كتب الله لاغلبن انا ورسلى ، ان الله قوى عزيز » - ٢٠ و ٢١ - المجادلة -

وان ينس كاتب هذه السطور ، فلن ينسى احتفالا معينا بذكرى بدر ، حضره وشارك فيه . وكان ذلك فى باريس فى ١٧ رمضان سنة ١٣٧٢ - ٣١ مايو سنة ١٩٥٣

وكانت تونس والجزائر ومراكش مازالت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسى ، وكان هذا النير ، على الجزائر بالذات ، اثقل واشد وطأة . كان المستعمرون يصرون ، فى حمق وجهل ، على ان الجزائر جزء من فرنسا . وقد ذهبوا فى فرنسة هذا الجزء من الوطن العربى الاسلامى الى اقصى المدى . فحاربوا تعليم اللغة العربية « لغة القرآن » بكل الطرق . لقد ارادوا بذلك ان يفصلوا الجزائر عن قوميتها ودينها ولغتها وتاريخها .

ولما قام الشيخ الجليل المرحوم البشير الابراهيمى بانشاء المدارس بالجزائر لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية طارده الاستعمار . فعاش معظم الفترة الاخيرة من حياته بعيدا عن مسقط راسه .

وكنا نتردد على مسجد باريس لصلاة الجمعة بصفة خاصة . وكنا نلاحظ - فى اسى - ان خطبة الجمعة كانت تلقى بلهجة فاترة ، من كتب قديمة وضعت فى عهود التاخر والاستبداد . وتدور عادة حول الزهد فى الدنيا ، وطاعة الحكام ، والاستسلام للاقدار ، والتمكين للطغاة والاستعمار .

ولم يكن امامنا من سبيل لنحل محل هؤلاء الخطباء الرسميين والعملاء المأجورين . فشرعنا نخطب الحاضرين بعد الصلاة . محاولين ازالة الآثار السيئة للخطب الرسمية ، وعاملين على انهاض السامعين لاستعادة الاستقلال ، واحياء فضائل الاسلام .

وكنا نلمس فى ابناء المغرب العربى الموجودين فى باريس ثورة توشك ان تنفجر . وكنا نشفق عليهم مما يلاحقهم من التجسس والمطاردة والكيد فى الرزق وغيره

وعقب صلاة الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٣٧٢ تلقينا دعوة لحضور احتفال جمعية العلماء بيوم بدر ، بعد ظهر الاحد التالى برقم ٨ شارع ماتيران مورو باحد احياء باريس .

وجلسنا فى منصة الخطابة . نمثل البلاد العربية والاسلامية . وملأ الحاضرون ، من ابناء الجزائر بالذات القاعة الكبيرة المتواضعة . وكانت مفاجاة مؤلمة ان نتبين ان كل الحاضرين - تقريبا - لايعرفون اللغة العربية . ومع ذلك آثرنا جميعا ان تكون لغة الخطابة فى هذا الاحتفال بذكرى بدر - هى لغة القرآن .

وتولى شاب جزائرى ممتاز ، تعلم فى مصر على ما اذكر يلتهب حماسا ، ويفيض اخلاصا ، ذو براعة فى الخطابة وكياسة فى قيادة الجماهير وزعامتها - تولى هذا الشاب الترجمة الى اللغة الفرنسية واللغة الجزائرية المحلية واذكر ان كلمتى دارت حول ضرورة تعريب اللسان الجزائرى ، لا فى الجزائر فحسب ، بل وفى فرنسا ايضا . حيث كان يوجد منهم فى عواصمها الكبرى مئات الالوف ، اجراء مستضعفون خارج بلادهم كما هم فى داخلها .

ويسعدنى . ويسعد كل عربى وكل مسلم ، انه بعد تاريخ هذا الاحتفال بعام وبعض عام ، فى اول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، قامت ثورة الجزائر مؤمنة بحقها فى الاستقلال والحرية والكرامة الانسانية قامت الفئة القليلة ضد الفئة الكثيرة ، قام الذين استضعفوا ضد الذين استكبروا . قام الجزائريون ضد الاستعماريين والمستوطنين والصهاينة . قاموا بوسائلهم البدائية واسلحتهم الصغيرة ضد اسلحة حلف الاطلنطى . قاموا بايمانهم وعقيدتهم ضد الطامعين وتجار الحروب .

وبعد سنوات من حرب مريرة قاسية انتصرت ارض المليون ونصف مليون شهيد . انتصر الحق على الباطل . انتصر الايمان على الكفر .

واراد الله ان تظفر الجزائر باستقلالها ، وان يعود اليها البشير الابراهيمى ، الاب الروحى لثوارها ، وان يموت على ارضها ، ويدفن فى ترابها .

عاش روح بدر حيا فى قلب كل عربى وكل مسلم وعلى كل ارض عربية واسلامية . وحقق الله به الامال فى الحرية والكرامة والاستقلال . ووفقنا الله جميعا الى ان نتذكر دائما ماقاله الرسول الكريم بعد فتح مبين . ونصر كبير . « لقد عدنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وفقنا الله الى ان نتذكر دائما هذا الحديث ونحن نمضى فى بناء وطننا ، وتحقيق كرامتنا ، واداء رسالتنا ، غير منحرفين لا الى شرق ولا الى غرب .

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

صدق الله العظيم

الفاطميون فى مصر واهتمامهم باحياء شهر رمضان

الدكتور محمد جمال الدين سرور

كان اهل السنة فى مصر يكونون السواد الاعظم من سكانها المسلمين فى مستهل القرن الرابع الهجرى « العاشر الميلادى » حيث شرع الفاطميون فى توجيه حملاتهم اليها ، ولم يتيسر لهم فتحها الا على يد جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى الذى استولى على الاسكندرية سنة ٣٥٨ هـ ، واضطر ذوو الراى من اهالى الفسطاط الذين كانوا يمثلون زعماء السنيين فى مصر الى مفاوضته فى شروط التسليم . وانتهت المفاوضة بكتاب الامان الذى كتبه القائد جوهر واعلنه للمصريين ، وقد جاء فيه :

« .. وما اوعز به مولانا وسيدنا امير المؤمنين « المعز لدين الله » .. من نشر العدل وبسط الحق .. واعانة المظلوم مع الشفقة والاحسان .. وما امر به مولانا من اسقاط الرسوم الجائرة .. وان اجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وان اتقدم فى دم المساجد .. وان اعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها ارزاقهم .. وغير ماذكره مولانا وسيدنا امير المؤمنين .. مما ضمنه كتابه هذا ، ماذكره من ترسل عنكم .. من انكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها فى كتاب امانكم . فذكرتها اجابة لكم ، وتطمينا لانفسكم ، والا فلم يكن لذكرها معنى ، ولا فى نشرها فائدة اذ كان الاسلام سنة واحدة وشريعة متبعة ، وهى امنكم على مذهبكم ، وان تتركوا ماكنتم عليه من اداء المفروض فى العلم والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ماكان عليه سلف الامة من الصحابة - رضى الله عنهم - ، والتابعين بعدهم ، وفقهاء الامصار الذين جرت الاحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وان يجرى الاذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه والزكاة والحج والجهاد على امر الله فى كتابه ونصه نبيه - صلى الله عليه وسلم .. »

لكن الفاطميين بعد ان انتقل المعز من المغرب الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ لم يعملوا بكتاب الامان الذى التزم فيه جوهر الصقلى اطلاق الحرية للمصريين فى المعتقدات الدينية ، بل تركز اهتمامهم فى تحويل المصريين الى المذهب الفاطمى ، وامعنوا فى اظهار شعائرهم ، كالاذان بحى على خير العمل ، والاحتفال باليوم العاشر من المحرم ، وعيد الغدير المعروف بغدير خم وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة . كما اتخذوا المساجد الكبرى مراكز للدعاية الفاطمية ، وهى وقتئذ : مسجد عمرو بن العاص ومسجد احمد بن طولون ، والجامع الازهر الذى فاقت شهرته جميع المساجد الجامعة فى مصر منذ ان اشار الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ على الخليفة العزيز بالله الفاطمى بتحويله الى معهد للدراسة بعد ان كان مقصورا على اقامة الدعوة الفاطمية . فاستاذنه فى ان يعين بالازهر بعض الفقهاء للقراءة والدرس على ان يعقدوا مجالسهم بهذا الجامع فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ، فرحب العزيز بذلك .

اهتم الفاطميون بالاحتفال بالاعياد والمواسم فى شىء كثير من الابهة والعظمة ، فمنها : عيد الفطر ، وعيد الاضحى ورأس السنة الهجرية ، ومولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومولد امير المؤمنين على بن ابى طالب ومولد الحسن والحسين ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء هذا الى مواسم اخرى وهى ليلة اول رجب وليلة نصفه ، وليلة اول شعبان وليلة نصفه . وتعرف هذه الليالى بليالى الوقود ، وهى من اشهر المواسم التى اختصت بها الدولة الفاطمية فى مصر ، ففيها تضاء جميع المساجد بعد غروب الشمس وتبدو القاهرة فى حلل بديعة من الانوار ، ويخرج الناس الى الجامع الازهر الذى تضاء حافاته بالمشاعل ، ويعقد فى صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برئاسة قاضى القضاة ، وكان جمهور المسلمين فى مصر يحتفلون بهذه الايام الاربعة كما يحتفلون بشهر رمضان ، واستمر الاحتفال بها الى وقتنا الحاضر .

وكان الفاطميون فى مصر يعنون عناية فائقة باحياء شهر رمضان ، لكنهم لم يحرصوا على تلمس رؤية الهلال عند صيام هذا الشهر او فطره ، اذ ان شهر رمضان لاينقص عندهم عن ثلاثين يوما . وقد خالفوا بذلك جمهور اهل السنة فى مصر الذين يتخذون رؤية الهلال لمعرفة ابتداء شهر الصوم ونهايته عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته » اى رؤية هلال رمضان » ، وافطروا لرؤيته (اى رؤية هلال شوال) ، فان غم عليكم « اى تعذر عليكم رؤية الهلال فى نهاية اليوم التاسع والعشرين من شعبان بسبب تكاثف الغيوم فى السماء » ، فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما . »

جرت العادة فى العهد الفاطمى ان يحتفل فى اول يوم من شهر رمضان بركوب الخليفة من القصر الشرقى الكبير . ويصحبه وزيره وحوله حرسه الخاص ، فيخترق موكبه شوارع القاهرة والفسطاط حتى جامع عمرو بن العاص ـ الذى كان يعرف اذ ذاك بالجامع العتيق ـ ، فاذا وصل الى بابه وجد الخطيب فى انتظاره ، وبيده المصحف المنسوب خطه الى على بن ابى طالب ، فيتناوله الخليفة ويقبله عدة مرات تبركا ، ثم يامر بتوزيع بعض المنح المالية على خطيب المسجد ومؤذنيه • واذا ماانتهى الخليفة من اداء الصلاة بالمسجد ، استانف سيره الى دار الملك • وكان ركوب الخليفة فى غرة رمضان يقوم عند الفاطميين مقام الاحتفال برؤية الهلال عند اهل السنة • وكان يهدى فى اول شهر رمضان للامراء وارباب الدولة اطباق من الحلوى بوسط كل منها صرة من ذهب ، كما كانت ترسل مثل هذه الاطباق الى افراد اسرهم •

كانت المآدب والاسمطة مظهرا من مظاهر الاحتفال بالمواسم والاعياد فى العصر الفاطمى بمصر ، فقد عنى الفاطميون بتنظيمها ، كما بالغوا فى أعدادها سواء اكان ذلك فى المساجد او فى قصر الخليفة او فى دار الوزير ففى قصر الخليفة كانت تقام الاسمطة فى المكان المعروف بقاعة الذهب حيث يجتمع مجلس الملك • وكان الخليفة المعز لدين الله الفاطمى اول من سن تلك السنة وحذا خلفاؤه حذوه . فكانوا يقيمون الاسمطة من اليوم الرابع من شهر رمضان الى السادس والعشرين منه • وكان يدعى اليها قاضى القضاة والامراء وكبار رجال الدولة من القواد والموظفين • ويمثل الخليفة فيها الوزير ، فان تغيب ناب عنه ابنه او اخوه . وكانت اصناف الماكولات من الوفرة بحيث يستطيع الناس ان ياخذوا منها ما يريدون • وبلغ ماينفق على سماط شهر رمضان ثلاثة آلاف دينار •

وكان الخلفاء الفاطميون يحرصون على الركوب فى الجمع الثلاث الاخيرة من رمضان الى جوامع الحاكم بامر الله والازهر وعمرو بن العاص على التوالى لصلاة الجمعة ويشرف صاحب بيت المال فى كل يوم من هذه الايام الثلاثة على تاثيث المسجد الذى يصلى فيه الخليفة صلاة الجمعة وكانت توضع فى المقصورة ثلاثة طنافس ديبقية او سامانية بيضاء . بعضها فوق بعض • وكان ينصب على جانبى المنبر ستران يكتب على الايمن البسملة والفاتحة وسورة الجمعة . وعلى الآخر البسملة والفاتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة وقبل وصول الخليفة بقليل . يصعد قاضى القضاة وبيده مبخرة ، فيبخر المنبر والقبة التى يقف الخليفة تحتها اثناء القاء الخطبة •

وكان الخليفة يرتدى فى هذا اليوم ثوبا من الحرير الابيض ويتعمم بعمامة من هذا النوع من الحرير ، ويحمل قضيب الملك بيده • ويصل الى الجامع فى موكب حافل يحف به بعض الاشراف وعدد كبير من حرسه الخاص ومن الجنود الاخرين • ويتبع هؤلاء جمع غفير من الناس • ويدخل الخليفة المسجد يحيط به قراء الحضرة الذين كانوا يصحبونه من القصر وهم يرفعون اصواتهم بتلاوة القرآن بنغمات شجية . ثم يستريح قليلا فى قاعة الخطابة التى كان يحرسها قائد القواد وفريق من حرسه : ويظل جالسا فى هذه القاعة حتى ينتهى الاذان فيدخل اليه قاضى القضاة ويقول له : « السلام على امير المؤمنين . الشريف القاضى • ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله ، فيصعد الخليفة المنبر ويلقى خطبة قصيرة ، تعد لهذا الغرض فى ديوان الانشاء ، يتلو فيها آية من القرآن ، ثم يصلى على ابيه وجده ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ ، ويعظ الناس وعظا بليغا موجزا . ويتوسل بدعوات فخمة تليق به ، ويختم خطبته بالدعاء للوزير وبنصر الجيش وخذلان الكفار والمخالفين ، واذا مافرغ من خطبته ، قال : « اذكروا الله يذكركم ، ثم يؤم المصلين ، فيقرا فى الركعة الاولى ما هو مكتوب على الستر يمين المحراب ، وفى الركعة الثانية ماهو مكتوب على الستر الايسر • وحينما يكبر ، يبلغ الوزير عنه ، ثم قاضى القضاة ، ثم المؤذنون • فاذا ما انتهت الصلاة خلا المسجد من النـاس وخرج الخليفة يحيط به الوزير عن يمينه وقاضى القضاة وداعى الدعاة عن يساره ، وحرسه الخاص ، ويعود بموكبه الى مقره على الهيئة التى اتخذها فى ذهابه الى الجامع •وكانت هذه الرسوم تتكرر فى صلاة الجمعتين الاخيرتين من رمضان • وقد حرص الفاطميون على اجرائها رغبة منهم فى اثبات هيبتهم الدينية وظهورهم أمام الشعب المصرى كائمة المسلمين •

وكان الخلفاء الفاطميون يجودون على كبار رجال الدولة بالخلع فى غرة رمضان . وفى الجمع الثلاث الاخيرة منه . كما اولوا المساجد فى هذا الشهر كثيرا من اهتمامهم فعهدوا الى القضاة قبل انتهائه بثلاثة ايام بالطواف عليها لازالة شعثها واصلاح ماتهدم منها ، وتجديد اثاثها واذا حل التاسع والعشرون من رمضان ضاعفوا من مرتبات المقرئين وطلبوا اليهم تلاوة المصحف باكمله من الفاتحة الى خاتمة القرآن •

وكان يقام فى ليلة عيد الفطر بالايوان الكبير الذى يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم ، يبلغ طوله نحو ثلثمائة ذراع وعرضه سبعة اذرع ، تنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى الشهية فاذا انتهى الخليفة من اداء صلاة الفجر عاد الى مجلسه وفتحت ابواب القصر والايوان على مصاريعها . وهرع الناس من جميع الطبقات الى السماط الخليفى وتناولوا ماعليه من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه وحينما تبزغ الشمس يخرج الخليفة فى موكبه لصلاة العيد . يحيط به العساكر على اختلاف طوائفهم يرتدين افخر الثياب • واذا عاد الخليفة من الصلاة وجد سماطا اخر . فيجلس وامامه مائدة من فضة . يقال لها المدورة وكانت توضع عليها اوانى الذهب والفضة الزاخرة بالوان الطعام وقبالتها سماط ضخم . يتسع لنحو خمسمائة مدعو . نثرت عليه الازهار والرياحين . وصفت على جانبيه الاطباق الحافلة بصنوف الماكولات • وكان يجلس اليه رجال الدولة والعظماء •

وقصارى القول ان عصر الدولة الفاطمية كان من ازهر عصور مصر الاسلامية . فقد اجتمع فيه كثير من اسباب القوة والعظمة وكان الفاطميون يحرصون على طبع المجتمع المصرى بطابعهم الخاص • ولذلك نرى الحياة الاجتماعية فى هذا العصر تتخذ مظاهر خاصة كما تقلبت بين الوان من البذخ والترف • وكان الشعب المصرى • رغم تحفظه فى مشايعة الفاطميين ، يشهد فى اعجاب فخامة مواكبهم ورسومهم ايام الاعياد والمواسم الدينية • وليس من شك فى ان الخلافة الفاطمية كانت ترمى من وراء اتخاذ هذه الرسوم والاهتمام بالاحتفال بالاعياد والمواسم الى تدعيم مركزها واكتساب ولاء المصريين وتاييدهم •

أمام الأحداث :

من باندونج إلى هافانا

وحديث رمضان لا ينقطع

الأستاذ
عبد العليم المهدى

ارادت قوى الشر ، المتربصة لحرية الشعوب وحقوق الانسان ، الا يعقد المؤتمر الآسيوى الافريقى فى موعده الثانى فى الجزائر ، فانطلق صوت الاحرار من هافانا ، داعيا ممثلى شعوب القارات الثلاث : آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الى عقد مؤتمر تضامنهم فى كوبا .. انها تفتح ذراعيها لاستقبال قوى الحرية والسلام القائم على العدل .

وكانت دعوة كوبا انتصارا جديدا لتضامن الشعوب الحرة فى القارات الثلاث ، وهى ان افتقرت الى القنابل الذرية ، فلها من القوى المعنوية أكبر رصيد ، وقد أثبتت لقوة المعنوية فى بورسعيد أنها كانت أقوى من الجيوش الأساطيل ..

دعت كوبا مؤتمر « باندونج الثانى » الى الانعقاد فيها متحدية بذلك كل القوى المضادة لحرية الشعوب وحقوق الانسان ..

وتحدد شهر يناير موعدا لانعقاد المؤتمر ، وهو كما نعيشه شهر رمضان نفس الشهر الكريم الذى انعقد فيه مؤتمر باندونج الأول .

لقد كانت باندونج على موعد مع التاريخ يوم ٢٦ ابريل ١٩٥٥ ، حين عقد فيها المؤتمر الأول لتضامن الشعوب .. وكان المؤتمر على موعد مع السماء ، فقد صادف انعقاده شهر رمضان الكريم .

وقد كتب الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر « حاليا » فى العدد الخاص من مجلة المصور عن جمال عبد الناصر ، وهو الصادر فى أغسطس ١٩٥٧، تحت عنوان « طراز جديد من الزعماء » .. كتب يقول :

ان الرئيس عبد الناصر شديد الاحترام لآداب أمته ، والاعتزاز بخصائص قومه . ولقد أذكر وأنا معه فى مؤتمر باندونج ، أنه دعا اخوانه ممثلى الدول العربية أن تكون كلماتهم فى المؤتمر باللغة العربية ، ولا أكتم أننى سعدت بهذه الرغبة اشد السعادة ، وأنا أرى اللغة العربية مزدراة فى أكثر المؤتمرات الدوليـة ، وأعلم ان الاعتزاز باللغة من أكرم المعانى التى يعتز بها الناس .

ولقد أذكر أيضا أن شهر رمضان قد أهل علينا ونحن فى تلك الديار ، وقد رخص الله للمسافر أن يفطر ، والجهد فى هذا السفر كان جهدين :

جهد ناشىء عن طبيعة العمل فى المؤتمر ، وجهد من مشقة السفر .. وكان ذلك يقتضينا أن نفطر ، ونحن نعلم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول « ان الله

يجب أن تؤتى رخصه ، كما يجب أن تؤتى عزائمه » .. يعنى صلوات الله عليه وسلامه أن الله يحب للمسافر أن يفطر كما يحب للمقيم أن يصوم ، ويحب للمسافر أن يصلى الظهر ركعتين ، كما يحب للمقيم أن يصليها أربع ركعات ، وقد آثرت أن آخذ لنفسى بهذه الرخصة ، فأفطرت .. وصام الرئيس » .

صوته من هناك ..

وفى أول يوم من رمضان ذلك العام أى منذ عشر سنوات مضت ، حمل الينا الأثير صوته القوى المجلجل ، فى شريط اذاعى يهنىء فيه العالم الاسلامى بحلول شهر الصوم المبارك فيقول

مواطنى الأعزاء . حل شهر رمضان المبارك ، وقد تلقيتموه بنفوس راضية ، وعزائم ماضية ، وقلوب مفتوحة يتبوأ منها حيث يشاء ، كما تعود منكم كل عام.

ومن خلال الأسفار الجاهدة ابعث اليكم بتحيتى وتهنئتى ضارعا الى الله عز وجل ، أن يعيده عليكم وأنتم منه فى نعمة كاملة وعناية شاملة ، وقد ازداد بكم وطنكم عزة ، وازددتم به سموا ورفعة .

ومن حق رمضان علينا ان نذكركم فيه بمصر ، وطننا العزيز ، الذى لا يعرف قدره الا من رحل عنه ، ولايدرك منزلته الا من رأى تعلق الناس به ورجاءهم فيه .

ان مصر فى كل البلاد التى رحلنا اليها نغمة حلوة فى كل سمع ورجاء وأمل فى كل قلب وكلمة عذبة على كل لسان .

لهذا يجب ان يكون حقها علينا عظيما .. يجب ان نكون منزلتها من نفوسنا على قدر نظرة اخواننا اليها واحترامهم لها ورجاءهم فيها .

يجب ونحن نطلب رضوان الله بالصيام والقيام ، ان نستجلب رضوانه ايضا بحب مصر والعزم على اسعادها ، ودفع الأذى عنها ، مهما بلغ البذل ومهما بلغت التضحيات فى هذه السبيل .

ان الصيام فى معناه العام محاولة للانتصار على النفس بكل ما فيها من شهوات الطعام والشراب وكل ما يتصل بالطعام والشراب .. ولكنه فى معناه الحق محاولة لقهر هذه الشهوات .. شهوات الأثره ، وحب الذات والاستنامة للخمول ، والرضا بالمنزلة الهينة من منازل الحياة .

فلننتهز شهر رمضان المبارك ، فرصة سانحة ، لتقوية عزائمنا والسيطرة على نفوسنا وتنمية الثقة بين صفوفنا ، ولنحب مصر من اعماقنا ، معتزمين أن نسترخص كل غال فى سبيل سعادتها وسيادتها .

أيها المواطنون احييكم واهنئكم وأنتهز هذه الفرصة فابعث بتحياتى الصادقة الخالصة الى شعوب الشرق وأمة الاسلام راجيا ان يعيد الله هذا الموسم الكريم علينا فى امن وسكينة وسلام .
والسلام عليكم ورحمة الله »

على قدر أهل العزم

منذ عشر سنوات ، استمع العالم الى صوت زعيمنا من باندونج ، يحيى ويهنىء مواطنيه وشعوب الشرق والعالم الاسلامى كله من اقصى .. وكان الزعيم - فى ذلك المؤتمر وفى كل مؤتمر « شديد الاحترام لآداب امته ، شديد الاعتزاز بخصائص قومه ، فطلب الى ممثلى البلاد العربية أن تكون كلماتهم باللغة العربية » ولكن معظمهم قد أقبل على المؤتمر كاتبا كلمته بالانجليزية أو الفرنسية ، فخلعوا رداءهم القومى ، وتخلوا عن لغة القرآن ..

ولكنه هو القى خطابه باللغة العربية ..
ثم اختاره المؤتمر بأغلبية ساحقة ليبلغ قرارات المؤتمر الى الامم المتحدة ، فسافر اليها بعد ذلك ، والقى عبد الناصر خطابه فيها أيضا باللغة العربية ، ففرض لغة القرآن على العالم أجمع .

وكان الزعيم « شديد الاحترام لآداب امته » ، وكان يعلم الحديث الشريف « ان الله يجب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » فصام شهر رمضان .

وقد سجل التاريخ لذلك المؤتمر انه كان اول حركة دولية نجحت فى تلجيم نزعات الحرب الساخنة ، وكانت خطوة موفقة فى القضاء على الحرب الباردة ، ولمع فى ذلك المؤتمر المبدأ الذى اعلنه الزعيم ، وهو « السلام القائم على العدل » .. دستور سياستنا الدولية منذ تحررنا من التبعية .. السلام القائم على العدل بكل وطن ولكل انسان .

معنى الصيام الحق ..

ان كل عبارة فى هذه التحية والتهنئة بشهر الصوم جديرة بالتامل ، ولكن من حق رمضان علينا أن نتامل فى قول الزعيم المؤمن المعلم

« وان الصيام فى معناه العام محاولة للانتصار على النفس بكل ما فيها من شهوات الطعام والشراب وكل ما يتصل بالطعام والشراب .. ولكنه فى معناه الحق ، محاولة لقهر هذه الشهوات ، شهوات الأثرة وحب الذات والاستنامة للخمول ، والرضا بالمنزلة الهينة من منازل الحياة . فلننتهز شهر رمضان المبارك فرصة سانحة لتقوية عزائمنا والسيطرة على نفوسنا وتنمية الثقة بين صفوفنا ، ولنحب مصر من أعماقنا ، معتزمين أن نسترخص كل غال فى سبيل سعادتها وسيادتها »

ما احوجنا اليوم أن نحاول فهم هذا المعنى الحق للصيام ..

انه حرب على الأثرة وحب الذات ..
انه حرب على الخمول ..
انه عزة لا تقبل الدون من العيش .
ان الصيام - فى رأى الزعيم المؤمن - دعوة وتحريض على تقويم العزائم .. والسيطرة على النفوس .. ودعم الثقة بين الصفوف .. وحب الوطن من الأعماق ، وفداء سعادته وسيادته بكل غال .

نحن اليوم ..

ما احوجنا اليوم الى وعى هذا التجسيم الالهى لمعنى الصيام الحق .. فنحن اليوم نعبر قنطرة الوصول الى الكفاية والعدل ..

نحتاج الى أكبر قدر ممكن من الانتاج ..
نحتاج الى العمل المخلص الكبير ..
نحتاج الى تحقيق العزة للوطن ، بعزة المواطن ، وبعزائم كل المواطنين .. فهذا هو الاسلام .. بل هذا هو الايمان .

ثم يضع الزعيم عيون مواطنيه على مكانة مصر الدولية بعد تحريرها .. انها « نغمة حلوة فى كل سمع ، ورجاء وأمل فى كل قلب ، وكلمة عذبة على كل لسان » .

كان ذلك منذ عشر سنوات ، فما بالها اليوم ؟..

ان كل مواطن عادى التفكير والوطنيـــة يستطيع أن يتبين مكانة الجمهورية العربية المتحدة فى الوطن العربى، وفى الوطن الافريقى ، وفى القارة الآسيوية ، وفى مواقع القوى الدولية الكبرى من العالم .

لقد بدأت هذه المكانة تظهر وتلمع فى مؤتمر باندونج لأول مرة .

الايمان .. والنجاح ..

والايمان فى معناه الحـق هو الاخلاص فى العمل .. والاخلاص هو أساس النجـاح .. فخير ما يرتفع من الأرض الى السماء الاخلاص ، وخير ما يهبط الى الأرض من السماء التوفيق .

وما دمنا نذكر مؤتمر باندونج الأول ، يجب أن نذكر أنه قد نجح فى تحقيق أغراضه كاملة .. رغم أن أجهزة الاستعمار قد حاولت أكثر من مرة نســف المؤتمر من داخله ، فقد تمثلت فيه دول شرقية ودول غربية .. دول استكملت حريتها ، ودول فى طريق الحـرية .. دول تحكمها قوى رجعية .. ودول تحكمها ثورات متحررة .. دول تدور فى فلك المعسكر الشرقى ، وأخرى تدور فى فلك المعسكر الغربى .. دول فى دائرة الكومنولث .. ودول فى دائرة الحلف المركزى .. تيارات متعارضـة ، ومذاهب مختلفة ، وأفكار الى تحت ، وأفكار الى فوق.. كادت جميع هذه التناقضات أن تحدث أثرها فى داخـل لجان المؤتمر ، حتى أوشـك بعض ممثلى الدول على الاشتباك أو الانسحاب .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .. لماذا ؟..

نترك الجواب على هذا السؤال الى الزعيم الهنـدى الراحل جواهر لال نهرو ، فقد أقام للزعيم جمال عبد الناصر وهو فى طريق عودته الى الوطن حفل تكريم فى نيودلهى أعلن فيه أن « المؤتمر قد تعرض للفشل أكثر من مرة ، ولكن رجلا واحدا استطاع أن يستخدم شخصيته القوية المؤمنة ، فى تهدئة الاعصاب الثائرة ، والتوفيق بين الآراء المختلفة ، ذلكم الرجل هو الرئيس جمال عبدالناصر، لقد كانت حكمه وكياسته ، ولباقته ، وشخصيته ، صاحبة الفضل الأول فى نجاح هذا المؤتمر » .

وتضيف ذكريات ذلك المؤتمـــر الى ما قال نهرو أن الزعيم كان صائما كما قدمنا ، وكثيرا ما كان يحين وقت الافطار ، وهو يقوم بدوره الخطير فى تأمين المؤتمر ضد الانهيار ، فلا يقوم الى افطاره ، ولكنه كان يصبر الساعات الطوال ، حتى يفرغ من مهمته ، ثم يتناول لقيمـات صغيرة ، يستأنف بعدها نشاطه فى « التوفيق بين الآراء المختلفة ، وتهدئة الأعصاب الثائرة ، بكياسته وحكمته ولباقته ، وشخصيته القوية المؤمنة » .

لقد كان الزعيم الصائم بايمانه وحكمته وثباته وراء نجاح مؤتمر باندونج الأول الذى استطاع :

* تخليد اسم تلك البلدة الاسلامية من أندونيسـيا « باندونج »

* جمع كلمة البلاد المتحررة فى آسيا وافريقيا على مبدأ السلام القائم على العدل ، وتصفية الاستعمار ، والتعايش السلمى ، والتعاون العالمى .

* كان أول صوت دولى لأكثر من نصف سكان العالم وهم يصيحون فى القوى الكبرى المتنازعة على السيطرة ومناطق النفوذ ، أن تعلم هذه القوى أن عهد اســتغلال الانسان قد انتهى ، ويجب أن يعيش العالم عصر صداقة الانسان للانسان .

* من باندونج انبعث أقوى دعاء للسلام العالمى من البلاد التى لا تملك القنابل الذرية ، وقد تواصت جميعها بدعوة الدول الكبرى الى الابتعاد عن سباق التسلح ، وحظر التجارب الذرية ، وتوجيه هذه النفقات الضخمة الى المساهمة فى مكافحة الجوع فى العالم .

* رفع ذلك المؤتمر أعلام الحرية فى كل البلاد الآسيوية والافريقية ..

* أوصى مؤتمر باندونج بعقد مؤتمر الدار البيضـاء لبناء الوحدة العربية .

* أوصى مؤتمر باندونج بعقد مؤتمر اديس أبابا لبناء الوحدة الافريقية .

* يضيق المقام عن تعداد المكاسب الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية التى تحققت للبلاد الآسيوية الافريقية بفضل تعاونها فى هذه الميادين .

* اعترفت هيئة الامم المتحدة بنجاح هذا المؤتمر الذى تآمرت عليه دول الاستعمار والصهيونية قبل انعقاده ، وفى أيام انعقاده ، وبعد انتهائه .. ولـكن البطل الذى اختاره المؤتمر الآسيوى الافريقى الأول فى باندونج ليبلغ رسالته الى الأمم المتحدة .. استطاع أن يخترق حصار التآمر الاستعمارى ، وأن يحطم القوى المضادة للارادة الثورية فى القارتين .. ومضى عبد الناصر فى رعاية الله الى منبر الأمم المتحدة ليلقى خطابه التاريخى الذى كان له أبلغ الأثر فى توجيه سياسة العالم منذ ذلك الحين.. حتى الآن ..

من باندونج .. الى هافانا ...

نذكر هذا الآن ، ونحن نستقبل شهر رمضان ، مع مؤتمر باندونج الثانى فى هافانا ..

نذكر هذا بحمد الله على نجاح المؤتمر الآسيوى الافريقى ، ونذكر معه أن نجاح حركة تضامن الشعوب فى القارتين ، قد أصاب القوى الاستعمارية فى العالم بالفزع .. فراحت تعيد تنظيم صفوفها بالتآمر على اطفاء مشاعل الحرية التى أضاءها مؤتمر باندونج الأول بمبادئه الانسانية .

وقام مستغلو الانسان يحاربون حقوق الانسان ..

وقام استعمار يقاتل حتى الموت حرية الشعوب ..

ان البصمات التى تركها مؤتمـر باندونج الأول على خريطة العالم خلال عشر سنوات مضت ، قد دفع قـوى الشر الى الحرب فى فيتنام ، والفتنة بين باكستان والهند ثم أندونيسيا نفسها حول باندونج .. وحرب التحـرير فى الجنوب العربى .. وفى قلب افريقيا الثائرة .

قوى الشر تخوض معركتها اليائسة ضد حرية الشعوب وحقوق الانسان .. ضد السلام القائم على العدل ..

تحركت قوى الشر بالحرب الظاهرة ، وتحركت بالحرب الباطنة ، وهى تلقى بكل ثقلها فى المعركة ..

معركة الباطل ضد الحق ..

أيهما يمكن أن ينتصر ؟..

سلام على باندونج .. وسـلام على هافانا .. ونحن ننظر الى الجزائر !

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

من المسلمات والبديهيات أن قاعدة الارتكاز لصلاح المجتمع هى فى ايمانه للقاعدة الروحية جنبا الى جنب مع ايمانه بدعم الانتاج والخدمات لتحقيق العدالة والقضاء على الظلم الاجتماعى . باعتبار أن زيادة الانتاج ومضاعفته فى كافة قطاعاته وأشكاله ـ وبوحى من حاجات الناس ومتطلباتها ـ هو غاية التنظيم الاجتماعى . لحل المشكلة الاجتماعية .

وفى ضوء هذا المدخل . يشعر كل مواطن منا أن اشتراكيتنا العربية لها خصائص انسانية وأخلاقية انفردت بهذه الخصائص دون أى نظام آخر . فزعامتنا الايديولوجية الاولى هى نظرتنا وتقديرنا وايماننا بالدور الصحيح للاديان . وخاصة ديننا الاسلامى العظيم الذى يعتبر المقوم الأساسى لحياة الجماعة الانسانية منذ عرفت معنى الحياة فى اشراقة الاسلام الأولى منذ أربعة عشر قرنا .

والدين الاسلامى العظيم ضرورة انسانية . وضرورة حيانية . تخلع على الحياة منهاجا صريحا واقعيا يكمن وراءه السعى والكد والسهر . كما تمنح المسلم أبعادا صحيحة لآخرته وحسابه وثوابه . وبالتالى يملك الاسلام فى جوهره أخلد وأعظم أيدلوجية تناسب كل زمان ومكان وتوائم الحياة الانسانية والاجتماعية وتواكبها لانه الدين القيم الذى يشبع حاجة كل مواطن مسلم بوضع القواعد والقوانين التى تنظم وتحكم علاقات المواطنين فيما بينهم فى اطار متكامل من المثل العليا . القواعد الاخلاقية التى تضمن لمجتمعنا المسلم كيانه الروحى السليم .

واذا كان شكل مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو قائما على أساس الاقطاع والاحتكار والاستغلال فانه من الضرورى أن نسلم بأن هذا المجتمع الذى تحكمت فيه الانانية لم نكن لنجد فيه الآثار المأمولة من القوى الروحية وفعاليتها . وفى الوقت الذى بدأ فيه مجتمعنا يتحول الى الطريق الاشتراكى . بموافقة الانسانية الاخلاقية . وبأسلوبه العادل سواء فى مجال العبادات أو المعاملات . فان هذا التحول قد أصبح بابا فريدا يتيح فرصة الاحساس والشعور الصادق بأن الاشتراكية العربية هى الطريق الوحيد الى الحرية الانسانية . وهى السبيل الوحيد الى العدالة الاجتماعية . والدين الاسلامى الحنيف يعنى العدالة . ويعنى الحرية . حرية الوطن وحرية المواطن . وينشد انسانية الانسان فى أجل صورها وثورتنا الاشتراكية وهى تحقق أهدافها فى اقامة مجتمع العدالة وتكافؤ الفرص تستمد هدايتها ومبادئها من مقومات الاسلام الذى يأمرنا بتجنب الظلم . والنظم المفسدة لقوى الخير . ويدفعنا دفعا الى العدالة والتكافل الاجتماعى . ولكن كيف السبيل الى العدالة . وكيف السبيل الى التكافل الاجتماعى السبيل هو الكفاية أولا ..

وطريق التقدم والتنمية الاقتصادية طريق شاق وعر. يسبق فيه الوعى والادراك والتخطيط . العرق والجهد وهذا الطريق لا يمكن التحرك عليه الا بحوافز الاسلام الروحية والمعنوية وقد جاء فى الميثاق « اذا كانت الأسس المادية للتقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد » فاذا لم تقم التنمية على أسس انسانية وأخلاقية لانعدمت العدالة . والفرص المتكافئة . بين أبناء الوطن الواحد وهذا مالا يرضى عنه الاسلام الحنيف .

وبحثنا اليوم يتجه الى نقطة ارتكاز محددة وهى كيف نتجه بمبادىء الاسلام العظيم التى نؤمن بقدرتها

وفعاليتها لتكون محور الارتكاز فى حل المشكلة الاجتماعية .. ؟

والواقع ان الدين الاسلامي يحمل لنا الحل المثالي.. والحل المباشر والوحيد لمشاكل الانسان . واذا ماأمكن فهم الدين فى هدى أهدافه الانسانية والاخلاقية فى اقامة مجتمع اسلامي تسوده المحبة والتكافل بين أفراده وطبقاته أمكن القضاء على المشكلة الاجتماعية التى تتمثل فى الفوارق العنيفة فى الثروات والتى أتاحت فرصة الاستغلال والاستهانة بالقيم .

وأمامنا فى حياتنا القريبة والبعيدة العديد من المشاهد والامثلة على الفهم الخاطىء لأهداف وأخلاقيات الدين الاسلامي . وأنه تحت ستار التفسيرات المجافية لروح الدين وعدالته . استطاعت الرجعية أن تحرم العاملين من حقهم الطبيعي والانساني فى الحياة الكريمة فالفوارق المخيفة فى ملكية الاراضى الزراعية فى مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو . وما كانت نعكسه هذه الفوارق من آثار مدمرة على روح المواطن المسلم وبأسه واستكانته وتسليمه . فى الوقت نفسه وتحت ستار الدين استطاعت الرجعية أن تنتشر وراء الدين وأحكامه متلمسة فى الأديان ما يتعارض مع روح الاديان ذاتها بقصد تعويق التقدم وايقاف الحلول للمشكلة الاجتماعية التى لن تحل الا على حساب أصحاب المصلحة المحتكرة المستغلة . وتحت ستار الدين أيضا أمكن للرجعية أن تدعم الأفكار القومية بغية اشاعة الخنوع والرضا بما هو موجود . والرضا للاوضاع الطبقية الموروثة . وبذا استطاعت قلة من محترفى السياسة أن تبيع السياسة والاقتصاد معا . واستطاعت أن تقيم طبقة جامدة فى اطار العمل والعلم والثقافة .. وأن تحتكر لنفسها الزاد العلمى لتحاول أن تفسره على هواها .

وهكذا جاء عجزنا عن فهم الدين الاسلامي فهما صحيحا . أساسا لانحراف معاملاتنا وتصرفاتنا .

وتعال معى مثلا .. الى الارث .. فالدين الاسلامي اقره ونظمه ووضع له منهاجا قويما اشتمل على الأصول والفروع فى تناسق ودقة محكمة لماذا .. ؟؟ لأن الميراث فى نظر الاسلام حق طبيعي وانساني وأن فى صيانته صيانة للكرامة الانسانية ذاتها . وهذا الحق الطبيعي الذى قرره الله تبارك وتعالى . لابد وأن يسلك مسلكا اجتماعيا وان يكون ذا وظيفة اجتماعية . وحق الارث فى اشتراكيتنا العربية مضمون مكفول فى حدود تشريعات منظمة . ويقول الرئيس عبد الناصر « أننى لست ضد الارث . ان الارث فى تقديرى شرع سماوى وقطعة من الطبيعة البشرية ذاتها . ولكننى أريد أن يصلح الارث. الارث فى الكفاية وليس فى الحاجة فى الصحة وليس فى المرض . فى العمل وليس فى البطالة . فى العلم وليس فى الجهل . اريد مجتمعا تذوب فيه الفوارق بين الطبقات عن طريق تكافؤ الفرصة بين المواطنين » .

فكان الكفاية فى الرعاية الصحية والكفاية فى العمل والكفاية فى العلم والكفاية فى التامينات. هى فى واقعها كفاية لتامين عقائد المواطن وايمانه بحياته وحوافزها وأهدافها. وكأنها ايضا هى التى تفتح الطريق على مصراعيه ليدخل المؤمنون الأقوياء الذين يحملون مسئولية ارادة التغيير فى مجتمعنا الاشتراكى الى رحاب الايمان الصحيح ولن يكون دخولهم الا من خلال الحل . الحل للمشكلة الاجتماعية . وتجاه الغاية . غاية التنظيم الاجتماعي . واذاكان الميثاق أول عهد وأول وثيقة شعبية فى تاريخنا الحديث ثالث بعد أن أوضحت « جوهر المشكلة » فى مجتمعنا وبلورتها فى ضرورة رد الانسانية الى جماهير شعبنا فان النظرية التى أوردها الميثاق من خلال التطبيق الاشتراكى الحتمى . هى الاسلوب الصحيح الذى يضمن اعادة توجيه الاسلام الصحيح الى قوى الشعب العاملة .

وما دام الوحى قد انقطع بوفاة الرسول العظيم .. فليس لمسلم أو لجماعة من المسلمين أن يدعوا انهم ياتيهم علم من الله . ان الله تبارك وتعالى شرع لنا الاسلام وبين لنا قواعده ومناهجه وأصبحت الجماعة المسلمة منذ انقطاع الوحى مسئولة عن مواجهة مشاكل كل زمان وكل مكان بالتشريعات والقوانين التى تستمد فلسفتها من وحى الاسلام وهديه .

وعندما واجهت المسلمين أخطر مشكلة متصلة باساس النظام الاجتماعي والاقتصادى والسياسى .وهى مشكلة حيازة الأرض وملكيتها التى آلت للمسلمين فى الشام والعراق . والقرآن يأمر بتقسيم الغنائم على المسلمين الفاتحين . والنبى العظيم قسم أرض بنى قريظة . وبنى النضير وكان رأى فريق من الصحابة وعلى راسهم بلال أن تقسم هذه الأرض الا ان عمر رضى الله عنه رفض وشرع نظاما جديدا هو ابقاء الارض فى يد أهلها وفرض ضريبة عليها للانفاق منها على المجاهدين المقاتلين . وقد جاء فى زاد الميعاد لابن قيم « وفق الله سبحانه وتعالى عمر فى تركه لقسمة الارض وجعلها وقفا على المقاتلة يجرى عليهم فيها . وظهرت بركة رأيه ويمنه على الاسلام ووافقه جمهور الائمة واختلفوا فى كيفية ابقائها بلا قسمة . فظاهر مذهب الامام أحمد وأكثر نصوصه على أن الامام مخير فيها تخيير مصلحة لا تخيير شهوة . فان كان الأصلح للمسلمين قسمتها قسمها وان كان الأصلح أن يقفها على جماعتهم وقفها . وان كان الأصلح قسمه البعض ووقف البعض فعله .. الخ .

اذن فالقاعدة هى مصلحة المسلمين ..

وعندما يرى الميثاق ـ وهو الوثيقة الشعبية والعهد الجماهيرى ـ أن أرض المسلمين قد احتكرتها القلة المستغلة بينما يشقى المسلمون فى أرض لا يملكونها ويبقى المجتمع الاسلامي فقيرا عاجزا عن الدفاع عن نفسه ضد قوت يومه ورزقه . فيشرع تقسيم الارض على الفلاحين الملايين . ويبقى لذلك قانونا للاصلاح الزراعى فان ذلك من حق الشعب . ومن واجب الحاكم المسلم أن يرعى حقوق المسلمين ومصالحهم . وكان الميثاق فى قضائه على الاقطاع انما يمكن للدين الاسلامي الصحيح من قلوب قوى الشعب العاملة وكان الميثاق فى قضائه على الاستعمار والاستغلال والرجعية انما يمكن مجتمعنا الاسلامي من السبل الصحيحة فى حل المشكلة الاجتماعية الكبرى . مشكلة التخلف والفقر التى أذلت مجتمعنا المسلم وكانت تزلزل ايمانه وعقائده . وكان النبى العظيم صلى الله عليه وسلم يقول « انما أنا بشر فاذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به . واذا أمرتكم بشىء من رأى فانما أنا بشر أخطىء وأصيب » « أى أنه عليه الصلاة والسلام لا يلزمنا الا بما جاءه من الله تبارك وتعالى . أما اجتهاده صلوات الله عليه فهو اجتهاد بشر لنا أن نبدى فيه رأينا . وأن ناخذه ان طابق واقعنا وتجاربنا وحلول مشكلتنا الاجتماعية .

اذن فالقاعدة هى مصلحة المسلمين .. ولكن يحضرنا سؤال .. مصلحة المسلمين متى ؟ مصلحة المسلمين فى

القرن العشرين بعدما ورثنا عالما اسلاميا هزيلا شاحبا حجب فيه المسلم الاسلام والواضح اننا اذا أردنا واملنا فى بناء مجتمع اسلامى فان هـذا المجتمع لا يمكن ان يقوم على نفس الصورة التى كان عليها المجتمع الاسـلامى الاول فى الوقت الذى يجب ان نهتدى فى تكوين مجتمعنا بالعناصر التى حققت للعالم الاسلامى الاول ازدهاره ورفاهيته . فالنظم الاسلامية تحمل فى طياتها - وقد اوردنا مثلا لميراث الارض وملكيتها - فكرة التطـور لتناسب كل عصر . فالاساس لا يتغير ولا يتبدل ولكن شرحه وتفريعاته عندما يحسن استغلالها ستمدنا بكل ما يحتاجه مجتمعنا الاشتراكى الانسانى بكل مقومات النجاح . واذا كان الاسلام قد منح الفرد المسـلم بصفته اللبنة الاولى كل عنايته ورعايته فان هـذا الفرد المسلم وصل فى القرن العشرين الى حد لا يحمل من الاسلام الا اسمه وهناك مسلم آخر خضع لتقاليد لا يعرف مصدرها ولكنه يتبعها على أنها الاسلام وهى ليست من الاسلام فى شىء . لذلك اصبح من الضرورى لشد المسلم الى الاسلام الصحيح أن تكون قوة الشد والجذب هى القوة الاجتماعية القادرة على حل مشاكله الاجتماعية . واذا استطعنا ان نجذب المسلم الى هذه الدائرة الانسانية الخلقية فقد اعدنا تكوين المسـلم . وعملية الجذب هذه لا تخرج عن المبـادىء والقيم والاساليب التطبيقية التى أوردها الميثاق فى كل الحقوق التى تقررت للمواطن . ويلزم لنا أن نوضح أن الكثير من المسلمين اتجهوا للاسلام اتجاه العبادات وحسبوه صلاة وصوما وتناسوا جانب المعاملة فيـه ويجب ان نوضح ان الاسلام هو اول المهتمين ورائدهم بالمعاملات واهمها العدل والمحبة . وجعل الاسلام هذه الاخلاقيات جزءا لا يتجزأ منه . ورد أن رجلا قال للنبى يارسول الله ان فلانة تكثر الصلاة والصوم والصدقة ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها . فقال الرسول : هى فى النار. فما بالك بمن أساء للاسلام ومفاهيمه واخلاقياته عبر قرون طويلة اذلت المسلم وافقدته الكثير من مقومات الحياة والحرية .

ومن القواعد المقررة أن الاسلام دين كل زمان ومكان ولكن من القواعد المقررة عقلا ان الاسلام لايمكن أن يكون كذلك الا اذا فهمه المسلمون كما ينبغى أن يفهم واستشفوا روحانيته . والدين الاسلامى يحترم العقل ويدعـو للانتفاع به فى خدمة الانسانية كلها .

كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون - الروم ٢٨

ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون - النحل ١٢

ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون - الرعد ٣

لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل - الأعراف ١٧٩

وطالما أن حاجات الناس تختلف باختلاف الـزمان والمكان فلابد أن تتلون المعاملات والنظم لتتناسب هـذه الظروف . فان لم تتناسب النظم مع حاجات النـاس هجرها الناس وهرعوا الى سواها .

ومن خلال هذه العجالة نلمس أن الميثاق بما أورده من عمق التغيير فى حياتنا الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية . وبما ينادى به من اخلاقيات وقيم .انما ينبع من تعاليم الاسلام الحنيف . الاسـلام الذى كان رائده دائما انسانية الانسان وكرامته وعزته .

الايمان

وهكذا كان ايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته ايمانا تتزايل منه الجبـال ، وتتصدع حصون الباطل ، وتتهـاوى معاقل الشرك ، وتقف امامه الدنيـا مبهورة اعجابا باليقين الثابت ، والعقيدة الرنسخة ، التى لا تزلزلها الصعاب . ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشر دعوته ، ويبلغ رسالة ربه ، وسط قوم تنمروا لهذه الدعـوة ، ونهضوا لمحاربتها بكل ألوان الأذى ، وصنوف العذاب ، ورسـول الله يتلقى الأذى برحابة صـدر ، ويستقبل الآلام بنفس راضية، ويقابل السفاهة بالحلم ، والأذى بالصفح ، والاساءة بالمغفرة ، ويدعو لقومه كلما اشتد أذاهم ، ولج بهـم عنادهم أن يهديهم الله سواء السبيل .

وكان عمه أبو لهب وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية - التى سماها الله تعالى حمالة

صانع المعجزات

الأستاذ محمود الهجرسى

الحطب – من أكثر المشركين ايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت أم جميل تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله حيث يمر ، ولذلك سميت حمالة الحطب ، ونزل فيها وفى زوجها قول الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد » .

وحين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها فهر من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ، فلا ترى الا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر : أين صاحبك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه .

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال : ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى .

وهذا النضر بن الحارث بن علقمة كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه الى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه فى مجلسه اذا قام ، وأخذ يستهزىء بما قال : ويحدثهم عن ملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن منى حديثا ، وما حديثه الا أساطير الأولين ، اكتتبها كما اكتتبتها ، فأنزل الله فيه : « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، انه كان غفورا رحيما » .

والأخنس بن شريق بن عمرو الثقفى كان من أشراف القوم ، وممن يستمع منه فكان يصيب من رسول الله ، ويرد عليه ، ويغلظ فى القول ، فأنزل الله تعالى فيه : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ... الآيات » .

وكان أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط متصافيين ، حسنا ما بينهما ، فحدث أن عقبة جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ؛ فبلغ ذلك أبيا ، فأتى عقبة ، فقال : ألم يبلغنى أنك جالست محمدا وسمعت منه ! وجهى من وجهك حرام أن أكلمك – واستغلظ من اليمين – ان أنت جلست اليه ، أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفل فى وجهه . ففعل ذلك عقبة بن أبى معيط لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا .. الآيات » .

ومشى أبى بن خلف يوما الى رسول الله بعظم بال قد ارفت ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما رم ، ثم فته فى يده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله ، فقال رسول الله : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله

وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

وقد تعرضت كتب السيرة لكثير مما كان يلاقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين ، وهو يدعو الى الاسلام بحكمة ، فكانوا يرمونه بأحشاء ذبائحهم وهو قائم يصلى ، فينحيها عنه ، ويأخذ فى صلاته بعد ذلك ، وبعضهم يلقى القذر على باب منزله ، أو يضع الحجارة فى طريقه ليلا الى المسجد .

ولكن ، هل بلغت قريش ما كانت ترجوه من وراء ذلك ، لقد تحطمت محاولاتهم أمام هذا الايمان ، وبلغت المعجزة مداها بهذا التصميم الذى لم يبال كل هذه الشدائد ، فأقام دينا سمحا يدعو الى عبدة الواحد الأحد، وحطم أصنام الشرك فى معقلها، وكانت سيرته وسط هذه المحن التى تضطرب من هولها النفوس مضرب الأمثال لكل صحب دعوة ، وكانت قدوة لأصحابه من السابقين الى الاسلام ، فاعتصموا بايمانهم من الفتن ، وتحصنوا به أمام المحن ، وهان ما لاقوه من صنوف العذاب ، مما لا يحتمله جلد الجليد ، وبخاصة هؤلاء الموالى الذين عذبهم أسيادهم بما لا يتصوره العقل من ألوان العذاب ، حتى أصبحت سيرتهم مثلا للفداء والتضحية ، كآل ياسر وبلال بن رباح .

وبلغ من قوة ايمان بعض المؤمنين أنهم اطرحوا ما كان لهم من جوار فى ظل سادة قريش ، فنبذوا هذا الجوار ، وتعلقوا بجوار الله ، ليشاركوا المسلمين فى محنتهم ، وليختبروا ايمانهم أمام الشدائد ، حتى يصفو جوهره ، وينقى معدنه .

من هؤلاء عثمان بن مظعون ، فانه لما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة، قال : والله ان غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مما لا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى ، فمشى الى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك قد رددت اليك جوارك ، فقال له : يا بن أخى ، لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد ان أستجير بغيره . قال : فانطلق الى المسجد ، فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية ، فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ، ثم انصرف عثمان ، ولبيد بن ربيعة فى مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت . قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل .

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول ، فقال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه فى سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن فى نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخى ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة ، فقال عثمان: والله ان عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله ، وانى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا بن أخى ، ان شئت فعد الى جوارك ، فقال : لا .

هذا هو الايمان الذى صنع المعجزات .

النبي الكريم

ومايقوله الكُتّاب المسيحيون المنصفون عنه

الأستاذ إسماعيل كشميري

مهما كتب الانسان عن النبى الكريم محمد صلوات الله عليه فانه لا يستطيع ان يلم بكل جوانبه . ومهما تعرض المرء لصفاته النبيلة العظيمة واحاطها بالتكريم والتبجيل واوسعها شرحا وتبيانا فانه لا يستطيع أن يقف عندها كلها بل عند بعض منها فقط . ذلك لان حياته واعماله وصفاته كانت من طراز فريد يكفى فيهما أن تكون النبراس الذى تهتدى به البشرية والمعين الذى تنهل منه الحضارات والمثل العليا . والواقع انه كلما تعمق المره فى دراسة اخلاق نبى المسلمين العظيم ورسول البشرية جمعاء وجد نواحى جديدة وكشف عن آفاق اخرى تؤكد ماكان عليه الرسول ومايجعلنا نؤمن بانه كان « الانسان الكامل » .

لم يكن محمد عليه صلوات الله نبى الله ورسوله الوحيد ، بل كان هناك أنبياء ورسل غيره جاءوا قبله. ولكنه كان خاتمهم . والقرآن يذكر بعضهم ولكن ليس كلهم . وقد نزل الاسلام على خاتم النبيين وعلى هـذا يكون الاسلام الدين الذى أراد له الله أن يشيع الاخوة بين الناس أجمعين والاحترام بين جميع البشر . لأن من طبيعة الأديان الهداية والمحبة والأخوة ومادام الاسلام آخر هذه اديان - باعتراف جميع العقائد المختلفة - فانه يصبح والحالة هذه الدين القيم والملاذ الاخير فى رفاهية البشر ماديا وروحانيا ومعنويا . يقول القرآن الكريم « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصـارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وكذلك يقول الكتاب الكريم : « قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

وهذا الكلام يقودنا الى نقطة هامة ، فاننا كمسلمين مكلفون بتادية واجب عظيم ، اذ علينا أن نبرهن على عظمة الاسلام وعلى أننا من امة محمد علينا أن نتخلق بخلقه ونقتفى آثاره ونسير على دربه . وليس يكفينا أن نتشح برداء الاسلام لكى نكون مسلمين ، بل علينا ان نعيش فى جوهره وفى قلبه ، وعلينا أن نحاسب أنفسنا فى كل يوم عما فعلناه .. هل كنا قريبين فى أعمالنـا مما دعانا اليه الاسلام والرسول الكريم ؟ أم كنا بعيدين عنه بعض الشىء أو كل الشىء ؟ اننا اذا فعلنا ذلك وحاسبنا انفسنا واستغفرنا الله وتبنا اليه نجحنا وبقينا مسلمين حقا وصدقا ، والا فاننا نمهد الطريق للشر ونسمح للرذيلة ان تنتشر وللقيم العليا أن تندثر مما يدمر الانسانية والأفراد على حد سواء .

جاء نبى المسلمين الى العالم لكى يضع حدا للتجارب المتعددة التى كان يمر بها الانسان فى مراحله المختلفة. جاء لينشر التسامح بين الناس ولكى يعيد الى المجتمع المتفكك - من طريق المحبة - الصحة والعافية والنجاة من الحاجة والتحرر من الفقر وازالة عدم المساواة بين الناس كان الناس جميعهم أمام النبى - وأمام الله - سواء ، كلهم فى مرتبة انسانية واحدة لا يفضل أحدهم عن الآخر الا بتقواه . كان النبى ينظر الى الانسان نظرته الى شىء ثمين ، وكان كل انسان لديه ذا خطر وذا أثر . لم يكن هناك انسان واحد عديم الفائدة .

ومحمد هو أفضل البشر أجمعين « وأنك لعلى خلق عظيم » . وقد أدرك الرسول الكريم فضله ومتانة خلقه وفضل الله عليه فقال : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والأخلاق هنا لا تعنى فرعا واحدا من سلوك الانسان وانما تعنى مجموعة الأفعال التى يؤديها بما فيها علاقته بخالقه . وقد حدث أن سأل أحد المسلمين السيدة عائشة رضى الله عنها عن أحوال الرسول واخـلاقه ، فقالت « كان خلقه القرآن » . ومعنى هذا أن النبى كان يتصرف فى كل ما يدور حوله حسب ما جاء فى القرآن ، يفسر كلماته الى أفعال . وهذا بدوره يعنى أن حياة الرسول اليومية لم تكن الا صورة حقيقية لتعـاليم

القرآن . كان النبي عبارة عن رسول كريم تجمعت فيه كل معاني القران . ومن هنا تعين على المسلم ان يلجأ الى القرآن الكريم طلبا للحكمة والهداية والى النبي العظيم طلبا الى الاسوة والامثولة الصالحة . يقول الله سبحانه وتعالى في محكم اياته « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كيثرا » .

وهذه الآية الشريفة هامة جدا في الاشارة الى ما كان يتحلى به الرسول والى اتخاذه مثالا يحتذى به في كل الظروف والأحوال .

واذا كان الرسول لم يعمد الى الانتقام من الظالمين الذين كانوا يضطهدون الابرياء ويلحقون بهم الشرور ، واذا لم يتغلب على اعدائه ممن ساموا الناس الخسف والذل ثم راح يعفو عنهم ويغفر لهم فانه لم يكن ليعد مثالا حسنا يحتذى به الناس .

واذا لم يقد النبي جيوشه في قتال الكفار فانه لايصبح مثالا يحتذيه القادة العسكريون حيث يشب القتال .

واذا لم يكن النبي قد وضع قواعد الدين وشرحها في احاديثه الشريفة فانه لم يكن ليعد المشرع الأعظم .

وكذلك فانه اذا لم يكن قد قضى في كثير من القضايا فانه لم يكن ليعد قاضيا عادلا ومثالا للحكم الصالح .

واذا لم يكن قد تزوج فقد كان يصبح من العسير على الناس ان يعرفوا كيف يعامل الزوج زوجه وكيف يرعى الأب اولاده وكيف يقيم رب الأسرة دعائم بيته .

وقد اكرم الله نبيه فوهبه الصفات الحميدة كلها حتى قبل ان يختاره نبيا ورسولا . وقد كان يكنى قبل نزول الوحي عليه بالأمين . يقول القرآن الكريم على لسان النبي : « فقد لبثت فيكم عمرا من قبله . أفلا تعقلون . »

ولا شك أن أولى صفات الرسول امانته وصدقه . وقد عرف بين اهل مكة ـ قبل نزول الوحي عليه ـ بانه كان يمشي في شوارع مكة لا يلقى بالا الى ما يقوم به اهلها من خزعبلات ، بل كان يسرع في خطاه وهو غارق في التفكير . ومع هذا فلم يعرف عنه انه لم يرد على احد سلامه او تحيته مهما كان وضعه في مجتمع ذلك الوقت ، كما لم يعرف عنه انه احتد في كلامه مع احد

اما ثانية صفاته فهي البساطة . والواقع أن بساطته كانت المحور الذي دارت حوله كل اخلاقه . كان بسيطا في ملبسه وفي معيشته . كان يعمد الى الخشونة في العيش لا الى الراحة . وكان يعتز بفقره ولم ينظر الى اي عمل مهما كان وضيعا نظرة احتقار او استهجان . كان في وقت من الاوقات يصلح نعليه بيديه الشريفتين وكان يرتق ثيابه ، ويعمل جاهدا دون كلل مع صحبه . اشترك معهم في بناء مسجد المدينة ثم في حفر الخندق عندما اراد الكفار الهجوم على المدينة .

وصفته الاخرى عدالته وحبه للانصاف . كان يشيع العدالة بين الناس كلهم بلا تفرقة او تمييز . لم يكن يفرق بين صديق وعدو ولا بين قريب او غريب . الحق لديه حق والحدود والعقاب يجب أن يتنزلا باي انسان حتى ولو كان المخطىء ابنته فاطمة وفي هذا كان يضع الآية الكريمة نصب عينيه . « ولا يجر منكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا . اعدلوا . هو أقرب للتقوى » .

ومع كل ما كان يعتمل في صدر اليهود من كراهية للمسلمين فقد قضى النبي الكريم في قضية تخاصم فيها مسلم ويهودي بحق اليهودي دون ثمة نظر الى ما ساد قبيلة المسلم من غضب من نتيجة حكمه .

اما خلته الطيبة الأخرى فكانت الغفران . وفي القرآن يقول له الله جل وعلا « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . ويخاطبه الله تعالى في آية اخرى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » . وقد حدث عندما غزا مكة وانتصر على كفارها ان أعلن صفحه وعفا عنهم .

ثم يأتي تواضعه . وكان النبي يعد التواضع جزءا من الايمان . وكثيرا ماكان الصحابة الاكرمون يشبهون تواضعه بتواضع الوزراء ، كما انه كثيرا ما كان يخجل أن يسمي ويعدد اخطاء الناس باسمائهم ، بل كان يعبر عنها بصورة عامة .

اما عطفه على الفقير والمحتاج فهي خلة من خلاله النبيلة . وكان منذ أوائل عمره حدبا على الايامى واليتامى وذوي الحاجة ، كان يزور المرضى ويستفسر عن حالتهم . وكان يطعم الجائع في حين كان هو نفسه جائعا . وكان يقضي حاجات صحابته قبل حاجته .

وأما عن حياته المنزلية فقد وضع الرسول الكريم احسن الأمثلة واروع التقاليد . كان زوجا محبا وأبا برا . هو الذي رفع من شان المرأة ومنحها مركزها المحترم في مجتمع متأخر كالمجتمع الذي عاش في جزيرة العرب . كان يقول لاصحابه : « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي » .

ومن صفاته الحميدة الثبات . وقد اجمع العلماء والفقهاء والمؤرخون على صلابته وعدم تزلزل عقيدته في رسالة . لم تكن الشدائد ولا الملمات تحول بينه وبين اداء الرسالة . وكذلك فان اليأس لم يتطرق الى قلبه ولم يجد الاغراء بالمال والملك والسلطة طريقا الى نفسه رفض كل هذا وتركه ليؤدي الامانة التي وضعها ربه حول عنقه ليطهر البشر من الرجس والرذيلة .

واذا كنا قد عددنا شيئا من اخلاقه وصفاته عليه صلاة الله وسلامه فانا لم نذكر الا اقل القليل منها ، والا فاين شجاعته واين كرمه واين انفاقه في سبيل الله واين كرم ضيافته وحبه لاصحابه ونظافته وانسانيته واحترامه للاخرين . أين كل هذه الصفات التي تجعل من محمد الرسول والانسان الكامل .

وكما قلنا فان من العسير على الانسان ان يلم بصفات الرسول في كلمات صغيرة قليلة . ان صفاته اكثر من ان تعد وتحصى .

والغريب انه في حين تزخر كتب الفقه والتفسير والشرع والحديث بهذه الصفات النبيلة العظيمة التي اراد الله لها أن تكون الشعلة التي تنير حياة البشر اجمعين نرى بعض الناس وقد اعمتهم الحقيقة وراحوا يحاولون تشويه اعمال النبي والقاء الشك والريبة على تصرفاته . وهذا النفر من الناس يسمون أنفسهم مستشرقين وكتابا قادرين يحاولون الحط من قيمة محمد ولكن هيهات ان يستمع اي انسان الى ترهاتهم وهيهات أن يصدق المرء ما يعمدون اليه من تقليل قيمة الاسلام .

غير ان هناك نفرا من هؤلاء المستشرقين والكتاب انصفوا الرسول الكريم واعطوه حقه من التكريم

والتبجيل . هؤلاء المستشرقون والكتاب مسيحيون ولكنهم لم ينكروا على محمد فضله ولا نبله ولا عظمته. بل راحوا يمتدحونه ويصفونه باحسن الصفات . وفى هذا دللوا على سلامة تفكيرهم ونبل مقاصدهم وانصافهم فى سرد حقائق التاريخ .

ومن هؤلاء الكتاب المنصفين نذكر « توماس كارليل » فهو يقول :

« لقد كان محمد مصلحا عظيما وليس دجالا . لم يكن مريضا باعصابه يقاسى من الصرع ، ولكنه كان رجلا ذا خلق قويم وعزيمة صلبة . وكذلك فانه لم يكن المستبد الذى يبحث عن مصلحته الذاتية ، بل هو الحاكم العادل الذى ينير الطريق حوله ويشيع المحبة بين الناس انه لم يكن نهازا للفرص بل هو النبى الذى أؤتمن على رسالة ، ذو الارادة القوية .

« كان محمد رجل الحق والاخلاص . كان حقا وعدلا فى كل ما فعله وكل ما قاله وكل ما فكر فيه . كان دائما يفكر فى شىء ما . يحب الصمت اذا لم يكن هناك داع للكلام ، ولكن اذا تكلم فهو الحكيم ذو الراى السديد المخلص كان دائما يلقى النور على كل مسالة يعرض لها .

« كان هناك مجموعة من الرعاة الفقراء يجوبون الصحراء دون أن يلتفت اليهم أحد . وظلوا على ذلك الحال منذ أن بدأت الخليقة . ولكن نبيا بطلا بعث فيهم بكلمة سرعان ما اخذوها وصدقوها .. لقد أصبح هؤلاء الناس الذين لم يكن العالم يعرف عنهم شيئا معروفين لهذا العالم . وما أن انقضى على هذا قرن واحد حتى امتدت بلاد العرب الى غرناطة والى دلهى . وقد ظل العرب يشعون النور ويعطون الأمثلة فى الشجاعة والمجد والروعة لكثير من بقاع الأرض خلال سنين طويلة » .

وقد عرض الكاتب الكبير جورج برناردشو لمحمد بقوله : « كنت دائما أحل دين محمد محله من الاعزاز والتقدير لحيويته الدافقة . انى اعتقد ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذى تكمن فيه القدرة على التمشى مع مختلف مراحل الوجود الأمر الذى يناسب ويصلح لكل انسان . وقد تنبات بان دين محمد قد يلقى القبول فى اوربا فى الغد كما يلقاه فيها اليوم . لقد صور الكهنة فى العصور الوسطى الاسلام بالوان مظلمة اما لجهلهم وأما لتعصبهم . لقد دربوا فى الواقع على كراهية محمد الرجل وعلى كراهية دينه . كان محمد فى نظرهم ضد المسيح . لقد درست محمدا ـ هذا الرجل العظيم ـ وفى رأيى انه لم يكن ضد المسيح . ان الواجب أن يطلق على محمد اسم مخلص الانسانية. وأنا اعتقد انه لو اعطى رجل مثله مقاليد العالم الحديث لاستطاع أن يحل جميع مشاكله بصورة تكفل له مايحتاجه من سلام وسعادة . لقد أدرك بعض المفكرين المخلصين فى القرن التاسع عشر مثل كارليل وجيبون وجوته ماينطوى عليه دين محمد من قيم عليا ، وقد حدث نفس الشيء الآن . ويمكن ان يقال أن أوربا بدأت الآن فى اعتناق الاسلام » .

اما الكاتب والمؤرخ الفرنسى الكبير لامارتين فقد قال عن محمد ما يلى : « كان محمد فيلسوفا وخطيبا ورسولا ومشرعا ومحاربا ومجددا فى الآراء والمعتقدات ، كما كان مؤسس عشرين امبراطورية أقليمية ولكن مع امبراطورية روحية واحدة . واذا كان لنا ان نبحث عن انسان ما تكمن فيه كل هذه العظمة الانسانية فانا لا نجد غير محمد » .

وقال « الفرد مارتن » فى كتابه « أكبر زعماء الدين فى الشرق » ما يلى :

« ان تاريخ الاديان لا يتضمن أروع من الطريقة التى انتهجها محمد لتغيير الاوضاع والانظمة الاجتماعية فى جزيرة العرب . والجدير بالذكر والتقدير القول بأن لا اليهودية ولا المسيحية ولا العرب الذين وجدوا فى العصور الوسطى استطاعوا ان يرفعوا من مستوى الحياة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت وتلك المناطق كما فعل محمد . ان محمدا بتحقيقه هذا العمل المتحضر الرائع قد ادى أجل الخدمات لا لجزيرة العرب وحدها بل للعالم كافة » .

وقال المستشرق دنيسون : « كان العالم فى القرنين الخامس والسادس يقف على شفا هاوية الضلال والفوضى . وقد زالت الثقافات الروحية التى حضرت ومدنت العالم واعطت الشعوب شعور الوحدة والاحترام لحكامها ولم يعد فى الاستطاعة احلال اى ثقافة اخرى محلها .

« وقد بدا ان المدنية العظيمة التى استغرقت اربعة آلاف سنة لتقيم دعائمها على وشك أن تنهار ، كما بدا ان البشرية قد كادت تعود الى حالة الوحشية حيث كانت تتصارع القبائل الواحدة مع الاخرى ولم يعد للقانون ولا للنظام اى معنى أو اثر .

« ولم تؤد المسيحية عملها بل على العكس من ذلك راحت تشيع الانقسام والدمار بدلا من الاتحاد والنظام وكان الزمن مليئا بالاخطار . وأصبحت المدنية مثل الشجرة التى تظلل اوراقها وفروعها كل أنحاء الارض وتعطيها ثمارها الذهبية وفنونها وعلومها وآدابها ولكنها بدأت تهتز وتترنح ويدخل العطن حتى الى جوهرها . ولكن ـ وفى هذه اللحظة الحرجة ـ ظهر محمد ليوحد بين العالم المعروف ، فى الشرق وفى الجنوب » .

وقال سير ويليام موير فى « حياة محمد » : « لقد كانت تعاليم محمد قليلة وبسيطة ولكنها آتت ثمارا رائعة مفيدة » .

وكان مما قاله جونسون فى « اديان الشرق » : « ان تعاليم محمد وآراءه عن الديمقراطية وعن عمومية المثل العليا الدينية وانسانيته المتواضعة البسيطة تجعله بطلا وزعيما حتى من ابطال وزعماء العالم الحديث » .

ويقول سير فيليب جيبس فى « عظمة محمد » : « لقد عمل الاسلام ـ دين محمد ـ لتقوية البشرية والحضارة مالم يفعله اى دين آخر منذ بدء الخليقة .

وفى خلال القرون الطويلة ـ وحتى فى هذا العصر الحديث ـ كان الاسلام ولا يزال قوة يعتمد عليها مئات الملايين من البشر . وبدون تعاليمه السمحاء العظيمة فان البشرية كان محققا لها أن تعود الى أيام الوحشية المظلمة » .

ويقول ليونارد : « اذا كان هناك انسان ما على الأرض عرف ربه حق المعرفة ، واذا كان هناك رجل كرس حياته كلها لخدمة الله برغبة طيبة وهدف نبيل فمما لا شك فيه أن هذا الرجل هو نبى الجزيرة العربية محمد ، ان محمدا لم يكن أعظم الناس قاطبة وحسب ، بل انه اصدق رجل انتجته البشرية على طول السنين » .

العظمة الإسلامية

الأستاذ محمد عطية الإبراشي

ان الاســـلام دين الفطرة والطبيعة ، دين العقل والمنطق ، دين يصلح لكل عصر وزمان ، وكل قطر ومكان ولكل شيء فيه حكمة ، فقدفرض الايمان بالله وحده لانه « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »

وفرضت الصلاة لقوله تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . ووجبت الزكاة لقوله جل شأنه : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . » ونادى بالحج « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام » وكتب عليهم الصيام ، كي يصلوا الى التقوى وطهارة الجسم والنفس والروح ، « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

والحكمة فى القصاص تبدو فى قوله جل شــأنه : « ولكم فى القصاص حياة » باقامة العدل بين الناس ، ومنع اعتداء بعضهم على بعض . وقد حـــرم الخمر والميسر لما يحدث للانسان من الضرر بسببهما : « انما يريد الشيطان ان يوقـع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ »

وفى روح الاسلام تجد كثيرا من اليسر والتيسير على المسلمين ، قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » وقال عز شأنه : وماجعل عليكم فى الدين من حرج . »

وتبدو العظمة الاسلامية فى قوله تعالى : « انمـــا المؤمنون اخوة » « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط . ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى »

الاسلام دين الوفاء بالعهد ، قال تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « فى العهود وفاء لاغدر » « ولا تخن من خانك . » فالاسلام يطالب بالوفاء والامانة ، وينهى عن الغـــدر والخيانة ، ونقض العهد .

الاسلام دين العلم والنور ، دين التربية والتعليم ، لا دين الجهل والظلمة . قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم . » « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . » وقال : « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معا فعليه بالعلم »

وتتمثل عظمة الاسلام فى قول ابى بكر رضى الله عنه بعد ان بويع بالخلافة : « أيها الناس ، انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فأعينونى ، وان اســـأت فقومونى ، الصدق امانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه .. اطيعونى ما اطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » .

كما تتمثل فى قول عمر حينما ولى الخلافة : « من راى منكم فى اعوجاجا فليقومه » فقال له احد المؤمنين : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

فالاسلام دين الوفاء والحرية ، دين العدالةوالديمقراطية دين التسامح والانسانية دين المحبة والمودة ، دين يقول فيه رسول الله : « لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

الاسلام دين العقيدة والايمان ، دين الاخلاصوالايثار قال جل شأنه

« ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ويقدمون الى الفقراء مالديهم ، وهم فى شدة الحاجة اليه « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها »

الاسلام دين الرحمة والتراحم دين الرفق والعطف ، دين العفو والصفح .

« الراحمون يرحمهم الرحمن » . « من لايرحم لايرحم » . « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » « فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر » . « وان تعفوا اقرب للتقوى » . « فاعف عنهم واصفح » .

الاسلام دين الاخلاق والكمال ، دين النبل وانكار الذات ، دين يفكر فيه المسلم فى المصلحة العامة ، ويعمل للجماعة ولا يفكر فى نفسه ، ولا يعمل لذاته . انظر الى ماكتبه خالد بن الوليد ، سيف الاسلام ، بعد ان امره ابو بكر رضى الله عنه بالمضى الى الشام ، ومقابلة ابى عبيدة بن الجراح ، وتولى رياسة الجيش بدلا من ابى عبيدة ، وكان ذلك كله مراعاة للمصلحة العامة .

وهذا ماكتبه خالد الى ابى عبيدة :

« اتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى بالمسير الى الشام ، وبالمقام على جندها ، والتولى لامرها . والله ما طلبت ذلك ولا اردته ، ولا كتبت اليه فيه وانت - رحمك الله - على حالك التى كنت فيها ، لايعصى امرك ، ولا يخالف رايك ، ولا يقطع امر دونك ، فانك سيد من سادات المسلمين ، لاينكر فضلك ولا يستغنى عن رايك .. والسلام عليك ورحمة الله » .

فخالد البطل يتعهد لابى عبيدة القائد العظيم ، بانه لن يعصى له امرا ، ولن يخالف له رايا ، ولن ينفذ امرا دون ان يستشيره ، مع ان خالدا بامر ابى بكر هو القائد العام المسئول عن امور الجيش فى قتال الروم بالشام .

ثم انظر الى ماكتبه ابو بكر رضى الله عنه الذى نصر الاسلام بايمانه ونفسه وماله ، الى ابى عبيدة بن الجراح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد ، فانى وليت خالدا قتال الروم بالشام ، فلا تخالفه ، واسمع له ، واطع امره ، فانى وليته عليك وانا اعلم انك خير منه ولكن ظننت ان له فطنة فى الحرب ليست لك . اراد الله بنا وبك سبل الرشاد . والسلام عليك ورحمة الله »

فبماذا تحكم على ابى بكر ؟ وماذا تقول عنه ؟ انه يمثل روح الاسلام ، روح النبل والاخلاص ، روح الخليفة الذى لايفكر الا فى المصلحة العامة ، روح الايمان والكمال

قال المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده : « انما هو « الاسلام » دين قويم الاصول ، محكم القواعد ، شامل لانواع الحكم ، باعث على الالفة ، داع الى المحبة ، مزك للنفوس ، مطهر للقلوب من ادران الخسائس ، منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه ، كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مبانى الاجتماعات البشرية ، وحافظ وجودها ، وينادى بمعتقديه الى جميع فروع المدنية » .

وتتجلى العظمة الاسلامية فى قوله تعالى للرسول الكريم : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

اى لايستوى الخير والشر . فادفع من اساء اليك بالاحسان اليه ، وقابل الاساءة بالاحسان . فاذا الذى بينك وبينه عداوة يتحول من عدو الى ولى حميم ، وصديق قريب . وان هذه الفعلة الكريمة ، والخصلة الشريفة لايوهبها الا الذين صبروا وكظموا غيظهم ، واحتملوا اذى غيرهم ، وما يوهبها الا ذو حظ عظيم ، ونصيب وافر من الخير .

وفى قوله عليه الصلاة والسلام : « لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » . اى لايؤمن احدكم ايمانا كاملا الا اذا احب لاخيه ما احب لنفسه ، من غزارة علم ، وكرم خلق ، وسمو مكانة ، وعلو مركز ، وتوفيق فى الزوجة والابناء والبنات ، وكره له ماكره لنفسه من جهل وفقر ، وضعة ، وحرمان . فاذا لم يحب لاخيه مايحب لنفسه كان يحقد عليه او يحسده فليس بمؤمن ايمانا كاملا .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « اوصانى ربى بتسع اوصيكم بها : اوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وان اعفو عمن ظلمنى ، واعطى من حرمنى ، واصل من قطعنى ، وان يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » .

وفى هذه الوصية تتجلى عظمة الاسلام ، فقد اوصى الله رسوله بتسع صفات هى : الاخلاص فى السر والجهر ، والعدالة فى حالتى الرضا والغضب ، والاقتصاد والتوسط فى النفقة ، وفى الغنى والفقر ، والعفو عمن ظلمك ، واعطاء من حرمك ، وصلة من قطعك ، والتفكير فى خالق الكون وقت صمتك ، وذكر الله عند نطقك ، ونظرك فيه عظات وعبر لغيرك .

التطور الاقتصادى وكيف يقود الى الاشتراكية

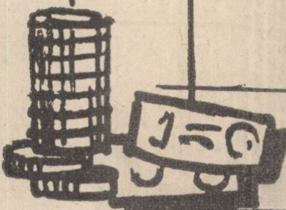

الدكتور أحمد شلبى

مقدمة :

توقفت مقالاتنا عن « اليهودية » بسبب اصدارنا كتابا شاملا عن هذا الموضوع حوى الحديث عن « اليهودية » من ناحيتى الدين والعقيدة ونبدا اليوم فى هذه المجلة الغراء مسلسلة جديدة عن موضوع خطير هو « التطور الاقتصادى وكيف يقود الى الاشتراكية »

وتعد المشكلة الاقتصادية اعقد مشكلة عرفها الجنس البشرى وقد ترتب عليها مشكلات كثيرة ، فالنظم السياسية كانت نتيجة للاتجاهات الاقتصادية وبسبب المشكلة الاقتصادية وجد الرق احيانا ووجدت الحرية احيانا وتقف فى عالمنا كتلتان كبيرتان متنافستان ، وربما جاز لنا ان نقول متصارعتين واساس هذا التكتل ليس الا المشكلة الاقتصادية ، فهؤلاء يتبعون مذهبا اقتصاديا واولئك يتبعون مذهبا آخر • ونحن هنا فى الشرق مسنا الضر بسبب المشكلة الاقتصادية فى العالم، لقد سعى الغرب ليسرق ثراءنا ويسيطر على مكانتنا ، وبذلنا الكثير من الدم لنتحرر من هذا الغاصب الاثيم

فجدير بنا ان نولى الدراسات الاقتصادية عناية كبرى ، وان نوضح بالبحث والدرس ماذهب اليه كبار علماء الاقتصاد من ان الاشتراكية هى النتيجة الطبيعية للسير الاقتصادى والله المسئول ان يهبنا التوفيق فيما نحن بصدده من جهاد فكرى •

تطور النظم الاقتصادية

تدلنا الدراسات العلمية الاقتصادية على ان الاقتصاد فى العالم تطور تطورا يكاد يكون منتظما ، مر خلاله بمراحل رئيسية اربع قبل ان يصل الى الاشتراكية وهذه المراحل هى :

١ ـ الشيوعية البدائية •
٢ ـ عهد الرق والاقتصاد العبودى •
٣ ـ النظام الاقطاعى •
٤ ـ الراسمالية •

وطبيعى ان هذه المراحل لم تسر بهذا النظام فى جميع المجتمعات فى وقت واحد ، فربما كانت هناك جماعة تمر بالمرحلة الثالثة بينما لاتزال جماعة اخرى تمر بالمرحلة الاولى ، وتقدمت جماعة ثالثة الى المرحلة الرابعة او تخطتها الى الاشتراكية التى تجىء بعد هذه المراحل الاربع ، وفى بعض الاحيان وبسبب من الاسباب تعيش احيانا مرحلتان او اكثر فى بلد واحد ، ففى بعض الاقطار توجد الشيوعية البدائية فى الغابات والآكام فى حين تعيش الراسمالية او الاشتراكية فى المدن الكبرى وفى ظل التشريعات واللوائح التى لاتجد طريقها للتنفيذ فى عالم الغابات والآكام •

بل يحدث اكثر من ذلك اذ قد تبدا مرحلة وتنتعش فى داخل مرحلة اخرى ففى خلال مرحلة الرق او النظام الاقطاعى هبت صيحات اشتراكية كونت السطور الاولى فى تاريخ الاشتراكية وهكذا •

وتتناسب هذه المراحل تناسبا مطردا مع المراحل التاريخية للجنس البشرى الى حد كبير ، فقد مر الجنس البشرى بالعصر الحجرى القديم وانتقل منه الى عصر المدنيات القديمة كالمدنية الآشورية والمصرية ، ثم اتجه

للعصر المسيحى فالعصر الاسلامى ، فعصر النهضة باوربا وما تلاها من ثورة صناعية واكتشاف البخار والاكتشافات الجغرافية ، وهذا يدلنا على ان التطور الاقتصادى كثيرا ما يصاحب التطور السياسى والدينى .

وسنعرض فيما يلى هذه المراحل الاقتصادية عرضا سريعا .

١ - الشيوعية البدائية :

نشأت الشيوعية البدائية مع المجتمعات القبلية البدوية التى كان من اهم مميزاتها الانتقال من مكان الى مكان فى جماعات صغيرة متناثرة ، وكان افرادها لايجدون وسيلة لسد حاجات معيشتهم الا عن طريق الشيوع . فكانوا يلتقطون غذاءهم ويتقاسمونه وكان اجتماعهم ضروريا لهم ووسيلة لحياتهم اذ كانت الحياة الفردية لاتضمن السلامة لصاحبها ، ولم يكن فى هذا المجتمع سيد ومسود ، اما رئيس القبيلة فكانت مسئولياته اكثر من امتيازاته ، وكان من السهل على اى عضو فى القبيلة ان يتمرد عليه ويفارق الجماعة .

مع هذا المجتمع البدوى البدائى الذى لم يكن يعرف النظم الزراعية . كانت الشيوعية البدائية متفشية ، وكانت الحروب كثيرة وقد كانت هذه الشيوعية البدائية او الشيوعية فى الانتاج نتيجة للشيوعية فى تملك وسائل الانتاج ، فقد كانت ادوات الانتاج تتمثل فى الاقواس والسهام والشباك وكلاب الصيد وكانت كلها مملوكة للقبيلة ملكا عاما . فكان من الحق ان يكون ماتدره من ناتج ملكا عاما ايضا على ان مما الزم اتباع هذا النظام الاقتصادى انه لم يكن هناك فائض فى السلع ، وكان الناتج لايزيد عما تتطلبه حياة الكفاف ومن هنا لم يكن من الممكن ان يدخر شىء عند انسان ويجوع انسان آخر ، فقد كان الكل يعملون ويوزع الناتج على الجميع بالتساوى .

وفى هذه المرحلة كان اعضاء هذا المجتمع متساوين تقريبا فى العمل وفى نصيبهم من الناتج سواء منهم الرجال والنساء ، ثم اكتشف هذا المجتمع النار وبدأ يطهو طعامه ، فاتجه بعض افراده الى الصيد واتجه آخرون الى الطبخ ، وكان هذا بدء التقسيم فى العمل بين الرجال والنساء اذ اعتمد المجتمع على الرجال فى الصيد وعلى النساء فى الطبخ ، وبدأ فى هذا المجتمع تقسيم آخر تبعا لنوع العمل ، فاتجهت جماعة الى عمل واتجهت جماعة اخرى الى عمل آخر . بل ربما اتجهت قبيلة من القبائل الى عمل ما وتخصصت قبيلة اخرى فى عمل آخر ، وتم تبادل الانتاج بين القبيلتين عن طريق رئيس القبيلة وفى يوم معين حدد لذلك ، يشبه ماعرف فيما بعد باسواق الريف .

٢ - عهد الرق والاقتصاد العبودى :

اتسعت قوى الانتاج رويدا رويدا فى عهد الشيوعية البدائية واصبح هناك فائض فى هذا المجتمع . واعطى هذا الفائض الى افراد امتازوا على الباقين بميزة كرجال الدين او قادة الحروب وازداد هؤلاء بالثراء قوة وبداوا يتبادلون هذا الفائض مع القبائل الاخرى واستلزم ذلك ان تكون لديهم ايد عاملة لتقوم بهذه التجارة وتحرسها وترعى هذا الثراء بوجه عام . وكانت الوسيلة للحصول على الايدى العاملة هى الاسترقاق بتغلب قبيلة على قبيلة او باختطاف اسرى فى المعارك الحربية او بالاستيلاء على الافراد الذين يلجأون للقبيلة لتحميهم او نحو ذلك .

وبدأ بذلك عهد الرق والاقتصاد العبودى ، فان هؤلاء الارقاء كانوا يعملون لسادتهم نظير كفاف ضئيل لطعامهم وكسائهم ، وفى هذا المجتمع بدأ نظام الطبقات ، فالسيد له سطوة وثراء والعبد لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، والسيد لايهمه الا المزيد من الثراء عن طريق الضغط على العبيد واستغلالهم اسوأ استغلال . وارتبط الثراء بكثرة العبيد فاتجه المجتمع الى الوسائل المختلفة ليحقق للسادة مزيدا من الارقاء ، وبهذا انتشرت اعمال القرصنة وكثرت الحروب ، بل اصبح العبيد يباعون ويشترون فى الاسواق العامة .

وبدأت الزراعة فى هذه المرحلة واتخذ الاثرياء الارض وسيلة لتنمية ثروتهم ، وكان العبيد يشتغلون فى الزراعة كما اشتغلوا من قبل فى التجارة .

ومن الطبيعى فى هذا المجتمع الذى اصبحت الطبقات بارزة فيه ان توجد حكومة مسموعة الكلمة تختلف اختلافا تاما مع سلطة رئيس القبيلة الذى تكلمنا عنه آنفا ، فالحكومة هنا قوية لها امتيازاتها الضخمة وافرادها من الاغنياء وهى تكره العبيد على طاعة سادتهم .

ولم تقتصر الطبقات على طبقتى الاحرار والعبيد فى هذا المجتمع ، بل كان هناك طبقات داخل طبقة الاحرار تتعارض مصالحها ، فهناك طبقة الصناع وطبقة التجار وطبقة الزراع بالاضافة الى السادة ورجال الكهنوت .

٣ - النظام الاقطاعى .

واضح مما سبق انه فى عصر الرق وضعت بذور الاقطاع والراسمالية فالاثرياء الذين اتجهوا بثرائهم الى الزراعة كونوا النظام الاقطاعى والاثرياء الذين اتجهوا للتجارة كونوا الراسمالية التجارية ، ولكن السيادة الضخمة فى هذا العصر كانت للاقطاع ، فوجوده حال دون اتساع نشاط الراسمالية التجارية بسبب التفكك والحروب بين الاقطاعات ولان الاقطاع لم يتح فرصة للاسواق الحرة .

وقد ساد النظام الاقطاعى فى العهد المسيحى ، واتخذ من المسيحية اداة لاستقراره ، فقد كان للكنيسة اقطاعات كثيرة وكذلك كان كثير من رجال الدين اقطاعيين كبارا . واتخذت الكنيسة ورجال الدين من المسيحية وسيلة لتقوية سلطانهم ، فكان من اهم التعاليم المنبثقة عن الكنيسة ان الحياة الدنيا ليست غاية لذاتها وانما هى وسيلة للحياة الابدية ، وان الزهد فى الحياة الدنيا يحقق الخلود فى الآخرة ، اما الحرص على المال والثراء فهو تكالب على الدنيا يضيع ثواب الآخرة .

وقد فسر القديس « توماس اكويناس » الاسترقاق بانه نتيجة لخطيئة آدم ، وانه وسيلة اقتصادية فى عالم يجب ان يكدح فيه بعض الناس ليتمكن بعضهم الآخر من الدفاع عنهم ، وكان القديس توماس فى ذلك معتنقا لرأى ارسطو فى الرق ، وكان للبابا اجريجورى الاول مئات من العبيد فى الضياع البابوية ، وفى اكثر الاحيان تمسكت الكنيسة بالارقاء التابعين لها اكثر مما تمسك بهم سادة الاقطاع الآخرون ، وبناء على الاحصائيات يتضح ان الكنيسة والاقطاعيين من رجال الدين كانوا اوسع الاقطاعيين ملكا واكثرهم عبيدا ، فدير « سانت جول » بالمانيا كان يمتلك الفين من رقيق الارض .

و « الكوين رئيس دير تود » كان سيدا لعشرين الفا من الارقاء .

وقد انحدر النظام الاقطاعى الى اوربا من الامبراطورية الرومانية التى انتشر بها هذا النظام وكان من اسباب سقوطها ، على ان سقوط الامبراطورية منح سادة الاقطاع مزيدا من السلطة ، اذ تركزت فى ايديهم السيادة السياسية والاقتصادية ، فتحولت الضياع الى ممالك صغيرة ، ثم شمل نظام الاقطاع العالم كله تقريبا ولم يسلم منه العالم الاسلامى . فقد انتشر به هذا النظام فى العهد الاموى وعلى انقاض السلاجقة ولكن الزارعين لم يكونوا ارقاء كاولئك الذين كانوا يفلحون الارض باوروبا فى ذلك العهد اذ خففت روح الدين الاسلامى بعض الشىء من غلواء هذا النظام وحققت لفلاحى الاقطاع شيئا من حقوقهم .

وقد برز نظام الطبقات واضحا فى العهد الاقطاعى ، فقد كونت جموع الزراعين طبقة رقيق الارض ويجىء فوقهم حاشية صاحب الاقطاع فالاقطاعى وهو فى الغالب امير او نبيل او فارس حرب او رجل دين ، وهذا بدوره يخضع للملك واحيانا لاقطاعى اكبر منه .

وكانت الضيعة او الاقطاع تباشر - بجوار الزراعة - صورا بسيطة من الصناعات لتوفر لسكانها مايحتاجونه من ادوات للزراعة وملابس ، وتقوم باعمال البناء والتجارة ولم تكن هذه الصناعات الا حرفا بسيطة تغطى مطالب الناس ، فالضيعة بذلك كانت وحدة مستقلة تنتج ما تستهلكه ويتجه الفائض الى السيد المالك .

وكان عمال الاقطاع مرتبطين بالضيعة ارتباطا تاما ، فلم يكن فى طوقهم ان يغادروا مزرعة السيد الى مزرعة اخرى ، وكان مالك الاقطاع يبيع اقطاعه احيانا فتنتقل للسيد الجديد ملكية الارض والاتها ورقيق الارض وكان لهذا السيد ان يتصرف مع هذا الرقيق كيفما شاء فيما عدا قتله وكان هذا هو الفارق الاساسى بين التابع فى العصر الاقطاعى وبين العبد فى عصر الرق .

وهناك فارق آخر هو السماح لرقيق الارض ان يمتلك قطعة صغيرة من الارض نظير خدماته فى ارض السيد ، اما العبد فى عصر الرق فلم يكن له ان يمتلك شيئا .

وكان على رقيق الارض واجبات اقطاعية متعددة ، يؤديها لمالكه بعضها عينى والآخر نقدى ، فضلا عن الواجبات الجسمانية ، فكان عليه ان يخصص بعض ايام الاسبوع بما يملك من ابناء وآلات وحيوانات لخدمة سيده وعليه ان يطحن حبوبه ويخبز خبزه ويصنع جعته ويعصر عنبه فى مطحن المالك وتنوره وخابيته ومعصرته ، وكان عليه ان يدفع غرامة لسيده اذا ارسل ابنه لمدرسة او وهبه للكنيسة ، لان الضيعة تخسر يدا عاملة ، واذا تزوج احد من رقيق الارض بغرين خارج الضيعة واستدعى ذلك ان يلحق بقرينه ، كان عليه ان يدفع تعويضا عن خسارة السيد من هذا الزواج ، ولم تكن زوجة رقيق الارض اقل منه كدحا فى خدمة سيد الاقطاع . فقد كانت تعمل له من مطلع الفجر الى مغيب الشمس وكان عليهما ان تنجب الابناء لخدمة السيد ، واذا كانت الضيعة محتاجة لمزيد من الايدى العاملة، كان عليها ان تكثر من الانجاب .

ويذكر ول ديوارنت تلك العادة القبيحة القاسية التى تتنافى مع الفكر وهى حق السيد فى قضاء الليلة الاولى مع عروس رقيقة ، ويقرر ان هذه العادة بقيت فى مقاطعة بافاريا بالمانيا حتى القرن الثامن عشر .

وكان دخل الفرد فى هذا المجتمع يتبع طبقته ، فللزارع من الطعام والكساء مايلزم لامثاله من هذه الطبقة وهو مقدار ضئيل خشن ولرجال الحرف مقدار مماثل تقريبا . ثم يتفاوت الدخل بتفاوت الطبقات ، فحاشية رجل الاقطاع لها طعامها وملابسها ومساكنها التى فيها كثير من الترف ، فاذا وصلنا الى رجل الاقطاع نفسه وجدناه وقد توفرت له اسباب الرخاء والسعادة ، اما الملوك فكانوا السادة الآمرين والناهين فى الارزاق والارواح .

ويتضح من هذا النظام ومن النظام الذى سبقه مشكلة استغلال الانسان للانسان ، ومشكلة شخص يعمل ويمنح الكفاف وشخص لايعمل وينال الترف والرخاء ، ومشكلة فقدان الحرية الشخصية تحت ضغط القوة والطغيان

انهيار النظام الاقطاعى :

وانهار النظام الاقطاعى آخر الامر وكان من اهم العوامل التى ادت الى ذلك الاتجاه نحو الحرية الشخصية لرقيق الارض وذلك بسبب التطور السياسى الذى نادى بالمساواة فى الحقوق السياسية ، فلم يكن من الممكن ان يتحرر الانسان سياسيا وهو رقيق اقتصاديا واجتماعيا ، ومن عوامل انهياره ايضا الاتجاه الى الانتاج للسوق بدل الانحصار فى الاكتفاء الذاتى ، وكذلك وجود العملة الذى ضمن انتقال السلعة من مكان الى مكان ، ومن العوامل كذلك قيام الثورة الاقتصادية وازدهار التجارة والمال ، لان المال اصبح اقوى من امتلاك الارض ، فتحدى رجال المال سادة الاقطاع ورجال الدين ، وكسبوا النصر فى هذا التحدى اذ التحق كثير من رقيق الارض بالاعمال التجارية التى كانت ايسر واكسب لهم ، كما نال هؤلاء فى ظل المدن كثيرا من الحرية والحقوق الشخصية ، وتمتعوا بحماية القوانين .

وكان هذا الوضع عميق الاثر حتى مع الارقاء الذين بقوا فى الاقطاع ، فان هؤلاء لم يبقوا على ماكان عليه اجدادهم من ولاء وخضوع بل تسربت لهم ريح الحرية من المدن ، فالفوا الجمعيات الريفية واعلنوا العصيان واعتدوا على سادتهم احيانا ، واصبح اخضاعهم للعمل يستلزم حراسة ورقابة تكلف السادة كثيرا من الجهد والمال ، فاضمحل بذلك عهد الاقطاع ، واتجه السادة الى المخترعات الآلية كالمحراث الذى يجره الثيران والساقية التى تديرها الحيوانات وقلت بذلك الحاجة للرقيق ، وبدا عهد تحرر الارقاء .

ومن الاسباب الرئيسية لانهيار عهد الاقطاع كذلك قيام الدول القومية التى لم تدع للاقطاع ماكان له من سلطة واستقلال ، والتى ازالت الحواجز بين الضياع وسمحت بانتقال الاشخاص والسلع من ضيعة الى ضيعة وقد ظهرت الدول القومية مبكرة فى انجلترا واسبانيا والبرتغال والسويد وهولندا ، ولم تظهر فى المانيا وايطاليا الا من النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، واخيرا مما ساعد على انهيار الاقطاع النهضة العلمية والفكرية والاصلاح الدينى الذى نظم ماكان للكنيسة ورجال الدين من سلطان . ثم الاكتشافات البحرية وما ماثل ذلك .

وفى العدد القادم سنواصل حديثنا عن التطور الاقتصادى .

رمضان بين الصوم والصبر

الأستاذ جابر محمود محمود

الدين الاسلامى الحنيف الذى جاء به رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ، ولسعادة الناس كافة فى دنياهم وأخراهم نصفان صبر وشكر كما جاء فى الأثر عن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - .

فالمؤمن فى هذه الحياة الدنيا بين حالتين اما أن يكون منعما عليه من ربه ، واما أن يكون صاحب بلاء ومحنة ، ففى حالة الانعام عليه من رب العالمين عليه واجب لا بد أن يؤديه ، وهو أن يشكر صاحب هذه النعمة وهو الله - سبحانه وتعالى - .. وان أصيب بما يكره فعليه كذلك أن يصبر ولا يسخط ليكون ممتثلا لامتحان الله سبحانه وتعالى وفى هذا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما معناه « عجبت لأمر المؤمن .. ان امره كله خير ان أصابته سراء فشكر كان خيرا له ، وان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له » .

كذلك جاء القرآن الكريم يشيد بمنزلة الصبر واثرها فى حياة المؤمن ، فهى التى تجعله يقدم على الحياة غير هياب ولا وجل . يقدم عليها بشجاعة وقوة وصبر يعبر كل عقبة تقابله بايجابية بناءة فى طريقه نحو مستقبله « وبشر الصابرين » .

واذا نظرنا من هذه الزاوية الى الشهر الكريم ، شهر رمضان المعظم نجد المعنى الكبير فى الصبر يتمثل فيه تمثلا واضحا وصادقا ، فلقد أمرنا الاسلام الحنيف بالامساك عن الطعام والشراب من الفجر حتى غروب الشمس حتى نستشعر ما يلاقيه المحتاج والعانى والمسكين ، من جوع وعطش . وليس الامساك فقط فى الصوم الذى هو الرحلة الروحية الكبيرة بالنفس والجسد الى عالم روحى الى رحاب صافية خالدة تستشعر فيها النفس المعانى الكبيرة ، المعانى التى يشارك فيها الملايين من المسلمين بعضهم البعض فى هذا الشهر الكريم ، شهر رمضان .

فلا يقتصر الاسلام فى ذلك على الصبر عن الطعام والشراب طيلة اليوم ، بل يعمق المعنى ويعمق .. يرتفع الى عملية تعليم وتهذيب كل عام يخرج منها الانسان بذخيرة كبيرة من المعانى السامية الخالدة التى علمه اياها شهر رمضان المبارك .

فالاسلام يحدد فى صراحة ووضوح على لسان النبى الكريم - صلوات لله وسلامه عليه - بأن الصوم ليس الامساك عن الطعام والشراب فقط ، فكم من صائم لا يناله من صومه الا الجوع والعطش ، وانما الصوم هو صوم النفس عن المعاصى والشهوات ، وصوم الجوارح عما فيه أذى للناس أو اغضاب لله

تعالى ، وصوم الخواطر عن أن تفكر الا فيما يرضي الله وانطلاقا بالروح الى السماء فتصعد الى أجواز بعيدة تستشعر فيها الصفاء الذى يضفيه شهر الصوم الكريم على الصائمين . وفى كل هذا يتمثل المعنى الكبير الذى حدده الرسول بأنه نصف الاسلام وهو الصبر .. فكف الصائم نفسه عن الطعام والشراب صبر .. وكفه نفسه عن أن تهم بمعصية صبر .. وكفه خواطره عن أن تنطلق على غير هدى حسب ما تشاء لها الأهواء صبر ..

وما أعظم ما أعده الله - سبحانه وتعالى - للصابرين حينما قال - سبحانه - فى كتابه العزيز :

« انما يوفى الصابرون أجرهم بغيرحساب»

والاسلام ديننا الحنيف لا تفوته أدق الخلجات التي قد يتعرض لها الصائم فى صيامه ، فكثير من الناس قد يدفعهم امتناعهم عن الطعام والشراب طيلة اليوم الى توهم أن لديهم استعدادا للغضب من أية اثارة قد يتعرضون لها أثناء صومهم فيأتى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فى وضوح وجلاء ليبين للصائمين ما يجب عليهم أن يفعلوه حتى يحققوا المعنى الكبير من الصوم فيضع الصائم فى تجربة واقعية ، هذه التجربة هى أن يتعرض الصائم للشتم والسب وهو فى أثناء صومه . ويبين الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هذه التجربة فى وضوح فيقول « فان سابه أحد أو خاصمه فليقل انى صائم انى صائم » .. فكأن المؤمن يعتصم من كل اثارة قد تقع عليه ويكبح نفسه من الرد عليها ، فقد صام لسانه عن البذىء من القول ، وصامت يده عن أن تمتد بسوء الى أحد ولو كان مسيئا اليه .

ان الاسلام الحنيف فى حرصه الشديد على أن يمسك المؤمن بزمام نفسه فى أثناء صومه انما يقدم للمؤمنين الصائمين الدرس الكبير من الصوم وهو اعلاء النفس عن غرائزها فى رحلة روحية ممتعة .

ولقد كانت لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشباب الى الصوم حينما قال :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ..

الدليل الواضح القوى على أن الصوم الصادق الذى يقوم به المؤمن ولو فى غيرشهر رمضان الكريم شهر فريضة الصوم ، فهو العلاج الناجع لقمع النفس وكسر شهوتها وعنفها .. أليس الصوم هو الذى يرتقى بصاحبه الى عوالم أخرى ترتفع عن عالم الحس .. الى عوالم الاشراق والصفاء والنور .. الى سبحات الخير والنور لترتوى النفس بالاشراق بعد أن صام الجسد عن الطعام .. ويعمر القلب بالنور بعد أن صام عن الحسد والغل والبغضاء .. صوم الحقيقة المشرقة .

ولقد كان فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الأبرار ، المثل الصادق لنا فى كل هذا ، فلقد كان الرسول الكريم أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فيتسع جوده وكرمه ليعم القاصى والدانى . كما كان عليه السلام كثير التهجد كثير الصلاة ، كثير التسبيح ، كثير الاستغفار فى شهر الغفران .

ولم يكن ذلك كله ليعوق الرسول الكريم عن الكفاح والنضال اذا لزم الامر وامامنا غزوة بدر الكبرى التى أعز الله سبحانه بها الاسلام ونصر بها المسلمين فى أول لقاء بينهم وبين الكفار والمشركين . فايجابية المؤمن معه فى كل وقت فما منع الصوم المسلمين عن القتال والحرب والنضال ضد ظلمات الكفر فى سبيل اعلاء كلمة الله التى صبر المؤمنون من أجلها وصابروا واتخذوا من معانى شهر الصوم والصبر الحافز الذى يدفعهم الى النصر . وصدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه العزيز :

« يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

شهر رمضان وحكمة صيامه

فضيلة الشيخ حنفى عبد المتجلى

الصيام عبادة اصيلة قديمة ، عرفتها الاديان السابقة قبل ان يعرفها الاسلام . وللصيام صور مختلفة حسب الطقوس الموروثة عند كل طائفة ، وتقاليدها المرعيه المتبعة ، فقد عرفته البوذية ، والصابئة ، واليهودية ، والنصرانية ، والجاهلية ، فالبوذيون يصومون أربعة ايام من كل شهر قمرى ، من شروق الشمس الى غروبها ، والصابئون لصيامهم ثلاثة انواع فى السنة ، الاول ثلاثون يوما ، والثانى تسعة ايام ، والثالث سبعة ، وصيامهم من ربع الليل الاخير الى غروب الشمس ، وصام نبى الله موسى عليه السلام قبل أن يتلقى الألواح اربعين نهارا ، وأربعين ليلة ، كما جاء فى سفر الخروج من أسفار العهد القديم ، فى الاصحاح (٣٤ : ٢٨) مانصه : « وكان (اى موسى) هناك عند الرب اربعين نهارا وأربعين ليلة لم ياكل خبزا ، ولم يشرب ماء ، فكتب فى اللوحين كلمات العهد ، الكلمات العشر » وصام كلمة الله عيسى عليه السلام هذه المدة نفسها ، كما جاء فى انجيل متى ، احد اناجيل العهد الجديد فى الاصحاح (٤ : ٢) ما نصه : « فبعد أن صام اربعين نهارا ، وأربعين ليلة جاع اخيرا » واهتدى الجاهليون الى الصيام فعرفوه وتعبدوا به قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، تحدثنا بهذا السيدة عائشة رضى الله عنها فيمارواه الصحيحان (البخارى ومسلم) فتقول « كان عاشوراء يوما يصومه قريش فى الجاهلية ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه . وامر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان كان يصومه ، فمن شاء صام عاشورا . ومن شاء افطره » .

ويرشدنا القرآن الكريم الى فرضية الصيام على الذين من قبلنا من اهل الملل السابقة ، فى آية فرضيته على المسلمين فى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

واختص الله سبحانه شهر رمضان دون غيره بالصيام لأنه الشهر الذى طلعت فيه شمس الشريعة الاسلامية فأضاءت الكون بنور الهداية والتوحيد ، وبددت ظلمات الجهالة والوثنية ، وذلك بانزال القرآن الكريم ، الذى جاء هدى للناس ، ويعتبر نزول القرآن أعظم ذكرى تاريخية يتميز بها شهر رمضان ، والشهور انما يفضل بعضها بعضا ، بأحداثها التاريخية العظيمة ، التي تتألق بها فى سماء الوجود ، وتذكر بها فى أرض الناس ، قال تعالى : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه» ووقت الله للناس صيامهم بطلوع الفجر الى غروب الشمس ، قال جلت حكمته «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل » والمراد بالخيط الابيض النهار ، وبالاسود الليل .

والصيام على اختلاف صوره ، وتباين انواعه ، باختلاف الأمم فى تاديته كما وكيفا ، يهدف الى تعليم الصائم كيف يكبح جماح شهواته ، وذلك بجبره على الامتناع عن التمتع بكل لذات الجسد ، والى بعث الشفقة والرحمة فى قلوب الاغنياء ، بالمساكين والفقراء ، وذلك باذاقتهم الام الجوع ومتاعبه ، قيل ليوسف عليه السلام : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال : اخشى أن أشبع فانسى جوع الفقير » والى حمل الصائم على الاكثار من شكر الاله المنعم ، وذلك بتقديره ما افاء به الله عليه من النعم .

ولله امير الشعراء احمد شوقى فى بيانه الشاعرى الساحر لبعض حكم الصوم واسراره ..!! قال رحمه الله : « الصوم حرمان مشروع . وتاديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب ، وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى اذا جاع من الف الشبع ، وحرم المترف ، أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والم الجوع اذا لذع » .

وفى جبر الصائم على الامتناع عن التمتع بكل لذات الجسد ، يتجلى لنا بعض اسرار الصوم من جهة تطهير معدة الصائم ،وذلك بمحاربة البطنة ، التى هى اصل الداء ، ورأس البلاء ، قال حكيم الأطباء صلوات الله عليه : « ماملا ادمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه ، فان كان لا محالة فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » ، ومما يزيد الناس تيها واعجابا برسول الانسانية ، واستاذ البشرية ، صلى الله عليه وسلم أن سمع حديثه هذا بعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب فقال : « اشهد ان لايقول هذا القول الا حكيم » اى لايقوله الا حكيم متخصص فى الطب الباطنى ، ملم بدقائقه واسراره ، ولايعزب عن اذهاننا أن المقوقس ملك مصر اهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم جارية ، وطبيبا ، وبغلة ، فتزوج الجارية وهى مارية القبطية ، واتخذ البغلة مطية له ، وأقام الطبيب مدة طويلة لم يذهب اليه احد يشكو مرضا ، فكلم الرسول فى هذا ، فقال له صلى الله عليه وسلم . « نحن قوم لاناكل حتى نجوع ، واذا اكلنا لانشبع » أبعد هذا الارشاد القيم يحتاج انسان الى استشارة طبيب ، يعمل له (رجيما) يسير عليه فى وجبات اكله لمحاربة البطنة وماتجره من ويلات ومتاعب ؟ الا فلنذكر دائما هذه (الروشتة) النبوية الجليلة ، التى خطها التاريخ فى كتب الطب ، منذ اربعة

عشر قرنا ، ولنعمل بها ، فلا ناكل حتى نجوع ، واذا أكلنا فلا نشبع ، لنتحرر من التخمة التي تدفعنا الى التراحم فى رحبات وحجر عيادات الأطباء ، ولنذكر أيضا الحديث الذى أرشدنا به النبى صلى الله عليه وسلم الى محاربة البطنة ، وقد جاء فى كلمتين اثنتين ، وهو « صوموا تصحوا » .

ويصور لنا الكاتب الكبير الأستاذ الرافعى، مايحدثه الصوم من اثر طيب فى اجسام الصائمين ، قال طيب الله ثراه : « أما منفعته للجسم ، وانه نوع من الطب له ، وباب من السياسة في تدبيره ، فقد فرغ الأطباء من تحقيق القول في ذلك، وكأن ايام الشهر المبارك أن هى الا ثلاثون حبة ، تؤخذ فى كل سنة مرة لتقوية المعدة وتصفية الدم ، وحياطة انسجة الجسم » فما اروع هذا التصوير الدقيق لعمل كل يوم من ايام شهر رمضان الثلاثين فى جسم كل صائم ، من الحفاظ على كيانه ، وقصارى القول انه لم تعن الشريعة الاسلامية بفرضية صيام هذا الشهر الا لما فيه من حكم بالغة واسرار نافعة ، تتكرر دائما وتتجدد ، بعودة هذا الشهر المبارك وصيامه .

أما الجانب الروحى فى الصوم ، فهو أكبر شأنا ، وأعظم خطرا ، اذ ليس المقصد من فرضية الصوم اظماء النفس وتجويعها لما فى ذلك من المنافع المادية ، بل المقصد ان تصوم جوارح الصائم ، فتصوم عينه بغضها عما حرم الله النظر اليه ، ويصوم لسانه عن الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والفحش ، واليمين الغموس ، والخصومة ، والمراء ، وتصوم اذنه عن الاصغاء الى ما نهى الله عنه ، فكل ما حرم قوله ، حرم الاصغاء اليه ، وتصوم بطنه عن تناول الحرام ، وما فيه ريبة وشك ، وتصوم يده عن ايذاء الناس ، وتناول المنهي عنه ، وتصوم رجله عن المشى بالفساد بين الناس ، والى اية فاحشة ، فاذا صامت جوارح الصائم سلم صومه واجر عليه ، والا فصومه مردود ، وعليه وزر ما ارتكبه قال صلوات الله عليه وسلامه : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه »، ومن القصة التالية يتضح سوء منقلب الصوم الكاذب، فقد ورد ان « قد صامت امراتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا ، فبعثتا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذناه فى الافطار ، فارسل اليهما قدحا ، وقال صلى الله عليه وسلم (لمن ذهب اليهما) قل لهما : قيئافيه ما اكلتما ، فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ، ولحما غريضا ، وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : هاتان صامتا عما احل الله لهما ، وافطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما ، قعدت احداهما الى الاخرى ، فجعلتا تغتابان الناس ، فهذا ما آكلتاه من لحومهم » .

ويقول بعض العلماء : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطر صائم ، فالصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه بارتكاب الذنوب ، والمفطر الصائم هو الذى ياكل ويشرب ، ويحفظ جوارحه من الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته » ، ويقول الشاعر :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم
وفى مقلتى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظما
وان قلت : انى صمت يوما ، فما صمت

ولمكانة شهر رمضان عند الله ، اختص صائميه المتقين بخمس مزايا ، لم يعطهن نبى سابق ، يحدثنا بهذا البيهقي عن جابر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اعطيت امتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبل ، اما الاولى فانه اذا كان اول ليلة منه نظر الله اليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابدا ، واما الثانية فان الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة ، واما الثالثة فان الله يأمر جنته يقول لها : تزينى لعبادى الصائمين ، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى ، واما الرابعة فان رائحة افواههم حين يمسون أطيب من ريح المسك ، وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا ، فان العمال يعملون ، فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » .

هذه الأعطيات الخمس — تليها ما خصهم الله به فى الآخرة ايضا فقد خصهم بباب فى الجنة لايدخل معه سواهم ، يحدثنا بهذا البخارى عن سهل فيقول : قال صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، فلا يدخل معهم احد غيرهم ، يقال : اين الصائمون فيدخلون منه ، فاذا دخل آخرهم اغلق فلا يدخل منه أحد » .

أما الذين لم يفهم الدين من صيامه ، المستهترون باوامر الله ، الذين يطيقونه من غير عنف ولا مشقة ، وليسوا مرضى ولا على سفر ، فاليهم الوعيد المر الذى يتوعدهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « بينا انا نائم اتانى رجلان ، فاتيا بى جبلا وعرا ، فقالا : اصعد ، فقلت : انى لا اطيقه ، فقالا : انا سنسهله لك ، فصعدت ، حتى اذا كنت فى سواء الجبل (اى وسطه) اذا باصوات شديدة ، قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالا .. هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بى فاذا انا بقوم معلقين بعراقيبهم ، مشققة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، قلت من هؤلاء ؟ قال : الذين يفطرون قبل تحلة صومهم (اى يتجاهرون على الافطار بالنهار) » .

وانى ليؤسفنى ان اقول : ان هناك نساء لا يرضين الافطار ابدا ، مع ترخيص الدين لهن بعدم الصوم لاعذارهن المانعة — مع العلم بانهن موزورات فى صيامهن — يكن أرقى احساسا ، وأوفى شعورا من هؤلاء المتجارئين على الاستهتار بشهر رمضان ، ويرون صيامه (موضة قديمة) أصبحت لاتساوى شيئا فى عصرنا الحديث .

ويؤسفنى أن اقول: ان بعض النساء تتناول السحور، وتستحث زوجها على ان يتسحر ليصوم ، فينهال عليها شتما وتنكيلا ، مصمما على استمراره فى افطاره .

ويؤسفنى أن اقول : ان الواحد منهم قد يفتخر بقوة دين امرأته وصلاحها ، وانها تصلى وقتها ، وتصوم فرضها .

ويؤسفنى أن اقول : ان الواحد منهم لا يقبل نصح الناصحين ، ويقول لمن يطلب منه ان يستتر ببلوته: اذا كنت غير خائف من الله فكيف اخاف الناس : (ياشيخ خليك فى حالك انت مالك ومالى ..!! »

ولكنى مع هذا كله اطلب من الله لى ولهم الهداية والتوفيق ، وحسبنا تفضله واحسانه بقبوله التوبة والانابة ، وهو المنعم الكريم القائل : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

الذكريات الخالدة في رمضان

فضيلة الشيخ حسين أحمد هاشم

هو بيقين سيد الشهور وايامه افضل الايام ولياليه اخلد الليالى واشرفها واعظمها .

والناظر فى تاريخنا الاسلامى يدرك بلا ادنى مجهود صدق ما نقول والذى يقلب صفحات ماضينا المشرقة يجد اكثر وافضل من هذا .

فشهر رمضان قد اختاره الله الحكيم الخبير ليكون مدرسة يربى فيها من اصطفى من عباده ويلقى عليهم من الدروس والعظات والعبر ما يجعلهم قادة وموجهين .

وحتى قبل مجىء الاسلام كان هناك ارهاص بفضل هذا الشهر ، ففيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك اهله وداره ويلجا الى غار حراء يتحنث فيه ويخلو الى نفسه مفكرا فى الله وكان هذا الالهام من الله لنبيه اول درس يكفى لصقل روح النبى وتهيئة نفسه لتتصل بالسماء ولتتلقى الوحى من لدنه عز وجل .

ولعل اول آية نزلت من القرآن الكريم تؤكد المعنى الذى نحن بصدده يقول الله عز وجل لنبيه « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

اذن هذا درس جديد ضمنه الله تبارك وتعالى اهم المبادىء التى قامت عليها الدعوة الاسلامية فهو يرشدنا الى الاستعانة به وحده والاقرار بالعبودية له سبحانه وتعالى كما يدلنا على المساواة بين بنى البشر جميعا فكلهم خلق من علق كذلك فيه دعوة الى العلم والتعلم وأن ذلك من الله سبحانه ليكون سلاحا نستخدمه للتفكير فى ملكوت السموات والارض وللكشف عما خفى من العلوم والمعارف .

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا علمه له الله فيقول فيما رواه ابن خزيمة عن سلمان الفارسى رضى الله عنه انه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان :

قال « ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه يوم خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فريضة فيه كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء » .

ويقتضينا المقام ان ننوه ونشيد بدرس عظيم تتلقاه النفس الانسانية من الصوم الذى فرضه الله وقدره فى هذا الشهر ليخرج ابطالا طهرت ارواحهم ونضجت عزيمتهم واصبحوا أهلا لملاقاة الصعاب والمواقف الحاسمة التى تنتظرهم فى نشر لواء الحق ليعم ربوع الارض .

وتسارع ذكرى غزوة بدر الكبرى الى الاذهان لتؤكد ان هذه التربية اتت ثمارها .

فلقد كان المرسلون فى هذه الغزوة قلة قليلة لايتجاوز عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم ثلاثة وسبعون من المهاجرين ومئتان واربعون رجلا من الانصار وليس معهم من العتاد والسلاح سوى اربعة أفراس وسبعين بعيرا تحمل الماء والزاد والمسلمون يترجلون خلفها .

والذى حملهم على الخروج لهؤلاء الشرازمة من المشركين انهم كانوا يتخذون طريق تجارتهم على ساحل البحر الاحمر وبعد الهجرة بعد ان اخرجوا النبى والمسلمين من ديارهم وتآمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكفهم كل هذه الحماقات فاتخذوا من حى المدينة عاصمة المسلمين طريقا لقافلة تجارتهم وهذا عدوان صارخ تاباه عزة المسلمين وكرامتهم فخرجوا يعترضون طريق القافلة ولكنها استطاعت الافلات من المسلمين .

وصلت قافلة قريش الى مكة سالمة وكان قد سبقها « ضمضم » وقد شق قميصه وشق انف بعيره وحوله رحله واخذ يصرخ قائلا : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة!! وساعده أبو جهل فى تأليب قريش على المسلمين فكان ان اعدوا عدتهم لقتال المسلمين وساروا فى اكثر من ألف مقاتل بعدتهم وعتادهم حتى وصلوا « بدرا » بينما كان المسلمون يفكرون فى العودة ولكنهم رأوا أن عودتهم بعد خروجهم ستفسر من جانب أعدائهم بالخوف والضعف وقد يكون ذلك سببا فى استهانة اعدائهم بهم .

ويستشير النبى صلى الله عليه وسلم صحابته فى القتال فيرد عليه المقداد بن عمرو من المهاجرين . يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى « اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » ولكنا نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ؛ فباركه الرسول ودعا له بالخير .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس فقال سعد بن معاذ من الانصار والله لكانك تريدنا يارسول الله ، قال أجل : قال سعد لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا بان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض بنا يارسول الله لما اردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد وماتكره ان يلقى بنا عدونا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله .

سر الرسول بذلك فاشرق وجهه واضاء بعاطفة من الرضا وبنور من الالهام وتراءى له منظر لا يراه سواه

وقال أبشروا أيها الناس انى لأرى الموقعة وقد التحم الفريقان وها هى ذى فلول الأعداء تولى منهزمة .

فاخذ الجميع أهبتهم لملاقاة العدو فى ايمان وثقة من نصر الله الذى وعدهم به فى قوله تعالى :

« واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » .

ولقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

واذا كانت هذه الغزوة الكبرى فيضا من رحمة الله على الاسلام فقد تلاه فيض اعظم وأكبر ذلكم هوفتحمكة بلد الله الأمين ومرتع صبا النبى العظيم وأحب بلاد الله الى الله والى رسول الله .

وقد شاء الله جلت قدرته أن يمن على المسلمين بالعودة الى وطنهم وأن يطهر بيته من الأصنام والأوثان ومظاهر الشرك وقد تم ذلك للمسلمين دون أن يتهاونوا قيد انملة فى التزامهم بما عاهدوا عليه قريشا رغمماكان فى هذا العهد من شروط فرضها المشركون وكانت فى ظاهرها مجحفة بالمسلمين وقد قبلها المسلمون والتزموها

ويريد الله الرفعة والعزة للمسلمين فتنقض قريش العهد الذى رضيته وذلك باعتداء بكر حليفه قريش على خزاعة حليفة المسلمين فينهض النبى صلى الله عليه وسلم لتاديبهم وليثبت لهم أن التهاون فى قبول شروطهم ليس عن ضعف وانما هو سعة صدر وبعد نظر اثبتت الحوادث بيقين صدق ذلك .

فقد صار اليهم النبى صلى الله عليهم وسلم فىعشرة آلاف من المسلمين وهزمهم فى عقر دارهم وكعادته دائما كان بارا بهم رءوفا رحيما فاوصى اصحابه أن يكونوا رحماء بهم .

وبعد أن ثبت الله أقدامه فى بلده وفى رحاب بيت الله الحرام نادى قومه قائلا : يا معشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء .

ولعل أعجب درس تعلمناه أن يعم الخير فى هذا الشهر فلا يخص المسلمين وحدهم بل يشمل من كان بمكة وناله عفو الرسول وانقلبت دار الشرك والالحاد الى بيت طاعة وتوحيد .

ونسير مع الدروس والأحداث لنلتقى قرب نهاية شهر الصوم باعظم حدث غير وجه الأرض وقلبالموازين الموروثة البالية وأرسى ميزان الحق والعدل والقسطاس المستقيم وجاء باسمى ما عرفته الانسانية من مثل ومبادىء .. انه كتاب الله الخالد الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وهو المعجزة الكبرى الذى حمل دليل صدق الرسالة الاسلامية فبه تحدى الانس والجن فعجزوا أن ياتوا باقصر سورة من مثله .

وقد كان القرآن الكريم محفوظا فى المكان اللائق به عند رب العالمين فى لوحه المحفوظ .

« بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » .

ونزل الله الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فى ليلة مباركة وكانت جديرة بالبركة والشرف والقدر وأن تكون لها من الخصائص الفائقة ما تتميز به على آلاف الأيام والشهور .. فكانت ليلة نزوله ليلة القدر

« انا انزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وهل أصدق من تعبير الله تعالى تعبير ، ومنوعده الحق من وعد ؟

لقد وعدنا الله ووعده الحق بانها خير من الف شهر .. وحفها الله بالروحانية والبركات تنزل الملائكة والروح فيها وهو رئيس الملائكة جبريل عليه السلام ينزلون باسم الله ، وبأمر الله : سلام هى حتى مطلع الفجر .

واقتضت حكمة الله أن تكون العشر الأواخر مظنتها حتى تعم العبادة هذه الأيام كلها كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويجرنا الحديث عن ليلة القدر الى الكلام عن فضلها وعن وقتها وخير من يبين لنا هذا هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

بمعنى أن من أحيا ليلة القدر بالصلاة أو قراءة القرآن أو تدريس العلم أو سماعه أو الذكر أو غيرذلك من الطاعات وهو مؤمن بوعد الله ومحتسب عمله ولا يبتغى به الا وجه الله .. غفر الله ذنوبه الماضية وذلك فى الصغائر وأما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة والندم .

وأما عن وقتها فتحدثنا السيدة عائشة رضى اللهعنها فتقول " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان - ليلة القدر - فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » .. وفيه حث على التماسها فى الليالى الفردية من العشر الاخر من رمضان .

وفى حديث آخر : التمسوها فى الوتر من العشر الأواخر .

والمشهور أنها فى ليلة السابع والعشرين .

فعن معاوية رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين »

وعن زر بن حبيش قال . سألت أبى بن كعب فقلت : ان أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : رحمه الله ، أراد ألا يتكل الناس أما انه علم أنها فى رمضان ، وأنها فى العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف - لا يستثنى - انها ليلة سبع وعشرين فقلت بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ قال : بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله صلى اللم عليه وسلم أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها .

واخرجه أيضا أبو داود بلفظ " قلت ما الآية ؟ قال: تصبح الشمس صبيحة تلك الليلة مثل الطست ليس لها شعاع حتى ترتفع .

ولعل هذا الاختلاف وعدم التحديد انما هو لتكون العبادة عامة فى جميع هذه الأيام تأسيا بالرسول وتحصيلا للفضل .

هذه دروس تلقيناها فى رحاب هذا الشهر الكريم وهناك دروس ودروس اذا حاولنا حصرها أو عدها فلن يتسع المقام .

من إعجاز القرآن

الإعجاز البياني

الدكتور حفني شرف

بعد ان بينت فيما مضى الفاظ القرآن وفصاحتها ، ومعانيه وبلاغتها اتكلم عن قصصه كما وعدت القارىء قبل لانه مما يزيد المسلم بصرا بدينه ، وثباتا على ايمانه ويقينه وثقته بوعد الله ووعيده من أن يستعرض تاريخ القرون التى خلت ، وتشاهد آثار الملوك التى خلت لينشرح صدره بعاقبة المؤمنين ، وتتعظ نفسه بمن جعلهم الله سلفا ومثلا للآخرين ، وليعلم ان الانسان مهما عظم فهو عبد الله ، وان قوة البشر جميعا لاتحمى من الله شيئا ، وان ثقافات الدنيا باكملها لاتغنى عن دين الله .

ولمثل هذا قال الله تعالى : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين - آل عمران ١٣٧ - وقال ايضا : « اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة ، واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون - الروم ٨ - وقال : « اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا » - فاطر ٤٤ -

وقال : « اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق - غافر ٣١ - وقوله : « افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها - محمد ١٠ -

وقال :« الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذابه، ان ربك لبالمرصاد » - الفجر ٦ وما بعدها -

ولا شك ان القصص القرآنى كفانا مؤنة السير فى هذه الارض ، فنحن وان رضينا الاسلام دينا ، فقد آمنا بكل ماجاء فى القرآن الكريم ، ولذلك اذا ما درسنا قصص القرآن مؤمنين مؤملين الرشاد فنكون قد حققنا بذلك الهدف المنشود وهو اعجاز القرآن البيانى علما بانه من الواجب ان نلفت الانظار الى قصص القرآن كسر من اسرار هذا الاعجاز ونحن اذ نتجه لهذا السر العظيم بالبحث والدراسة ، فانه لايسعنا الا ان نقرر فى طمانينة دينية وحقيقة علمية بان قصص القرآن كان سرا من اسرار هذا الكتاب الكريم ، وبجوار هذا كله فهو غاية من غاياته السامية ، ومقصد من مقاصده الشريفة ، فقد اشتمل على فصول عدة فى الاخلاق الفاضلة ، والمحاسن النبيلة ، مما يهذب النفوس ، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والآداب بين الناس اجمعين ، وايضا يشتمل على طرق شتى فى التربية والتهذيب لساق احيانا مساق الحوار طورا ، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والانذار .

كل هذا قصه الله فى اسلوب بين وقول حكيم ، ولفظ رائع ، وافتنان عجيب - كما هى طريقة القرآن فى كل سورة - ليدل الناس على الخلق الفاضل والسلوك القويم ، ويدعوهم الى الايمان الصحيح ، ويرشدهم الى العلم النافع باحسن بيان واقوم سبيل .

وليكون مثلهم الاعلى فيما يسلكون من طرق التعليم ، ونبراسهم المضيء فيما يصطنعون من وسائل الارشاد .

فلا عجب – بعد هذا كله – ان نقول فى صراحة ويقين : اننا حين نتكلم عن القصص فى القرآن الكريم فاننا نفيد فى الوقت نفسه ونبين سرا من اسرار الاعجاز البيانى الذى ثبت لهذا القرآن الكريم غير مقتصر على زمن النبى – صلى الله عليه وسلم – بل واثره مع الايام مدى الزمان حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وان الدارس لقصص القرآن يلمح فكرة ذات ظاهرتين :

الاولى : ان هذا القصص بعض القرآن فيثبت لها ما يثبت لجميعه من اعجاز آياتها المشتملة على اسلوب القرآن التصويرى المعجز فى وحدة فنية رائعة .

الثانية : فى كون هذه القصص سر اعجاز لاخبارها عن امم بادت ، وقرون خلت .

وقبل ان اتكلم عن القصص كصورة اعرض لمعنى القصة عند كل من اللغويين والبلاغيين وعلماء التفسير ثم ننظر بعد ذلك فى ضوء اقوالهم بالنسبة للقصص القرآنى ، هل تشفى العلة ام لا ؟

ان علماء اللغة قد اكتفوا من الحديث عن القصة بتحديدات مبهمة ، وتعريفات ناقصة لاتسمن ولا تغنى من جوع ، اذ انهم اكتفوا بما يشيره لفظ القصة فى الذهن من معنى ، وذلك ليس بالغريب عليهم فيما نرى فشأن علماء اللغة ان يذكروا لنا معانى الالفاظ او ما تثيره الالفاظ فى الاذهان من صور ، وليس من شأنهم ان يذكروا الحدود الفنية ، والتعريفات العلمية ، وما يتبع ذلك من حديث تام شامل عندما تكون الالفاظ من المصطلحات العلمية او الفنية .

والمعانى التى وقف عندها علماء اللغة عند حديثهم عن مادة « ق.ص » كثيرة ولعل اقربها الى مانحن بصدده من حديث ادبى ما رواه اللغويون عن الازهرى وعن الليث يقول الاول : « القص : فعل القاص اذا قص القصص والقصة معروفة .

ويقول الثانى : القص اتباع الاثر ويقال : خروج فلان قصصا فى اثر فلان وقصا وذلك اذا اقتفى اثره ، وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوق الكلام سوقا « اللسان والقاموس مادة قصص ، وبنهاية ١١٧»

اما المفسرون : فيخطون بالمسالة خطوة الى الامام ذلك لانهم ينظرون الى المسألة باعتبارين : اعتبار لغوى يعتمدون فيه على ذلك الحصيل اللغوى الذى صورنا منه طرفا ، واعتبار دينى : ينظرون فيه من وجهة نظر خاصة وهى قصد القرآن الكريم من قصصه ، واهدافه التى يرمى اليها .

والامام الرازى – رحمه الله – يجمع بين الاعتبارين، ويقرب بين الاتجاهين ، وذلك عند تفسيره للآية الكريمة: « نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » يقول رحمه الله : « المسالة الثانية : القصص اتباع الخبر بعضه بعضا واصله فى اللغة المتابعة قال تعالى : « وقالت لاخته قصيه » اى اتبعى اثره ، وقال تعالى : « فارتدا على آثارهما قصصا » اى اتباعا ، وانما سميت الحكاية قصة لان الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا .

والرازى اذ يذكر هذا فانما يحاول التقريب بين المعنى اللغوى ، والاصطلاح الادبى ، وذلك حين يربط بين الاثنين باستعماله لفظ الحكاية ، واطلاقه لفظ القصة عليها .

ويقول ايضا عند تفسيره لقوله تعالى : « ان هذا لهو القصص الحق » والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على مايهدى الى الدين ، ويرشد الى الحق ويامر بطلب النجاة » وهو قول يشرح معنى القصص شرحا دينيا بحتا كما ترى .

فاذا انتقلنا الى البلاغيين قديما فنعجب حين تراهم لم يلتفتوا الى القصة على انها لون من الوان الفنون والآداب فضلا عن الوقوف عندها لبحثها ودرسها وتقعيد قواعدها ، ومن هنا جاءت كتبهم خالية من اى حديث عن القصة ، حتى ذلك الحديث الذى يحددها ويعرف بها ، وقد يقال : كيف تقول هذا وعلماء البلاغة قد درسوا مسائل التوسع واللزوم والتمثيل . وكلها ابواب تعين على شرح وتفسير عنصر الحوار الفنى والاحداث وصلتها بالواقع او بالخيال ؟! وايضا استخراج التيارات الفكرية من جو القصة .

اقول : هذا جميل وانا لا انكره ، ولكن ذلك كله لاينهض دليلا على انهم احلوا القصة مكانها المرموق بين الفنون .

اما القصة فى العصر الحديث فاننا نجد شانا اى شان لها وبخاصة القصة الفنية ، وكيف يعتمد عليها فى التربية والتكوين ، فلا غرابة ان راينا العناية بها فى مدارسنا ومعاهدنا من المدرسة الابتدائية الى الكليات الجامعية ، بل اصبحنا نعتمد عليها كعنصر ضرورى من عناصر الادب الرفيع له جمال وفيه متعة ، ويشغف بها الصغار والكبار ، اذا اجيد انشاؤه واجيدت وساطته واجيد تلقينه ، وطفق الادباء وانصاف الادباء يقرعون بابها وينزلون بساحتها فيؤلفون ويقصون ، وقد يقولون الحقيقة كما يسردون الخيال وهذا هو الفرق الجوهرى بين القصة الحرة والقصة القرآنية فالاولى افتعال امور والخيال يسكبها والثانية عرض اجزاء من واقع الحياة التى لاريب فيها .

وغالبا ماتخضع الروايات المؤلفة لمشرب صاحبها ، وفهمه للاشخاص ، وادراكه للاشياء ، بل وفى حكمه على القضايا كلها – خاصة وعامة – ولذا فهى اسلوب للتوجيه متاثر بالوان الرغبات فالبون شاسع بين شطحات الخيال فى القصص الحر ، وبين الحق الثابت المستقر فى قصص القرآن بين قصة يبدو لمؤلفها ان يقتل البطل او ينجيه – حسبما يقربه من تصورات ، بين تتبع لقوانين الله فى كونه وفى عباده .

تلك القوانين التى تدور بين الناس على اساس من الحكم البالغة ، والقدر العادل ، والاحصاء الدقيق لاحوال البشر على اختلاف الليل والنهار .

وسياتى لذلك زيادة بيان بعض العرض العام لقصص القرآن ، وذلك حين نتناول اغراض القصص القرآنى بالحديث . فاذا انتهيت من العرض فالى هناك .

اشتمل القرآن الكريم على وفرة غزيرة من القصص الواعى المحكم يدل على حقيقة الدين ، ويحدد تحديدا واسما الطريقة الوحيدة لمرضاة رب العالمين فى الوقت الذى يشرح للناس طبائع الناس ووسائل علاجها وسنن الله فى عقابها او معافاتها .

ولم يكن هذا القصص سردا مجردا لبعض الروايات القديمة ، يتسلى بها السامعون ، ثم يغفلون عن حكايتها

او يتعظون .. لا .. ان هذا القصص كان تاريخا لسيرة الدعوة الدينية فى الحياة وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة ، وما هى العقبات التى اعترضتها ؟

وهل وقفت عندها ، او تغلبت عليها ؟ وما صنع الانبياء بازائها ؟ وكيف قبلت الامم المدعوة رسالات الله اوصدت عنها ، بم انتهى الصراع بين الغى والرشد ؟ والحكمة المنشودة من وراء هذا القصص المترسل المكرر نقرؤها فى قوله تعالى : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

فالقرآن كتاب الدعوة وتاريخها ، وفى تضاعيف السرد التاريخى لاخبار الاولين يزداد عرض الدعوة وضوحا ويستبين منهجها الذى تحدو البشرية اليه لايختلف وان اختلفت العصور وكرت الدهور .

الانبياء من ادم ونوح ثم من جاء بعدهم الى ان توجوا بخاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - هؤلاء جميعا شرحوا اصول العقيدة والخلق والمعاملة شرحا فياضا بالصدق عامرا بالاخلاص .

وانك لتسمع اليهم واحدا بعد الآخر - فيما سجل القرآن من وصاياهم ونصائحهم وارشادهم لاممهم - فتجد كلاما منسقا وهديا منسجما صدر عن مشكاة واحدة وانسان الى هدف واحد يمهد اوله لآخره . وتصدق نهاياته وبداياته وكانهم خطباء فى حقل واحد . اجتمعوا فى امسية موعودة او ليلة مشهودة . وليسوا رجالا توزعتهم اكناف القرون المتطاولة فبين النبى والنبى ازمان وازمان ، وبين الامة والامة غبرت قرى وبادت امصار هذا وقد عرض القرآن الكريم قصصا اخرى لم يكن ابطالها انبياء ولا مرسلين ، وانما اقوام من هنا او من هناك ممن طواهم الدهر فيمن طوى . واحتاهم الزمن فى سراديبه . ولكن بعيت ذكراهم - ان خيرا او شرا باقية امام الناس ، ماثلة امام اعينهم علهم يثوبون الى دينهم حياة وهذا اذا فهمنا المعنى الحقيقى لكلمة الدين . وانها صلاح المعتقد . وتدبير حياة الانسان على الوجه الاتم . فليس الدين بمعزل عن الحياة . وبذلك تكون القصة فى القرآن احدى وسائله الكثيرة الى اغراضه الدينية . والتى تتمثل فى ابلاغ هذه الدعوة ، وتثبيتها شانها فى ذلك شان الصور التى رسمها القرآن ليوم القيامة وللنعيم والعذاب وشان الادلة التى يسوقها على البعث ، وعلى قدرة الله وشان الشرائع التى يفصلها ، والامثال التى يضربها الى آخر ماجاء فى القرآن من موضوعاته كما يجب ان يعلم ان هذه الدينية لم تكن وقفا على القصة وحدها بل انها تتسرب الى جميع الاغراض القرآنية الاخرى . ولا غرو فما القصص الا بعض من هذا الكل الذى يمثله القرآن ويحتويه ، ومادمنا نتحدث عن اغراض القصص القرآنى فتحسن الاشارة الى الظروف التى اوحت بهذا القصص لان القصة فى القرآن كانت الوسيلة التى يلجأ اليها لمعارضته حين يحاول الكيد للنبى - صلى الله عليه وسلم - والتحدى للقرآن الكريم ، فقد جاء ان النضر بن الحارث كان يجلس الى الناس كما كان يجلس الرسول عليه السلام وكانت قريش تستملح حديثه وتنصرف عن النبى ، فكان طبيعيا - ومحمد - صلى الله عليه وسلم - بصدد البرهنة على ان ماجاء به حق - ان يعلمه الله سبحانه وتعالى مثل هذا القصص ليبلغه الى قومه عساهم يؤمنون وعن غيهم الفاسد يرجعون وماكان لهم - لو انهم ارادوا وجه الحق - الا ان يؤمنوا به ، ويصدقوا دعواه ، ذلكم لانه لم يكن كاتبا ولا قارئا ، كما لم يعرف عنه انه يجلس الى احبار اليهود والنصارى يسمع منهم وياخذ عنهم ، فاذا جاء هذا النبى الامى ، واخبر عن امم بادت وقرون خلت ، افلا يدل ذلك على ان مايقول حق وماجاء به وحى يوحى ؟ والقرآن يدعم هذه الحقيقة اذ يقرر بعد قصة نوح : « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » فان استعنا بالله واكملنا الآية : « فاصبر ان العاقبة للمتقين » برز لنا غرض آخر من اغراض القصص القرآنى ، وهو ازالة البلبلة النفسية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - واصحابه ، فلقد كانت اقوال المشركين واعمالهم التى يكيدون بها للنبى والقرآن والدعوة واصحابها هى السبب فى ضيق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتالمه . فاذا عرض سبحانه وتعالى على نبيه ذلك الشريط الطويل من خط سير اصحاب الدعوات مع اقوامهم ، وما لاقوا من متاعب ، وما صادفهم من ازمات انكشف همه وانزاح غمه . وثبت على دعواه احسن مايكون الثبات واقواه ، والقرآن الكريم يبرز هذا الذى نقرره حين يقول : « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين » والرازى يدعم هذا بقوله فى تفسير الآية : « ليكون للرسول عليه الصلاة والسلام ولاصحابه اسوة بمن سلف ، وعلى هذا فقد كان النبى - صلوات الله وسلامه عليه - يجد فى هذا القصص صدى نفسه .

كما فى القصص القرآنى من الدلالة الواضحة على ان كله من عند الله - من عهد نوح الى عهد رسولنا - عليه السلام - امة واحدة ، والله الواحد رب الجميع « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » ويكاد هذا الغرض ان يكون هو الاصيل من بين اغراض قصص القرآن كما ان من الاغراض استنباط الاساس للدين كله فضلا عن انه كله من عند اله واحد . وتبعا لهذا نرى كثيرا من قصص النبيين وقد كررت فيها العقيدة الاساسية هى الايمان بالله الواحد . ففى سورة الاعراف : « لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » .

«والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » « والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره »

وهكذا فهذا التوحيد الاساسى العقيدة ، قد اشترك فيه جمع كبير من الرسل ، وقد وردت قصصهم مجتمعة فى هذا السياق لتاكيد ذلك الغرض الخاص تاكيدا لايدع مجالا للشك ، او منفذا للطعن . كما ان الغرض من القصص القرآنى ايضا بيان الاصل المشترك بين دين محمد - صلى الله عليه وسلم - ودين ابراهيم - عليه السلام - خاصة ثم اديان بنى اسرائيل عامة ، وابراز هذا الاتصال هو ماتكررت الاشارة اليه فى قصص ابراهيم وموسى وعيسى « ان هذا لفى الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى والذين امنوا » .

« ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وغير ذلك كثير .

ومن اهم اغراض القصص القرآنى هو ذلك الغرض الذى يرمى الى تنبيه ابناء آدم الى غواية الشيطان اللعين ، وابراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ ابيهم آدم ،

ولا شك ان ابراز هذه العداوة عن طريق القصة اروع واقوى ، وادعى الى الحذر الشديد من كل هاجسة فى النفس تدعو الى الشر ، واسنادها الى هذا العدو اللدود الذى لايريد بالناس خيرا .

هذا اذا وضعنا فى حسابنا بيانقدرة الله على الخوارق كقصة خلق آدم ومولد عيسى ، وقصة « الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » وقد احياها الله مائة عام ثم بعثه ، وعاقبه الطيبة والصلاح والشر والافساد

اقول : اذا وضعنا فى حسباننا هذا كله كان لنا فى النهاية ان نجمع خيوطا عديدة يمثل كل منها غرضا هاما من اغراض القصص القرآنى ، ولكن هذه الخطوط كلها تلتقى عند نقطة واحدة ، وتتجاذب لدى عقدة موحدة تلكم هى الناحية الدينية التى سبقت قصص القرآن وهى من اجل تدعيمها بما انطوت عليه من ضم صفات دينية خلقيه ، والدعوة اليها بتلك الطريقة المهذبة الوعظية ولا غرو فقد خاطب القرآن الكريم بهذا القصص حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، فاذا ادركنا ان الفن والدين صنوان فى اعماق النفس ، وقرارة الحس ، ادركنا ايضا مدى ماوصلت اليه هذه الاغراض من نجاح واى نجاح « « والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لايعلمون » ولكن الانسان هو الانسان من مائة قرن خلت الى مائة قرن يلدها المستقبل المتطور لو امتد اجل هذه الحياة - لن تتغير طبيعته ، ولن يتبدل جوهره .

حقيقة قد تتغير وسائل تعبيره عما يهوى وقد تتغير مظاهر اشباعه لما يريد ، ولكنه هو هو ، فاذا وعى القرآن قصص الاولين مع انبيائهم وجدد على الناس ذكرها بعدما طوتالليالى اصحابها ، فلكى يداوى عللا متشابهة ، ويطب امراضا متماثلة ومن اجل هذا كثرت القصص لتحصى جملة كبيرة من الامراض الاجتماعية ، وتستاصل جرثومتها بصنوف العبر ، وشتى النذر ان الحضارات المندثرة كجثث الموتى قد يشرحها مبضع الطبيب ليتعرف اسباب هلاكها ، وليضيف بهذه المعرفة حضارة جديدة الى علم الطب تتوقى بها الانسانية ماتجهل من متاعب وآلام والمجتمعات التى طواها الماضى . وهمدت تحت الثرى بجب اذا نضبت الحياة منها ان تتعرف كيف عاشت ؟ وكيف تصافت وتخاصمت ، وهل تلاقت على جد او مجون ؟ واستجابت للحق او الباطل .

ان هذه الاسئلة تغنينا نحن وعلى ضوء اجابتها قد تستقيم خطانا من عوج .

ان القرآن وهو يحكى انباء الاولين يحولها الى دواء سائل عام ثم يسكب من قطراته على نفوس المعاندين يبغى شفاءها دون نظر الى تراخى القرون واختلاف المخاطبين .

وقد يقال : اولم يكن كافيا لمحمد واصحابه ذكر قصص من سبقهم هم فحسب ، ولم يكن ثمة داع لذكر القصص التى وردت تحكىحالا شاهدها الرسول، وراوها اتباعه؟ كخبر الثلاثة الذين خلفوا ، او قصة خولة فى سورة المجادلة ؟ اقول : وهل كانت مخاطبة القرآن للمسلمين قاصرة على زمنه - صلى اللهعليه وسلم - فحسب ، ام هى عامه شاملة لكل من ياتى بعدهم من امم واجيال حتى تقوم الساعة وحتى يرث الله الارض ومن عليها ؟

اذا كان الامر كذلك ، فانا اجزم بأن فيها العبرة وفيها العظة ككل القصص الاخرى منقصص القرآن عبرة وعظةليست لنا فحسب بل كانت لهمايضاوقت نزولها ، فلم ينزل شىء عبثا ، ففى هذا وذاك ، وفى ذلك كله قدرة ، وفيه الوهية وفيه اعجاز فى كل حال .

الصيام

ان شريعة الاسلام لم تات بما اتت به من تكاليف الاصلاح حال المجتمع الانسانى . وغايتها من وراء ذلك تمتع البشرية فى النهاية بالسعادة الدنيوية الحقيقية الامر الذى يؤول بهم الى السعادة الاخروية ، وليست هذه القضية صادقة على احكام المعاملات فحسب ولكنها تصدق كذلك على احكام العبادات ولا يشكل على هذا الحكم المسلم به من الفقهاء جميعها وهو ان احكام هذه القضية صادقة على احكام المعاملات فحسب ، ولكنها العبادات تعبدية محضة ، ذلك انه يراد منه انه ليس لتشريعها علة خاصة تدور معها احكامها وجودا وعدما كما هو الشان فى مسائل المعاملات فلا يقال مثلا ان العلة فى تشريع الصلاة هى انها تنهى عن الفحشاء والمنكر . فاذا تحققت هذه العلة فى التصوف مثلا فانه يعطى حكمها - وهو الوجوب - قياسا عليها ، وهذا لان كيفيات العبادات ترتبط باسرار روحانية يتعذر علينا ادراكها ، ومن ثم فهى مقصودة لذاتها ، وليس لنا ان نقيس عليها غيرها . لكن هذا لا ينفى انها شرعت فى الجملة لمصلحة العباد ، ويؤكد هذا المعنى ان الله سبحانه وتعالى اشار - عن ايجابية لكل عبادة من العبادات - الى ان فى ايجابها مصلحة لنا بوجه عام ، وقد يشير الى خصوص هذه المصلحة ، ليكون ذلك ادعى الى القبول والامتثال ، فهو سبحانه يقول فى الصلاة : « واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر » الاية ، ويقول فى شان الصوم ، « وان تصوموا خير لكم » . ويقول سبحانه تعليلا لامره ابراهيم عليه الصلاة والسلام بدعوة الناس للحج الى بيت الله الحرام : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام» .

وتكوين السلوك الاشتراكى

الأستاذ محمد الحسينى حنفى

ويقول فى شأن تشريع ذبح البدن فى الحج : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم» ، ويقول فى شأن الجهاد : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، ويأتى اجمال ذلك كله فى قوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن اساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » .

حيث كان الامر كذلك فانه بعد تسليمنا بوجوب هذه العبادات كما هى ولو لم يترتب عليها - بحسب مايظهر لنا - مصلحة دنيوية ، يتعين علينا ان نبحث عن وجه المصلحة الدنيوية فى كل عبادة من العبادات ، لكى يكون اداؤنا لها على نحو يوصلنا الى الغاية المرجوة من تشريعها . وبمناسبة حلول رمضان شهر الصيام رايت ان أتعرض للبحث عن المصالح الدنيوية التى تهدف عبادة الصوم الى تحقيقها .

وهذه المسالة مما كثر فيه كلام الكاتبون ، وقد جرى معظمهم على ان الحكمة فى فرض الصيام هى اشعار الغنى بحال الفقير ومايعانيه من قسوة الحرمان فيكون ذلك دافعا الى رعاية حاله بالتصديق عليه ، اذ أن ممارسة الحرمان ابلغ فى ادراك قسوته من مشاهدة آثاره ، وحكمته فى جانب الفقير تعويده الصبر على آلام الحرمان فلا يقع فى وزر السخط الذى قد يؤدى الى الكفر .

لكن هذا الاتجاه ليس سوى نظر سطحى بعيد عن التحقيق ، ذلك انه لا ينظر الى الصوم الا على انه حرمان من الطعام والشراب ، وهذا ظاهر الفساد . اذ هو كف عن شهوة البطن والفرج ، وكبح لجماح النفس بمنعها عن الفحش فى القول والفعل ، وترويض للانسان على المسالمة بمنعه من العدوان ولو فى مقابلة العدوان، وفضلا عن ذلك . فان مايقال عن مشروعية تعويد الفقير على الصبر على الحرمان قد يفهم منه مشروعية قعوده عن تحسين حاله والعمل على رفع مستواه، وهو مايتنافى مع ايجاب الشارع السعى على تحصيل الرزق .

ويذهب البعض - وبخاصه الاطباء الذين تناولوا موضوع الصيام من وجهة نظر الطب - الى ان الصوم يؤدى الى اصلاح حال البدن بسبب تقليل عدد الوجبات الى وجبتين بدلا من ثلاث او اربع ، الامر الذى يؤدى الى اذابة الشحوم المتراكمة على الاوعيه او تقليلها ويرون انه قد يكون هذا الامر هو الحكمه من ايجاب الصوم ، لكن هذا النظر ينقصه ان الصوم لا يؤدى الى هذه النتيجه الا اذا كانت وجبتا الافطار والسحور خاليتين من المواد التى تؤدى الى تكوين الشحوم فى الجسم او تشتملان عليها بكميات محدودة ، ونحن لا نجد نصا يفيد وجوب الاقتصار شرعا على مواد معينة فى الافطار او السحور ، ومن جهة اخرى فان هذا الراى يؤدى الى ان ايجاب الصوم على صغار السن من البالغين الذين لم يتعرضوا بعد لتراكم الشحوم عار عن الحكمة . وهى نتيجة غير مقبولة . هذا فضلا عن ان تلمس الحكمة على هذا النحو مبنى على ان الصوم عبارة عن كف عن الطعام والشراب ، وقد بينا انه ليس هذا فحسب .

وهناك وجهات نظر اخرى لا تكاد تخلو - كوجهتى النظر السابقتين - من المناقشة ، ولهذا فان من الاوفق ان نتلمس حكمة تشريع الصيام من نصوص الشارع نفسها حتى لا نقع فى التخبط ولنكون اقرب الى فهم روح التشريع ، واذا كانت نصوص القرآن فى الصيام قد جاءت مجملة فان السنة قد تكفلت بتفصيل احكامه ، وفيها كثير من النصوص التى تشير الى حكمة تشريعية :

من ذلك ما رواه البخارى بسنده عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم مرتين ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله تعالى من ريح المسك . يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلى ، الصيام لى وانا اجزى به ، والحسنة بعشر امثالها » . وما رواه عن ابى هريرة ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا اجزى به ، والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد او قاتله فليقل انى صائم مرتين ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم اطيب عندالله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما . اذا أفطر فرح واذا لقى ربه فرح بصومه » ، ومنها ما رواه كذلك عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه . ومنها مارواه عن عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع الباءة فليتزوج ، فانه اغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » .

فالرسول صلى الله عليه وسلم وصف الصيام فى الحديثين الاولين بأنه جنة ، والجنة الوقاية والستر ، ولم يرد فى هذين الحديثين مايتقى منه بالصوم ، وقد ورد فى بعض الروايات انه جنة وحصن حصين من النار، فجعلها بعض العلماء تفسيرا للرواية المطلقة . لكن كثيرا منهم فسر الرواية المطلقة بحسب ما ورد فيها من بقية الحديث ، وقد جاء فيه النهى عن الرفث - اى

الفحش فى القـــول والفعل ـ وعن التعدى والمجادلة والصخب والامر بكبح جماح النفس بصفة عامة . وعليه فقد قال ان المراد بكون الصيام جنة انه وقاية وستر من الشـــهوات ، ولا تعارض بين هذا الفهم والفهم الاول فى الحقيقة . لان التوقى من شرور الشهوات يؤدى الى الوقايه من النار ، غيـر ان الفهم الثانى اوقع . ذلك انه صل الله عليه وسلم امر الصـــائم فى الحديث ، اذا ما استفزه احـد ودفعه الى مسابته او مضاربته او مقاتلته . ان يتذكر انه صائم بفوله بقلبه اوبلسانه انى صائم مرتين فلا يستجيب لداعى الاستفزاز ولايتصور جدوى التذكر فى هـــذه الحالة الا اذا كان الصيام بحسب مشروعيته وقاية للنفس من شرور شهوة الغضب، ويؤكد هـذا المعنى ايضا ما يفيده الحديث الثالث من انه اذا لم ينته الصائم عن المعاصى فانه لا يكون آتيـــا بالصوم المشروع . ويكون كل ما فعله هو انه ترك طعامه وشرابه وهو مما لا يتعلق به غرض الشـــارع من ايجاب الصوم ويزيده تاكيدا ان الرســـول صل الله عليه وسلم بين فى الحديث الرابع ان الصيام قاطع لشهوة الفرج كالوجاء ، وهو الخصـــاء باستئصال الانثيين او ربط الحبل المنوى . فان الاقرب الى فهم هذا التشبيه ان تعود الانسان عن طريق الصوم قهر شهوة الطعام ـ وهى اقوى الشهوات ـ يربى فيه قوة الارادة والقدرة على قمع شهوة الفرج التى هى ادنى من شـــهوة البطن . بحيث يصبح هو ومن انعدمت لديه هذه الشهوة سواء . فهذا اولى من تفسير ذلك الحديث على اساس ان الجوع قاطع للشهوة . لانه ليس من المؤكد انه يؤدى الى هذه النتيجة بالنسبة لسائر الناس ، كما ان قطـــع الشهوة من اساسها غير مرغوب للشارع .

ونستطيع ان نستخلص من هذا كله ان حكمة ايجاب الصوم هى تدريب الانســـــان نفســه على كبح جماح شهواته ومنع غرائزه من الانطلاق فى غير حد وان يلتزم المثل العليـا فى معاملته مع غيره من الناس . ولكونه تدريبا لم يكتف بايجابه مرة واحدة فى العمر كما فى الحج . بل كانوجوبه بصفة دورية لمدة شهر كامل فى كل عام . ولم يترك للشخص اختيار صيام الشهر الذى يناسبه الصيام فيه بل حدد الشـــهر بالنسبة للناس جميعا وهو شـــهر رمضان المبارك ـ ليكـــون سلوك المسلمين ســلوكا جماعيا بمقتضاه يحس الفرد انـــه عضو فى الجمـاعة وليس مجرد كائن قائم بذاته يتصرف وفقا لمصالحه هو ولـو تعارضت مع مصـــلحة الجماعة ، وهذا ماحرص الشارع عليه فى الشعائر الاخرى بايجابه لصلاة الجمعة وندبه الى صلاة الجمـــاعة وايجابه الحج فى اشهر معلومات الى مكان واحد هو البيت الحرام ، اما ايجاب الصوم فى شهر رمضان بالـذات فهذا السر يرتبط بهذا الشهر لا يعـلم حقيقتـه الا الله سبحانه وتعالى ولعله ان هذا الشهر هو الذى بدىء فيه بنزول القـــرآن الكريم اساس الشريعة الاســـلامية الغراء ، كمــا اشــــير الى ذلك فى القـــــرآن نفســـــه فى قوله : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

ولا يعنى ما قلنا انه يكفى لتحقيق حكمة الصوم ان يعود الانسان نفســـه على الامتناع عن ايذاء غيره او التعدى عليه ، فهذا هو الجانب السلبى . وهناك جانب ايجابى . وهو انه ينبغى انيعود الصائم نفسه على فعل الخير ، ففيما رواه البخـــارى عن ابن عباس رضى الله عنهمـــا انه قال : « كان النبى صل الله عليه وسلم اجود الناس بالخير ، وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقـــاه جبريل . وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضـــان حتى ينسلخ . يعرض عليه النبى صل الله عليـــه وسلم القرآن . فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان اجود بالخير من الريح المرسلة » ولنا فى رسول الله صل الله عليه وسلم الاسوة الحسنة .

وحيث كان الهدف من ايجاب الصيام هو تربية المسلم على ان ينهج فى حياته سلوكا معينا ، هو عدم انسياقه وراء شهواته وعدم مغالاته فى ممارسته حقوقه الى حد الحاق الضرر بغيره وحرصه على خير الجماعة وصالحها، فانه بذلك يكون خير معين على تربية السلوك الاشتراكى، اذ ان السلوك الاشتراكى هو بصـــورة عامة عبارة عن تصرف الفرد عـــلى اساس انه عضـــو فى المجتمع وربط مصالحه الشخصية بمصالح المجتمع الذى يعيش فيه .

ويجرنا هذا الى التنويه بان حكمة الصوم هذه لاتتحقق على الوجه الاتم الا اذا اقتصد الصائم فى تناوله لمـــا يمنعه الصوم منه فيما بين المغرب والفجر ، فلا يسرف فى افطاره او سحوره كما ولا كيفا . وهو ما تشير اليه السنة الشريفة . فقد روى ان النبى صل الله عليـه وسلم قال : « تسحروا ولو بلقمة » . فما يفعله الناس اليوم من اتخـاذ شهر رمضان موسما يكثرون فيه من الوان الطعـــام والشراب والحـلوى يتنافى مع حكمـة الصوم ، بل ينقضها من اساسها .

نسال الله سبحانه وتعالى ان يعيننا على صوم نقهر به نفوسنا ونقوى به عزائمنا على الخير وبناء المجتمع .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه »
(اخرجه النسائى)

فتح مكة

من نفحات رمضان

الدكتور محمد سلام مدكور

تمهيد :

* لما آذت قريش الرسول والمسلمين فى مكة أيقن الرسول صلوات الله عليه أنه سوف لايتمكن من اظهار كلمة الله وتبليغها للناس وهو بين ظهرانيهم وهم على هذا العناء ، وأنه لابد لحماية الدعوة من وجود قوة ومنعة لأن الحق والحرية يعيشان فى ظل القوة والنظام ، ونفاذ الأحكام لايتأتى بدون سلطة ، ومن هنا كان التلازم فى الاسلام بين الدعوة الى الدين وقيام الدولة ، وانتهى الرسول الى تخير « يثرب » مهاجرا له ونواة لتكوين دولة الاسلام ، فكانت مبدأ الوجود الدولى للمسلمين .

* وما كانت دولة الاسلام متطلعة الى القتال ، انما كان القتال تطورا طبيعيا اقتضته طبيعة الدعوة وحماية الدعاة لها ، كما اقتضاه موقف الأعداء منها الواضح فى مهاجمتهم وايذائهم ونقض عهدهم ومحاولة فتنة المسلمين عن دينهم ، يدل على أن الاسلام لايتطلع الى القتال الا بقدر حمايه نفسه والمعاملة بالمثل فى أضيق الحدود قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم . ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) وقول الرسول « لاتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية » . أما ما أفاد بظاهره من الآيات الدعوة الى عموم القتال فان أسبابها تدل على تخصيصها بحالات العدوان .

* وكان أول صدام بين المسلمين فى المدينة وبين قريش هو معركة (بدر) التى تجمعت لها قريش بجيوشها وجاءت للاعتداء على المسلمين لأن نفرا من المسلمين لايزيد على اثنى عشر خرجوا يتربصون لقافلة تجارية لهم وهو عمل أشبه بالحصار الاقتصادى ومعاملة بالمثل فى أضيق الحدود مع قريش التى أخرجت المسلمين من دورهم وكل أموالهم .

وقد كتب الله النصر فى هذه الملحمة للمسلمين ونزل قول الله تعالى

« ... ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة .. »
ثم كانت **غزوة أحد** التى مثلت قريش فيها بقتلى المسلمين ، ثم **غزوة الخندق** وانضمام بنى قريظة الى الأحزاب لمقاتلة المسلمين ، ثم **كان عهد الحديبية** وفيها تعاهد الطرفان على أنه لاجناح على أية قبيلة فى أن تحالف أحد الفريقين ، كما تعهدا على عدم العدوان لفترة سنتين أو عشر سنوات ، وكان من أثر هذه المعاهدة أن حالفت خزاعة الرسول وقد كانت فى حلف جده عبد المطلب قبل ذلك ، وحالفت بنو بكر قريشا ، وكان بين هاتين القبيلتين عداء قديم ، ثم كان صلح خيبر ، ثم **غزوة مؤتة** التى كانت مع جيوش الروم تجاه الشام بسبب قتلهم الداعين الى الاسلام والمبشرين به ، والتى انتهت بانسحاب المسلمين لقلة عددهم أمام قوات الروم الكثيرة الطائلة

فتح مكة :

فرحت قريش بما أصاب المسلمين فى مؤتة واتخذت من الانسحاب هزيمة منكرة ، وتصورت أن المسلمين لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك وبدات هذه الاستهانة بتحرك بنى بكر يساندها نفر من قريش للاغارة على خزاعة الذين دخلوا فى حلف الرسول فباغتوهم وقتلوا منهم من قتلوا وفر الباقون أمام المطاردة حتى دخلوا مكة ، فشكوا لقريش نقضها للعهد ، واستصرخ عمرو بن سالم الخزاعى بالرسول فى المدينة وانشد شعرا فى ذلك جاء فيه :

ان قريشــا أخلفوك الموعدا
ونقضـوا ميثـاقك المؤكدا

فعجب الرسول من نقض قريش العهد وسخر من تفكيرها وتدبيرها ، واحس انها تقصد من وراء ذلك جس نبض قوته وقوة روحه بعد الانسحاب من مؤتة ، وبعد أن أطرق خفيفا قال لعمرو الخزاعى : لانصرت ان لم انصركم بما أنصر به نفسى .. ورأى أن خير رد على هذا الصنيع هو أن يباغتهم ويفتح مكة لنفسها وقد تاقت نفسه من زمن بعيد أن تكون الكعبة فى ولاية المسلمين وحمايتهم ليطهروها مما أحاطها من رجس ، غير أن أمنيته دائما ان تدخل مكة فى الاسلام طوعا وأن يفتح لهم أهلها قلوبهم قبل أن تفتح مكة منافذها .

أما قريش ويبدو أنها أحست بما فى المدينة - فقد شعرت بخطل صنيعها وخطورة نتائجه ، وأدركت ان قوة المسلمين زادت بسبب سرعة انتشار الدعوة فى الجزيرة ودخول الكثيرين فيها بسبب عهد الحديبية وبسبب غزوة مؤتة . فأوفدت أبا سفيان بن حرب صهر الرسول ووالد زوجته أم حبيبة ليؤكد عهد الحديبية عند محمد والابقاء عليه بل ومد أجله ، وفى طريقه الى المدينة التقى بنفر من خزاعة ممن وفدوا على النبى يستصرخونه ، وقد احس سفيان بأنهم أبلغوا محمدا واستصرخوه برغم انكارهم ففضل أن لايبدأ بلقاء محمد حتى يستطلع الخبر من ابنته « ام حبيبة » ، فذهب الى بيتها ، ولما هم بالجلوس على الفراش سارعت هى فطوت الفراش ، وقالت : انه فراش الرسول وان شركك يجعلك نجسا . فغضب منها وذهب الى الرسول فلم يلق منه جوابا ، فذهب الى أبى بكر ليستعين به فلم يجبه ، فذهب الى عمر فسخر منه ، فذهب الى على وزوجته فاطمة فلم يحققا له بغيته فقفل راجعا ، ولعله أحس بان فى الأمر شيئا .

استجاب الرسول لنصرة خزاعة ، وما كان له الا أن يناصرها وقد حالفوه من قبل على ذلك ، وليس فى مناصرتها خروج على العهد وانما هو دفع عدوان من خرجوا على العهد فاستدعى المسلمين وأمرهم باعداد أنفسهم للقتال ، وان كان مازالت أمنيته ان يدخل مكة دون قتال ودون سفك الدماء . واطمأنت نفسه الى نصر الله واستجابته لرغبته ، وأصبحت امنيته فى دخول مكة أملا قريب المنال فلا يبعد أن يتم الله عليه نعمته فيدخلها دون قتال ، ودعا ربه قائلا : « **اللهم خذ على اسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة** » .

غير أن حاطب بن أبى بلتعة احد المسلمين الذين شهدوا بدرا ارسل امرأة

استأجرها لتوصل الى قريش خطابا يخبرهم فيه بأن رسول الله قادم اليهم فى جيش عظيم يسير كالسيل لاقبل لكم به فانظروا لأنفسكم ، ولعله يقصد من ذلك أن يفت فى عضدهم فيستسلموا للأمر الواقع دون مقاومة . وانطلقت المرأة خفية وقد أخفت الخطاب فى ضفائرها وسلكت مسالك غير مطروقة . ولما أحس الرسول بذلك أرسل فى اثرها عليا والزبير فأحضرا منها الخطاب وحالا بينها وبين توصيله ، وغضب عمر من مسلك حاطب وعاتبه الرسول ، ولكنه غفر له صنيعه .

تحرك جيش المسلمين بقيادة رسول الله صلوات الله عليه لعشر خلو من رمضان سنة ثمان من الهجرة (يناير سنة ٦٣٠) واستخلف عنه على المدينة كلثوم بن الحصين الغفارى ، وانضم الى جيش المسلمين نفر كثير فى الطريق حتى بلغ تعداده عشرة الاف مقاتل مجهزين مدججين . ولما وصل الجيش « الجحفة » — وهى لاتبعد عن مكة كثيرا — لقيهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول بأهله وعياله فأظهروا اسلامهم ودخلوا فى صفوف المسلمين ، كما لقيهم بعد ذلك أبو سفيان الهاشمى ومعه ابنه جعفر ، وعبد الله بن أبى أمية المخزومى وقد خرجوا من مكة خوفا من مباغتة الرسول لها ، وطلب أبو سفيان أن يؤذن له فى لقاء الرسول وألح فى طلبه حتى رق له قلب الرسول وأذن لهم بلقائه وبعد حديث لم يطل انشد أبو سفيان قصيدة يعلن فيها اسلامهم ويعتذر عما بدر منهم من ايذاء المسلمين فى مكة ومقاومتهم للدعوة .

أما العباس بن عبد المطلب وقد أصبح فى صفوف المسلمين ورأى ما هم فيه من قوة ومنعة ، وأن مكة لاقبل لها بهم وبدا عليه الخوف والقلق على بلده وأهله وهو الذى تركهم منذ أيام قلائل فقد سأل الرسول ماذا انت صانع لو طلبت قريش منك الأمان ؟ . هنا تحركت فى نفس الرسول أمنيته العزيزة ورأى بريقا من الأمل فى تحقيق دخوله مكة دون قتال وسفك دماء ، وأجاب عمه العباس بما أزال الخوف من نفسه على قومه ، واتخذه سفيرا الى قريش لينبئها خبر قدوم محمد ، ويبصرها بقوة جيش محمد علها تستسلم فيدخل مكة دون قتال ، وليس هذا على الله بعزيز وأعطاه بغلته البيضاء لتكون علامة تحميه من تعرض أحد له من جند المسلمين ، ولتكون دليلا لقريش على صدق مايقول من سفارته .

سار العباس بن عبد المطلب تجاه مكة فلقى فى طريقه نفرا من قريش على رأسهم أبو سفيان بن حرب جاءوا ليستطلعوا الأمر ويتعرفوا قوة الجيش القادم ، فأخبرهم العباس بما وراءه وقال : ان محمدا جاء فى جيش لاقبل لقريش به وأن مكة اذا دخلها محمد عنوة سيصيبها مايصيبها ، واستحسن العباس أن يأخذ معه أبو سفيان بن حرب ، ويرجع به الى الرسول ليقف بنفسه على مدى قوة جيش المسلمين ويطلب منه الأمان له ولأهل مكة حتى يقوم هو بتبليغ قريش ذلك ، ورحب أبو سفيان بهذا العرض فركب خلف العباس بغلة الرسول بعد أن رد من معه الى مكة ، وسار به العباس ودخل بين جيوش المسلمين وقد أشعلوا نيرانهم فكلما مر بجماعة منهم عرفوا البغلة ومن عليها وتركوها تمر ، فلما مرا على نار عمر بن الخطاب وتعرف على أبى سفيان أدرك أن العباس يريد أن يجيره . فأسرع الى خيمة الرسول وطلب اليه أن يضرب عنقه . فقال العباس : انى أجرته يارسول الله . فقال له الرسول وكان الوقت ليلا : اذهب به رحلك فاذا أصبحت فائتنى به ، وفى الصباح حضرا ودارت مناقشة أسلم بعدها أبو سفيان ونطق بالشهادتين وازاء هذا نسى النبى والمسلمون معه كل اساءة لحقتهم منه ما دامت بغيتهم هى احقاق الحق واعلاء كلمة الله وما دام الاسلام قد طهر نفوسهم من الضغائن والأحقاد الجاهلية .

ولما كان أبو سفيان بن حرب صاحب نفوذ فى عشيرته ورأسا من رؤوس المشركين ، وحرص العباس على أن تفتح مكة دون اراقة دماء ، وأن يكون أبو سفيان هو الداعية الى ذلك بين قومه وأحس بأن عدم القتال أمر

يرحب به الرسول ويبتغيه ، أراد أن يرفع من شأن أبى سفيان ويكرمه وقد أسلم فقال للرسول : ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا • وسرعان ما أدرك الرسول صلوات الله عليه ما يهدف اليه عمه العباس ، وأن هذا مما يساعد على تحقيق رغبته فقال : نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن •

وسواء أقلنا أن ما حدث من العباس كان نتيجة تفكيره استقلالا أو كان نتيجة تدبير الرسول شخصيا دون أن يعلم أحد وسواء أكان لقاء العباس مع أبى سفيان بن حرب وليد الصدفة أم نتيجة تدبير ورسم خطة فان ما فعله الرسول يدل على بعد نظر وحسن تدبير ومهارة فائقة فى التكتيك الحربى ووضع الخطة التى توصل الى النصر بطريق شريف دون سفك الدماء •

أذن الرسول لأبى سفيان بعد أن استعرض أمامه الجيش فى أن يسبقه الى قريش ليخبرهم بما رأى وبما سمع فانطلق أبو سفيان الى قومه يصيح فيهم • وقد حصل من الرسول على وعد بالأمان ، والعرب كلها تعرف عنه حتى قبل الاسلام انه الوفى الأمين ، وانه ما غدر قط ولا خان ، نادى أبو سفيان فى قومه : يامعشر قريش • هذا محمد وقد أشرف على مكة بجيش لاقبل لكم به ، فمن دخل دارى فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن • فبهت القوم واستسلموا وحاول كل منهم أن ينجو بنفسه وذويه فيغلق عليه بابه أو يعدو الى المسجد ليحتمى فيه •

كان الرسول صلوات الله عليه حينئذ قد وصل الى مداخل مكة وشاهد استسلامها فسجد لله شاكرا له منته وفضله ، ولكنه برغم هذا احتاط لنفسه وخشى الغدر والخديعة فوزع قواته الى أربع فرق وأمرها كلها ألا تقاتل مطلقا الا اذا اضطرت احدى الفرق الى ذلك اضطرارا ، وجعل الزبير بن العوام على الجناح الأيسر من الجيش وأمره أن يدخل مكة من شمالها ، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الأيمن وأمره أن يدخل مكة من أسفلها ، وجعل سعد بن عبادة على أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربى ، وجعل أبا عبيدة بن الجراح على المهاجرين • وكان الرسول معهم • ليدخلوا مكة من أعلاها • ولما كان الرسول حريصا على أن يتم دخول مكة دون أى قتال وكان قد علم بأن سعد بن عبادة حينما جعله الرسول على أهل المدينة قال : اليوم يوم الملحمة وأحس أنه يتأهب للقتال أمر بجعل الراية فى يد ابنه قيس لهدوء أعصابه وضخامة بدنه ، ولكى لايسىء الى سعد باختيار آخر • وأكد الرسول مرة أخرى عليهم ألا يلجأوا الى القتال الا لضرورة •

كان اليوم يوم عشرين من رمضان ودخل الرسول مع المهاجرين يقودهم أبوعبيدة من أعلى مكة ، ودخلت الميسرة بقيادة الزبير من شمالها ، ودخل الأنصار بقيادة قيس بن سعد من غربها دون أن يتعرض لهم أحد ودون أن يشهر واحد من المسلمين سيفه على أحد • أما خالد - وقد اتجه ليدخل من مكة من أسفلها - فقد تصدى له جمع ممن تجمعوا فى المنطقة ورموه بالنبال وشهروا عليه السلاح مما اضطره الى قتالهم فقتل منهم نيفا وعشرين ، ولما أحس أبو سفيان بذلك نادى فيهم : يامعشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل دارى فهو آمن ، ومن وضع السلاح فهو آمن •

وانتهت المعركة بذلك دون أن يقتل أحد من المسلمين الا رجلين ضلا الطريق ، وبعد أن اطمأن الرسول لخالد قال له : قاتلت وقد نهيتك ؟ • فقال : هم بدأونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت ، فقال الرسول: قضاء الله خير •

روى البخارى عن عبد الله بن عمر أن الرسول أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد - تابعه خلفه ودخل واضعا رأسه الشريف على راحلته تواضعا لله حين رأى ذلك الفتح العظيم وكثرة

المسلمين ، وهو يقول : « اللهم ان العيش عيش الآخرة »

وفى مكة عرض على الرسول أن يذهب الى بيته ليستريح فيه فرفض وقال : ما تركوا لى بمكة بيتا وأمر فضربت له قبة على مقربة من مقبرتى ابى طالب وخديجة ، ولم يقم بها الا فترة خرج بعدها الى الكعبة فطاف بها وتجمع الناس حوله فى المسجد فقال :

يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم: قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم أمر فطهرت الكعبة مما حولها من الأصنام ثم أذن بلال من فوقها للصلاة وصلى الرسول وصلى المسلمون . ثم تسابقت قريش بعد ذلك على الدخول فى الاسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا فسبح الرسول بحمد ربه واستغفر لنفسه ولقومه وطمأنهم بأنه سبحانه هو التواب الرحيم .

وفى غداة يوم الفتح خطب فى الناس قائلا : يا أيها الناس ان الله حرم مكة الى يوم القيامة لايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما أو يعضد فيها شجرا لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى الا هذه الساعة غضبا على أهلها ، ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ولم يطل مقام الرسول صلوات الله عليه فى مكة أكثر من خمسة عشر يوما يبصر فيها الناس بأمر دينهم ويدعوهم الى الحق والطريق المستقيم وينظم فيها شئونها . وخشى الأنصار أن يبقى الرسول فى مكة فهى مسقط رأسه وبدء مهبط الوحى ، ولكنه عليه السلام وقد أحس بقلقهم ومخاوفهم قال : معاذ الله . المحيا محياكم والممات مماتكم ورحل معهم الى المدينة .

***

فانظر أيها القارىء الكريم الى توفيق الله لرسوله وتأييده اياه . خرج من مكة مطاردا وتمنى أن يدخلها دون قتال . وأن تكون كلمة الله فيها هى العليا ، فتحقق له ذلك ، ودخلها خاشعا خاضعا شاكرا لله نعمته وفضله ، فلم يحس فى نفسه بصورة من صور الانتقام ولا يجرفه فرح النصر الى التجبر والتكبر ولم يدافع نحو الشر بل كان كله خيرا وبركة ووجه قومه كلهم الى الخير والبركة ، ولم ينسه هذا الفتح والنصر الوفاء بالأنصار الذين عاونوه وقت الشدة وناصروه .

الله أكبر أيها المسلم . فهذا أثر النصر فى نفوس الصديقين « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » صدق الله العظيم فقد بر عبده الأمين بوعده، وسبح بحمد الله ودخل مكة خاشعا ساجدا لله وما كان للجبروت والتكبر أى أثر فى نفسه وهو الذى اصطفاه الله من بين خلقه فأدبه بأدب القرآن ووصفه بأنه على خلق عظيم .

رمضان ذكريات ودروس

الأستاذ محمود معروف

هى ذكريات محببة الى نفس كل مسلم ومسلمة ترتبط بالشهر الكريم وهى تجدد فى هذه النفوس عاما بعد عام الأمل فى المستقبل والثقة فى الله والايمان بالعقيدة وبالمبشر بها صلوات الله عليه .

يكفى ان يرتبط بالشهر الكريم اجل ذكرى مرت على خاطر البشرية عبر تاريخها الطويل - ذكرى اول قطرة من قطرات الوحى الربانى تتنزل على قلب اكرم البشر فى غار حراء فاذا بنور ينبثق بعد طول ظلام واذا بالمعمورة تتزلزل اركانها وتستعد أيامها ولياليها لاستقبال اكبر الاحداث على وجه الارض مذ بسط الله الارض للعباد وذلل لهم مناكبها يمشون فيها ويكسبون ويعملون .. ويخطئون .

ولقد ادركت العناية الربانية تلك الحيره وذلك الذهول الذى انتاب الجنس البشرى قبل تاريخنا هذا باكثر من اربعة عشر قرنا .. ولقد كانت حيرة ، وكان ذهولا من نوع فريد وغريب .

كان كتاب الله بين أيديهم وكانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وكانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلوون اعناق المعانى كى تستجيب لاطماع استبدت بهم وشهوات طغت على حياتهم فاحالتها ضلالا ونفاقا وعسفا وجبروتا .

كان العهد قد بعد بهم عن منابع الضياء التى فجرتها رسالة ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من هداة البشرية عليهم السلام . وكانما كان هناك قدر قطيع اوكل بهم يحرفهم . وهم يعلمون عن هذه المنابع الهادية فاذا بهم يكتمون كلمات الله وينحرفون عن تعاليم السماء ويحرفون معهم ركب البشرية كلها عن مسيرته المحتومة نحو تقدم الانسان وسعادته . وشرف نفسه وسكينتها

من هنا .. من جلال الحدث العظيم الذى شهده كوكبنا بل شهده الكون كله منذ انبثاق نور الدعوة المحمدية فى مثل هذه الايام من اربعة عشر قرنا تكتسب الذكرى روعتها ويرتبط بشهر رمضان العظيم ما يرتبط به من الدروس والعبر والذكريات .

وهى ذكريات لا يخبو لها ضياء ولا ينضب لها معين

فمن يوم حراء حيث ازدان يوم من ايام رمضان بحروف الكلمة « اقرأ » ببسط كتاب العلم والرشد أمام أبناء آدم فى كل زمان ومكان وتخشع لنطق حروفها الجبال وتكاد قممها تتصدع استجابة وخشية وضراعة وحبا الى ذكرى يوم اخر من ايام رمضان .. يوم جولة المنعة الاولى عند البئر المباركة بين مكة موطن رسول الله ويثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دارت معركة بين القلة والكثرة من اجل شرف الانسان . وكان حتما أن تنتصر القلة من بسطة النفس وقد جفت منهم الحلوق فى يوم قائظ حافل طويل من أيام رمضان ، وكان حتما ايضا - وهذه حكمة الله وكلمة التاريخ . ان تنكسر الكثرة اذ كانوا جميعا ، وقلوبهم شتى ، وكانت أجوافهم قد انتفخت وحلوقهم قد أفعمت ضلالا وبغيا .

ثم ننظر الى الدروس والمعانى التى يجسدها رمضان الكريم امام انظارنا وافهامنا ، وما اشد حاجتنا الى تدبر هذه الدروس الرمضانية معنوية ومادية والتى ترتبط ارتباطا عضويا بواقع حياة امتنا ومجتمعنا المصرى العربى المسلم فى هذه المرحلة الهامة من تاريخ تطورنا .. مرحلة التحول .

ففى حياة شعبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية معادلة صعبة تقتضى التوفيق ما أمكن بين الانتاج والاستهلاك والادخار .

ولقد استطاع شعبنا بوعيه وايمانه بربه وعقيدته وقيادته ودوره فى رسم صوره الحياة الجديدة على الارض العربية . ان يحقق انجازات رائعة فى مجال زيادة الانتاج التى تشهد بها ارقام الخطة الخمسية الاولى ، ولكن اطراف المعادلة الصعبة لايمكن ان تتلاقى الا بالحد من هذه الظاهره المضطردة المريبة والمشجعة معا ، وهى تزايد الاستهلاك وبالتالى تناقص المدخرات.

وهنا يأتى الدرس الرمضانى فعبر ثلاثين يوما كريمة من أيام السنة يمكن لشعب مؤمن ذكى كشعبنا ان يتعلم كيف يقتصد فى معاشه اى فى استهلاكه .

ولا يغرنا القول بان الاستهلاك فى رمضان يميل للازدياد فليس هذا ما تقصده عقيدة الاسلام فى شهر رمضان بل ولا فى غير رمضان فالاسلام يمقت السرف . ويتوعد المسرف باللوم والحسرة وانقطاع المسلم عن الاكل والشراب طيلة ثلاثين نهارا لا يعود على الله جلت صفاته بشىء ولكنه يعود على الفرد المسلم باشياء كثيرة .

يقول مفكرنا الراحل الاستاذ عباس العقاد : « ان المسلم فى صيامه ليذكر حق الروح من شرابه وطعامه ويذكر انه ذو اراده تاخذ بيديها زمام جسدها ولاتترك لهذا الجسد أن ياخذ بزمامها ويصرف بها على هواه . واصح ما يكون الصيام الذى ينبه الضمير الى هذه الحقيقة ، ان يقدر المرء على ترك الشراب والطعام فترة من الزمن ولا يكون قصاراه منها ان يستبدل شرابا بشراب وطعاما بطعام »

حقائق الاسلام واباطيل خصومه ص ١١٢ دار الهلال سنة ١٩٦٥ .

هذا هو جوهر الدرس الذى يجب ان نعيه جميعا من صيام رمضان باعتباره عبادة من العبادات ان يكون المسلم متنبه الضمير قوى الارادة ، وتنبه الضمير كفيل بان يطلع الفرد فى مجتمعنا الراهن على حقائق هذا المجتمع وعن اهمية اسهامه فى تقدمه ورفاهيته عن طريق الحد من استهلاكه لموارد هذا المجتمع واستغلال الزيادة فى انتاج الجماعة اولا باول وقوة الارادة خير سلاح فى يد الفرد المسلم يقهر به نوازع نفسه ويعلو به . كما أراد الله - فوق كل ما ينتاب البشر من اهواء النفس ونزواتها .

الأوضاع التي استحدثها عمر بن الخطاب

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

وراينا ماكان لعمر رضى الله عنه ، من نظر سديد ، وبصر بالامور ، ودراية تامة بالنواحى الادارية ، حتى سارت الدولة الاسلامية فى عهده على طريق واضح ، وصراط مستقيم . وكان يضرب المثل بنفسه فى الزهادة فى متاع هذه الحياة ، وفى العمل الدائب من اجل خير الامة الاسلامية كلها ، ولم يؤثر احدا بعطاء لقرابته منه او صلته به .. وكان يقول : والله ما احد احق بهذا المال من احد ، وما انا احق به من احد ، والله ما من المسلمين من احد الا وله فى هذا المال نصيب الا عبدا مملوكا . ولكنا على منازلنا من كتاب الله ، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرى مكانه »

ويعنى بذلك ان الدولة الاسلامية ستصير الى رخاء واسع ، وستتوفر فيها النفقات والاموال حتى ان الراعى سياخذ حظه من المال ، وهو فى مكانه يرعى غنمه او ابله ، ولا يتحمل مشقة الانتقال الى حيث يوجد بيت المال ، وهذا يدل على حرص عمر الشديد على ان يوفر الطمانينة لجميع المواطنين فى مختلف اماكنهم ، ولو بعدت بهم الجهات .

ويروى التاريخ الصادق انه جمع المسلمين لاول عهده وقال : ما يحل للوالى من هذا المال ؟ فقالوا جميعا : امالخاصته فقوت وقوت عياله لاوكس ولاشطط، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوائجه وحجه وعمرته ، والقسم بالسوية ، وان يعطى اهل البلاء على قدر بلائهم ، ويرم امور الناس بعد ، ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدا باهل الفيء ، وقد طلب من احد اصحابه ان يعرضه مالا ، فقال له : مايمنعك ان تقترض من بيت المال ، فاجابه انه اذا مات وهو له مدين ، وبما غفلوا عن تقاضى ما اقترض . اما صاحبه فانه لحرصه على ما له يطالب الورثة بما له فيستوفيه وتبرا ذمة عمر.. ارايت ايها القارىء الكريم ورعا ابلغ من هذا الورع ، وحرصا على مصالح الرعية اشد من هذا الحرص ؟ لكنها العفة التى انطبعت عليها نفس هذا الخليفة العظيم الذى تربى فى مدرسة النبوة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وقد كان لعمر فضل المبادأة فى كثير من الاوضاع فى الدولة ، فهو اول من لقب بامير المؤمنين ، واول من استقضى القضاة ، واول من احدث التاريخ الهجرى فارخ سنة ست عشرة بهجرة رسول الله من مكة الى المدينة ، وهو اول من ارخ الكتب ، واول من مصر الامصار ، وهو اول من حمل الدرة واول من دون الدواوين ، دونها له عقيل بن ابى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا من نبهاء قريش لهم من علم بالانساب وايام الناس ، وهو اول من وضع ديوانا فى الاسلام للخراج والاموال بدمشق والبصرة والكوفة . والخراج هو ماوضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها ، وارض المشركين حينما يصالحون عليها تكون هى الارض المختصة بوضع الخراج عليها .. وهى تغل غلات كثيرة ، هذه الغلات لابد وان تدون ليمكن تحديدها وتحديد مصارفها ، وضبطها ، ووضعت هذه الدواوين ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ومما يروى عن زهده فى المال ، وحرصه على مال المسلمين ، أن اعرابيا أتاه فقال منشدا :

ياعمر الخير جزيت الجنة
اكس بناتي وامهنه
وكن لنا من الزمان جنة
اقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر رضي الله عنه : ان لم افعل يكون ماذا ؟ فقال :

اذا ابا حفص لاذهبنه

فقال : واذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

يكون عن حالي لتسالنه
يوم تكون الاعطيات هنة
وموقف المسئول بينهنة
اما الى نار واما جنة

قال : فبكى عمر رضي الله عنه حتى خضبت لحيته ، وقال : ياغلام اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، واني والله لا أملك غيره .. هذا مثل رائع يدل على ورع امير المؤمنين حيث وصله من ماله لا من مال المسلمين ، لان صلته لاتعود بنفع على غيره فتكون من المصالح العامة ولهذا اعطاه قميصه وما كان يملك سواه .

وكان عمر في المسائل العامة يسال الناس في المسجد عن ارائهم ، ثم يعرض رايه ورايهم على مجلس شوراه وهم من كبار الصحابة ، فما استقر عليه رايهم امضاه ، وهذا يدل على اخذه بمبدا الشورى وهو مبدا اسلامي حث عليه القرآن الكريم قال تعالى « وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله » وقال يمتدح المؤمنين « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » . وكان يرسل عماله الى الاقطار ويوصيهم بان يرفقوا بالرعية ، وان يعدلوا بينهم وكان يختار هؤلاء العمال من خيرة رجاله ، لما ارسل عبد الله ابن مسعود الى العراق وزيرا ومعلما مع عمار بن ياسر الذي ولاه الامارة كتب الى اهل العراق : وقد جعلت على بيت مالكم عبد الله بن مسعود وآثرتكم به على نفسي ، وقد يبعث على بعض الاقطار عاملا على الصلاة والحرب ويسميه اميرا وعاملا على القضاء وبيت المال ويسميه معلما ووزيرا كما فعل في العراق ، او يجمع للعامل بين الصلاة والخراج كعامل مصر ، وكان يقول : اللهم اني اشهدك على امراء الامصار فاني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعدلوا ويقسموا فيئهم ، ويرفعوا الي ما اشكل من امورهم . وكان عمر يامر الناس بالتفقه في الدين ويجد في ارسال الفقهاء الى الامصار يفقهون المؤمنين ويعلمونهم دينهم ، وقد لايرسلهم الا بعد اخذ رايهم . ولما اراد ان يرسل مسعد بن عبيد قال له : هل لك في الشام . فان المسلمين نزفوا « اى فنوا » وان العدو قد ذئروا عليهم « اى اجترءوا عليهم » وكان يقول حين خرج معاذ بن جبل الى الشام : لقد اخل خروجه بالمدينة واهلها بالفقه ، ولقد كنت كلمت ابا بكر رحمه الله ان يحبسه لحاجة الناس اليه فابى علي وقال : رجل اراد جهادا يريد الشهادة فلا احبسه ، ومعاذ هذا هو الذي اختبره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمين واليا وقال : « بم تحكم ؟ قال بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله ، قال فان لم تجد ، قال اجتهد برايي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسوله .

وصنيع عمر في ارساله البعوث ليفقهوا المسلمين في امور دينهم يدلنا على ما يجب على العلماء نحو غيرهم ممن لايجدون فرصة للتزود من العلوم والمعارف ، وناخذ من صنيع عمر هذا الاسوة الحسنة التي يحسن اتباعها لنشر رسالة الاسلام الحنيف ، والعالم الاسلامي اليوم في كثير من الجهات في امس الحاجة الى ان يتفقه في الدين ويتزود من العلوم ، فاذا اوفدت البعثات لاداء هذا الواجب فانما تقتدي بمافعله امير المؤمنين عمر بن الخطاب وتؤدي واجبا وجب على المسلم القادر نحو اخيه المسلم الذي لم يستطع ان يتزود من هذه العلوم . وان هذه البعثات فضلا عن انها تنشر ثقافة الاسلام فانها توثق الروابط التي يجب ان تكون بين الامة الاسلامية التي اراد لها ربها ان تكون امة موحدة الاهداف ، موحدة الاتجاه فربها واحد « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » ونبيها واحد « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » وكتابها واحد « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » وقبلتها واحدة « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » والاتجاه واحد « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » وجمهوريتنا الان تنهج بحمد الله هذا المنهج الرشيد ، فهي تستقدم ابناء الامة الاسلامية ليتزودوا من مختلف العلوم ويعودوا الى قومهم حاملين معهم مشعل النور والعلم والمعرفة . فيضيئوا لامتهم الطريق الذي يوصلهم الى الامجاد ويدفع بهم الى العزة والكرامة « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وبجانب ذلك توفد المبعوثين ومعهم العزم المصمم على تزويد ابناء البلاد التي يعملون بها بالعلم والثقافة ونشر الدين الحنيف ، فجمهوريتنا الان تعيد عهد السلف الصالح ، وتطبق سياسة عمر بن الخطاب . وقد كانت المدينة في ايامه اشبه بمدرسة يتخرج فيها القضاة والعمال والقواد والامراء فلا يبعث الى الامصار الا من اختبره في الجملة وقلما اخطات فراسته في الناس ، كان كعب بن سور جالسا عند عمر فجاءته امراة تشتكي زوجها ، فقال لكعب : اقض بينهما ، فلما قضى بما اعجبه ومالم يخطر له ببال قال لكعب : اذهب قاضيا على البصرة .. وهذا يدلنا على ان عمر كان يضع الرجل المناسب في العمل المناسب ويختار الاكفاء من الرجال للريادة الدينية حتى يستطيعوا ان يقوموا بواجبها خير قيام ، وينهضوا بالاعباء التي تلقى عليهم في عزم وثبات وايمان ..

من وحي النور في رمضان

الأستاذ ابراهيم مصباح

منذ اشراقة فجر رجب والمسلمون يرتقبون تلك الشهور المفعمة بالروحانية ، ويستعدون لرحلة مباركة تبدأ من اول رمضان الكريم . وشهر رجب تضم جنباته ليلة مباركة .. ليلة أن أسرى الله بالنبى عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى بورك حوله . وفى شعبان تأتى ليلة النصف وما بعدها من ليال مباركة يغفر الله فيها للمسلمين الا من اصر على الخطيئة فله عذاب مهين .. وتستمر الاضواء الالهية تغمر الاكوان فى هذه الأيام الطيبة حتى يهل هلال رمضان المبارك فتبدأ الأجواء تتضوع بالايمان العميق ويستعيد المسلمون الذكرى وأكرم بها من ذكرى .

وشهر رمضان متألق بين الشهور جميعا .. ففيه انزل الله القرآن الكريم كتابا عربيا يهدى الى الحق ويبشر المؤمنين ، وفى رمضان ليلة تتباهى على الليالى بما وصفه بها الله تعالى وهو أصدق القائلين « انا انزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وفى شهر رمضان ثبت الله المؤمنين الصابرين وانزل فى قلوبهم السكينة وامدهم بملائكة من عنده وأيدهم بنصره وصدق لهم ما وعدهم ان وعد ربى كان حقا .. ففى بدر أشرقت الأرض بنور ربها وسبحت الملائكة وأذل الله الشيطان ومن استذلهم وطأطأ الباطل رأسه وتحطمت صخرة الكفر والشرك وتعالى الهتاف حتى عنان السماء ان الله أكبر وانه واحد احد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ..

يكاد المرء فى رمضان يسمع تسبيحات الملائكة ويشعر برفيف أجنحتها وهى تستغفر للتائبين وتستكثر للاوابين وتسترحم للنادمين، يكاد سنا النور الالهى يمس شغاف القلوب وتطل من العيون حلاوة الايمان وما انطوى عليه القلب من الحب الكبير الذى لا يعدله حب ولا تسمع من المسلمين لغوا الا سلاما ولا ترى منهم اثما الا التعاطف والتراحم ، وكيف لا وهم فى رمضان ؟ وكيف لا وهم فى رحلة نفسية روحية ترتفع بهم من أرض الواقع المتصارع الى سماء الاشراق ومنابع السناء ، كيف والمسلمون فى تلك الأيام الطيبة التى يحرصون عليها ساعة بساعة ، يتمثلون قول الله تعالى فى حديثه القدسى :

« كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم فانه لى وانا أجزى به والحسنة بعشر امثالها » .

يالها من ايام مباركة ترفع النفس نحو السماء .. تتخلص من قيودها .. وتتخفف من أثقالها التى تشدها الى أرض الأطماع والدنايا ، والنفس فى ذلك الشهر المبارك تسمو وترتفع وتونق وتورق ، كشجرة مباركة طيبة تسقى بماء طيب لا ضرر فيه وتتنفس هواء طيبا لا يخالطه دخن ، ويظللها ضوء صفا من شوائب الظلمات .

وترتفع نفس المؤمن وترتفع .. ترتفع على كل الضعف الانسانى وتخلف وراءها الحقد والطمع والجشع والغش والكراهية والخديعة والنميمة وكل ما نزل الاسلام ليمحوه

ويطهر به الروح ويزكيها .. ترتفع النفس وتترك تلك الأثقال فتبدو من عل قيما تافهة كما يبتعد الانسان عن ماله الذى يحجبه عن صدق الرؤيا وصفاء التقدير .. كيف تسمو الشجرة المباركة الطيبة؟ كيف تحلق النفس فى الافاق العالية ؟ هل هو الجوع هل هو العطش .. لو كان الأمر كذلك فما أهونه ، ولكنه ذلك الاحساس العميق بأن الفرد يصبح واحدا من ملايين المسلمين فى العالم يفعلون نفس الشىء فى آن واحد .. وما هو ذلك الشىء .. انه الصوم والابتعاد عن شهوات الطعام فى طاعة الله ورسوله ووفاء بالفريضة .. فالفلاح فى حقله يعمل ويستبد به العطش والنهر أمامه يروى الالاف لكنه يمسك عن ذلك مرضاة لله عز وجل ، والعامل يقرصه الجوع وهو يستطيع ان يرد جوعه ولكنه لا يفعل ابتغاء وجه الله ، والمراة فى بيتها والرجل فى وظيفته ايا كانت الجميع يقهرون رغبتهم لأنهم حين يفعلون ذلك يصعدون .. لأنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. لأنهم فى مسيرة واحدة مباركة تبدأ مع اليوم الأول من رمضان .

يقولون ان الصيام يشفى كثيرا من الأمراض ، ونقول لهم ان هذا ليس بحديث المؤمنين فمن يبحث عن شفاء الأمراض فقد يجده فى امور كثيرة ولكن الصيام فريضة قبل اى شىء وعلى المسلم ان يؤدى هذه الفريضة كأحسن ما يكون الأداء شكرا لله على نعمته التى اسبغها على عباده وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان عجبى لشديد من اولئك النفر الذين يحاولون أن يضفوا على الفروض ما يتوهمون أنه يحببها الى الناس كقولهم ان الصلاة رياضة بدنية وان الصيام مفيد للصحة وانما نصلى ونصوم لا طلبا للرياضة او الصحة البدنية ولكن اداء لما فرضه الله علينا طامعين فى عفوه راجين القبول فكم من مصل او صائم لاتقبل منه صلاة اوزكاة وتتقطع أوصاله دون أن يضع قدميه على بداية الصراط المستقيم والطريق المتلألىء بنور المعرفة ..

ان الصوم جنة .. يقى الانسان من ان يقع فى اخيه المسلم ، فاذا لم ينهه عن ذلك فقد حرم نفسه من الطعام فقط لأنه تخلف عن المسيرة الكبرى .. يصوم المرء ويظل على صيامه بين المسلمين القانتين الذين هداهم الله الى طريقه حتى اذا سب او غش فانه يهوى من الافاق العالية ، حتى اذا خان او كتم شهادة او وشى او ارتشى او خان الامانة او تهاون فى حق وطنه فانه يسقط من المرتبة التى كان فيها .. حتى اذا استغل عرق الاجير او اكل مال اليتيم والضعيف فانه يعود ثانية الى غابات الشرور والاثام يضرب فيها ويدور حول نفسه كحشرة عمياء ضلت طريقها الى ملاذها الذى تستأمن به .

يقول نبينا رسول الهدى عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر »

فالذى يصوم عن الطعام والشراب ثم لا يصوم ايضا عن الصغائر فلا خير فى صيامه تنقطع به السبل ، وقد افلح من استمسك بالعروة الوثقى .

والذين يتخذون من رمضان مظهرا للبذخ واستعراضا لاموالهم وثرائهم عليهم ان يراجعوا انفسهم وليعلموا الا خير فى ذلك .. فما حكمة الصوم ان كان الرجل يأكل فى سحوره ما يكفى لصيام اربعة أيام .. وما حكمة الصوم ان أتخن المرء معدته بالشحم واللحم ، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن من صلبه فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

صلى الله عليك وسلم يارسول الله .. لو عمل الناس بحديثك الشريف هذا لكفى سكان الأرض طعامها وما سمعنا عن المجاعات ولانتهت امراض برمتها من الوجود ولانصلحت عقول كثيرة فكم من قرارات خاطئة املتها معدة متخمة .. فعادت على الناس جميعا بالويل والثبور .

والمسلمون فى هذه الأيام التى رفع الله فيها رايتهم بعد ان طال ركود ريحهم ، عليهم أن يعودوا الى حكمة الصوم وأن يعوا تلك الدروس الالهية حتى يصمدوا امام حاضر الأيام ومقبلها .

ان اهل يثرب شرفوا ديارهم فصارت بلادهم المدينة المنورة وسماهم الرسول عليه الصلاة والسلام الانصار وآخى بينهم وبين المهاجرين فنزلوا عن اموالهم وعن ديارهم وعن بساتينهم لاخوتهم الذين اخرجوا من منازلهم بغير حق ، وهم فى واقع الأمر لم يعطوا للناس ولكنهم اقرضوا الله قرضا حسنا وضحوا من اجل العقيدة ونصرة الدين فنصرهم الله ورضى عنهم ووعدهم الجنة .. وما اخلف الله وعده .. اولئك اهل التقى والصلاح الذين ناخذ عنهم المثل ولله المثل الأعلى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ولينظر منا كل ذى عقل اريب كيف يتنزل صاحب ارض عن نصف ارضه لأخيه وما يستتبع ذلك من انتقاص ما جرت عليه معيشته الى النصف ..

ونحن المسلمين امام اختبار عظيم تفرض علينا ظروفنا ان نجتازه ولا نولى الأدبار .. نحن أمام تجربة انسانية عظيمة نعيد للفرد فى مجتمعنا ما منحه الله تعالى من حقوق فى الحرية والعدالة والكرامة والرزق واضاعه قوم ظالمين فاسقين . واليوم نعيش فترة بناء قاعدة اقتصادية متينة تقوى بنياننا وتحمى ديارنا من اى تهديد او شبهة قيد بعد ان حطمنا كل القيود ، وها هو الشهر الكريم المبارك شهر رمضان يقبل بكل معانيه العظيمة .. بكل ذكرياته الجليلة .. بكل ما يحمل للانسان من تجربة لصلابته ومقدرته على جلاء النفس وقهر شهواتها .. فلنهيىء انفسنا لاستقبال رمضان المبارك بما هو أهل له ، ولنتخذ من معانى الجهاد فى رمضان نبراسا يهدينا فى طريقنا نحو الاشتراكية .. ان الصبر على شهوات النفس طوال رمضان المبارك باب الى محبة الله ورضوانه ، والصبر على شهوات النفس فى فترة بناء حياتنا باب الى الرخاء والى الحرية والكرامة حتى لا نكون امة ضعيفة ذليلة والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« من اعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منى » .

وقد اقبل البشر بالتراب الايام المباركة يسطع نورها امامها .. فلنعم رمضان ابتغاء مرضاة الله .. لنصم عن الطعام والشراب وعن كل الدنايا والصغائر وعن الضعف وافعال الضعفاء .. ولنبتهل الى الله تعالى أن نكون من الصائمين الذين قال عنهم النبى الكريم عليه الصلاة والسلام

« للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا افطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه » .

الدين والأدب في آل البيت

الأستاذ محمد جاد الرب

اختص الله تعالى بيت الرسول الكريم بكمال الدين والأدب ، يتجلى ذلك فى مأثوراتهم من غرر الحكم وجوامع الكلم فكانوا حقا المهتدين الهادين وكانوا أئمة الحق والبيان ،والصفوة المنتقاة فى أدب النفس وأدب الدرس ،بماأوتوا من العطاء الالهى والنفحات الربانية والنفوس الصافية التى فطرت على الخير وهداية الناس الى الخير ، فالنفس اذا صفت ألهمت الصواب وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب

وليس هذا من الغريب على أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم واصطفى منهم نبيه الكريم وأنزل عليه كتابه العربى المبين ٠٠بيت ترددت فيه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تأتى بعد كتاب الله تعالى فى البلاغة والفصاحة والاعجاز ، أقر بذلك الخواص من أهل اللسن ومن الصحابة رضوان الله عليهم

دخل رجل على النبى عليه السلام فقال : يارسول الله أيدالك الرجل امرأته ؟

فقال عليه السلام : نعم اذا كان ملفجا ٠ فقال الصديق أبو بكر رضى الله عنه : ما قلت له وما قال لك يارسول الله ؟ فقال : انه يسأل أيماطل الرجل زوجته ، فقلت له نعم اذا كان فقيرا ، فقال أبو بكر : لقد طفت باحياء العرب فما رأيت أفصح منك يارسول الله ، فقال عليه السلام : وما يمنعنى وأنا قرشى وارتضعت فى بنى سعد ٠

ولا أريد أن استرسل فى ايراد الأمثلة من كلامه صلى الله عليه وسلم فذلك فى غنى عن الاستشهاد ، وكتب الحديث كثيرة ميسرة لمن أراد ٠

كما لا أريد ايراد نماذج من كلام الامام على كرم الله وجهه ، فآثاره كثيرة مشهورة مجموعة فى كتب خاصة وغير خاصة ـ ومن أشهر هذه الكتب « نهج البلاغة » والكلام فى نسبته الى الامام كثير ، والخلاف بين أهل الأدب فى هذه النسبة مشهور والكتاب بعد ذلك ان لم يكن من كلامه كله أو بعضه ـ فما أشد الشبه ٠

وكما حدث الخلاف فى نهج البلاغة حدث مثله فى المروى عنه كرم الله وجهه من الشعر ومن المرويات له قوله :

أأنعم عيشا بعد ما حل عـارضى
طلائع شيب ليس يغنى خضابهـا

أيا بومة قد عششت فوق هـامتى
على الرغم منى حين طار غرابهـا

رأيت خراب العمر منى فـزرتنى
ومأواك من كل الديار خرابهـا

اذا اصفر لون المرء وابيض رأسه
تنغص من أيامه مستطابهـا

فدع عنك فضلات الأمور فانها
حرام على نفس التقى ارتكابهـا

وما هى الا جيـفة مستحيلة
عليها كلاب همهـن اجتذابها

فان تجتذبها كنت سلما لأهلها

وان تجتذبها نازعتك كلابهـا
فطوبى لنفس أوطنت عقر دارها

مغلقة الأبـواب مرخى حجابها
ومن شعر بعضهم ٠

نحن بنـو المصطفى ذوو غصص
تجرعهـا فى الحياة كاظمنـا

قديمة في الزمان محنتنا
أو لنا مبتلى وآخرنا

يفرح هذا الورى بعيدهمو
ونحن أعيادنا ما تمنا

الناس في الامن والسرور ولا
يأمن طول الحياة خائفنا

وبعد .. فما أريد الا عرضا خفيفا سريعا لطرف من أدب أهل البيت بقيت في الخاطر كبقايا المسك في الأطباق – كما يعبر المتصوفة

فمما يروى عن الامام الحسن رضي الله عنه: أن رجلا سمعه يناجي ربه ويبكي فقال له: اتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ؟

ابن رسول الله ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التي وسعت كل شيء ، فقال : أما اني ابن رسول الله فالله يقول : فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم ،واما الشفاعة فهو سبحانه يقول : من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ، وأما الرحمة التي وسعت كل شيء فالله يقول : فسأكتبها للذين يتقون ، فكيف الأمان يا أخا العرب .

وجاءه رجل يسأله شيئا من الصدقة ،ولم يكن عنده يومئذ ما يسد رمقه فاستحيا أن يرده فقال : ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر ، فقال الرجل ماذا ؟ قال : ان ابنه الخليفة ماتت فاذهب اليه وقل له : الحمد لله الذى سترها بوقوفك على قبرها ولم يهتكها بوقوفها على قبرك . فذهب الرجل وعزى الخليفة بهذه التعزية فلما سمعها ذهب عنه الحزن وأمر للرجل بجائزة ، وقال له : بالله عليك اكلامك هذا ؟ فقال بل كلام الحسن بن علي فقال صدقت انهم معدن الفصاحة وأمر له بجائزة أخرى .

ومن لطائفه أنه كان يوما خارجا من الحمام فقال له رجل طاب استحمامك ، فقال :يالكع وما تصنع الاست هنا . قال الرجل : طاب حمامك ، فقال : اذا طاب الحمام اذن فما راحة البدن . قال طاب حميمك ، قال ويحك أما تعلم أن الحميم هو العرق ، قال :

فكيف أقول ؟ قال قل : طاب ما طهر منك وطهر ما طاب .

ورآه مرة رجل يهودى فى أبهى بزة واجمل زى وكان اليهودى فى حال سيئه وثياب رثة فقال للحسن رضى الله عنه : أليس قدقال نبيكم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . هذا حالى وهذا حالك . فقال رضى الله عنه : لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب وماأعد لك من العقاب لعلمت أنك فى الجنة وأنى فى السجن .

وكان رضى الله عنه يسمع الشعر ويطرب للجيد منه . وكان يعطى الشعراء ، وقد قيل له في ذلك فقال : خير مالك ما وقيت بهعرضك وكان كثيرا ما يقول : كم أخ لك لم تلده أمك.

وقد وقع بينه وبين أخيه محمدبن الحنفية لحاء ومشى الناس بينهما ، فكتب اليه محمد :

أما بعد فان أبى وأباك على بن أبى طالب لاتفضلنى ولا أفضك ، أمى امرأة من بنىحنيفة وأمك فاطمة الزهراء بنترسول الله فلو ملئت الارض بمثل أمى لكانتأمك خيرامنها فاذا قرات كتابى هذا فاقدم حتى تترضانى فانك أحق بالفضل منى والسلام .

ومما يروى فى شأن أخيه الامام الحسين رضى الله عنه أن رجلا ادعى عليه مالا بالباطل وقدمه الى القاضى فقال الحسين : ليحلف على مادعى وياخذه ، فقال الرجل والله الذى لا اله الا هو – فقاطعه الحسين قائلا له قل والله والله والله أن هذا الذى تدعيه لك فبكى ففعل الرجل فاختلفت رجلاه وخر صريعا . فقيل للحسين فى ذلك فقال : كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه .

وللسيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما مجال رحيب فى الأدب ونقد الشعر وكثيرا ما كان يتحاكم اليها الشعراء والرواة :

اجتمع يوما راوية جرير وراوية جميل وراوية نصيب وغيرهم من الرواة كل يفتخر

بشاعره ويفضله على غيره فاتفقوا على أن يحكموا السيدة سكينة ، فخرجوا واستاذنوا عليها وذكروا لها امرهم ، فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

قبح الله صاحبك وقبح شعره .. فهلا قال فادخلى بسلام .. فأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق .

ثم قالت لراوية جميل — اليس صاحبك الذى يقول

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها
ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أراه هوى ، ولكنه طلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره

ثم قالت لراوية نصيب
أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حييت وان أمت
فواحزنى من ذا يهيم بها بعدى

فماله من شغل الا فيمن يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره . هلا قال :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت
فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

وهكذا فعلت مع سائر الرواه فلم تثن على أحد من شعرائهم وأحجم الرواة عن جوابها .

ومما يروى عن السيدة نفيسة رضى الله عنها أن الناس اشتكوا اليها ظلم أحمد بن طولون فى أول عهده ، فقالت لهم متى يركب ، فقالوا فى غد ، فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت له : ياأحمد بن طولون ، فلما رآها عرفها وترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة فاذا فيها مكتوب ، ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم فعسفتم ، ودرت عليكم الأرزاق فقطعتم ، وقدعلمتهم أن سهام الأسحار نافذة ولا سيما من قلوب اجعتموها ، وأجساد اعريتموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فأنا بالله مستجرون واظلموا فانا منكم متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلون . فعدل عن ظلمه ، وعدل منذ اليوم فى حكمه .

وقال رجل لعروة : ما ارواك للشعر ياأبا عبد الله فقال : ما روايتى فى رواية عائشة رضى الله عنها ماكان ينزل بها شىء الا أنشدت فيه شعرا .

ومما يروى للامام على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنهما وقد لقى الحسن البصرى فقال له : ياحسن اطع من أحسن اليك ، فان لم تطعه فلا تعص له أمرا ، وان عصيته فلا تأكل له رزقا ، وان عصيته وأكلت رزقه وسكنت داره فأعد له جوابا وليكن صوابا .

وله رضى الله عنه شعر جيد كقوله :

يارب جوهر علم لو ابوح به
لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى
يرون اقبح ما يأتونه حسنا

وقوله :

عتبت على الدنيا فقلت الى متى
أكابد هما بؤسه ليس ينجلى
أكل شريف من على نجاره
حرام عليه العيش غير محلل

فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم
بسهمى عناد منذ طلقنى على

ومن كلام الصادق جعفر رضى الله عنه : مودة يوم صلة ، ومودة شهر قرابة ، ومودة سنة رحم من قطعها قطعه الله .

ونختتم هذه الطرائف اللطيفة بما روى عن محمد بن على الباقر عن أبيه عن أبيه عن أمير المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين . قال :

كان فى الأرض أمانان من عذاب الله تعالى ورفع أحدهما ، فدونكم الآخر فتمسكوا به ، أما الأمان الذى رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الأمان الباقى فهو الاستغفار

وهذا من لطائف الاستنباط من قوله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

صلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين ورزقنا بحقهم الامان والغفران .

قال الله تعالى فى سورة العنكبوت :
« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » الآية ٤١ .

« ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم » الآية ٤٢

« وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » الآية ٤٣

وقد كتب محمد فريد وجدى تفسيرا لهذه الآيات الثلاث ما يلى :

« مثل الذين اتخذوا لهم من دون الله نصراء فى الاعتماد على ما لا يصح الاعتماد عليه كمثل العنكبوت اتخذت لنفسها بيتا وهو من الوهن والضعف بحيث لا يحتمل أن يلمس بالاصبع، لو كانوا يعلمون ذلك ولكنهم يجهلونه . ان الله يعلم ما يدعون من دونه شيئا ، بل خيالا ، وهو العزيز الحكيم . وهذه الامثال نضربها للناس ، وما يتعقلها ا ، ويفهم مراميها ، الا العلماء الذين يتدبرون الاشياء ويرونها على حقيقتها » .

وحيث أن هذا التفسير قد استخلص من الآراء المجمع عليها لدى ائمة المفسرين ، واقطاب اهل السنة ، فلم يخرج عن سنتهم قيد شعرة كما كتب المفسر فى مقدمة المصحف المفسر وحيث أن هذا التفسير يعتبر تفسيرا حديثا ، من أجل ذلك أبدا كلامى بهذا التفسير .

وأسعدنى كثيرا ان اقرأ تفسير الفخر الرازى لهذه الآيات ، وان كان طويلا بعض الشىء الا أنه فيه من العلم الكثير .

ففى الجزء السادس صفحة ٤٥٠ قال الرازى :

ثم قال تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » .

لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا ولم ينفعه فى الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده مثل اتخاذه ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير آويا ولا يريح ثاويا ، وفى الآية لطائف نذكرها فى مسائل .

المسألة الاولى : ما الحكمة فى اختيار هذا المثل من بين سائر الامثال ؟ فنقول فيه وجوه

الوجه الاول : ان البيت ينبغى ان يكون له أمور : حائط حائل وسقف مظل وباب يغلق وامور ينتفع بها ويرتفق — وان لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين اما حائط حائل يمنع البرد او سقف مظل يدفع عنه الحر فان لم يحصل منهما شىء فهو كالبيداء ليس ببيت . ولكن بيت العنكبوت لا يجنها ولا يكنها وكذلك المعبود ينبغى ان يكون منه الخلق والرزق وجر المنافع ودفع المضار فان لم تجتمع هذه الامور فلا اقل من دفع ضر أو جر نفع فان من لايكون كذلك فهو والمعدوم بالنسبة اليه سواء فاذا : كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معانى البيت

شيء ، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء .

الوجه الثاني : هو ان اقل درجات البيت أن يكون للظل فان البيت من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع أيضا الهواء والماء والنار والتراب - والبيت من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوى ولا الماء ولا النار - والخباء الذى هو بيت من الشعر هو بيت من الشعر أو الخيمة التى هى من ثوب ان كان لا يدفع شيئا يظل ويدفع حر الشمس - لكن بيت العنكبوت لا يظل فان الشمس بشعاعها تنفذ فيه ، فكذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الامر فى الغير فان لم يكن كذلك فيكون نافذ الامر فى العابد فان لم يكن فلا أقل من أن ينفذ أمر العابد فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم ان ارادوا اجلوه وان أحبوا أذلوه .

الوجه الثالث : ادنى مراتب البيت انه ان لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت فان العنكبوت لو دام فى زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها فاذا نسج على نفسه واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغى أن يستحق الثواب فان لم يستحقه فلا أقل من ان لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب .

المسألة الثانية - مثل الله اتخاذهم الاوثان أولياء باتخاذ العنكبوت بيتا ولم يمثله لنسجه وذلك لوجهين :

احدهما : أن نسجه فيه فائدة له لولاه لما حصل وهو اصطياد الذباب من غير ان يفوته ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان وان كان يفيدهم ما هو اقل من الذباب من متاع الدنيا لكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الاخرة التى هى خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت .

الوجه الثانى : هو ان نسجه مفيد لكن اتخاذها ذلك بيتا امر باطل فكذلك هم لو اتخذوا الاوثان دلائل على وجود الله وصفات كماله وبراهين على نعوت اكرامه واوصاف جلاله لكان حكمه - لكنهم اتخذوها أولياء كجعل العنكبوت النسج بيتا وكلاهما باطل .

المسألة الثالثة : كما ان هذا المثل صحيح فى الاول فهو صحيح فى الآخر فان بيت العنكبوت اذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا وكذلك اعمالهم للاوثان كما قال تعالى : « **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** »

المسالة الرابعة : قال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ولم يقل آلهة اشارة الى ابطال الشرك الخفى ايضا فان من عبد الله رياء لغيره فقد اتخذ وليا غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسيجه بيتا ثم انه قال « **وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** » اشارة الى ما بينا ان كل بيت فيه أما فائدة الاستظلال أو غير ذلك وليته يضعف عن افادة ذلك لانه يخرب بادنى شيء ولا يبقى منه عين ولا اثر فكذلك عملهم لو كانوا يعلمون .

ثم قال تعالى « **ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم** » .
قال الزمخشرى هـذا زيادة توكيد على التمثيل حيث انهم لا يدعون من دونه من شيء بمعنى ما يدعون ليس بشيء وهو عزيز حكيم ، فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء اصلا وهذا يفهم منه أنه جعل «ما» نافية وهو صحيح والعلم يتعلق بالجملة كما يقول القائل انى أعلم ان الله واجد حق يعنى أعلم هذه الجملة وان كنا نجعل « ما » خبرية فيكون معناه ما يدعون من شيء فالله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على اعدامه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحياة عن بينة ومن هنا يكون الخطاب مع امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لو قال قائل ما وجه تعليق هذه الآية بالتمثيل السابق ؟ فنقول لما قال ان مثلهم كمثل

العنكبوت فكان للكافر أن يقول أنا لا أعبد هذه الأوثان التى أتخذها وهى تحت تسخيرى وانما هى صورة كوكب أنا تحت تسخيره ومنه نفعى وضرى وخيرى وشرى ووجودى ودوامى فله سجودى واعطائى . فقال الله تعالى : ان الله يعلم أن كل ما يعبدون من دون الله هو مثل بيت العنكبوت لان الكوكب والملك وكل ما عدا الله لا ينفع ولا يضر الا باذن الله فعبادتكم للحاضر ولا معبود الا الله ولا اله سواه . ثم قال تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس » .. قال الكافرون كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت ؟ فيقال الامثال تضرب للناس ان لم تكونوا كالانعام يحصل لكم منه ادراك يوجب نفرتكم مما أنتم فيه وذلك لان التشبيه يؤثر فى النفس تأثيرا مثل الدليل فاذا قال الحكيم لمن يغتاب انك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لانك وقعت فى هذا الرجل .هو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب كمن يقع فى بيت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه ان كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر اذا قال انه يوجب العقاب ويورث العذاب .

ثم قال تعالى « وما يعقلها الا العالمون » يعنى حقيقتها وكون الامر كذلك لا يعلمه الا من حصل له العلم ببطلان ماسوى الله وفساد عبادة ما عداه وفيه معنى حكمى وهو ان العلم الحدسى يعلمه العاقل والعلم الفكرى الدقيق يعقله العالم .

وفى البحر المحيط الجزء السابع تأليف أثير الدين أبى عبد الله بن يوسف بن حيان الاندلسى الغرناطى الجيانى الشهير بابى حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ . جاء فى الصفحة ١٥٢ ما يلى :

(.. « لو كانوا يعلمون » ليس مرتبطا بقوله « وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت » لأن كل احد يعلم ذلك فلا يقال فيه « لو كانوا يعلمون » وانما المعنى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه وما اتخذوا الاصنام آلهة.

وقال الزمخشرى : « اذا صح تشبيه ما اعتمدوه فى دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز وكأنه قال وان أوهن ما يعتمد عليه فى الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون . ولقائل ان يقول مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون » وما ذكره من قوله ولقائل ان يقول .. الخ لا يدل عليه لفظ الآية وانما هو تحميل اللفظ ما لايحتمله

هذا ما قاله أبو حيان فى البحر المحيط الطبعة الاولى مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ

وجاء فى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ضمن التعليق الذى أقرته لجنة الخبراء بالنسبة للآية الكريمة « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون » ما يلى : (بيوت العنكبوت التى تبنيها لسكناها، وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير ، وهذا يجعل نسيجها أضعف بيت يتخذه أى حيوان مأوى له) .

ولنستعرض معا آخر ما وصل اليه العلم عن العنكبوت وعن بيت العنكبوت ـ ومرجعنا فى ذلك هو آخر الاخبار العلمية من المجلات الدورية وأحدث المراجع لكتب الحيوان وآخر الابحاث وجميع الموسوعات العلمية .. وتلخيصا لهذا جميعا جاء فى العنكبوت ما يلى :

ان العناكب حيوانات مفترسة من ذوات الدم البارد ولا عظام لها ويغطى جسمها بطبقة متينة تحميها . وللعنكبوت ثمان ارجل

ولا يوجد للعنكبوت قرنا استشعار مثل الحشرات وجسم العنكبوت مكون من الرأس والبطن والصدر مندمج مع الرأس. والعناكب ليست لها فكوك حقيقية فهي مضطرة الى امتصاص غذائها امتصاصا . كما انها مزودة بأجهزة تسمى مغازل تغزل بها خيوطا دقيقة قد تبلغ دقتها من السمك واحدا من المائة الف من البوصة . ولكن هذه الخيوط الدقيقة تمتاز بقوتها ومرونتها وخفتها .

ومن عادة العنكبوت التبذير فى هذه الخيوط فهو يغزلها ثم يتركها أينما سار - وكلنا رأى خيوط العنكبوت فى المساكن وعلى اوراق النبات وعلى الطين .

ويغزل العنكبوت خيوطه بطريقة بسيطة وهى ان يضغط على غدد كبيرة نسبيا فى مؤخر البطن هذه الغدد تفرز سائلا لزجا فيخرج بعض هذا السائل من فتحتى مغزلين عن اليمين وعن الشمال على شكل الاصابع وحين يبتعد العنكبوت سريعا يسحب معه خيطا من السائل اللزج الذى يجف بمجرد ملامسته للهواء ليصبح خيطا قويا مرنا .

ويمكن للعنكبوت أن يتحكم فى سمك الخيط بأن يضم فتحتى المغزلين أو يبعدهما حسب هواه ومن ذلك نرى أن معظم خيوط العنكبوت هى خيوط مزدوجة ، وقد يستعمل العنكبوت هذه الخيوط كوسيلة للانتقال ، لان العنكبوت لا يجرؤ أن يمر فى مكان بدون أن يترك خيطه الذى هو بالنسبة له كحبل النجاة يمنعه من السقوط كما يستعمله للطيران فوق الهواء - وبواسطةهذه الخيوط وبواسطة الرياح يمكن للعنكبوت أن يسير الى مسافات بعيدة .

وقد وجدت خيوط العناكب على ارتفاع اميال من سطح البحر ، كما وجدت خيوط العنكبوت على بعد مئات الاميال عن شاطىء البحر .

وتعيش العناكب عادة فى المناطق الحارة ، ولكن عثر عليها ايضا فى اقصى المناطق الشمالية ، وعلى قمم الجبال المغطاة بالثلوج.

وتتولى بناء بيت العنكبوت أنثى العنكبوت ، والعناكب مهندسات بارعات فى بناء البيوت التى تنسجها ، باتقان وجمال ، من خيوط قوية متينة الى حد كبير وان كانت الخيوط فى غاية الدقة .

وحين تشرع العنكبوت فى اتخاذ بيتها فانها تختار المساء وقتا ، فان العناكب تبنى بيتها فى الظلام لانها تعتمد على حاسة اللمس أكثر من النظر - وما للعنكبوت من نور البصر الا القليل وتختار مكانا مهجورا من سقط أو حائط . وتلصق العنكبوت طرف خيطها الى السقف مثلا ثم يستعمل الحيوان احدى ارجله الخلفية لسحب الخيط من المغزل حتى يسبح الخيط اللزج فى الهواء وحين يلصق الخيط فى الطرف الآخر من الحائط على بعد أمتار قليلة فان العنكبوت تثبت هذا الطرف ، ثم تصعد العنكبوت مرة اخرى وتصنع خيطا يتقاطع مع الخيط الأول الرئيسى . وبنفس الطريقة عدة مرات يكون هيكل المنزل على شكل اطار العجلة ويلاحظ أن هذه الخيوط التى تكون الهيكل تكون فى النهاية غير لزجة - ثم تنسج العنكبوت خطوطا لولبية لتكمل شكل بيت العنكبوت المعروف . وهذه الخيوط الاخيرة يحرص الحيوان أن يبقيها لزجة حتى تلصق فى أرجل الحشرات ، كما تلصق الاتربة بهذه الخيوط الدائرية .

وبعد أن تنتهى من بناء البيت تحتل العنكبوت مركز الشبكة وتبقى متربصة الى أى شد أو اهتزاز فى خيوط هذا البيت فاذا شبكت رجل حشرة من الحشرات فى خيط من خيوط العنكبوت اسرعت العنكبوت اليها وحقنتها بمادة مخدرة سامة بواسطة نابين للسم عندها - ثم تربطها ربطا محكما بمزيد من خيوط العنكبوت المتينة - وقد اكتشف علماء الحيوان حديثا أن العنكبوت تغطى أرجلها بمادة زيتية من فمها حتى يمكنها أن تمر فى بيتها دون أن تلصق الخيوط اللزجة بها - وبعد أن تقع الفريسة أسيرة فى بيت العنكبوت تبدأ فى امتصاص دمائها

وتسلب الفريسة من عصاراتها بما لها من القدرة على الامتصاص .

وبعد انتهاء الوجبة فان العنكبوت تقطع الخيوط التى كانت تربط الفريسة لتقع على الارض ثم ترقع الجزء المخروق من البيت .

وتستطيع العنكبوت أن تأكل فى وجبة واحدة مقدارا يكفيها عدة ايام .

واناث العناكب اكبر حجما من الذكور ـ وتضع الانثى مئات عديدة من البيض وبعد اللقاح ربما أكلت انثى العنكبوت الذكر ـ فان العنكبوت اذا شعرت بالجوع تضطر الى اكل الذكر ما دام قد أدى مهمته ولم يتمكن من الهرب ، وهو الذى يذهب الى أنثاه راقصا من الطرب .

ولو ان خيط العنكبوت أقوى من خيوط الحرير ويمكن صناعة الاقمشة من خيوط العنكبوت ، الا أنه من الصعب استخدام هذه الخيوط بسبب عدم امكان الحصول على ما يكفى منها ، ذلك لان تربية العنكبوت للاستغلال التجارى غير مربحة لان صغار العناكب تأكل بعضها بعضا .

واخيرا أحب أن أذكر هذه الحقيقة العلمية كما جاءت فى كتاب دائرة معارف العالم طبعة لندن الحديثة صفحه ٧٦٤٦ فقد جاء ما ترجمته ما يلى : « انه اذا قدر لنا ان نصنع حبلا من خيوط العنكبوت سمكه بوصة واحدة فانه يمكن لهذا الحبل ان يرفع اكثر من ٧٤ طنا من الاثقال .. أى ان هذا الحبل يكون أقوى من حبل فى مثل سمكه من الصلب أو الحديد ثلاث مرات .

أى أن اجهاد الشد مرتفع جدا لخيط العنكبوت . كما ان خيط العنكبوت أقوى من خيط الحرير الذى فى نفس سمكه اكثر من أربعة أضعاف قوة خيط الحرير » .

ثم بعد ذلك فلندرس معنى كلمة « بيت » ـ فان البيت هو السكن ـ وقد قال الله تعالى فى الآية الثلاثين من سورة النحل « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا .. » والسكن فيه فيه معنى السكينة وقت الاقامة . ونحن نقول سكنت نفسى أى ارتاحت نفسى بعد الاضطراب .

ولنتدبر كلمة « أوهن » فى « أوهن البيوت » كما جاءت فى الآية الكريمة : فانى أرى الوهن هنا فيه عنصر التعب لان الوهن فيه معنى الشدة والجهد . وقد فسر كل من الطبرى وابن عباس « وهنا على وهن » فى الآية الرابعة عشرة من سورة لقمان : شدة على شدة ـ كما فسر قتادة «وهنا على وهن» جهدا على جهد . والجهد هو المشقة .

والواهن : هو الذى لا بطش عنده والوهن : هو الضعف وذبول الحيوية . والوهنان : من النساء هى الكسلى عن العمل تنعما أو التى فيها فتور عند القيام .

وبعد كل ذلك فلننظر الى بيت العنكبوت على ضوء المعرفة : فهو بيت لم يؤسس على أساس ومبادىء تكفل لساكنه الراحة ابدا ، ولكن صممت خيوطه شراكا للقنص .

وتعيش شاغلته على سلب الفريسة من دمائها ونهبها من عصاراتها .

وليس لهذا البيت رب ـ اذ ان ذكر العنكبوت أصغر حجما من الانثى ولا بطش عنده وتراه الانثى بعد ان يؤدى مهمته ـ فريسة تغدر به وتسلبه الحياة ، وتتغذى على عصارات بدنه ثم تلفظه حطاما ، وترميه خارج البيت . ثم تفرخ فيه الصغار لتأكل بعضها بعضا ـ ليزداد الاضطراب فى هذا البيت . وتبقى فيه العنكبوت الى حين متعبة مجهدة .

فأى نوع من البيوت هذا البيت الذى كله وهن .. وأى وهن ؟.

من أجل ذلك نرى أن سبب الوهن فى بيت العنكبوت ليس ضعفا فى خيوطه ، ولا نقصا فى كميته ، ولكن عدم اقتصاد فى مواد البناء القوية ـ وسلوك صراط المغضوب عليهم ذلك باستغلال البيت للاغتصاب والقنص ولم ينزل فيه للانسجام والراحة .

الحسن بن علي رضي الله عنه :

الخليفة الخامس

حاقن الدماء بخلافته

الاستاذ محمود عبد اللطيف

فى التاريخ احداث تغلب على احداث ومن احداثه الضخمة التى شغلت المعاصرين لها من المؤرخين ومن اتى بعدهم مصرع الحسين سيد الشهداء فقد تردد فيه الحديث وغلب القلوب والعواطف وهز المشاعر وتجسم حتى غلب على ماسواه من الاحداث التى اصابت المسلمين عامة وبيت النبوة خاصة . ورغم ان الحسن هو اكبر السبطين الكريمين وهو الذى كان يكنى به ابوه على كرم الله وجهه فلم يكن يخاطبه المعاصرون ولا يلقبه المؤرخون الا « ابا الحسن » والتغليب فى تلقيب الحسن والحسين ان يقال الحسنان دغم ذلك كله فان قليلا من المؤرخين القدماء والمعاصرين من افرد للحسن كتابا خاصا او بابا طويلا من كتاب غير ابى الفرج الاصفهانى فى كتاب « مقاتل الطالبيين » وقد عده شهيدا على الرواية التى تقول ان معاوية بن ابى سفيان دس عليه السم بيد زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس على مال كثير اعطاها وعلى وعد بتزويجها ابنه يزيد لم يوف به وان كانت تلك الرواية محل جدل كبير وينكرها كثير من المؤرخين واكثر الناس انكارا لها مؤرخو الغرب حتى ان دائرة المعارف الاسلامية قد تحدثت فى المرض الذى مات به حديثا هو فى ذاته محل جدل ايضا كرواية الاصفهانى عن السم .

وولد الحسن فى حجر رسول الله وانه واحد من آل بيته المعنيين بقوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفقهه وبلاغته وعلمه كل ذلك اهله ليكون خامس الخلفاء الراشدين ولكن القدر جرى بغير ماكان يهوى المؤمنون فغلب معاوية على الامر واعانه على الغلبة حرص الحسن رضي الله عنه على ان يحقن دماء المسلمين من الفريقين وان يعيد شمل الجماعة بعد ان تفرق المسلمون شيعا واحزابا .

لم يكن الحسن زاهدا فى الخلافة كما يزعم بعض الناس ولكنه قارن بين امرين ان يخوض الدماء حتى يغلب بحقه ويفوز على منافسه او ان يحقن الدماء ويرتقب اوانه وينتظر حتى ياتيه الامر طوعا بعد معاوية ويكف ايدى المسلمين بعضهم عن بعض حينا من الدهر تتجلى فيه الامور ويعرف فيها الناس شان الامويين وتحويلهم الامر من الخلافة الى الملك فآثر احب الامرين الى الله واليه وحقن الدماء بتنازله عن الخلافة .

لاشك ان الحسن كان يعرف انه اولى الناس بهذا الامر فقد قال بعد ان رثى اباه امير المؤمنين فى اول خطبة القاها بعد دفنه « ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفنى فانا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم انا ابن البشير انا ابن النذير انا ابن الداعي الى الله عز وجل باذنه وانا ابن السراج المنير وانا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين افترض الله مودتهم فى كتابه اذ يقول : « ومن يقترف حسنة نزد فيها حسنا » فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت .

تلك خطبة راغب فى الخلافة عارض نفسه على جماعة المؤمنين وقد قبل البيعة حين قاموا بعدها فبايعوه . ويقول المؤرخون ان الذين بايعوه فى تلك الساعة بين اربعين وستين الفا وتلك بيعة صحيحة خولته ان يكون

امير المؤمنين بحق ولما لم يكن احد ينازعه الخلافة غير معاوية بن ابى سفيان فقد كتب له مع احد رسله « جندب بن عبد الله الازدى » .

بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله الحسن امين المؤمنين الى معاوية بن ابى سفيان - سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو . اما بعد فان الله تعالى عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين وكافة الى الناس اجمعين « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين» الى ان قال . وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا صلى الله عليه وآله وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام فامسكنا منازعتهم مخافة على الدين ان يجد المنافقون والاحزاب بذلك مغمزا يثلمونه به او يكون لهم بذلك سبب لما ارادوا به من فساده الى ان قال ان عليا رضوان الله عليه لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم من الله عليه بالاسلام ويوم يبعث حيا ولانى المسلمون الامر بعده فاسال الله الا يزيدنا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامته وانما حملنى على الكتاب اليك الاعذار فيما بينى وبين الله سبحانه وتعالى فى امرك ولك فى ذلك ان فعلت الحظ الجسيم . وللمسلمين فيه صلاح فدع التمادى فى الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى . فانك تعلم انى احق بهذا الامر منك عند الله وعند كل اواب حفيظ ومن له قلب منيب واتق الله ودع البغى واحقن دماء المسلمين فوالله مالك من خير فى ان تلقى الله من دمائهم باكثر مما انت لاقيه به فادخل فى السلم والطاعة ولا تنازع الامر اهله ومن هو احق به منك ليطفى الله النائرة بذلك وتجمع الكلمة وتصلح ذات البين وان انت ابيت الا التمادى فى غيك نهدت اليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

ولم يكن الحسن راغبا عن الحرب وماكان ورعه ولا ولهه بالعبادة يشغلانه عن امر الحروب ولم ينصرف عنها خوف لقاء الاعداء بل انصرف عنها فى رغبة صادقة لحقن الدماء . فلقد خاض الحروب ودافع عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم ينصرف عن الدفاع حتى امره ان ينصرف عنه وهو الذى دافع عنه ايضا بين نفر قليل من الصحابة فى المسجد حين حصبته العامة على المنبر ويقول المؤرخون ان الذين دافعوا عن امير المؤمنين فى ذلك اليوم اربعة نفر هم الحسن بن على وابو هريرة وزيد بن ثابت وسعد بن مالك وارادوا قتال العامة فكفهم عن ذلك . وهو الذى خاض غمار الحرب فى صفين على مراى من امير المؤمنين ابيه فلما رآه يتسرع الى الحرب قال قولته المشهورة « املكوا عنى هذا الغلام لايهدنى فانى انفس بهذين يعنى الحسن والحسين على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الشجاع المغامر فى الحرب الذى يستعين ابوه عليه بالناس ليكف عن جراته .

والحسن هو القائل رضى الله عنه فان الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها « واصبروا ان الله مع الصابرين » فلستم ايها الناس نائلين ماتحبون الا بالصبر على ماتكرهون

وهو لم يتنزل عن الخلافة الا رغبة فى حقن الدماء ولم يتنزل عنها خوفا من تبعاتها فانه كان يرى نفسه لذلك اهلا - وتلك خطبته بعد النزول عن الخلافة .

انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله وليس الخليفة من سار بالجور ذلك ملك ملك ملكا يمتع به قليلا ثم تنقطع لذته وتبقى تبعته « وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين »

ولعل الحسين رضى الله عنه اصدق من عبر عن معنى حقن الدماء فى تنازل اخيه عن الخلافة اذ قال مفاخرا بنى اميه « هداكم الله باولنا وحقن دماءكم بآخرنا »

لله در الحسنين وللحديث بقية

بقية مقال « بيت العنكبوت »

ويكون مثل الكافرين الذين اتخذوا من دون الله أولياء، مع ان الله أنعم عليهم بالسمع والعقل ، يكون مثلهم كمثل انثى العنكبوت التى اتخذت بيتا لا يحمى من الشمس ولا من الرياح - مع ان الله اعطاها خيوطا رقيقة فيها من القوة والمقدار ما يكفى لبناء بيت قوى متين - ولكن العنكبوت ضيع قوته ومجهوده وترك لأنثاه بناء البيت العريض الذى اسس وصمم على شكل شبكة للتربص والاقتناص.

وان أوهن البيوت لبيت هم صاحبه هو اتباع الهوى والانقضاض على الفريسة والعيش عليها ، ولم يتخذ البيت للسكن والراحة والستر ، وذلك هو الطيش بعينه وليس أكبر من هذا الغباء الا الضلال المبين للذين يتخذون من دون الله اولياء « لو كانوا يعلمون » هذه الحقائق العلمية التى عرفت بعد نزول القرآن الحكيم بمئات السنين .

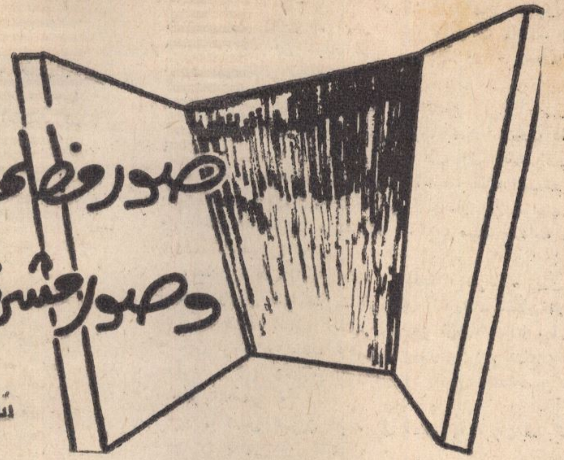

صور مظلمة من الماضي البغيض وصور مشرقة من الحاضر السعيد

للاستاذ محمود لطفي عبد الكريم

اعرض هــذه الصور على انظار القراء ليروا بعد المسافة بين ماكانت عليه الحال قبل الثورة ، وماصارت اليه بعدها ، وليروا ايضا الى اى مدى يسىء الى بلادنا العزيزة كل من يعمل او يفكر في الانتقاض على هذا النظام الذى نعيش الان فى ظله .

(١) قضيت اكثر من عشر سنوات في احد بلاد الصعيد ، وكان ذلك قبل الثورة ، وكنت وقتذاك محاميا ، وحان موعد الانتخاب لمجالس النواب ، وتقدم للترشيح عن الدائرة الانتخابية التى كنت اقيم فيها شخصان ، ينتمى كل منهما الى حزب من الاحزاب السياسية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ، وكان احدهما من اقوى اسرة بالدائرة . فاخذ عميد هذه الاسرة - وكان يحمل لقب الباشوية - يطوف على الناس فى بيوتهم داعيا لانتخاب قريبه ، وفى احدى الليالي مر بموكب امام المبنى الذى يضم مكتبى ، والذى كان كذلك مقرا للجنة الشبان الوفديين ، فاصيب هذا الموكب بحجر ، وكان يسير فى هذا الموكب احد وكلاء المحامين من بطانة الباشا ، فاسر اليه بان ذلك من تدبير لجنة الشبان الوفديين التى يراسها فلان « يقصدنى انا » ، ويعلم الله انى ما كنت فى يوم من الايام وفديا ولا غير وفدى ، فقد كنت امقت الاحزاب السياسية جميعا ، بسبب منهجها الذى يعرفه كل من عاصر هذه الاحزاب .

وارسل الباشا فى طلبى ، ولم تكن تربطنى به ادنى صلة ، وذلك بسبب ابتعادى عنه ، اذ انه كان لايسمح لاحد ان يعتبر نفسه ندا له ، بل كان يتخذ من كل المتصلين به اتباعا ياتمرون بامره ، وفوق ذلك . كان رجلا جبارا ، يقتل من يشاء ، ويجلد من يشاء ، ويحبس فى سجن داره من يشاء ، دون اعتراض من المسئولين على هذه التصرفات .

من اجل كل هذا كنت اعمل على ان لاتوجد اى فرصة للتعارف بيننا ، فكان طبيعيا ان ارفض الذهاب اليه ، لا خوفا من شيء ، وانما رغبة منى فى ان تظل صلتى به مقطوعة ، واذا بالشخص الذى وشى بى اليه يحضر الى ويقول : ان الباشا فى اشد الحاجة الى مقابلتك لياخذ رايك في موضوع يهمه فذهبت معه متورطا . وانا اظن انه ربما يريد تكليفى ببعض الاعمال القضائية ، واستقبلنى الباشا فى قصره ، وكنت اتوقع ان لسانه سينطلق بعبارات الترحيب بى ، خصوصا وان هذه اول مقابلة تتم بيننا ، ولكن ماكان اشد دهشتى حين اخذ يستجوبنى على الوجه الاتى :

س - انت يا استاذ رئيس لجنة الشبان الوفديين ؟

ج - لا

س - يقولون انك رئيس هذه اللجنة ؟

ج - لا علاقة لى بهذه اللجنة ولا بغيرها

س - وماصنع فيك اذا كان عقد ايجار اللجنة باسمك ؟

ج ١٠ - اصنع ما تريد

وعندئذ اراد احد الحاضرين ان يبرئنى امام الباشا من هذه التهمة فقال مدافعا عنى : ان فلانا « ضيف » على هذه البلاد وليس من اهلها ، وانه من جهة المنصورة

وما ان سمع الباشا هذا وايقن انه ليس لى بهذا البلد « ظهر » يحمينى حتى نهض واقفا ، وصاح باعلا صوته قائلا : « وكمان يا ابن ... تبقى غريب وتفعل كل هذا وتهيج على البلد » ، ثم شفع هذا بصفعة قوية على وجهى ، وصاح فى زبانيته :

« جروه جوه ، كرباج ياولد لابد من قتلك يا ... سوف لا يعرف الطير لك طريقا » .

ثم قادنى زبانيته الى غرفة اخرى صغيرة تشبه السجن وبقيت فيها الى ان شفع لى احد الحاضرين فاطلق سراحى .

وحدث بعد ذلك مالا داعى لذكره ولكن ختام القصة ان هذا الباشا قتل بعد ستة ايام من هذا الحادث بيد بعض خصومه .

× × ×

(٢) زارنى فى يوم من الايام - وكنت لا ازال فى الصعيد - احد الفلاحين . وكان يبكى بكاء حارا ، ولما سالته عن سبب بكائه اخبرنى بانه استاجر فدانا وزرعه اذرة شامية ، وكان يسهر على خدمته هو وزوجته وامه وماشيته . وعند جنى المحصول ذهب صاحب الارض الى الاذرة وهى لا تزال فى الحقل ووزنها فى مكانها ، فوجد ان قيمتها تنقص عن قيمة الايجار بمائة وستين قرشا ، فحال بينه وبين اخذ شئ من المحصول ، واخذ عليه كمبياله بمائة وستين قرشا .

وكذلك كانت الامور تسير بين الملاك والمستاجرين فى ذلك العهد الاغبر .

ثلاثة اشخاص يصلون ليلهم بنهارهم فى خدمة قطعة ارض صغيرة استاجروها ليعيشوا منها ، حتى اذا آن لهم ان يستفيدوا من نتيجة كدحهم طردوا من الارض وحرموا من ثمرة كفاحهم . وطولبوا بعد كل هذا بمائة وستين قرشا .

فاى ظلم ، واى استغلال ، واى استعباد بعد هذا ؟

× × ×

(٣) وقبل الثورة ايضا - وكنت قد نزحت الى القاهرة - ذهبت فى احد الايام الى حلوان البلد لامر خاص وهى غير حلوان الحمامات المعروفة .

ولقد اثار عجبى انى عند دخولى هذه القرية ، وعند خروجى منها لم اتمكن من السير الا مستندا الى جدران البيوت التى فى ظاهر القرية ، اذا لم يكن يفصل بين الزراعة وجدران البيوت الا نحو نصف متر او اقل من ذلك ، ولما سالت عن سبب ضيق الطريق الى هذا الحد قيل لى : ان احد امراء البيت المالك سطا على اطيان هذه القرية فاغتصبها من اهلها بالقوة ، وبدون مقابل . وقد ابى عليه بغيه وعتوه ان يترك للناس طريقا يمرون فيه ، فزرع فناء القرية الى الجدران ، استكثارا من السحت الذى كان يعيش فيه هو وافراد عائلته الفاسدة

× × ×

(٤) وقبل الثورة ايضا ، كان يفتت الاكباد ، ويفرى القلوب منظر الاحداث المشردين وهم يفترشون ارصفة الشوارع فى ليالى الشتاء الا خرقا مهلهلة لا تستر من اجسادهم الهزيلة الا القليل ، ولن انسى ابدا ما حدث فى صباح احد الايام وقتذاك ، حين اراد احد تجار باب اللوق ان يفتح حانوته ، فقد فوجئ ببضعة غلمان مستغرقين فى النوم امام متجره فايقظهم ليتمكن من فتح الباب ، فهبوا من نومهم الا واحدا ابى ان يستيقظ لانه كان قد مات من شدة البرد .

× × ×

(٥) ولقد كان الدين قبل الثورة هدفا لاقلام الملحدين ، فهذا ينكر وجود الله ، وذلك ينال من رسول الله ، وغيرهما يطعن فى كتاب الله ، كل ذلك باساليب مكشوفة فاجرة .

وكان مظهر احترام الدين عند المسئولين وقتذاك محصورا فى مواكب صلاة الجمعة فى بعض المناسبات وحضور حفلات بعض المواسم الدينية .

وكان من المفاهيم الدينية فى هذا العهد ان الناس درجات ، فالفقراء والعمال لهم الحرمان والهوان والازدراء ، والراسماليون والاقطاعيون لهم الرفاهية والكلمة النافذة ، بحجة ان الدين هو الذى وضع هذه الحدود . الم يقل الله فى كتابه العزيز : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ؟ والويل لمن يحاول بيان مقصود الله من هذه الاية الكريمة ، انه يساق من الدار الى النار بتهمة الشيوعية .

× × ×

والان وفى عهد الثورة المبارك ، اصبحت عائلة الباشا الجبار ، وغيرها من العائلات المماثلة ، كسائر عباد الله ، مواطنين عاديين ، واختفت تلك الكلمات التى كانت تؤذى اسماع الناس وتنال من كرامتهم ، من امثال « اضربك ، اقتلك ، اخرب بيتك ، انت مش عارف انا مين ؟ »

وبعد ان كان العمل عارا والبطالة شرفا ، انعكست الاية ، وصار للعاملين - فى ظل الثورة - المكان الاول

واصبح هذا الفلاح الذى خرج من ارضه مدينا بمائة وستين قرشا ، يملك ارضا يزرعها ، وينتفع وحده بخيرها ، لان الاصلاح الزراعى وزع ارض الاقطاعيين على الاهالى المعدمين .

وردت ارض حلوان البلد الى اصحابها ، بل لقد كان ذلك من اول اعمال الثورة .

واختفت من امام ابصارنا مناظر الاحداث ، الذين كانوا يملاون ارصفة الشوارع وعادت اليهم آدميتهم ، ورد اليهم اعتبارهم

واصبح احترام الدين حقيقة لا وهما ، وموضوعا لا شكلا ، واختفت تلك الافلام الفاجرة ، التى كانت تتخذ من الدين مادة لسخريها وعبثها .

ولاشك ان مرجع هذا الى حزم المسئولين ، واتجاهاتهم الاسلامية الصادقة .

ولقد كان من نتائج هذه الاتجاهات تصحيح عقائد الناس ومفاهيمهم الدينية .

فبعد ان كان الناس يفهمون ان المقصود بقوله تعالى : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » هو التفاوت فى الاموال والاحساب والانساب - كما اسلفنا اذا بهذا العهد المبارك الذى نعيش فيه الان ينير طريق المعرفة امام الناس ، حتى فهموا اخيرا ان المقصود منها هو التفاوت فى العمل ومايقدمه كل انسان لربه من طاعات ، ولامته من خدمات .

وبعد ان كانت المطالبة باذابة الفروق بين الناس ، والقضاء على نظام الطبقات شيوعية يعاقب عليها باشد العقوبات ، اصبحت المطالبة بذلك الان تحقيقا لمبدا من اهم مبادئ الاسلام ، وتطبيقا لقول الله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، ولقول رسول الله - صلى الله عليه اسلم - « لا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى »

واصبحت - بفضل الثورة - خيرات البلد لجميع ساكنيه ، لا وقفا على فئة خاصة من الناس ، واصبح قول الله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » حكما منفذا ، لا ذكرا يتلى فقط .

× × ×

ان على سكان الوادى جميعا ، رجالا ونساء ، شيبا وشبانا ، ان يكونوا دائما على اهبة الاستعداد لرد عادية الرجعية المتربصة بنا والاستعمار والصهيونية من حولنا .

ان صيانة هذا البناء الشامخ الذى اقامته الثورة لنا امانة فى اعناقنا جميعا .

لا يمكن ابدا ان نعود الى عصر الظلام وفينا انفاس تتردد ، وقلوب تنبض بالحياة

الصيام إعداد وتوجيه وتربية وسلوك

الأستاذ منصور نسيم

الصيام كركن من اركان الاسلام له هدفه وغايته وله منهاجه وخطته .. يرمى اولا وقبل كل شىء الى تهذيب النفس البشرية وكبح جماحها عن الملذات والانغماس فى تيارات الشهوات الدائمة ، وبيل كافة المطالب والرغبات فى حينها ... والصوم الاداة الاولى لخلق المؤمن النقى البعيد عن المهاترات ، وهو فى الوقت نفسه الدعامة القويمة لصفاء الروح صفاء يدفع بها فى طريق الايمان الصادق والاحساس بالمسئولية تجاه الدين وتعاليمه عن فهم ووعى ..

واذا كان الصيام حرمان المادة بالجوع والعطش ، ففيه اشباع الروح بالشفافية والاشراق ، وعلى قدر مافى الصيام من سلبية لمقومات المادة من الغذاء والملذات ، تكون الايجابية لمقامات الارواح فى مراقى الصفاء ، وحينئذ يصبح الانسان نورانى الخواطر ، ربانى السلوك ، وعلى قدر انغماس المؤمن فى صومه وتفاعله مع مثله تكون حواسه ومظاهره التعبير الحى عن مكنون صدره ، حيث تنبسط نفسه للخير ونوازعه . ويذوق حلاوة الطاعة . ويحس مباهج الورع ، والتجاوب مع صفاء الروح ونقائها . لان الصوم الحقيقى ينتقل بصاحبه فى مدارج النمو والوعى السليم لمثل الاسلام واهدافه عن طريق الايمان الحق . دون انحراف او مبالغة . ونعنى بالصوم الحقيقى : الصوم النابع عن عقيدة اكيدة وايمان عميق ، واحساس باداء ركن من اركان الاسلام لا يبغى به صاحبه سوى ارضاء خالقه جل وعلا وتنفيذ توجيهاته .

وهنا يتجلى الصوم امام الحس والنظر فى صورة شفافة بعيدة عن الهوى ، عمق مغزاها فى ادائها كاملة غير منقوصة .. وهذا الكمال يعنى الاخذ بمثل الصوم وتعاليمه فى اطار تعويد النفس على الصبر وتحمل المشقات دون مضض او تبرم ، والبعد بها عن الانزلاق فى مهاوى الحب للشهوات .

وكلما عمق الانغماس ، وانصهرت النفس فى بوتقة التفاعل الدينى ، صفت الجوارح وتجاوبت لتحلق الروح فى سماء الحب الالهى ، وتذوب فى مجالات التوجيه الربانى ، وهنا تسمو الارواح وتتجاوب مع مشاعر من يحيطون بها فى لحظة من الصفاء والاطمئنان كلها احساس وتقدير وعمل .

اذا تحقق المسلم بصومه حكمة ربه ، صلح جسده بصلاح قلبه ، وعفت جوارحه عن محارم الله ، وتنزهت افكاره عن خواطر السوء ، ونزعات الشر ، واستحق ان يكون صيامه اشرف اعماله ، كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى : « كل عمل ابن ادم له الا الصوم ، فانه لى وانا اجزى به » والمقصود من حكمة الصوم فهم الصوم على حقيقته بالا نحشد عند الافطار الوانا من الطعام والشراب . نسرف فيها كما ، ونفتن فيها كيفا ، ونجمع مافات من وجبات . نزحم بها موائدنا ، ونرهق مواردنا . فما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه »، ومع الجوع اى طعام مرىء ، ومع العطش اى شراب هنىء ..

والمسلم الصادق من يذكر عند فضول موائده من لا يجد كفافا ، ويتحسس باريحيته من لا يسال الناس الحافا .. والمؤمن كيس فطن ، يسبق بالنوال ولا يلجىء

الفقير الى ذل السؤال « ويجعل شكر نعم الله عليه لعف بر ، وسماحة معونة .

والصيام ثقافة روحية للمرء ونقاهة حسية للبدن . يحلق فى اجوائها كل من عمر قلبه باليقين ، وتفاعلت حواسه بالتعاليم ، ومدة الصوم فترة للتربية الاسلامية والوعى الدينى ينعكس صداها على تصرفات المؤمن خلال بقية العام ، حتى اذا بعدت الشقة ، وتاقت النفس بحكم ماركب فيها من شهوات ونزوات عادت فترة التربية مرة ثانية .. وهكذا ينقشع ظلام النفس وضلالها اولا باول ليعود اليها صفاؤها وشفافيتها لتقبل على الدين ، ترتشف من ينبوعه وعرفانه ، وتتفاعل مع توجيهاته عن دراسة وفهم وعمل ، ولكن العمل هنا اساس عميق الهدف فى التفاعل والتجاوب ، ومجال للتفانى فى لذة الحب والتمتع الروحى والحسى عن طريق العبادة .

ان الايمان الذى وحد العقيدة فى اله واحد ، ووحد الاتجاه فى الصلاة الى كعبة واحدة ، ووحد الدستور فى كتاب مبين ، وسنة مبينة ، وحد بيننا فى الصيام فحين نسمع « الله اكبر » مطلع الفجر نمسك ، وحين نسمع « الله اكبر » غروب الشمس نفطر ، فياله من جلال ، يحرم بكلمة ، ويحلل بكلمة .. فلو انكم استقبلتم كل نواهى الله بالاعراض عنها ، وصدعتم لاوامره ، فاقبلتم عليها ، لعشنا فى عالم فاضل ، ومجتمع سعيد ، قوامه مشاركة فى الخير وتعاون على البر ، وتواص بالحق والصبر .

والصيام منذ وجدت الخليقة دعامة الدين ، ورمز الصفاء ، واداة الاحساس ، والتفاعل ، وسنام العقيدة، وحجر الزاوية فى الايمان والفهم ، ووقاية النفس ، وتربية الروح ، ولب الخوف ، ومطية الامل ، وغاية الفهم ، به يسمو خلق الانسان ويعمق ايمانه ، ويعلو فى درجات العلم الدينى ، والسلوك الدنيوى ، ومن هنا كان صوم شهر رمضان فريضة رئيسية على الامة الاسلامية كفريضته فى الاديان السالفة ، قال تعالى « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » والمقصود هنا من قوله تعالى « الذين من قبلكم » جميع الامم التى سبقتنا من اهل الكتاب . ولقد عرفه الجاهليون قبل البعثة المحمدية ، وتعبدوا به فقد روى البخارى بالسند عن السيدة عائشة رضى الله عنها ان قريشا كانت تصوم يوم عاشورا فى الجاهلية ، ثم امر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصيامه حتى فرض رمضان .. قال صلى الله عليه وسلم « ان الله فرض صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه فمن صامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه » .

فالصوم اذن من العبادات القديمة التى اقرتها الشرائع السماوية ، وقد اهتدى اليها الجاهليون حتى جاء الاسلام ففرضها على المسلمين ، وجعلها فى شهر رمضان من كل عام . قال تعالى « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقد ترسم خطى المؤمنين الصادقين ، واستراحت نفسه لموسم جعل الله فيه العبادة سنام العبادات والطاعة فيه منهج الطاعات .

عباد الرحمن

عندنا قصة طويلة ، هى قصة الذين أطلقوا على انفسهم صفة الاخوان ، سوف لا تنتهى الا فى زمن له ذيول طويلة ، سيراها الناس على حقيقتها ، وقدعرضت على القضاء ليرى فيها رايه العادل .

كما ان فى التاريخ المعاصر قصصا مغايرا ، هو قصص الاخوان فى الله ، الذين اتخذوا الهداية طريقهم ،وعبادة الرحمن دينهم ، فكانوا فى الحياة من المرشدين ، وسيكونون فى الاخرة من الفائزين ، ولنضرب مثلا واحدا لهم ، هو مثل الاخوان السنوسيين ، جيراننا الاقربين .

السنوسيون نسبوا الى السيد محمد بن على السنوسى مؤسس طائفة الاخوان الصالحين ، وقد جاء بعده ولده السيد المهدى ، ثم السيد أحمد ، ثم السيد أدريس زعيم هذه الطائفة الان ، والقائم بالامر فيها .

اما السنوسى الكبير مؤسس الاسرة فانه ولد فى الجزائر عام ١٢٠٠ هـ ، وهو من نسل الرسول صلوات الله عليه ، وقد أخذ علمه النافع فى ثلاثة مواضع،جامعة القيروان وفاس ، ومكة . وقد أخذ طريق التقشف فى حياته ، وتمكن من نفسه اليقين بان الدين فى حاجة الى ان يرجع به اهله الى الصورة الصافية التى كانت له فى صدر الاسلام ، واخصها تعاليم الرسول صلوات الله عليه ، ولهذه العقائد التى ملات نفسه رجع من مكة الى برقة ليزرع فيها تعاليمه وعقائده التى راى لتحقيقها انه لابد من ثلاثة أمور تمهد لها ، وهى الزاوية والاخوان والوكيل الذى يقوم مقامه .

كان تأسيس هذه الزوايا فكرة صائبة ، وهى عبارة عن غرف ، فى أولاها تلقى دروس الدين على الاخوان ، والثانية مضيفة لمن يسمعون بالشيخ فيزورونه والثالثة للسكنى الدائمة للاخوان ، الذين هم الأعضاء العاملون

إخوان الشيطان

الأستاذ حسن الشيخة

في نشر الدعوة السنوسية ، وقد لقي الشيخ والاخوان في طريق دعوتهم اخوانا للشياطين ، كما هو الحال عندنا في مصر ولكن مع الفارق ، فان اخوان الشياطين الذين في برقة كانت شيطنتهم في محو كثير من أركان الدين ، لا في تخريب ولا في اغتيال ، فقد زين شيطان اخوان برقة لهم أن يوسوسوا مكانا سموه بالكعبة ، ليصرفوا الناس عن حج بيت الله الى كعبتهم ، وأن زيارتهما تقوم مقام حج البيت المحرم ، دون أن يتكلفوا سفرا ولا مشقة ، ولم يكفهم ذلك ، بل ارادوا أن يتحللوا من صيام شهر رمضان ، فابتدعوا لذلك بدعة من بدعهم ، هي أن يذهبوا الى واد عندهم معروف بقوة رجع صدى الصوت اذا زعق الانسان فيه ، فيزعقون بملء اشداقهم ايها الوادى هل نصوم رمضان أم لا ، فيرجع الصوت بالحرف الأخير وهو حرف « لا » ، فيوهمون قومهم بأن الله قد رفع عنهم صوم رمضان ، فيفطرون جميعهم ، لأن الأمر صدر اليهم بعدم الصوم .

رأى الشيخ انحرافا خطيرا يهدد الحياة الدينيــة بالزوال عند هؤلاء البدو ، فاخذ يرشد ويحذر ،ويضع النصائح والارشادات ، مثل أن يقول لهم :

« اسالكم ان تطيعوا أوامر الله ورسوله ، فتؤدوا الصلوات الخمس ، وتصوموا رمضان ، وتؤدوا الزكاة ، وتؤدوا فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، وتجتنبوا ما نهى الله عنه ، من الكذب والغيبة ، وابتزاز اموال الناس ، وشرب الخمر ، وشهادة الزور ، وغير ذلك مما امرنا الله باجتنابه ، فاذا فعلتم ذلك اسبل عليكم نعمته الحلال الأبدية ، ومنحكم الخير والرزق الدائمين » .

ومن تقشفه وتقواه دعا كل من ينضم اليه أن يبتعد عن التزين ، والتحلي بالذهب والفضة والجواهر الا في زينة النساء ، وحرم تدخين التبغ لأنه يخشى أن يجر الى تدخين غيره من المغيبات .

ومن سننه التي سنها لقومه سنة حسنة تمنع قارة أفريقية الشكوى الأليمة منها ، هي الاتصال بالاجانب على أي الصور ، مخافة أن يفسدوا عليهم دينهم ، ليتفادوا من هذا الافساد الى كل ما يريدون ، وليس هذا فقط ، وانما زهدهم أيضا في الاتصال بالامم الاسلاميا التي انحرفت عن جادة الدين ، واتخذت من اسمه الكريم دعاية لأغراضهم البعيدة عنه ، كما هو الحال عندنا في اخوان الشياطين ولكنها والحمد لله فئة ليست بشعب ولا أمة ولا اجماع .

ولما مهد لنفسه الطريق المستقيم وكثرت اتباعه أراد أن يكون لدعوته مركز يكون موطن العلوم والعرفان ، أسس في الجغبوب الزاوية الــكبرى التي اصبح من اغراضها ان تكون مركزا للتوفيق بين القبائل المختلفة في هذه الصحراء الواسعة الارجاء ، والجغبوب وسط قبائل الشرق والغرب ، كان النزاع بينها مستمرا ، وقد نجح في رسالته بان اصلح بين المتخاصمين ، وانقطعت الاغارات التي كانت مستمرة بين قبائل الشرق والغرب ، ولم يكتف بنشر الوئام في جغبوب بل تعداها الى قبائل برقة ، فقضى على ماكان فيها من نزاع بينهم من قديم الزمان .

بلغت الثقة بالشيخ من اشقياء الاعــراب الى ان يعرضوا عليه نصف أملاكهم التي كانوا احتازوها من قطع الطريق على الناس ، وكان مركزهم القرية المعــروفة بالكفرة . اذا رضي بان يوسس لهم زواية ينشر فيهــا تعاليمه ، وقد اسست هذه الزاوية فعلا فانقطع القوم عن قطع الطريق ، وعن كل ما يجره من موبقات .

لم يمت الشيخ حتى اصبح جميع البدو المقيمين على حدود مصر الغربية ، وفي جميع نواحي برقة وطرابلس من تلاميذه وأتباعه من المهتدين ، وانتهت حياته عام ١٢٧٦هـ ودفن بالجنوب وهو في الرابعة والسبعين من عمره ،فاذا نحن قارنا تاريخ انتقاله من مكة الى ليبيا وأطرافها وهو في سن الخمسين علمنا أن جهاده متجــولا أو مقيما في الزوايا التي أسسها هو حوالي ربع قرن ، هدى فيه الضالين ، وعدل فيه المنحرفين ، وجعل للدين الاسلامي في هذه الأصقاع الكلمة العليا ، والنفوذ الكبير ، وكأنه قد فتح هذه الأصقاع فتحا مبينا ، ووضع فيهــا من البذور الصالحة ما تجنى ثمرته الى الان ، وهكذا يكون الزعماء الصالحون ، والقادة الدينيون .

هذا هو المؤسس الديني الأول في ليبيا ، وقد خلف من بعده خلف اتخذوا سبيله منهجا ، هم ابنه محمد المهدي ، الذي كان في اقتفاء اثر أبيه اية ونعم الاية ، وقد أوفى على الغاية ، ورفع الراية من بدايتــه الى النهاية .

ثم تتابعت هذه الأسرة الشريفة بالتناسل الى ان وصلت الى عاهلها القائم الآن كأحسن ما يكون القيام وافضل ما يكون الحكم .

الأستاذ كامل عبد المجيد

فى مؤتمر القمة العربى الثالث

« اذا كنا اليوم نجتمع فى اطار عربى فانى أود ان أؤكد أن مجالات النضال متشابكة وبالتـــالى فان الارتباط « المصيرى بينها مؤكد .. ان المهمة باختصارهى تحرير فلسطين ، انها الحركة الشاملة للأمة العربية من أجل تحررها السياسى والاجتماعى والاقتصادى وانى لأود أن أضغط بالتأكيد على أنه لا يمكن الفصل بين تحـرير فلسطين وبين الحركة الشاملة للأمة العربية » .

(من خطاب عبد الناصر فى المؤتمر)

ان انعقاد مؤتمر القمة العربى الثالث فى مدينة الرباط، المدينة التى تطل على المحيط الأطلسى ، يعتبر فى حد ذاته أمر له دلالته ، اذ يوضح مدى الوحدة القائمة بين البلاد العربية من الخليج الى المحيط . هذه الحقيقة أشـار اليها صانع السلام وجميع الملوك والرؤساء فى حفل افتتاح المؤتمر يوم ١٤ سبتمبر (أيلول) .

وكان هذا المؤتمر خطوة الى الامام للمقـدمات التى سبقت موعد انعقاده نحو تحقيق التضامن العربى الذى بلغ ـ من خلال هذا المؤتمر ـ مرحلة لم يبلغهـا فى اية مرحلة سابقة ، ويكفينا اشارة الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب الافتتاح الى « ايجابية ما توصلنا اليه مع اخواننا فى المملكة العربية السعودية بهدف توطيدوتوفير السلام فى اليمن » الذى فتح آفاقا جديدة للتعاون العربى داخل المؤتمر .

ولقد بدأ مؤتمر القمة الثالث بداية طيبة ، وتم الاتفاق بالاجماع بين وزراء الخارجية على جدول أعمال المؤتمـر والنقاط التى تناقش فيه ، وتمت قبل انعقاده سلسلة من الاتصالات التمهيدية الهامة بين الملوك والرؤساء من ناحية ، وبين القادة العسكريين من ناحية أخرى .. وهذه أيضا عوامل أكدت نجاح المؤتمر .

وكان أول قرار يتخذه الزعماء العرب فى بداية الجلسات هو القرار الواعى بوقف الحملات الصحفية والاذاعية فى

البلاد العربية .. كان ذلك القرار المبكر - الذى صدر قبل ان يصدر الجانب الاساسى من قرارات المؤتمر توصياته - انما يدل على روح الأخوة والتضامن التى سادت المؤتمر وحققت له النجاح الفعلى . كما أن هذا القرار الاجماعى قد رد - بصورة عملية وواقعية - على الأبواق الناعبة التى كانت تزعم كل يوم ان الخلافات العربية اكبر من أن تسوى . وهذه هى النغمة التى كان يرددها أعداء العرب دائما .. استحالة اللقاء العربى .. ولكن هذا القرار الأول قد ألقمهم حجرا ، بعد ان كانوا يسعون دائما الى تحريك العملاء وافتعال المشاكل والأزمات بين أبناء الامة العربية لكى يشغلوهم باسباب الفرقة المصطنعة ، وبالصراع الداخلى عن المعركة الخارجية .

ولكن .. بعد أن كانت قضايا ومشاكل مختلفة - مثل قضية اليمن والخلاف العربى بشأنها - هى القوة الأساسية التى كانت الجبهة المعادية تستغلها فى سعيها ومحاولاتها لتفريق الصف العربى ، أصبحت قضية اليمن بالذات ، قبل أن ينعقد المؤتمر - وبعد اتفاقية جدة - أساسا لتقوية الوحدة والتضامن العربى بين الدول العربية .

وعلى أى حال ، فقد كانت الخلافات العربية - ان وجدت - هى خلافات على الطريق المؤدية الى هدف واحد ، وهى خلافات فى اطار الأمة الواحدة والغايات المشتركة ... ولهذا فعندما يجتمع العرب تتراجع الخلافات الى الوراء وتبرز الى الامام الوحدة والتضامن .. وهذا ما حدث فى الدار البيضاء فى هذا المؤتمر -كما حدث قبل ذلك فى كل المرات السابقة التى اجتمع فيها العرب والتقوا بنية صادقة .. ولعل أفضل دليل على ذلك هو تعليق راديو موسكو على المؤتمر حين قال : « ان مؤتمر رؤساء الدول العربية يواصل أعماله تحت شعار تعزيز الوحدة العربية ضد الاستعمار ، وان حديث الرئيس جمال عبد الناصر عن قضية فلسطين وعن الحل السلمى الذى توصلت اليه الجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية بالنسبة لمشكلة اليمن هو نجاح كبير للشعوب العربية » .. وحقا توصل الملوك والرؤساء العرب الى تصفية كثير من الخلافات والوصول الى كثير من اتفاقات وبذلك يكون المؤتمر - دون شك - قد حقق تقدما ملموسا فى الموقف العربى .

واذا كان أعداء العرب قد اعتبروا أن تغيب بورقيبة يعد نصرا كبيرا لهم - فانهم بلعبتهم هذه - قد قدموا للمؤتمر - من حيث لا يدرون - خدمة جليلة ، اذ ان غياب بورقيبة كان عاملا آخر من عوامل نجاح المؤتمر ، وكان حضوره سيثير من دواعى الخلاف والنزاع أكثر مما كان سيعود باى فائدة على الأمة العربية وعلى المؤتمر .وكان الزعماء العرب يقظين لجميع المحاولات الاستعمارية التى تبغى التفتيت والانفصال فلم يسمحوا بان يدعوا مجالا للطامعين بينهم .

واذا كنا نحن العرب فى هذا المؤتمر - كما أكد الرئيس عبد الناصر - نعيش فى عالم يحفل باسباب التفجر ولا نستطيع ولا نملك أن نحصر اهتمامنا فى تطورات بلادنا فقط ، ولا نستطيع أيضا أن نتجاهل ما يجرى حولنا ... اذ اننا لا نستطيع أن نتجاهل الصدام بين الهند وباكستان او ما يجرى فى فيتنام او فى اجتماعات نزع السلاح ، لأن كلا من هذه القضايا تؤثر تأثيرا مباشرا على حركات التحرر الوطنى وعلى علاقات القوى فى العالم ، وبالتالى على حياتنا فى يومنا وغدنا وذلك « لان ما يجرى حولنا يعنينا ويتصل بنا ونحن نعيش فى عالم ملىء باسباب التفجر ولا نملك أن نحصر اهتمامنا على ما يجرى فوق أرضنا وحتى لو قلنا بذلك فليس هناك من ضمان يصد عنا ردود فعل الاحداث العالمية وعواقبها »

واذا كان المؤتمر الثانى للزعماء العرب قد حقق الكثير؛ يكفينا ان نذكر اتفاق جدة وقيام منظمة التحرير الفلسطينية وتخصيص المبالغ اللازمة لحماية مشروعات تحويل نهر الاردن ، فان المؤتمر الثالث قد ارسى قواعد واضحة للتضامن العربى جرى الالتزام بها على مستوى الملوك والرؤساء ، وتحددت وتركزت - من خلاله - الاهداف الكبرى للامة العربية ، وكذلك موقفها من القضايا العالمية التى تهدد السلام العالمى وتمس حق الشعوب فى التحرر والنمو .

واذا كانت مهمة المؤتمر كما قال جمال عبد الناصر « هى باختصار تحرير فلسطين » فقد كانت ايضا « الحركة العربية الشاملة للامة العربية من أجل تحررها السياسى والاقتصادى والاجتماعى » لانه لا يمكن الفصل بين تحرير فلسطين وبين الحركة الشاملة للامة العربية.

وفى قرارات المؤتمر أجمع الملوك والرؤساء العرب على تعزيز القوات العربية لتستطيع تنفيذ خططها الدفاعية الشاملة وتحقيق أغراضها ضد العدوان الصهيونى .. تأكيدا للحق العربى فى فلسطين الذى كان السبب الأول لاجتماعهم فى المرة الاولى .. كما اتخذ المؤتمر عدةقرارات سرية خاصة بالخطة العسكرية لتحرير فلسطين وحماية مشروعات المياه وقوات الدعم التابعة للقيادة العربية الموحدة .

وأيد المؤتمر أيضا فى قراراته نضال الشعب العربى فى الجنوب المحتل من أجل تحرير أرضه .. تحقيقا لمبدأ التضامن العربى ومناصرة الشعوب التى تناضل من اجل الحصول على حريتها .. وايضا تأكيدا لقرار اخر من قرارات المؤتمر وهو المطالبة بتصفية القواعد العسكرية الاجنبية وتصفية الاستعمار فى المناطق المحتلة من آسيا وأفريقيا .

وفى المجال الآسيوى الافريقى ، طالب الزعماء فى بيانهم التاريخى بضرورة وقف القتال فورا بين الهند وباكستان واعتبار منظمة الوحدة الافريقية مهمة وضرورية لشعوب القارة ، واكدوا ضرورة انعقاد مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية .

وبالنسبة للموقف الدولى ، فقد تناول البيان التاريخى سياسة التعاون العربى مع الامم المتحدة والمنظمات الدولية ورحبوا بنزع السلاح ووقف انتشار الاسلحة النووية فى العالم ..

وأيضا أيد البيان قرارات مؤتمرى القمة العربى الأول والثانى .. وتناول الموقف العربى الراهن .

ان الجو الذى ساد المؤتمر قد زاد من قوة التضامن الآسيوى الافريقى واظهر العرب كقوة فعالة فى المجتمع الدولى وفى حل المشكلات التى تهدد السلام - وسوف يؤدى هذا بالتالى - الى اضعاف القوى المناوئة للعرب فى المحيط الدولى كما انه سوف يخدم القضية الكبرى للامة العربية وهى استرداد فلسطين .

ان الروح التى سادت مؤتمر القمة الثالث وقراراته تعد كل الدلائل على أن العرب على مستوى المسئولية وعلى مستوى الاحداث الكبيرة التى تواجه الامة العربية. وان قرارات هذا المؤتمر تعطى الشعب العربى فرصة للبناء الداخلى ومواجهة مشاكل النمو . ولا يفوتنا هذه الاشارة الى نتيجة هامة وضرورة ملحة أملتها التجربة العملية على الشعب العربى .. وهى مشروع «التضامن العربى» .. فقد وضع مؤتمر القمة مشروعا للتضامن العربى سيكون بلاشك ميثاقا للتعامل بين الدول العربية ودستورا تلتزمه فى العلاقات القائمة بينها ... وهذه كلها خطوات حاسمة نحو التقدم الى العمل العربى الموحد .. فى الوطن العربى الواحد .. بين أبناء الشعب العربى الواحد .

دراسات في التاريخ الإسلامي

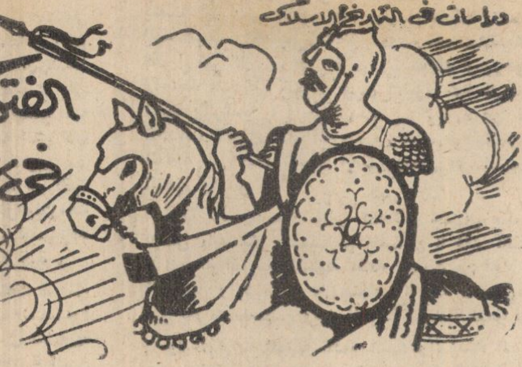

الفتوح الإسلامية الكبرى في عهد عمر بن الخطاب
فتح العراق

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

موقعة البويب

انتهت معركة الجسر بالصورة التى أوضحناها فى مقالنا السابق ، وقتل فيها أبو عبيد قائد المسلمين ، وعاد المثنى بن حارثة الشيبانى يتولى القيادة العامة كما حدث حين ترك خالد بن الوليد الميدان الى الشام كامر ابى بكر لينسى الروم وساوس الشيطان . واخذت قوات المسلمين فى التراجع تاركة من تركت قتيلا فى الميدان وهم كثير ، وعبرت الفرات متراجعة كما عبرته من قبل لتلقى الفرس .

ترى أيعبر بهمن جاذويه النهر وراءهم فيبيدهم عن آخرهم ويخلص أرض العراق من كل أثر من آثار المسلمين ؟! أم يكتفى بهذا النصر الكبير الذى احرزه فيبقى على فخار لم يتح لغيره من قواد الفرس قبله ؟!

لم يغب عن المثنى أن بهمن قد يتعقبه ، لذلك انحدر مسرعا بجنوده الى الحيرة ، ثم تابع انحداره الى الجنوب يريد مدينة أليس ، وهو يحسب لتعقب الفرس له ألف حساب . وكيف لايفعل وقد قتل عدد كبير من المسلمين فى الميدان ، وغرق منهم فى النهر عند التراجع قبل اعادة الجسر عدد آخر ، وفر ألفان من اهل المدينة افظعتهم الهزيمة فانطلقوا يريدون النجاة بانفسهم !.. لكن الاقدار كانت ابر بالمثنى وارفق ، فلم تعرضه لما تعرض له أبو عبيد حين غشت علي بصره فعبر الجسر فلقى حتفه وعرض المسلمين لهذه الهزيمة القاسية . ذلك أن بهمن جاذويه علم - والمعركة دائرة - أن الفرس بالمدائن انقسموا الى فرقتين : فرقة مع رستم ، والأخرى مع الفيزدان ، وكل منهما تناصب الأخرى العداء . لذلك عاد بالجيش الى العاصمة ، وترك بذلك الفرصة للمثنى ليعيد تنظيم قواته . ولم يتخلف من قوات الفرس الا فرقة يقودها القائدان جابان ومردانشاه . وسار هذان القائدان يتعقبان المثنى وفى حسابهما أنهما قادران عليه . لكن أهل أليس اطلعوا المثنى على ماترامى اليهم من أخبار الفرس ، فامتلات نفسه بالطمانينة ، وخرج برجاله وبمن انضم اليه من أهل أليس ، وفاجا القائدين الفارسين فأسرهما وجميع رجالهما وضرب أعناقهم جميعا ، ولم يكن المثنى قاسيا قسوة ليس لها سند من الحق يبررها ، ذلك أن جابان كان قد أسره أبو عبيدة فاستأمن على الا يقاتل المسلمين فأمنه على ذلك ، اما وقد غدر فرجع يقاتل المسلمين ويخفر ذمتهم ، فقتله بعد أسره هو العدل والحق .

وصل الفارون الى المدينة منكسى رءوسهم خزيا من عار الهزيمة والفرار ، ولم يقو بعضهم على لقاء الناس بها فنزلوا البوادى حياء أن يلقوا أهلهم فيعيروهم فرارهم وجبنهم . وعلم الخليفة عمر بن الخطاب بنبأ الهزيمة فلم يظهر جزعا ، وتلقى الخبر ساكنا ، ورأى حال الفارين فرق لهم ورحمهم وجعل يدافع عنهم ، ويدفع برم الناس وسخطهم عليهم .

فكان يقول : « اللهم كل مسلم فى حل منى ! أنا فئة كل مسلم . من لقى العدو ففظع بشىء من أمره فأنا له فئة . يا معشر المسلمين لاتجزعوا ! أنا فئتكم وانما انحزتم الى . يرحم الله أبا عبيد ! لو كان انحاز الى لكنت له فئة » . وكان معاذ القارىء اخو بنى النجار ممن فر يوم الجسر الى المدينة ، وكان يبكى كلما قرأ قوله تعالي : « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » . فكان عمر يقول له « لاتبك يامعاذ ! أنا فئتك ، وانما انحزت الى » .

يذكرنا هذا الموقف من عمر بموقف النبى صلى الله عليه وسلم من الجند المسلمين الذى عادوا من غزوة مؤتة بعد أن قتل قوادهم فيها ، فداور بهم خالد حتى ارتد بهم الى المدينة من غير ان ينتصروا على العدو . فقد جعل المسلمون فى المدينة يعيرونهم ويقولون لهم : « يافرار ! فررتم فى سبيل الله . » فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله » . لكن الارتداد فى يوم الجسر لم يكن كالارتداد فى غزوة مؤتة ، ولم يكن عمر كرسول الله رقة ورحمة ، لكنه مع ذلك كان رءوفا بالمسلمين الذين نكبوا فى الجسر ، فجعل من نفسه فئة لهم ، ووقف يدافع عنهم ، ويبدى لهم من العطف ماسكن روعهم وخفف عار هزيمتهم ، واقال نفوسهم من عثرتها ، وبذلك

حفظ عليهم كرامتهم وجعلهم بعدها احرص على أن يستروا مكانتهم ، وقد فعلوا كما سنوضح .

كان هذا شأن الخليفة عمر في المدينة بعد المعركة . اما المثنى فتحصن في أليس زمنا بعد أن قتل جابان ومردانشاه ورجالهما ، فلما أراح جنده ، جعل يفكر في موقفه بالعراق ومصير المسلمين فيه . انه قد صار موقفا حرجا ولاريب . ومتى اطمأن الأمر في بلاط الفرس بالمدائن فسوف تعود الجنود متراصة تتقدمها الفيلة لتهاجمه وقد جرأتها موقعة الجسر ورفعت من روحها المعنوية فقد حققت نصرا لم تحقق مثله من قبل مع المسلمين ، فماذا يصنع يومئذ بجنده القليل ؟ أفكتب القدر ان يعود سلطان الاكاسرة الى ماكان عليه في هذه النواحي ؟! ان يكن ذلك قضاء الله فلم يعد له ولا لجنده بالعراق بقاء ، والآن هو العودة الى أرض قومه بنى بكر بن وائل بالبحرين يقضى فيها بقية أيامه في ذكريات عزيزة مفرحة ولكن نهايتها قاسية مؤلمة .

لكنه المثنى الذي قال عنه قيس بن عاصم المنقرى يجيب عن تساؤل أبي بكر عنه « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد . هذا المثنى بن حارثة الشيباني » ، والحقيقة ان المثنى كان قائدا ممتازا . ومحاربا فذا ، له كل مواهب القيادة البصيرة الناجحة ، ولقد مرت به من قبل مواقف ليست دون موقفه هذا حرجا ولا دقة ، عالجتها عبقريته في قدرة وبصيرة ، ونجح حيث يمكن أن يلقى الفشل غيره من كبار القواد . ورجل ذلك شأنه ليس بالذي يستسلم أو يلقي بيديه مخافة ما تكنه الأقدار في حجب الغيب، فانما مثل المثنى من الرجال قوة تلقى بها الأقدار لتوجيه مصاير الأمم . فليعالج النكبة بما بما عرف عنه من صبر وحنكة ودقة ، وليستمد الخليفة فهو لاريب ممده ، وليصابر فان الحرب لايصلحها الا الرجل المكيث .

وكذلك وقف المثنى جلدا جريئا ، يواجه الأيام السود التى اعقبت موقعة الجسر ، وكادت تقضى على سلطان المسلمين بالعراق . ولم يكتف بطلب المدد من الخليفة ، فان مجيء الجند من المدينة يقتضي زمنا قد يواثبه الفرس فيه . بل اخذ يرسل رسله الى من يليه من قبائل العرب يستحثها ويثير فيها النخوة القومية ، فتوافت اليه القبائل في جمع عظيم ، بينهم قبائل النمر وتغلب النصرانية تدفعها الروح القومية ان رأت القتال بين العرب والفرس ، فقالوا نقاتل مع قومنا .

نقل المثنى عسكره من أليس الى مرج السباخ بين القادسية وخفان ليكون على مقربة من تخوم العرب (خفان علي الضفة اليمنى من الفرات من مكان يبعد خمسة وعشرين ميلا تقريبا الى الجنوب من الحيرة) يلجأ اليهم اذا غلبه الفرس ، ويلقى عندهم مددا جديدا اذا غلب الفرس . وما كان أشد حاجته الى المدد . وفي مرج السباخ اجتمع الى عسكره عدد عظيم من الجند اطمأن له ، فاقام ينتظر ما الله فاعل به وبالفرس.

لم يكن الخليفة دون المثنى قلقا على موقف المسلمين بالعراق بعد موقعة الجسر ، ولم يغب عنه أن المثنى بحاجة الى مدد سريع يواجه به الموقف الدقيق . وكان العرب يفدون الى المدينة من شتى انحاء شبه الجزيرة العربية منذ رفع الحظر عمن ظهرت توبتهم من أهل الردة ، فندبهم عمر الي العراق ، لكنهم كانوا يتحامون جبهة الفرس ويتثاقلون عنها ويبدون الرغبة في الذهاب الى الشام والاشتراك في غزوة ، ذلك ان الفكرة لدى العرب في ذلك الوقت كانت أن الفرس اقوى في الحرب من الروم ، وكانت عظمة فارس القديمة لازالت في اذهانهم . لكن جيوش المسلمين في الشام كانت قد انتصرت على قوات الروم في أجنادين ، واقتحمت بعد ذلك حصون اليرموك عند فتحة درعا ، وبذلك لم تعد في حاجة الى مدد سريع . ولذلك لم يرض عمر ان يشخص الناس الى الشام ، ولم يرغب احد في الشخوص الى العراق . وفي هذه الاثناء قدم جرير ابن عبد الله البجلي يطلب الى الخليفة أن يجمع قبيلة بجيلة ــ وكانت مشتتة في القبائل ــ وذكر أن رسول الله وعده بأن يجمع بنى بجيلة واقام البينة على ذلك ، فكتب عمر الى عماله ، فجمعوا بنى بجيلة في صعيد واحد . فلما اجتمعوا قال عمر لجرير : « أخرج حتى تلحق بالمثنى » . فقال جرير : « بل الشام فان أسلافنا بها » ، فقال عمر : «بل العراق فان في الشام كفاية » . ولم يزل عمر ببنى بجيلة وهم يأبون عليه حتى جعل لهم الربع من خمس مايفيىء الله على المسلمين يضاف الى نصيبهم من الفيء .عند ذلك رضوا الذهاب الى العراق وعليهم جرير . وقلدهم الناس فحذوا حذوهم ، وكان الذين فروا في يوم الجسر في مقدمتهم وهم اشد الناس حرصا فهالهم لقاء الفرس والثأر لكرامتهم . ثم تابعهم بنو الأزد وعليهم عجرفة بن هرثمة، ثم بنو كنانة وعليهم غالب بن عبدالله، وخلق كثير من مختلف القبائل. وحملت القبائل معها نساءها وأبناءها وقطعان مواشيها ، وساروا الى العراق ينضمون الى جنده ويمدون المثنى فيه .

هذا موقف الخليفة بالمدينة ، وذلك موقف المثنى بالعراق . اما موقف الفرس بالمدائن فقد ترامت اليهم انباء الأمداد العربية تسير تباعا الى العراق ، فهالهم امرها واحسوا بالخطر عليهم منها، فقسم رستم والفيرزان السلطة بينهما ، وبذلك أصلحا ذات بينهما امام الخطر . ثم جمعا جندا عظيما جعلا عليه القائد مهران الهمداني وامراه ان يسير سريعا للقاء هؤلاء الغزاة ، وسارت هذه القوات تتقدمها الفيلة ، ومهران اشد ما يكون حرصا على ان يحرز نصرا ينسى الفرس النصر الذى أحرزه ذو الحاجب بهمن جاذويه في موقعة الجسر .

وعرف المثنى مسيرة هذا الجيش وهو في عسكره بمرج السباخ ، فأرسل الى جرير بن عبد الله والى من جاءوا يمدونه من الامراء يقول : « انا جاءنا أمر لم نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا . فجعلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب » (البويب موضع بين الكوفة والنجف) ، ثم سار بقواته حتى انتهى الى البويب على شاطئ الفرات حيث وافاه جند المسلمين جميعا. وسار مهران كذلك بقواته حتى كان قبالة المسلمين لا يفصل بينهما الا النهر .

واجال المثنى النظر في قواته واطمأن . فلئن لم يكن فيها من الفيلة مثل ما للفرس ، فانها لتمثل بمن انضم اليها من الأمداد قوات العرب جميعا في شبه الجزيرة: فيها اولئك الذين استمدهم المثنى وهو بأليس فأمدوه. وفيها بجيلة والأزد وكنانة وغيرها من القبائل التى اجابت نداء عمر ، وفيها نصارى بنى النمر قدموا مع زعيمهم انس بن هلال وفيها نصارى بني تغلب جاءوا مع ابن مردى الفهر التغلبى ، وقد جلبت هاتان القبيلتان معهما خيلا استخدمها المسلمون . وفيها

هير بني النمر وبنى تغلب رجال من قبائل عربيةأخرى مقيمة بالعراق ، هؤلاء رأوا موقف العرب من العجم فقالوا : نقاتل مع قومنا . وكذلك جمعت رابطةالجنس الى جيش المسلمين عددا غير قليل من نصارى العراق وقفوا الى جانبهم وحاربوا فى صفوفهم . وهكذا تحركت القومية العربية فكانت حدثا جديدا فى تاريخ الحركة العربية التحررية التى بدأت فى قلب الجزيرة ثم امتدت الى الأطراف .

وحاول مهران أن يغرى المثنى بعبور النهر كما فعل بهم ... أبى عبيد ، لكن المثنى وقد كان يعارض رأى أب... قبل لم يكن ليعرض جيشه لهذه المغامرة ... ائد الفرس يقول له : اعبروا أنتم .وعبر ... لبويب وتعبوا فى صفوف ثلاثة مع كل ...

وخرج المثنى على فرسه الشموس يطوف فى صفوفه يلقى الاوامر الى قواده، ويقف على الرايات راية راية، يقول : « انى لأرجو الا يؤتى العرب من قبلكم والله ما يسرنى اليوم لنفسى شىء الا وهو يسرني لعامتكم » ثم يذكر القبائل بأحسن ما فيها ، ويحرضها بخير صفاتها ، وينصفها بأفضل مايعرف لها ، وبذلك أحبه الجميع وتعلق به الجميع . ولما كان الشهر رمضان امر الناس ان يفطروا ليقووا على قتال عدوهم بالطعام، فافطروا . ثم سمع من جانب الفرس زجلا يرددونه وهم يقتربون ، فقال « ان الذى تسمعون فشل ، فالزموا الصمت واتمروا همسا » . فلما قال لهم : « انى مكبر ثلاثا فتهيئوا ثم احملوا مع الرابعة » ، تهيات الرايات جميعا تنتظر الشدة على العدو وهى اشد ماتكون اغتباطا بلقائه وحرصا على الظفر به .

ولم يكد المثنى يكبر التكبيرة الأولى حتي اندفع الفرس فاعجلوا العرب وعاجلوهم فشدوا عليهم . واختلت لهجمة الفرس بعض صفوف المسلمين منقبيلة بنى عجل ، فأرسل المثني اليهم من يقول لهم : « ان الامير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم لاتفضحوا المسلمين اليوم » . فاعتدل بنو عجل وشدوا مع سائر الجند شدة قوية على الفرس ، فأعادت شدتهم للصفوف نظامها . واحتدم أوار المعركة عدة ساعات ، واندفع الفريقان فى صراع عنيف غاية العنف . ورأى المثنىان المعركة تترجح حامية بين الطرفين ، وأنها تؤذن بأن تطول ، ففكر فى أن يسلك للنصر اقرب طرقه بأن يحمل على قائد الفرس فيزيله عن مكانه أو يقتله . لذلك دعا اليه انس بن هلال النمرى ، ثم دعا ابن مردى الفهر التغلبى ، وقال لكل منهما « انك امرؤ عربى وان لم تكن على ديننا ، فان رأيتنى قد حملت على مهران فاحمل معى » . وحمل المثنى بقلب الجيش العربى على قلب الجيش الفارسى حملة صادقة ،فأزال مهران حتى دخل فى ميمنته ، ورأى الفرس ماحدث فاندفعوا يحمون قائدهم ، فاصطدم القلبان ، وثار النقع فلا يعرف لأى الفريقين الغلب ، وانكشف الغبار لحظة رأى المسلمون فيها تراجع قلب الفرس ، فحملت عليهم الميمنة والميسرة فاوقعوا بهم ، ودفعوهم ناحية النصر يطلبون النجاة ، والمثنى فى خلال ذلك يحرض رجاله ويرسل الى الرايات من يقول لها « عاداتكم فى امثالهم . انصروا الله ينصركم » فيزداد انغماس المسلمين فى العدو وضربا فى صميمه .

وانقلب تراجع الفرس الى هزيمة والى فرار ، وولت كتائبهم مدبرة الى الجسر لتعبر عليه فسابقهم المثنى اليه وسبقهم عليه وردهم عنه ، فاستداروا يقاتلون يريدون أن يشقوا لهم طريقا ، لكن قوات العرب اكتسحتهم ولم تجد استماتتهم شيئا ، فاخذوا يولون على ضفة النهر مصعدين ومصوبين والسيوف تحصدهم حصدا . وفى خلال هذا الباس هجم غلام تغلبى على مهران فقتله ، واستولى على فرسه وانتحى ناحية يترنم « أنا الغلام التغلبى ، أنا قتلت المرزبان » .

وظل المسلمون يتعقبون فالة العدو يمعنون فيهم قتلا الى الليل . فلما أصبحوا عادوا يتعقبونهم كرة أخرى الى الليل . بذلك أزهق فى البويب من الارواح أكثر مما أزهق فى أى موقعة أخرى ، فكانوا يقدرون قتلى الفرس بمائة الف ، بقيتجثثهم صرعى طريحة فى الميدانحتى بليت وصارت عظاما ، ثم بقيت دهرا طويلا لم تدفن الا بعد بناء الكوفة .

انتصر المسلمون فىالبويب نصرا تاما ، وكانتشخصية المثنى وحسن قيادته وحب جنده له هو العامل الأول فى هذا النصر . فلقد رآه جنده يخوض المعركة قوى اليقين ثابت الجنان ، ففعلوا فعله واستبسلوا استبساله . وكان الذين فروا يوم الجسر يقاتلونأعظم قتال وأجراه ، يلقون بأنفسهم فى لهيب المعركة لايبالون الموت يريدون أن يتطهروا من عار هزيمتهم ، فكانوا بذلك قدوة للجند وكانوا لذلك عاملا من عوامل النصر. كما كان لسائر القواد مواقف بطولية فذة تسجل بمدار الفخر . اندفع مسعود أخو المثنى يخوض الغمار حين حمى وطيس المعركة ، فصرع قبل أن ينهزم الفرس ، فلما رأى جزع من معه وتضعضعهم ، صاح بهم وهو مشرف على الموت « يا معشر بكر بن وائل ! ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، لايهولنكم مصرعى » . وقاتل انس ابن هلال النمرى النصرانى قتالا عنيفا حتى قتل . وحين أخذ المثنى الجسر على الفرس ومنعهم العبور ، حاز عرفجة بن هرثمة كتيبة منهم الى الفرات ، فلما أحرجوا كروا على عرفجة ورجاله وقاتلوهم مستيئسين فنالوا منهم ، فقال رجل لعرفجة « لو أخرت رايتك !؟ » فكان جواب عرفجة « على اقدامها » وحمل بها على الفرس فولوا الى الفرات ، فما بلغه احد منهم حيا . وجرح يومئذ وقتل من أعلام المسلمين عدد غير قليل ، لكن النصر توج استشهادهم فابقى على التاريخ ذكرهم، ثم هم أحياء عند ربهم يرزقون .

ولما انتهت المعركة ، ضم المثنى اليه اخاه مسعودا وأنس بن هلال النصرانى ، وتوجع لما أصابهما ولميفرق اختلاف الدين من وجده عليهما ، فكلاهما عربى قاتل فى سبيل قضية العرب .

وجلس المسلمون أمسية فراغهم من المعركة يسمرون مغتبطين . قال المثنى «قاتلت العرب والعجم فىالجاهلية والاسلام. والله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا اشد على من ألف من العرب ، ولمائة من العرب اليوم اشد على من ألف من العجم . ان الله أذهب بأسهم ووهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه ، ولا سواد ولا قسى فج ولا نبال طوال ، فانهم اذا أعجلوا طعنها او فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت » . ولما ذكر بعضهم أخذ المثنى الجسر على الفرس وما أدى اليه من اهلاك جيش العدو ، لم يطرب المثنى للمديح ، وانما أنكر صنيع نفسه فى ذلك وأظهر الندم عليه ، وقال « لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى اياهم الىالجسر

البقية ص ١٧٧

حياة العمرى الشهابى

(ابن فضل الله العمرى)

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب

١٩ — الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

(تتمة مضامين وموضوعات الجزء الأول)

« مسجد دمشق المعروف بالمسجد الأموى »

صفحة

وصفه واولياته ، حيطانه ، لوح فى حائطه القبلى ، مكتوب بخط عادى ، وجدوه فى ايام الوليد بن عبد الملك ، وزعم وهب بن منبه انه قرا ، صورة ما فى هذا اللوح ١٧٨-١٧٩

دخول العرب دمشق فاتحين : دخل أمير الجيش أبو عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ بالأمان من غرب البلد ، ودخل خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ بالسيف من شرقه ١٧٩

دمشق كانت نصفين ، والكنيسة كذلك ، فالكنيسة نصفها للنصارى ونصفها للمسلمين ، الى أيام الوليد بن عبد الملك ، حيلة لطيفة للوليد مع امبراطور الروم » المصالحة على اختصاص المسلمين بالمسجد فى نظير استئثار النصارى بكنيسة مريم كلها ، شروع الوليد فى تحسينه ، رواية أخرى فى انفراد المسلمين به ، اخذ النصارى أربع كنائس فى نظير نصفهم فيه ١٧٩-١٨٠

محاولة القساوسة منع هدم كنيسة لتوسعته ، ومباشرة الوليد الهدم بنفسه ، رواية أخرى ، وضع الاساس ، تخويف النجارين النصارى للوليد ومباشرته الهدم بنفسه ١٨٠-١٨١

(العرب تقول للرجل نجار ، وان كان لا يعمل بالمثقب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالضلع ونحو ذلك .. انظر كتاب الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٢٦) ١٨١

التعويض على النصارى بكنيسة أخرى ... ...
مساومة الوليد النصارى وتخويفهم اياه بالجنون اذا هدمها ومباشرته الهدم بنفسه لتكذيبهم ،

فصعد المنارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وفيها راهب ياوى فى صومعة ، فأحدره من الصومعة ، فاكثر الراهب كلامه ، فلم تزل يد الوليد تدق فى قفاه حتى احدره من المنارة ، ثم هم بهدم الكنيسة ، وهى كنيسة (مريحنا) وتبعه وجوه أهل البلد ، وفى مقدمتهم يزيد بن تميم الذى ناوله الفاس ، فقال الوليد : ان هؤلاء الكفرة يزعمون أن اول من يهدمها يجن ، وانا اول من يجن فى الله ، وأخذ رقبة قباله فوضعها فى منطقته ، ثم اخذ الفاس فضرب به ضربات ، ثم ناوله يزيد بن تميم فضرب به بعده ، وتناول الفاس كل من حضر ١٨٢-١٨٣

اتهام اليهود هدمها : وصاح النصارى على الدرج وولولوا، فالتفت الوليد الى يزيد بن تميم ، وهو على خراجه ، فقال : ابعث الى اليهود حتى ياتوا على هدمها ، ففعل ، فجاء اليهود فهدموها ١٨٣

طلب الوليد صناعا وعملة ، فانى أريد أن ابنى مسجدا ، وان لم تفعل ، غزوتك بالجيوش ،
نبع من صناع الروم ، فانى أريد أن أبنى مسجدا ، وان لم تفعل ، غزوتك بالجيوش ،

صفحة

وخربت الكنائس ، وفعلت ، فكتب اليه : « لئن كان أبوك فهمها فاغفل عنها ، انها لوصمة عليه ، ولئن كنت فهمتها وغبت عن أبيك ، انها لوصمة عليك ، وانا موجه اليك ما سالت » . فأراد أن يعمل لها جوابا ، فجلس علماء الرجال يذكرون ، فقال الفرزدق : أنا أجيبه ، قال الله تعالى : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » . فسرى عنهم . وكتب به الوليد الى ملك الروم 184

سقوط القبة بعد بنائها : بنى الوليد قبة مسجد دمشق ، فلما استقلت وتمت ، وقعت ، فشق ذلك عليه ... ...

حيلة هندسية فى تشييدها : فأتاه بناء ، فقال : أنا أتولى بناءها . فلما استقلت على وجه الارض غطاها بالحصر وهرب . فاقام الوليد يطلبه ولا يقدر . فلما كان بعد سنة ، قدم ، فقال له : ما دعاك الى الهرب ؟ قال : تخرج حتى أريك ، فأتوا ، فكشف عن الحصر ، فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض . فقال : من هذا كنت تؤتى ! ثم بناها حتى قامت .

(وهذا اشبه بما يفعله الآن كبار المهندسين المعاصرين المشهورين ببناء العمارات المرتفعة ، او ناطحات السحاب ، كما يقولون ، كعمارة رمسيس بميدان رمسيس أو العمارة المشيدة حديثا بعد كوبرى الجلاء . فقد وضع اساسهما بالصبة المسلحة المكونة من الأسمنت والرمل والزلط ، ووضعها بين شبك الحديد وأسياخه . ويؤخذ من هذا أن العرب كانوا أسبق هؤلاء منذ مئات السنين فى بناء الأساسات) 184

شاهد عيان : وقال عمر بن الدرفس الغسانى : رأيت قبة مسجد دمشق ، وقد حفر لأركانها حتى بلغوا الماء وألقى على الماء جران الكروم ، وبنى الأساس عليه 184

محاولة الوليد عقد رأس القبة بالذهب ، وتقريع أحد أصحابه له بقوله : يا أمير المؤمنين ! اختلطت ؟ (أى جننت) ، هذا شىء يقدر ؟ فقال : يا ماجن ، تقول لى هذا ؟ وأمر به ، فضرب خمسين سوطا . ثم قال : اذهب ، فافعل ما امرت به . فعمل لبنة من ذهب فحملها اليه . فلما رآها وعرف ما فيها ، قال : هذا شىء لا يوجد فى الدنيا . ورضى عنه وأمر له بخمسين دينارا 184

تغطية سطوحه بالرصاص ، اذ قيل للوليد : أتعبت الناس فى طينة كل سنة . فأمر أن يسقف بالرصاص من كل بلد . فبقى عليه موضع لم يجد له رصاصا ... ...

شراؤه رصاصا من امراة يهودية بوزنه ذهبا ، ثم تبرعها بالثمن للمسجد لما رات من عدل الخليفة فكتب اليه بعض عماله : وجدنا عند امراة يهودية منه شيئا ، فابت أن تبيعه الا وزنا بوزن . فكتب اليه خذه بما ارادت ، فاخذه منها وزنا بوزن . فلما وفاها ، قالت : هو منى هدية للمسجد ، وقالت : أنا ظننت أن صاحبكم يظلم الناس 184–185

سليمان بن عبد الملك يتولى أمر الصناع بنفسه 185

أداء الأمانة : قالوا : ما تم مسجد دمشق الا بأداء الأمانة . لقد كان يفضل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسمار فيجىء حتى يضعه فى الخزانة 185

« فليتنبه الى هذا العمل الانسانى من بيدهم مثل هذه الامور الآن : من رجال الصناعة والعمل فى القطاعين : العام والخاص ، فى تشييد العمارات السكنية ، والمساكن الشعبية ، تفاديا بما حصل فى بعضها من التشقق والتصدع والخلل والشروخ ، بل والسقوط أحيانا لعدم الامانة فى المقادير المقررة لتلك المبانى ، وراح ضحية ذلك أرواح تشكو الى الله تعالى جشع هؤلاء وطمعهم . وسيحاسبهم حسابا عسيرا بما اقترفوا فى ازهاق ارواح أولئك الضحايا . (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) » ... ...

ما كان فيه من الرخام : يقال ان رخامتى مقصورة الخطابة وهما السماقى البراق من عرش سبأ ، ولا يدرى ما قيمتها . وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقر مئين من الابل . وفيه من الملون كالقرابى والمنقط والمشحم والاخضر شىء كثير .. وقد استجد شىء كثير منه فى الحائط الشامى ، جدده الظاهر بيبرس . واستجد بعد ذلك كثير . وكان فيه من المرخمين اثنا عشر ألف مرخم 185

تزويقه ونفقاته الباهظة واحتجاج الأمة على الوليد ورده المقنع : تكلم الناس عن تزويق مسجد دمشق وبنائه وعظم مؤونته وقالوا : محقق ببوت الاموال فى نقش الخشب وتزويق الحيطان ! فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « قد بلغنى مقالتكم . وليس

الامر على ما ظننتم . ألا وانى امرت باحصاء ما فى بيوت اموالكم فاصبت عطاءكم ست عشرة سنة » ... ...

(كتب استاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد زكى باشا تعليقا على هـذا فقال ـ رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته :

« أقام اليونانيون فى جاهليتهم (سنة ٤٣٨ قبل المسيح) هيكلا فخما جدا سموه البارتنون على رأس الصخرة المقدسة عندهم فى مدينة أثينة ، واستغرقوا فى بنائه عشر سنين الى اثنتى عشرة . ولا تزال اطلاله ماثلة للآن . موضعا للعجب العجاب . وقد بلغت النفقة عليه ٢٠٠٠ « تالنت » أى بدرة أو خزنة . والتالنت ٦٠٠٠ فرنك ، قريبا من ٥٠٠ دينار . فيكون مجموع المصروف عليه ١٠٠٠٠٠٠ من الدنانير (بتحويل النقد الى ما يعادله فى ايام الدولة الاموية) . وقد قام جماعة من المعارضين للحكومة فالبوا اهل أثينا على زعيمهم الخطيب الشهير بيريكليس ونعوا عليه هذا الاسراف الفاحش وهذا البذخ الباهظ . فجمعهم الرجل ، والقى عليهم خطبة أخذت بمجامع قلوبهم ، وعرفهم ان هذه النفقة الطائلة لا تكاد تذكر فى جنب هذا الفخر الذى سيبقى لهم ولأعقابهم مدى الدهر ، فاقره القوم وانصرفوا راضين .

أما المسجد الأموى فقد كان بدء العمل فيه سنة ٨٨ للهجرة ، واقاموا فى بنيانه تسع سنين ولم يتم بناؤه . وذكر ابو قصى العذرى ان النفقة عليه بلغت ٤٠٠ صندوق ، فى كل صندوق ١٤٠٠٠ دينار . فيكون النفقة عليه ٥٦٠٠٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريبا ما صرفه أهل أثينا واحلافهم على بناء هيكلهم .

فانت ترى أن المدة التى استغرقها بناء الهيكل الوثنى وبناء الجامع الاسلامى تكاد تكون واحدة . كذلك كان الشان فى اعتراض الوثنيين والمسلمين ، وفى الرد الذى اجاب به كل من زعيم الوثنيين وأمير المسلمين ، وان كانت المدة بينهمـا ١٢٥٠ سنة . افليس التاريخ يعيد نفسه ، كما يقولون ، ولو بعد توالى الدهور ، وتعاقب القرون ؟) ا هـ ...

	صفحة
قصة كنز لرجل كان يعمل فى بناء المسجد وهو يبكى ، فساله الوليد بن عبد الملك عن قصته ،	١٨٦–١٨٧
فأجابه	١٨٧–١٨٨
النفقة عليه بلغت ٥٦٠٠٠٠٠ دينار ، كما قال ابو قصى العذرى	١٨٨
مفاخر دمشق اربعة ، وبه صارت خمسة . وبلغ الوليد انهم تكلموا بشأن ما انفق عليه من الاموال الطائلة ، فقال :« ياأهل دمشق ، انى رايتكم تفخرون بمالكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فاحببت أن يكون مسجدكم الخامس »	١٨٨
١٥٠٠ دينار ثمن عمودين . واشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بالف وخمسمائة دينار	١٨٨
راس يحيى بن زكرياء فى كنيسة تحته . وقال زيد بن واقد : وكلنى الوليد على العمال فى بناء مسجد دمشق . فوجدنا فيه مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك . فلمـا كان الليل وافى ، والشموع تزهر بين يديه ، فنزل ، فاذا كنيسة لطيفة : ثلاثة اذرع فى ثلاثة ، واذا فيها صندوق ، فاذا فيه سفط . وفى السفط راس يحيى بن زكرياء . فامر به الوليد ، فرد الى المكان . وقال . اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من الاعمدة . فجعل عليه عمود مسفط الرأس	١٨٨
تمثال قديم وجدوه فى حفر الأساس : قال ابو مروان عبد الرحيم بن عمر المازنى : لما كان فى أيام الوليد وبنائه المسجد ، احتفروا فيه فوجدوا بابا مغلقا . فاتى الوليد ، ففتح بين يديه ، فاذا مغارة فيها تمثال رجل على فرس ، فى يده الواحدة الدرة التى كانت فى المحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فامر بها ، فكسرت ، فاذا فيها حبتان : حبة قمح ، وحبة شعير . فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف ، لم يسوس فى هذه المدينة قمح ولا شعير	١٨٨
الأقباء المعقودة تحت المسجد : وقال ابو عبد الله محمد بن اسد النجار الحرانى الكاتب المجود (من شيوخ ابن فضل الله العمرى) ، وكان يباشر بالمسجد بعض العمائر ، انه فتح حضرته الشرقية المعروفة بتحت الساعات لكشف قنى الماء . فاذا تحت المسجد اقباء	

صفحة

معقودة وعمد منصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة ، قد احكم بناؤها ، وشدت فى سلاسل الأساس معاقدها ، قد بنيت بالصفاح والعمد ، والبناء الذى ما هو فى قدرة احد . قال : ودخلناها وجلنا فى جوانبها 189

(الصفاح : حجارة عراض كما فى لسان العرب . وقد استعملها كتاب الاندلس بمعنى الصخور (راجع قاموس دوزى فى تكملة المعجمات العربية) . فلعل ابن فضل الله العمرى جرى فى هذا المقام على هذا الاصطلاح) .

الرواق الذى كان محيطا بالمسجد ، وانقاضه وماذا بنى بها :

بنى منه منارة الجامع الشرقية ، بعد الحريق الكائن سنة اربعين وسبعمائة .

وتاخر من حجارته بقايا اشتريت لعمارة الجامع اليلبغاوى ، جوار بردا ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وثم بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم ، موجود بين المدرسة النورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام 190

تعويض عمر بن عبد العزيز على النصارى بكنيسة اخرى :

وقال على بن أبى جميلة : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، قالت النصارى : يا أمير المؤمنين ، قد علمت حال كنيستنا ! قال : انها صارت الى ما ترون . فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق ، لم تكن فى صلحهم ، يقال لها : « كنيسة توما » 190

عمر بن عبد العزيز اراد ارجاع المسجد للنصارى ، وكيف ارضاهم القوم وارضوا عمر :

وقال ابن جابر : انهم رفعوا الى عمر بن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد فى كنائسهم . فكلمهم ورفع لهم فى الثمن ، حتى بلغ مائة الف . فابوا . فكتب الى محمد بن سويد الفهرى أن يدفع اليهم كنيستهم ، الا أن يرضيهم ، فاعظم الناس ذلك . وفيهم بقية من أهل الفقه . فشاورهم محمد بن سويد ، متولى دمشق . فقالوا : هذا أمر عظيم ! ندفع اليهم مسجدنا ؟ وقد اذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه . يهدم ويعاد كنيسة ؟ فقال رجل منهم : ها هنا خصلة . لهم كنائس عظام حول المدينة : دير مران ، وباب توما ، والراهب ، وغيرها . ان اجبوا أن نعطيهم كنيستهم ، ولا يبقى حول دمشق كنيسة الا هدمت ، وان شاءوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلا . ثم عرضوا ذلك . فقالوا : انظرونا ، ننظر فى أمرنا ! فتركهم ثلاثا . فقالوا : نحن ناخذ الذى عرضت علينا . ونكتب الى الخليفة نخبره بذلك ، ويسجل هو لنا بأمان على ما فى الغوطة ، فكتب الى عمر . فسره ذلك وسجل لهم كنائسهم ، انهم آمنون أن تخرب أو تسكن . وأشهد لهم شهودا بذلك 190

مشروع عمر بن عبد العزيز فى نزع زخارفه لوضع ثمنها فى بيت المال ، وكيف ردوه عن ذلك مع المخاشنة :

قال محمد بن مهاجر : سمعت اخى عمرا قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وذكر مسجد دمشق ، فقال : ارايت اموالا انفقت فى غيرحقها ، فانا مستدرك مااستدركت منها ، فراده فى بيت المال : اعمد الى ذلك الفسيفساء والرخام ، فاقلعه واطينه ، وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا ، وانزع تلك البطائن . وأبيع جميع ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم . فخرج اليه اشرافهم فيهم خالد القسرى . فقال لهم خالد : ائذنوا لى حتى اكون أنا المتكلم . فاذنوا له . فلما اتوا دير سمعان استاذنوا على عمر ، ثم قال له خالد : بلغنا يا أمير المؤمنين انك هممت بكذا وكذا . قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال عمر : لمن هو ؟ لامك الكافرة ! (وكانت نصرانية ام ولد) . فقال : ان كانت كافرة ، فقد ولدت مؤمنا . فاستحيى عمر ، وقال : صدقت ! فما قولك « ماذاك لى » ؟ قال : لانا كنا معشر اهل الشام ، واخواننا من اهل مصر والعراق نغزو فيفرض على الرجل منا ان يحمل من ارض الروم قفيزا بالصغير من فسيفساء ، وذراعا فى ذراع من رخام . فيحمله اهل العراق وأهل حلب الى حلب ، ويستاجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل حمص الى حمص فيستاجر على ما حملوه الى دمشق ، ويحمل اهل الشام ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . فذاك قولى : ماذاك لك . فسكت عمر 190–191

وهذا يدل أكبر دلالة ، ويبرهن أعظم برهان مما لا يدع مجالا للشك ، أو محلا للريب . على ان الروح الاشتراكية التى تطبق وتنفذ الآن فى انحاء الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرها من الجمهوريات العربية الأخرى : كالعراق ، وسوريا ، والجزائر ، واليمن كانت موجودة منذ مئات السنين بين الدول العربية . أفليس التاريخ بعيد نفسه ، كما يقولون ، ولو بعد توالى الدهور وتعاقب القرون؟ كما قال استاذى المرحوم « زكى باشا » فى ختام تعليقه المذكور فى هذا المقال .

« للترجمة بقية »

قصة سليمان مع الجياد

الأستاذ بهاء الدين القباني

نحن الآن على أبواب الجولة الثانية ..

الجوادان ما زالا يتتابعان فى المدى المرسوم لهما !. والحلبة المهذبة المتالقة تغص بالذين يتطلعون .. وكل من الذين يتطلعون يرى فى جواده الحائز لقصب السبق .. اللهفة فى القلوب تنضح خارج الاجسام فتعبر عنها الابصار الشاخصة .. والافواه الفاغرة .. والايادى التى نفرت عروقها اضطرابا واشفاقا !!..

اما الامر الذى لا ريب فيه .. هو ان الحلبة شريفة لا يشوبها تحيز وافتراء .. منبسطة غير مسقوفة .. لا يقوم بين الجوادين والنظارة حاجز من جدار أو حديد .. وانما يرى نتيجة السباق الجميع على بساط الحلبة المتانق !.

السباق هذاالذى نتابعه بينجوادى القرآن الكريموكتب العهد القديم .. هو الطريقة المثلى التى يرتضيهامتبعو كلمسلمويسلمبها .. وسواءقبل النتيجةالبعض ولميقبلها البعض الآخر عنادا وغرورا .. فان هذا لا ينقص من فوز ساحق لاحد الجوادين على الاخر واحرازه نصراموزرا !

وهنا .. ما ان اذن المؤذن معلنا ابتداء الجولة الثانية للسباق .. حتى انبرى جواد القرآن الاصيل منطلقا كالسهم فى مداه يسابق الريح .. اما جواد كتب العهد القديم فلم يتحرك وكأنه لم يسمع اشارة البدء .. وسقط اعياء قبل أن تخطو قدماه خطوة واحدة .. فلقد احس الجواد بتضاؤله امام نفسه فتصبب عرقه .. وطاطأ رأسه امام الملايين من النظارة التى طفقت تنثر عليه اشفاقا وتشجيعا .. وهو فى قرارة نفسه ضعيف متهالك غير كفء ان يقوم بنفسه .. ذو جراحات متعددة !. ومع ذلك فان متبعيه على جانب كبير من الامل .. لا يقل عن امل ابليس فى الفردوس وهذا هو شأنهم وحدهم .. ونحسب أنهم لو استعاضوا عن جوادهم بمجموعةالجياد الاصيلة التى ورثها سليمان عن ابيه داود نفسه .. ووضعوها بأكملها ومثلها معها فى حلبة السباق التى نحن بصددها .. وطفقوا يمسحون على سوقها واعناقها فى حنان بالغ .. فلن تقوى او نستطيع أن تسبق جواد القرآن العربى .. لانه شاب دائما كتب عليه انه لا يعرف الشيب ولا الهزال مهما طالت عليه العصر .. وان الغلبة معقودة له ابدا وحتى يبعث الله الارض ومن عليها !!.. جياد سليمان الممتلئة حيوية وفضلا هى المدى الذى نتابعه فى الجولة الثانية .. ولقد نقبنا ودققنا ايما تدقيق فى جميع اسفار واصحاحات كتب العهد القديم فلم نجد شيئا عن قصة سليمان مع الجياد !.. اهمال وتشويش من مترجم الاسفار .. وافساد وعبث فى كتب يقال بشأنها الوحى من الله تعالى .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !!..

رويدك أيها القارىء الفاضل .. تساءلنا هنا عن أهمية قصة سليمان مع الجياد تلك التى تخلق تشويشا وافسادا فى عدم الاتيان بها فى الاسفار والاصحاحات ؟ فنجيب بان قصة سليمان مع الجياد لهى النواة العظمى التى التفت حولها حياة سليمان جميعا .. فهى بوقوع حوادثها ولفتاتها الرائعة كانت سببا عنيفا فى أن يهب الله ملكا لسليمان لا ينبغى لاحد من بعد سليمان !. وعاملا جبارا فى ان تخضع الريح والشياطين والانس والطير لاشارة واحدة من اصبع سليمان .. فكأن القصة هى منبع النهر فى حياة سليمان .. ولولاها لما جرى فى حياته مثل الاغداق الالهى الذى يعطيه الله لمن يشاء بغير حساب ؟!.

ولكن !. هناك جياد ورد ذكرها فى الاصحاح الرابع من سير الملوك الاول اثناء حديثه عن سليمان! فاى جياد هذه يا ترى ؟ لماذا نغفل حق السفر المذكور فى الاتيان بها ؟!..

وفى الواقع .. لقد كنا نغفل هذا الحق فعلا .. ولكن اغفالنا له لا ينصرف الى عدم تدقيق منا فى بحثنا !. او تكاسل منا فى الاستقصاء !. وانما درسنا تلك الجياد تماما كما جاء فى سفرى الملوك الاول واخبار الايام الثانى

.. وبعد تلك الدراسة قررنا تسليم الجياد الى مرتع الخيول لتواصل من جانبها أكل التبن والشعير !! فلم يكن ثمة داع الى استعراضها امام القراء كثيرا .. خاصة وانه قد بدت لنا عظامها من ظهورها بارزة كالنتوء !! فلعلها تكتسي من التبن والشعير شحما ولحما !!.. أما الذى يدعونا الى ذكرها الآن فهو امانة البحث .. تلك التى عاهدنا الله أن تكون نصب اعيننا دائما .. راجين وجه الله وحسب .. واى حق نرتجيه بعد وجه الله الحق ؟؟..

فلقد ورد فى السفرين المذكورين انه كان لسليمان خيل وفرسان .. وكان الشعير والتبن هما اللذان يقدمان لتلك الخيول .. ولنطالع . « وكان لسليمان اربعون الف مزود لخيل مركباته ، واثنا عشر الف فارس .. وهؤلاء الوكلاء كانوايمتارون للملكسليمان ولكلمن تقدم الى مائدة الملك سليمان كل واحد فى شهره .. لم يكونوا يحتاجون الى شىء ، وكانوا يأتون بشعير وتبن للخيل والجياد الى الموضع الذى يكون فيه كل واحد حسب قضائه » (م.١٠ ص ٤ ٢٦ ـ ٢٨) .. ولقد كرر المترجم ذكر الخيل مرة اخرى فى سفر اخبار الايام الثانى ولكنه انقص عددهم هذه المرة .. يقول السفر . « وكان لسليمان اربعة آلاف مزود خيل ومركبات واثنا عشر الف فارس ... وكان مخرج خيل سليمان من مصر ومن جميع الاراضى » (ايام ٢ ص ٩ : ٢٥ ـ ٢٨) ..

هذه اذن هى الجياد التى تمخضت عنها أسفار العهد القديم ونسبتها الى سليمان !. اما كنا على صواب حين قلنا باننا كدنا نغفل هذا الذكر فعلا ؟؟ ولكنها امانة البحث .. وكثيرا ما تكون أمانة البحث كالدواء مر المذاق !..

لمسات منا يسيرة .. تلك التى رأينا انتهاجها .. ونحسبها تهيىء الطريق الى المثول بين يدى آيات القرآن فنرى مركز الدائرة العنيفة من حياة سليمان وكيفرسم جيادها القرآن بريشته المعجزة !..

وفى الواقع .. ان قصة سليمان مع الجياد وما قلناه عنها من دورها الفعال وكيف انها تعتبر نقطة تحول هائلة فى حياة سليمان .. كانت مثار جدل ونقاش عنيفين بين أئمة مفسرى القرآن الكريم .. ولقدذهبكلمنهم فىسبيل سبر غورها مذاهب شتى .. اقتنع بعض منهم بآراء البعض الآخر .. وحاول الآخرون أن يجدوا لها تبريرات وتخريجات ـ كما سنرى ـ ابتعدت بها القصة عن منطق القرآن السليم .. واذا بمن جاء بعدهم من المفسرين المتأخرين وقد وجدوا انفسهم أمام مناقشات كثيرة حول هذه القصة ـ يسدون منافذ البحث عن حقيقة الاحداث التى جرت بها القصة !. قاطعين بعدم امكان الوصول الى الحقيقة وتفصيلاتها !. هكذا بكل بساطة !. ونحسب انهم لو قرأوا كلام الله : « أفلا يتدبرون القرآن ؟؟ أم على قلوب اقفالها ! » لغيروا اتجاههم على الفور .. وواصلوا البحث .. والله يهدى الى سواء الصراط ..

ونحن لا ننكر ان قصة سليمان مع الجياد صعبة وقوية ومهيبة !. ولكنها رائعة وعميقة !. ولنقرأها فى البدء كما جاءت فى القرآن : « ووهبنا لداود سليمان .. نعم العبد ! انه اواب !! اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد !! فقال : انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى ؟ حتى توارت بالحجاب ؟ ردوها على !!.. فطفق مسحا بالسوق والأعناق !. ولقد فتنا سليمان ! والقينا على كرسيه جسدا ؟ ثم اناب .. قال : رب اغفر لى .. وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى !! انك انت الوهاب !! فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء ! حيث أصاب !! » (سورة ص ٣٠ ـ ٣٦) ..

والقصة كما وردت فى تفسير البيضاوى أن سليمان استعرض جيادا عربية أصيلة عشية يوم : « فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله » .. أما عن تفسيره للجسد المذكور فى الآيات السابقة فيورد البيضاوى حديثا مرفوعا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قال سليمان : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة .. كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله .. ولم يقل ان شاء الله .. فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل !. والذى نفسى بيده .. لوقال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا » .. واضاف البيضاوى الى حكاية الجسد الذى القى على كرسى سليمان أن سليمان « ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا أن القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بان لميتوكل على الله !! » .

أما الامام النسفى فيورد فى تفسيره حوادث مشابهة لما ذكره البيضاوى ولكن النسفى الذى يميل احيانا الى المبالغة وايراد الأشياء الخارقة يذهب الى أن استعراض سليمان للجياد عاقه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فأمر سليمان الملائكة أن يردوا الشمس نفسها .. فردت الملائكة الشمس ليصلى العصر فى وقته .. وبعد ذلك طفق سليمان يمسح سيفه فى أعناق الخيل قتلا وذبحا .. واضاف النسفى : « وقيل مسحها بيده استحسانا واعجابا بها » .. أما عن حكاية الجسد فيورد هو الآخر ما أورده البيضاوى تماما ..

وفى الواقع .. أن ما ذكره الامام النسفى من رد الملائكة للشمس لأمر يستدعى الوقوف عنده طويلا لخطورته .. ولكننا سنكتفى بالقول اليسير ونحسبه يؤدى الى غرضنا من استحالة حدوث رد الشمس واعادة وقت انقضى .. فان محاولة اكساب القصة معجزة رد الشمس من مكانها الذى غربت فيه ظاهريا .. وجعلها تسطع مرة أخرى كى يتسنى لسليمان صلاته التى فاتته أثناء استعراض الجياد .. مما لا يمكن باية حال من الاحوال أن يلج لنا ذهنا !. والا اعتبرنا من البسطاء من الذين تستهويهم الاسرائيليات .. وبالتالى نبتعد عن الاسلام ومنطقه السليم ابتعادا ضخما !! ويمكن القول بان القصة التى نحن بصددها قد حدثت قبل أن يهب الله لسليمان ذلك الملك العريض الذى لا ينبغى لاحد من بعد سليمان من تسخير الريح والشياطين والانس والطير .. فانه بعد حدوث تفاصيل هذه القصة دعا سليمان ربه أن يهبه ذلك الملك .. فلا يعقل أن يكون سليمان قادرا على التصرف فى الشمس فيعيد قرصها ـ عن طريق أمره الى الملائكة ـ الى ما كان القرص عليه منذ وقت قريب أو بعيد!وحتى ولو حدثت القصة أثناء تملك سليمانناصية ما ملكه الله اياه .. فليس فى القرآن ما يدل على أن سليمان له حكم على الشمس يجريها ويوقفها كما يتراءى له .. وهو لم يخرج عن كونه مخلوقا ضعيفا لا من قوة الله التى أحاطته برعايتها .. ثم ان الذى تحرك فعلا هو الأرض .. وتحركها هذا من الغرب الى الشرق هو الذى يولد غروب الشمس ظاهريا وهى ثابتة حقيقيا !. فكان أجدر على سليمان ان كان يملك هذا ان يطلب الى الملائكة أن يرجعوا الأرض الى الغرب رجوعا خفيفا .. ورجوع الأرض عندنا أهون بكثير من رجوع الشمس ! وحتى لو سلمنا جدلا باعادة الشمس فان ذلك بالطبع

لا يعفى سليمان من مسئولية عدم الصلاة لوقتها الذى انقضى .. والا اعتبرناه خداعا من سليمان لله أن يغير نظام الكون نفسه بحيلة رد الشمس .. وحاشا لله أن يفعل به ذلك !!.. ونظرة واحدة فى سورة يس تدحض لنا افتراء المتقولين برد الشمس تكريما لسليمان .. يقول القرآن : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر !. ولا الليل سابق النهار ! وكل فى فلك يسبحون » (يس ٤٠) .. انه النظام الدقيق الذى جرت عليه سنة الله فى الكون .. ولن تجد لسنة الله تبديلا !!

ونستطيع أن نخلص من الآراء التى أوردناها من كتب التفسير السابقة الى أربع نقاط :

الأولى : أن الآيات الست التى نحن بصددها من سورة ص تتكلم عن ثلاثة احداث : حادثة سليمان مع الجياد ، وحادثة السبعين امرأة اللاتى طاف عليهن سليمان .. وحادثة دعاء سليمان الى الله أن يهبه ذلك الملك العريض ..

الثانية : الانفصال التام بين كل حدث والذى يليه .. وكان الآيات فى مجموعها عبارة عن مقتطفات متنوعة لا رابطة بينها ..

الثالثة : تضارب الأقوال هو الجسد وهل هو ذلك الابن الذى كان يغذوه أبوه سليمان بين السحاب - كما ورد فى البيضاوى - خوفا من الشياطين ولكنها قتلته والقته على كرسى سليمان ؟.. أم انه شق طفل لامراة من بين السبعين التى طاف عليهن سليمان ذات ليلة .. مما يجوز عدم تعلق احداهما بموضوعنا على الأقل .. الى جانب انهما لا يخرجان عن كونهما حادثين يتكهن بهما المفسرون دون سند صحيح فى أيديهم ..

الرابعة : ايراد كل من تلك التفاسير أن سليمان اما ضرب أعناق الخيل - وهو الرأى الغالب لدى المفسرين - واما مسح عليها اشفاقا واعتزازا ..

ولعل الأربع نقاط التى استخلصناها هنا تلقى أضواء أمام القراء وتوضح لهم الاطار العام الذى ستتخذه أساسا لبحث قصة سليمان مع الجياد .. ونحسب اننا من الممكن أن نقترب من سبرغورها اقترابا أكثر من ذى قبل .. عن طريق الذهاب الى تحليل كل شخصية من الشخصيات التى وردت فى القصة من جوانبها التى تتعلق بما نحن فيه .. وذلك على الوجه التالى :

١ - داود وسليمان ..
٢ - الجياد والفتنة ..
٣ - الشمس ..
ثم نتبعها بالدعاء والاستجابة ..

وعندما نتناول شخصيتى كل من داود وسليمان من حيث اتصالهما بقصة الجياد فحسب .. فاننا نتناولهما من حيث مدى امكان اراقة الدماء على يديهما جميعا .. وهل جرت تلك الاراقة على يد احدهما دون الآخر ؟.. وما علاقة هذا التناول بما نحن بصدده ؟!..

وأول ما يطالعنا هو تلك الحروب الدامية التى خاض غمارها داود فى سبيل اعلاء كلمة الله .. وتقربا اليه بالطاعة .. ولما أوحى الى داود بان الله يريد أن يبتنى له بيتا يحج اليه المؤمنون به وهو بيت المقدس (المسجد الأقصى) ويعتبر قبلة يقصدها من يريد وجه الله الحق.. وتقدم داود الى الله بطلبه أن يحظى بشرف بناء هذا المسجد الكريم المبارك .. ولكن الله أوحى الى سليمان أن طهارة يدى البانى من سفك الدماء هو الشرط الأساسى الجبار لعملية البناء حتى ولو كان سفك الدماء فى طاعة الله؟ فقد ورد فى مجلة « منبر الاسلام » عدد رمضان ١٣٨٤ عن حياة المقر الشهابى ابن فضل الله العمرى للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى فيما يتعلق ببناء المسجد الأقصى : « وقال أبو عمرو الشيبانى : أوحى الله الى داود انك لن تتمم بناء بيت المقدس ؟ قال : أى رب .. ولم؟؟ قال : لانك غمرت يدك فى الدم !!.. قال : أى رب .. أو لم يكن فى طاعتك ؟؟ قال : بلى .. وان كان !!.. »
واننا لنجد هذا المعنى فى سفر أخبار الأيام الأول اذ قال الله لداود : « قد سفكت دما كثيرا وعملت حروبا عظيمة فلا تبنى بيتا لاسمى لانك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى .. هو ذا يولد لك ابن يكون ... سليمان هو يبنى بيتا لاسمى ! » (أيام أول ص ٢٢ : ٨ - ١٠).

وعليه فقد تنحى داود .. وبنى سليمان بيت الله لطهارة يديه اللتين لم يدنسهما فى فتك أو قتل .. أو ذبح حتى ولو كان القتل فى سبيل الله ..

نخرج من هذا الى أن سليمان بالتالى لم يقتل الخيل ولم يمسح سيفه فى سوقها وأعناقها .. وبالتالى نستبعد من بحثنا حكاية قتل الجياد .. ونقترب شيئا ما من اعجاب سليمان بالجياد فمسحها بيديه استحسانا لها !!.

اما من ناحية الجياد والفتنة .. فقد وصف القرآن تلك الجياد التى أخذ يستعرضها سليمان .. بانها من الجياد التى يندر وجودها .. وكيف انها خفيفة سريعة الحركة الى جانب ألوانها وأشكالها المحببة لدى سليمان .. وكان سليمان يرتاح الى النظر الى تلك الألوان والأشكال وكيف انها تهبه راحة نفسية عميقة فينظر اليها ويطيل النظر لا لقيمتها المادية بالطبع .. وانما لقيمتها المعنوية لديه.. يقول القرآن : « ووهبنا لداود سليمان .. نعم العبد انه أواب !. اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد » (ص ٣٠ - ٣١) .. ولقد جاء فى البيضاوى عن جياد سليمان : « الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل الذى لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص » وجاء فى النسفى عنها : « اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى موقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها .. »

وبالطبع .. جياد هذا حالها من الروعة يستعرضها ملك .. لم ينصب ملكا الا منذ عهد قريب .. وهو شاب قد يتطلع الى المغامرات والفروسية .. واظهار مدى شجاعته أمام الملأ من حاشيته وغيرهم .. وأمام ملوك أخرى قد تضطره الظروف الى ملاقاتها وجها لوجه .. بالاضافة الى أن أباه داود فارس شجاع خاض الحروب والمعارك الطاحنة وخرج منها منتصرا تعقد له أكاليل الزهور على رأسه وعلى رقاب ما يمتطيه من الجياد .. فلماذا لا يتخذ سليمان مكان أبيه وارثا له فى ملكه !. ووارثا له أيضا فى شجاعته وفروسيته !

ونستطيع أن نرسم صورة لسليمان الملك أثناء استعراضه جياده عشية يوم تسطع شمسه فتضفى على المكان روعة واعتبارا .. ويملأ شعاعها المكان من حوله .. فلقد كان سليمان واقفا ممتطيا صهوة جواده استعدادا لمرور موكب الخيل من أمامه .. ذلك الخيل العديد الذى ورثه عن أبيه داود الملك النبى العظيم .. وما أن بدأ العرض الجبار - وقد التف حول سليمان بطانته سكوتا وكأن على رءوسهم الطير - حتى تهادى صهيل الخيل يصافح أذنى سليمان فيزيدهما ارهافا عن ذى قبل .. فهو صوت محبب اليه وكأنها الموسيقى الجميلة الشجية التى تبعث فى النفس ألوانا متعددة من الفخار والانتعاش..

فلا يملك سليمان الا ان يزيد في تحريك راسه الى أعلى اعتزازا بتملك مثل تلك الجياد .. وتزيد عيناه اطمئنانا الى أن جميع حواس سليمان كانت متجهة بكلياتها فى أثناء الاستعراض الى الجياد وافتتانه بها وبجمالها .. ونحسب أن معنويات سليمان وخطراته قد اتجهت هى الأخرى نحو الجياد .. وكيف أنه سيلبث دائما فى اطمئنان وقوة ويتمتع بجياده الصافنات الأصيلة تمتعا ضخما .. اذن فسليمان سيعيش دنياه بطولها وبعرضها وارتفاعها اذا كان للدنيا ارتفاع !!..

وتستمر الجياد تتهادى فى مشيتها وكأنها العرائس التى تزينت استعدادا لزفاف قريب .. سيكتب عنه التاريخ ويطيل .. وتنسج حوله الاقاصيص والاحاجى على مر الزمان !. وفجأة !. بدأ موكب العذارى ينذر بالانتهاء.. وهاتان عينا سليمان تسبقان مجموعة الخيل الأخيرة فتتطلعان اليها على البعد .. وكأنهما فى حلم لذيذ لا يريدان أن يفرغا منه !. ولكن .. لابد للموكب من نهاية !! فهذه سنة الحياة .. ونهاية الحياة لابد وأن تستعرض نفسها هى أيضا .. فهى فلك سيار ، ودائرة لابد من التقاء طرفيها فى نهاية .. ضاقت الحلقة أم اتسعت !!..

ونأتى الى الشمس .. ونحسب أن سليمان كان واقفا ووجهه متجها نحو الغرب !. وكانت الجياد وسطا بين سليمان ومغرب الشمس .. ويمكن الذهاب الى أنه فى بداية الاستعراض كانت أشعة الشمس تلف الحشد جميعا مع وقوع الاشعة مائلة على جوانب الجياد المواجهة لسليمان .. ويكون هذا فى حدود وقت العصر والشمس لما تمل ميلها المنذر بالغروب .. فى تلك الأثناء لم يشعر سليمان بقرص الشمس وهو يسقط فى أعماق المجهول !. فما زال هو يستعرض الجياد .. وما زال صدره يجيش بانفعالات متعددة .. فكأنه استمر فى استعراض الجياد من ثلاث الى أربع ساعات وهى المدة من وقت العصر الى وقت الغروب يقول القرآن الكريم « اذ عرض عليه بالعشى ! » ص ٣١ .

وبينا سليمان يتابع النظر الى مؤخرة الجياد التى مرت لتوها من امامه .. حتى شعر بالفضاء من حوله يظلم شيئا فشيئا .. لقد اختفى قرص الشمس فى الغيهب البعيد .. وغابت أشعتها الا من ضياء خفيف شاحب يودع الشمس الى مكان غروبها الجبار .. وكان هذا المنظر الصامت أصبحت له طبول أخذت تدق دقا عنيفا متواصلا على أذنى سليمان الرقيقتين !! فلم تحتمل أذناه هذا الصخب الصامت !. فرفع ناظريه بسرعة نحو الغروب !. ماذا ؟.. لقد غابت الشمس !! اذن .. فلقد انقضى وقت طويل منذ بداية الاستعراض حين كانت الشمس تملأ المكان ؟!.. ونقل بصره فى سرعة أيضا الى مؤخرة الجياد وقد بدأت تختفى فى الظلام شيئا فشيئا .. فهى تغرب هى الأخرى عن ناظريه مثل الشمس .. اذن !. فلقد سحبت الجياد الشمس وراءها وغربا سويا .. وتركاه مع نفسه المجردة وحيدا !! والفى سليمان نفسه امام غروبين غروب الشمس .. وغروب الجياد .. ولكل من هذين الغروبين تعبير ذو معان كبار دارت بهما رأس سليمان !!.. فغروب الشمس معناه انقضاء ساعات دون أن يذكر الله فيها .. مشغولا عن الذكر بالتطلع الى زخارف الدنيا .. وكان أولى له فأولى أن يطلب مرضاة الله عليه فى كل آن .. وأن لا يتعلق قلبه بشىء الا بذكر الله وتسبيحه .. فهما اللذان سيشفعان له عند الله .. أما استعراضه الجياد فلن يعود عليه بفائدة تذكر !.

أما غروب الجياد فمعناه اندثار الدنيا دون أن يحظى الانسان منها فى يده شيئا غير عمله .. وانما الدنيا تمر من أمام الانظار مثل الجياد التى مرت أمام ناظرى سليمان .. فيها جمال وحسن وزخرف .. وما هى الا متاع الغرور وفيها فتنة ! ومن افتتن بها تولدت فى قلبه الحسرة عند الانتهاء من استعراضها .. بل وتمر عليه مزهوة بجمالها وخيلائها تدعوه اليها فينصرف اليها فى اعجاب .. ولكن هذا الاعجاب هل أفاد سليمان بشىء ؟ كلا .. بل لقد ضاع منه وقت طويل كان ينبغى أن ينفقه فى طاعة الله وتسبيحه .. وتحميده وتهليله دون أن يهيمن على عقله عرض زائل من أعراض الدنيا الفانية !!..

وهكذا تشابكت الصور .. وتداخلت الافكار فى رأس سليمان وتعقدت .. واشتغل ذهنه بسرعة غير عادية .. ما السبب فى اضاعة كل هذا الوقت ؟ انها الجياد بالطبع .. اذن .. فلقد عاقت الجياد سليمان عن ذكر ربه .. ولو أن الجياد تعتبر خيرا وفيرا ولكن شتان بين خير ذكر ربه .. وخير الجياد .. وكان لابد من أن يعمل سليمان ذهنه فى اختيار أحد هذين الخيرين مع معاقبة المتسبب فى الضرر .. الا وهو الجياد .. فلماذا لا يقتلها جزاء وفاقا على ما قدمته يداها حيال سليمان من اضاعة الوقت هباء دون ذكر الله عز وجل .. وقد يتقبل منه الله هذا تكفيرا ضئيلا عن الذنب الذى اقترفه .. فكان أن انتصب سليمان وهو على صهوة جواده .. غاضبا .. صارخا فيمن حوله أن يردوا عليه الجياد مرة أخرى .. فلا مناص من أن يفتك بها خشية أن تتكرر المأساة .. ولا يمكنه التراجع عما استقر عليه عقله وقلبه .. وفى هذا يقول القرآن فى ايجازه المعجز « اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد .. فقال : انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى ! حتى توارت بالحجاب ! ردوها على » (ص ٣١ - ٣٢) .

ولابد للجميع من الانصياع لامر الملك ! فتدافع من تدافع من الحاشية وراء الجياد المدبرة ينبهون العاملين عليها الى امر الملك بعودة الاستعراض فى حضرته مرة أخرى .. وعودة تمثيل دورها أمامه .. أو هكذا ظن الجميع .. ولكن ما السبب فى هذا الرجوع الذى يريده الملك ؟ هذا هو السر الذى استغلق عليهم فلم يستطيعوا التكهن به !!..

وان هى الا لحظة .. حتى بدأ موكب الجياد يستدير ظهره أمام سليمان من جديد .. واذا بسليمان يقفز من على ظهر صهوة جواده مترجلا شاهرا سيفه يريد القصاص من الجياد .. يريد أن يجرى بنفسه مذبحة تاريخية كبرى أبطالها جياد !! ولكن .. ما أن تقدم خطوة أو خطوتين حتى أحس بقلب التقى النقى .. بقلب النبى العظيم بأن الجياد لم تقترف ذنبا ولا جرما تعاقب عليه بالاعدام !. وانما الذنب ذنب سليمان نفسه وتركه العنان لنفسه تفتتن بهذا العرض الزائل دون أن يكبح جماحها فى حينه.. ليس هذا فحسب .. وانما هناك أمر خطير آخر يمنعه بقوة من قتل الجياد واراقة دماء أيا كانت طرق تلك الدماء !!.. فانه اذا كان يريد أن يحظى بشرف بناء المسجد الأقصى وهو بيت الله .. فعليه أن يبقى على يديه طاهرتين لا يسفك بهما دما أبدا .. وتذكر سليمان أن الله قد منع أباه داود من بناء المسجد الأقصى وما ذلك الا لأن يديه قد انغمستا فى الدم بغض النظر عن انغماسهما فى الدماء تقربا الى الله .. وفى سبيله وابتغاء رضاه .. وما أن وصل سليمان الى موكب الجياد الذى استدار مرة أخرى للظهور أمامه كما أمر - حتى وضع سيفه فى غمده! أو قذف به بعيدا .. وأخذ يحتضن رقاب الخيل ويمسح على شعورها المهدلة وكأنه يلتقى باعزاء اطالوا عليه الغياب فهو يوسعهم لثما وتقبيلا ومسحا بيديه الطاهرتين

على رقابهم وعلى سوقهم .. ونحسب أن دموع سليمان الغزار قد بللت أعناق الخيل فاخذ يمسح عنها دموعه التى اختلطت بما تصبب من الجياد من العرق .. وفى هذا يقول القرآن : « ردوها على ! فطفق مسحا بالسوق والأعناق ! » (ص ٣٣) ..

اذن .. فهى فتنة من الله لسليمان .. وامتحان منه لسليمان توطئة للمسئولية الجبارة التى اراد الله أن يلقيها على كاهل سليمان وهل هو أهل لتحمل هذه المسئولية أم يضل عن سواء السبيل ؟؟ أيشغل سليمان مثل ذلك العرض عن ذكر الله وتسبيحه أم انه لا يجعل الدنيا همه ويقذفها من ورائه بغية اكتساب رحمته وطمعا فى غفرانه .. فما أن انتهى سليمان من تقبيل الجياد بعد ذلك الصراع النفسى الهائل حتى ألقى نفسه على كرسيه تعبا خائر القوى وكأنه جسد متهالك ضعيف لاحول له ولا قوة !! فقد رجع الى صوابه !. وأيقن أن الله قد فتنه وامتحنه ليعلم ما اذا كان سليمان سيتمادى فى خطئه أم يرجع سريعا الى رحاب الله حيث التقوى وطلب المغفرة .. ولقد رجع سليمان فعلا الى الله .. وعزم على عدم التمادى فى التطلع الى زخارف الدنيا !! وفى هذا يقول القرآن : « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب .. » (ص ٣٤) ..

وبدأ صراع من نوع آخر ينشب بين أجزاء سليمان الداخلية .. انه يريد أن يثبت لله أن هذا الانشغال لن يعود اليه أبدا .. ولن تمر عليه ساعات أخرى مثل تلك التى مرت .. ولن يغفل عن ذكر الله مهما كانت الأسباب .. وأن ما فيه من أبهة الملك وعظمته لن ينسيانه ربه بأية حال .. ولكن ملكه الذى هو عليه الآن بسيط فى أبعاده ، محدود فى اطاره !. فهو لا يخرج عن كونه مالكا لجزء من الأرض عليها نساء ورجال وخيل وحاشية ليس الا .. مثل كل الملوك الموجودين على الأرض .. وسليمان يريد أن يقحم نفسه فى امتحان ضخم هائل أمام الله هو واثق من نجاحه فيه نجاحا أكيدا .. وهو مؤمن ايمانا راسخا عميقا لو أنه تملك ناصية ملك عريض يضطلع بمهامه وسلطانه .. وأن هذا الملك لم يعطه الله لبشر من قبله ولا يعطيه لبشر من بعده .. يحكمه الله فيمن يشاء من عباده بطريقة تختلف عن جميع الملوك .. فان سليمان لن ينسى ذكر الله .. مهما بلغت زخارف الدنيا بين يديه ومهما كثرت أفانينها وسحرها .. وعظمتها وأبهتها .. فكأن سليمان يريد أن يضع نفسه فى تجربة عنيفة تبلغ القمة فى عنفوانها !. وأن الشياطين مهما بلغت حيلها وأساليبها القوية فى اخراجه عن الرشاد فلن يخضع لها .. فهل يا ترى يستطيع أن يحكم على نفسه التى بين جنبيه .. وهى فى ظاهرها محدودة بجسمه الذى يشغل حيزا ضيقا من الفراغ ؟.. أجل .. انه على ثقة بالله فى النجاح والنصر المؤزر !. اذن !! فليدع سليمان ربه أن يهبه ذلك الملك العريض ليثبت أمام الله وملائكته والناس أجمعين أن الدنيا لن تكون أكبر همه مهما علا نجمه وتألق !! ومهما انصاع لأمره الفئات من الخلق أجمعين !! وفى هذا يقول القرآن : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب .. قال : رب اغفر لى ! وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب » (ص ٣٤ - ٣٥) ..

وما أن فرغ سليمان من دعائه الهائل العميق الذى يكشف عن نفس طاهرة أمام الله .. حتى كانت أبواب السماء مفتحة !. وكأنها تنتظر من سليمان التقى مثل هذا الدعاء .. فاذا به على الفور يحس احساسا غريبا بأن الريح بدأت ترف عند قدميه وكأنها تلثم قدمى سليمان فى ذلة ، وخضوع !.. أو كأنها عبد بين يديه يستطيع القاء الأوامر اليه وعلى العبد أن يطيع : « فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ! » (ص ٣٦) ..

وهكذا بدأت تتضح معالم ملك لم تشرق الشمس على مثل أبعاده من بعد سليمان .. فلقد كان ملكا وهبه اياه العزيز الوهاب !.

والى أبعاد ملك سليمان وقصته مع ملكة النمل فى عدد قادم ان شاء الله .

بقية مقال (دراسات فى التاريخ الاسلامى)

حتى أحرجتهم ، فانى غير عائد فلا تعودوا ، ولا تقتدوا بى أيها الناس ، فانها كانت منى زلة . لاينبغى احراج أحد الا من لايقوى على امتناع » . وهذه العبارة من القائد المنتصر تشهد بشجاعة المثنى شجاعة أدبية ، تعدل شجاعته فى قيادة المعارك وخوض غمار الوغى . وهو فى توجيهه لقواده وجنده يبين أن الغرور شر ماركب راسا الا أفسدها ، وأخطر أنواع الغرور وأكثرها ضررا على الأمم غرور القواد .

وفى هذا المقام نسجل لهذا القائد الفذ - الذى سوف لايتيح له طول الأجل أن نشهد من عظمة قيادته عملا آخر - الى جانب شخصيته العسكرية البارزة ، اخلاصه البعيد عن الاثرة والأنانية للقضية التى يحارب من أجلها ، ولم يسجل له التاريخ أنه استأثر بشىء لنفسه من مغانم الحرب أو متاع الدنيا فى الوقت الذى سجل على غيره من كبار القواد ومن فاقوه شهرة هنات وسقطات وقعوا فيها . فحق علينا أن نسجل لهذا الرجل ، أنه لم يجمع فى شخصه جميع مواهب القادة العسكريين البارزة فحسب ، وانما جمع الخلق والعقل اللذين يجعلان منه رجلا جديرا بالشهرة والتكريم عند كل أمة من الأمم وفى كل عصر من العصور .

وقد كانت معركة البويب ثأرا لمعركة الجسر ، بل انها فاقتها فى آثارها وما ترتب عليها بالنسبة للفرس والعرب على السواء ، وكانت هزيمة تامة للفرس ، وكان من نتائجها أن سيطر العرب تماما على كل المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات وامتدوا الى أطراف المدائن عاصمة الفرس .

وبهذه المعركة ختم المثنى بعدها حياته العسكرية بل حياته على الدنيا ، فقد مات بعد فترة قليلة ، وآن لنا أن نتأهب لنشهد المعركة الحاسمة فى القادسية تحت قيادة سعد بن أبى وقاص فاتح المدائن ومديل دولة الأكاسرة . فالى اللقاء مع فارس القادسية فى مقالنا التالى .

الإمام الشافعي في مصر

الأستاذ عبد الجليل شلبي

وفد الشافعي على مصر أوائل سنة تسع وتسعين ومائة ، وتوفى بها فى رجب سنة أربع ومائتين وهى مدة وجيزة ولكنه أحدث بها من الآثار الفكرية ما لايحدثه غيره فى عشرات السنين .

كان قبل مجيئه الى مصر قد نضج علمه واستحصدت ثمار فكره ، وكان قد ألف وأملى وناظر وتلقى عليه الكثيرون ، ولكن كان ينقص حياته الهدوء والاستقرار وكانت الخصومات الكثيرة وعداوة العلماء مما يسبب له المتاعب ويحرمه التمتع بالراحة وصفاء التفكير .

اتجه - بعد درسه بمكة - الى اليمن فغاظ وجوده حاكمها ، لأن اليمنيين احبوا الشافعى والتفوا حوله والشافعى أزدى يمنى ، وكان هذا الوالى -كما قالوا - ظلوما غشوما فدبر له تهمة التشيع للعلويين وكانت تهمة خليقة أن تودى بحياته - فلما سيق الى العراق كانت شهرته قد سبقته اليه فاذا محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة يحرض الرشيد على قتله فما أنجاه منه الا سعة حيلته وحسن تاتيه للأمور ، واتصلت الخصومات بينه وبين محمد وكثرت المناظرات حتى ضاق العراق به وضاق هو بالعراق ، وقد كاد يؤثر الاقامة به فهو اذ ذاك دار الخلافة ومساجده ومجالسه تذخر بالعلم وتغص بالعلماء لكن الشافعى فضلا عن خصومة محمد وأتباعه لايلائم مذهبه ذوق العراقيين فهو من مدرسة الحديث ، وما فيه من ميل الى الرأى لايكفى أن يجارى مدرسة أبى حنيفة وينصرها ، فلم يطب مقامه وفارق بغداد مع حبه اليها .

ودرس بمكة فعلا نجمه وعلا ذكره ووفد عليه طلاب علمه ولكن أحبه الوافدون أكثر مما أحبه الحجازيون ، فمدرسة مالك تأصلت هناك ومالدى الشافعى من ميل الى الرأى كاد ينغص الحجازيين بقدر ما كان ينغص العراقيين مافيه من ميل الى الحديث ، وبعد نحو من ثلاثة أعوام عاوده الحنين الى العراق فذهب اليه ولكن العراق هو العراق والشافعى هو الشافعى فلم يستقر به الا بضعة شهور .

ونبتت فى ذهنه فكرة الذهاب الى مصر ، ولعل ما عرف عنها من الدعة وانصراف الجانب الأكبر من همها الى الفكر الدينى الخالص كان من أسباب اتجاهه اليها ، وربما صده عن دمشق مع قربها اليه ماعرف عن الشاميين من ميل الى بنى أمية وعداوة الطالبيين وهو طالبى وهو ينشد الاستقرار والهدوء .

ويقال ان العباس بن عبد الله من حضرة عبد الله الصحابى وأسرة بنى العباس ، وكان

خليفة لابيه عبد الله على مصر استصحبه فصحبه لكننا لانجد معونة منهم قدمت اليه بمصر ، وقد قدم على حذر وتردد ، ويروى أنه أنشد حين اتجه اليها :

لقد اصبحت نفسى تتوق الى مصر
ومن دونها قطع المهامه والقفر
فوالله ما ادرى اللفوز والغنى
أساق اليها ام ساق الى قبرى
وقد سيق اليهما جميعا .

كان مذهب مالك هو الذى استقر بمصر، ولم يقبل المصريون غيره ، واضاعوا مذهب الليث بن سعد لأن الناس - كما قال الليث نفسه تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة - ولم تسبق الشافعى شهرة الى مصر كالتى سبقته الى العراق ، فلم يلتف الناس حوله ولم يحف التلاميذ به ولا عنا العلماء ان يناظروه ، واذا لم يجد من يأخذ عنه ولا مال بيده هم بالرحيل بعد قليل من مقدمه .

كان عبد الله بن عبد الحكم من العلماء الملحوظين فى مصر ، واسرة عبد الحكم كلها معروفة بعلمها وقيامها على المذهب المالكى ، وكان عبد الله فوق علمه وتدينه وجرأته ثريا جوادا ، انزل الشافعى داره ووهبه ألف دينار واخذ له من أحد الأثرياء الفا أخرى وجمع له من كبار التجار الفا ثالثة وأفسح له فى المسجد واستبقاه ، وكان بالمسجد عدد من العلماء لكل فقيه حلقته ومستمعوه ، وكلهم مالكيون وكان أشهب بن عبد العزيز رئيس المذهب .

وجلس الشافعى فلم يأو اليه مستمع ولم يجتمع حوله الطلاب ، وضاق صدرا فقال له بعض من قدم معه لو قلت شيئا يجتمع اليك الناس فقال له اليك عنى وأنشد

أأنثر درا بين سارحة النعم
وانظم منثورا لراعية الغنم

وتحدث لمن معه وبدأ الناس يستمعون ويجذبهم حسن الحديث .

لم يقف بحديثه عند الفقه فقد كان منوع المعارف غزير المحصول الى قوة الحجة وفصاحة اللسان . قال عنه بعض أصحابه : اذا تكلم فى الشعر وانشاده قلت هو بهذا اعلم واذا تكلم فى الفقه قلت هو بهذا أعلم ، واذا أخذ فى العربية قلت هو بهذا أعلم ، .. وقد سأله الرشيد مقدمه عليه : كيف علمك بالقرآن ؟ فأجاب عن اى علومه تسألنى ؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبى وعرفت وقفه وابتداءه ، وناسخه ومنسوخه وليله ونهاريه ووحشيه وأنسيه وما خوطب به العام يراد به الخاص وما يراد به العام .

قال الرشيد : فكيف علمك بالنجوم ؟ قال انى لأعرف منها البرى من البحرى والهلى والجبلى، والفيلق والمصبح وماتجب معرفته، قال فكيف علمك بأنساب العرب ؟ قال أعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبى ونسب امير المؤمنين. الى آخر هذا الحديث الطويل فى كتب التراجم والتواريخ .

واصبحت له حلقة بمسجد الفسطاط فكان اذا صلى الصبح جلس بها فيجيئه اهل القرآن فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء اهل الحديث ، فاذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء اهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون الى قرب انتصاف النهار .

وأعجب به طلابه فمالوا الى مذهبه وبدأ المالكية يتحولون اليه ، وكان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم من هؤلاء ، وكان الشافعى يحبه ويكبره ويميزه على كل تلاميذه ويقول وددت لو أن لى ولدا مثله وعلى الف لا أستطيع أداءها ، وكان رجال الفقه المالكى يشكون محمدا هذا الى أبيه ويقولون ان انصرافه الى الفقه الشافعى يغض من المذهب ويغرى الآخرين بالانصراف معه

ولكن أباه كان يعتذر لهم عنه بأنه حدث يحب ان يعرف المذاهب الاخرى ويقف على رأى

المخالفين ، فاذا خلا بابنه نصحه بالتزام الشافعى والأخذ عنه ، وكان محمد يطمع ولعل أباه كان يطمع معه - أن يكون رئيس المذهب الشافعى ، وخليفة الامام فى كرسيه، ولكن الشافعى استخلف تلميذه البويطى .. ولعل ذلك لقدمه واصالته فى المذهب ، وأحزن ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فعاد الى حلقات المالكية ثم كان رئيس مذهبهم بعد أبيه .

تصدى الشافعى لمسائل وفروع كثيرة وأملى رسائل وكتبا موجزة فى مسائل متعددة من الفقه وأعاد رسالته التى كان ألفها بالعراق ، وقد جمع البويطى هذه المؤلفات - كلها أو معظمها - فى كتاب واحد ورتبه ونسقه وسماه « الأم » وقد ظن أن الكتاب له ولكنه فى الواقع روايته وترتيبه فقط ، أما صاحبه فهو الشافعى .

أدخل الشافعى على الفقه المصرى لونا لم يألفه من قبل تفكير المصريين ، وهو الموازنة بين المذاهب والمناظرة بين الآراء وتفريع الجزئيات وافتراض المسائل ، وكان المصريون لكثرة اشتغالهم بالحديث يغلب عليهم الاستسلام وقلة المجادلة ، أما طريقة الشافعى فهى منهج العراقيين ، لنشأة المذهب الكلامى بينهم ، ولاحتكاكهم بطوائف غير مسلمة ولشيوع المناظرات هناك بين أصحاب العلوم المختلفة وكان الخلفاء يهتمون بهذه المناظرات ويحضرونها فيزيدها ذلك نشاطا ويذكى على نارها وقودا ، فلما جاء الشافعى بهذا اللون الى مصر كان فى عمله مساس بالمذهب المالكى وعلمائه فبدأت العداوة تنشب بين الطائفتين ولم تهدأ بعد ذلك . وكان عيسى بن المنكدر الذى تولى قضاء مصر فيما بعد يصيح بالشافعى : فرق الله بين روحك وبدنك ، دخلت هذا البلد وأمرنا واحد ورأينا واحد ففرقت بيننا وألقيت بيننا الشر .

وقد عهدنا الشافعى منذ حداثته يميل الى هذه النزعة ، وكان مالك يكرهها ويتهيب تلاميذه أن يظهروا بها أمامه عدا الشافعى فانه كان يجرؤ على طول نقاشه وتفريع المسائل الفرضية أمامه ، وكان مالك يقول له أعراقى أنت أم من أهل الرأى أنت .. عليك بالعراق ، الى أمثال هذا ، فلما أقام بالعراق أذكى فيه هذه النزعة ، فكاد يفهم العلم على أنه لون من المناظرة وأسلوبه فى تاليفه يشبه المناظرات ، فنجده يفترض مسائل يذكر وجهتها ثم يعود فيرد عليها ويبطلها ، وكان يلذ له أن يناظر العلماء فيسكتهم أو يستفيد منهم ، فاذا رأى شخصا يتظاهر بالعلم او لا يعطيه حقه كعالم قال له أتناظر ثم دخل معه فى مناظرة ومناظراته مع محمد ابن الحسن الشيبانى واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه مشهورة وعادت عليه هو بالشهرة ، وقد فخر به الرشيد اذ قطعه محمد بن الحسن فقال : « وماذا تنكر لو حل من ولد المطلب أن يقطعه محمد بن الحسن وفى مصر تهيب ابن هشام صاحب السيرة من لقائه فلما قابله تذاكر الأنساب - لا الفقه - وانقطع ابن هشام .

وآخر مناظراته هى مناظرة « فتيان » المالكى وكان فتيان أحمق فلم يطق الهزيمة أمام الشافعى فأخذ يسبه ويشتمه والشافعى لا يرد ، فلما علم الوالى استدعى فتيان فعاقبه عقوبة قاسية أغضبت أنصاره فتحينوا انصراف تلاميذ الشافعى وخلو حلقته منهم فهجموا عليه وضربوه ، وحمل الى منزله عليلا فبقى به حتى مات .

كانت وفاته حدثا محزنا ، وطلبت السيدة نفيسة أن تصلى عليه بعد أن صلى عليه السرى ابن الحكم أمير مصر فأدخل الى بيتها وصلت عليه ، ودفن فى بيت عبد الله بن عبد الحكم ومعه الآن فى مقبرته عبد الله هذا وأخوه عبد الرحمن .. وقريب منهم تلميذه محمد ، وهكذا عاشوا معا ودفنوا معا .

وكان مذهبه أبرك المذاهب على مصر ، نمى جلة علمائها وأعظم المؤلفات فيها ، وكان مثالا نادرا فى علمه وخلقه وأدبه .

طريق الدعوة الإسلامية

الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

تناول كثير من الكتاب والمؤلفين الدعوة الاسلامية دراسة وشرحا ، واضعين نصب اعينهم وجل همهم على اسلوب الدعوة وموضوعها . وعلى كيفية التاثير على السامعين عن طريق البلاغة فى القول ، والفصاحة فى التعبير ، والقوة فى الاسلوب . وسلكوا هذا المنهج العلمى مرشدين الوعاظ ، والدعاة باستعمال الكلمات الاكثر روحا فى اعطاء المعنى والمرمى ، وباختيار التركيب الاسلم فى نيل المراد والاقرب فى الوصول الى المقصود حتى تكون تلك الدعوة مفيدة من حيث التاثير الروحى فى اداء المهمة الدينية . والرسالة الاسلامية ، ومن حيث القيام بالواجب الانسانى المقدس فى انقاذ الانسانية من ظلام الضلالة الى نور العلم والهداية . والى طريق الحق القويم ، والى الصراط العزيز الحميد تحقيقا لرغبة الاسلام فى ابلاغ الدعوة ونشر الرسالة رحمة للعالمين .

وقد تناولت موضوع « الرعاية فى الدعوة الاسلامية» ذات مرة فى مجلة « منبر الاسلام» الغراء ذاكرا ماينبغى اداؤه لتحقيق الامنية الاسلامية فى بعث نور الحق امام العالم المضطرب تفكيرا وعقيدة ودينا حتى لعبت السياسة دورها فى تحقيق اغراضها . وشعرت ان العود الى هذا الموضوع جد هام ، ليكون اكثر فائدة فى تنمية الفكرة الوعظية ، ونشر المهمة الدعوية ، وفى اظهار وسائل الوصول الى الهدف من اقصر طريق واسهل سبيل بل فى تحديد عيوب الماضى ، واخطاء الخطوات السابقة .

منذ شهر قمت فى رحلة العودة الى ارض الوطن على باخرة ايطالية من بور سعيد الى جاكرتا ، وقد رايت مارايت طريق حياة الاجناس المختلفة فى مكان واحد محدود . فى ارض قائمة وسط البحر الخضم تحمل شعوبا من بقاع الارض . تتكلم لغات متعددة مختلفة كل الاختلاف . لا ترابط بينها ولكن الكل يشترك فى لغة تفاهم واحدة . وهى دولية سائدة ، اعنى اللغة الانجليزية التى اصبحت لغة تخاطب الشعوب ، ولغة تفاهم الامم ، ولغة التفكير العالمى . ولغة العلم الدولى . فهى اللغة التى جمعتنا فى صف الحياة للتعبير عن المراد والآلام والاسقام . وعن الافراح والسرور والحبور . وهى اللغة التى قربتنا نفسيا وعقليا للتفاهم والتعبير عن مكنونات الصدور ، ومختلجات النفوس .

وجدت على ظهر هذه الباخرة شعوبا من القساوسة والراهبات من اجناس مختلفة ، يظهرون فى ملابس بيضاء ناصعة البياض ، او سوداء لامعة السواد او بنية اللون ، ومهما كان لون الملابس ، ومهما كان نوعها فانها نظيفة غاية النظافة ، منسقة تمام التنسيق ، كاملة الهيئة تظهر علامة الرهبة ومظهر العظمة . وهم فى لقائهم دائمو التبسم فى اشراق وتبدو اسنانهم فى نظافتها كاللآلىء البيضاء ، واحذيتهم لامعة كالمرآة التى تعكس صور الاشياء . وباختصار فان مظهرهم - على وجه العموم - ملفت للانظار ، جذاب خلاب ، واحاديثهم - فى لباقتها - غاية فى الجاذبية اذ يعرفون كيف يعرضون المسائل ، وكيف يدخلون فى نفوس الناس ، وكيف يحشون المواضيع ، وكيف يبداون الاحاديث . وكيف يعالجون المشاكل ، وكيف يخاطبون الناس ، وكيف يداعبون الاطفال ، وكيف يدخلون فى الحوار . انهم اناس دربوا على هذه الحياة ولها ، واخذوا مدة طويلة فى دراسة هذه المسائل حتى اصبحوا فى الحياة قطعة من حياة البشر العامة نفسيا وعلميا وعمليا وصاروا من لزوم المجتمع الانسانى ، ومن مستلزمات الاندية وحياة الاسر ، فلا يخاطبون الناس ببذىء الالفاظ مهما كانت الظروف ، ومهما تباعدت وجهات النظر ، ومهما اختلفت جنسياتهم . وفى الحق انهم مارسوا هذه الحياة ، ودخلوها عن علم بكل ما تحتاج اليه من لباقة وفن الحديث ، ومنطق النقاش ، والحكمة الدبلوماسية ، والسياسة النفسية ، والروح الاخوية وصبر واحتمال ، وانكار الذات والتواضع المسامح . لا ريب ان اساليبهم هى هذه المهمة الخطيرة قد ادت الى نتيجة ناجحة مرجوة ، لانها مبنية على تفكير سليم ، وتخطيط حكيم ، وسياسة مرسومة وتنظيم موضوع ، ودراسة مدروسة .

انى ارى هؤلاء القوم يقومون بنشاط ملحوظ فى كل مكان وعند كل فرصة سانحة واذا وجدوا اى فراغ ناخر · ففى الباخرة لهم نشاط دينى ، ولهم مكان بمكانة ، ولهم اسلوب حياة وطريق نمو · فى يوم لاحد يقيمون صلاتهم ، ويقودون حركة العبادة على طريقتهم الخاصة · وفى كل مناسبة يؤدون مهمتهم الدينية على اشكال مختلفة وعلى اوسع مجال · ومما يؤسف له ان هذه البواخر خاضعة لشركات اجنبية غير اسلامية ، لا تعطى اهمية لركابها المسلمين وأن كثروا عددا ، ولا تبالى بوجودهم رغم انهم يسافرون دائما على هذه البواخر وامثالها حيث لا توجد بواخر اسلامية روحا ومعنى · فالاطعمة غريبة صرفة بمعنى انها لا تلائم الجو الاسلامى لانها ملوثة بالمحرمات · والمسكرات توضع على كل مائدة ، بل الاطعمة والحلوى مخلوطة بالخمور ، فلا اعتبار للمسلمين ، ولا قيمة لوجودهم ولا اهتمام لامرهم ، ولا ملاحظة لشانهم ، ولا حساب لهم مهما كانت مكانتهم المادية والمعنوية ، ومهما كثرت جملة عددهم · بيد ان هذه الشركات تتعامل مع الدول والحكومات الاسلامية بل تتعاقد معها للنقل والملاحة ، وهى تمر على البلاد الاسلامية وموانيها فى كل رحلاتها ، ولا تخلو رحلة ما من وجود العنصر الاسلامى فيها · ولا يمكن استغناؤها عن الموانىء الاسلامية وعن معاونة المسلمين لها مباشرة او غير مباشرة وانها لا تستطيع فى عملها الاستغناء عن الجهود الاسلامى ، وعن اليد الاسلامية ، وعن ابناء الاسلام ولكن لماذا قامت تلك الطريقة فى حياة البواخر التى لا تعطى للمسلمين شانا ما ، واعتبارا ما وحسابا ما ؟!

اهذا لضعف المسلمين ام لقلة عددهم ام لعدم تعاونهم ام لخضوعهم ام لعدم مبالاتهم ام لرغبتهم فى تقليد الغرب حياة وعادات وتقاليد ام لانهم عنصر التابع لا المتبوع وعنصر المرءوس ؟!

انني ارى لمثل هذه الشركات وضع نظام خاص لركابها المسلمين سواء اكان فى الماكل والمشرب ام فى اشياء اخرى ذات صلة بالدين ، فلا بأس ان تعين طباخا مسلما يطهى للمسلمين طعامهم ، ويلاحظ شانهم فى الماكل والمشرب حتى لا يقعوا فى المحرمات عمدا او عن غير عمد ، وحتى يسلموا من الشكوك ومن الجوع والعطش ، ومن المهانة والذل والخضوع لنظام غربى لا يلائمهم ولا يسير مع حياتهم ويستسيغونها كما وكيفا · ينقصنا هذا الامر ولا سيما فى الوقت الذى لا نملك فيه بواخر اسلامية ·

ولقد تحدثت الى احد سفراء العرب كان معى فى هذه الرحلة ، وكان الحديث حول الدعوة الاسلامية وطريقة نشرها ، وما يجب ان يتوفر فى الوعاظ والدعاة من شروط للعمل تحت ظلال هذه الرسالة الدينية الخطيرة حتى يؤدوا هذه المهمة على اتمها ، وعلى خير وضع وعلى اتم صورة واكملها ، فلا يعابون على تقصير فى العلم والمعرفة ، والخلق والدراية ، وفى العادات والتقاليد قد تكون نتيجة عدم الخبرة وعدم الاطلاع او تكون لسبب المغريات المادية ، والسطوة العلمية ، والعنجهية العنصرية ، والشعوبية وغير ذلك من الامور التى تعترض الانسان الفردى عندما يشعر بانه قد علا شانا فى العلم او المركز · وقد كان حديثنا يتناول اكثر من موضوع ، ولكنه حديث شائق اخذت اطرافه مهمة المسلمين فى اداء الرسالة الدينية فى انحاء المعمورة لمواجهة فكرة الوجود وغيرها ·

واخيرا وصلنا الى نقطة اختيار الدعاة والمبعوثين الى الخارج لاداء مهمة اسلامية ·

وقد ابديت رايى فى هذه المسالة قائلا انى ارى :

١ – اختيار هؤلاء الدعاة منذ البداية ممن يصلح لاداء هذه المهمة ، ومن يريد ان يقوم بهذه الرسالة ممن تتوافر فيهم الشروط من لياقة بدنية ، واستعداد علمى ، وتفكير سليم ، وعقل راجح ، وصدر رحب واسع · وفوق كل هذا يتصفون بالتضحية الذاتية فى سبيل الاسلام والدعوة له ، متحملا متاعب الحياة فى التغرب عن الاهل والوطن ، والبعد عن الاهل والخلان ، ويكون تفكيره دائما انجاح مهمته واداء رسالته ·

٣ – ادخال هؤلاء فى عداد الوعاظ الاعداد الكامل منذ الفجر الاول من تاريخ حياتهم العلمية ثقافيا ، ودينيا ، وخلقيا · ثم يتدرجون فى التعلم والتعليم على اساس قويم حتى التخرج حيث يدربون على خير العمل الدينى ليكونوا علماء عاملين وعاملين دينيين · ويكون اعدادهم مستوفيا لشروط هذه المهمة الشاقة التى تتطلب الرجولة ، والشجاعة والاقدام ·

٣ – تخصيص مهمة هؤلاء للدعاية الدينية والدعوة الاسلامية ، وتضع فى نظرهم هذه المهمة جلية حتى يعلموا انهم رجال الاعمال الخارجية ، ويتجولون فى بقاع الارض ، شانهم شان الدبلوماسيين الذين تخصصوا فى النواحى السياسية من العلاقات الدولية ليعطوا صورة حقيقية عن وطنهم ويحسنوا العلاقات بين الحكومات والدول · وهؤلاء الدعاة هم دبلوماسيون من شعب لشعب ليؤدوا رسالة سامية ، رسالة سماوية ، رسالة القلوب والعقائد ، رسالة العلم والاخلاق ، رسالة العادات والتقاليد ، رسالة النفس الخيرة ، رسالة الصفاء والاخوة والانسانية ·

وهم عند ذلك يؤدون هذه المهمة من آن لآخر ، اذ يذهبون الى بلدة ما ثم يعودون الى بلادهم ثم يرسلون المرة تلو المرة الى بلاد اخرى حيث لا مهمة لهم الا هذه الرسالة · ومن هذه الناحية لا يضعون تحت اعينهم مهمة جمع المال وتكنيزه ، ولا يظنون ان الفرصة لهم مرة واحدة ثم يعودون الى بلادهم حيث لا عودة ، ولا يخرجون منها للمرة الثانية ، فيعتبرون تلك المرة هى المرة الاولى والاخيرة وهى الفرصة التى لا ينبغى اضاعتها وعدم الانتفاع منها فى جمع المال والثروة لانفسهم مادة لمستقبل حياتهم ·

والتفانى فى هذه السبيل حتى اذا عادوا الى بلادهم كونوا لانفسهم مادة لمستقبل حياتهم ·

قد لا نسىء الظن بهذه الفكرة فانها من طبيعة البشر ، ولكننا بصدد اصلاح طريق الدعوة الاسلامية فلا نريد ان تتاثر بهذه المسائل الدنيوية البحتة ، ولذلك لا نهمل المادة من حيث هى ، ولا نعارض الطبيعة الانسانية من اساسها ولكننا ننظمها حتى تلتقى مع هذه الرسالة لقاء سليما وفى نقطة الدفاء وهى السمو الفكرى ، والسعى العمل حتى يكون هؤلاء الناس رجالا عاملين فى الحقل الدينى لخيرى الدنيا والاخرة ، ولتقوية الروح والبدن للسير مع الطبيعة الاسلامية التى عبر عنها على بن ابى طالب فى قوله المأثور « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » ·

الصوم أمانة

فضيلة الشيخ احمد الشرباصي

ما اجمل كلمة « الامانة » ، وما ارق وقعها فى نفس الانسان ، وما اروع معناها فى عقله وفكره ! انها لفظة توحي بالامن والامان ، والثقة والاطمئنان ، وتشعر بتبادل الصيانة والحفظ لما ينبغى ان يحفظ ويصان ، وما من مجتمع يسود فيه خلق الامانة الا ويسمو فى مدارج العلو والرفعة درجات فوق درجات .

والامانة هى الصفة التى تدعو صاحبها الى حفظ ما يؤتمن عليه من شىء مادى او معنوى فى السر والعلن ، وقد تطلق كلمة « الامانة » على الشىء المحفوظ المصان عند الامين ، وقد تعرض المفسرون لقوله تعالى : « اناعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » . فقال بعضهم ان الامانة هى كلمة التوحيد ، وقال آخرون انها العدالة ، وقال غيرهم انها العقل ، والاقرب هو انها جميع التكاليف التى كلف الله بها عباده من اوامر وواجبات ، ومن نواجر ومنهيات ، وحملها هو طاعة الله فى جميعها بايمان واخلاص .

ولقد دعا الاسلام العظيم الى التجمل بخلق الامانة فى كل ميدان ، فقال التنزيل المجيد فى سورة النساء : « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها » . وقال فى سورة البقرة : « فليؤد الذى اؤتمن امانته » . وقال فى سورة الانفال ناهيا عن تضييع الامانة او الميل الى الخيانة : « يايها الذين آمنوا لاتخونوا اللهوالرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون » ، ووصف الله عباده الاخيار الابرار فقال عنهم فى سورتى المؤمنون والمعارج : « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » .

ونلاحظ ان « الامانة » صفة اساسية لازمة لــكل رســول . ولقد رايناهم فيما حدثنـــا القرآن الكريم عنهم . فاذا هم يتــوالون رســولا بعد رســول وكل رسول يقول لقومه : « انى لكم رسول امين » . وعد القرآن الكريم الامانة على لسان العفريت عند سليمان عليه السلام - سببا لاقتداره واستطاعته احضار عرش بلقيس ، فقال : « وانى عليه لقوى امين » . كمـــا جعل القرآن الامانة صفة جبريل سفير الرحمن ، فقال : « نزل به الروح الامين » . كما جعل القرآن الامانة - على لسان بنت شعيب عليه السلام - احدى صفتين استحق بهما موسى عليه السلام ان يكون صهرا لشعيب : « قالت احداهما يا ابت استاجره ، ان خير من استاجرت القوى الامين » .

وفى الحديث الشريف جاء فى شان الامانة : « الامانة غنى » ! وعن انس رضى الله عنه قال : « ماخطبنـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال : « لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لاعهد له » . ولقد علم النبى عليه الصلاة والسلام اتباعه ان يقول الواحد منهم لاخيه اذا سافر وارتحل : « استــودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » .

واذا كانت تعاليم الاسلام وعباداته تهدف الى ايجاد خلق الامانة فى نفس المؤمن ، فان الصوم من اقوى هذه العبادات فى تربية هذه الامانة اذا اقبل المؤمن على ادائه بصدق واخلاص ومراقبة ، لان العبادات الاخرى كالصلاة والزكاة والحج قد توجد فيها معان للتظاهر او التباهى او المراءاة ، واما الصوم اذا تحقق واستقام فاننالانتصور معه وجود شىء من النفاق او الرياء ، لان الصوم فى حقيقته سر بين الانسان وربه، فاذا كمل اصبح كالاخلاص الذى يبقيه الله تعالى سرا بينه وبين عبده ، لايطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، حتى يلقى الانسان ربه فيجزيه الجزاء الاوفى ، ولعل هذا هو بعض مانفهم من الحديث القدسى الذى يقول : « كل

عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلى » !

ولعل اول مايطالعنا من حديث الامانة عند الصائم هو قول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « انما الصوم امانة ، فليحفظ احدكم امانته »

وهكذا عبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن الامانة فى الصوم بطريق الحصر والقصر ، فكانه قال : ليس الصوم الا امانة . ولعل السبب فى ذلك هو انه اراد ان يشير الى ان عماد الصوم وسناده هو الامانة ، لان الصوم فى جوهره وصميمه عبادة باطنية مستورة ، اذ ينوى الانسان الصوم بينه وبين ربه ، والنية محلها القلب الذى لايطلع على حقائقه ودقائقه الا خالقه وبارئه جل جلاله ، ويمضى الانسان نهاره صائما ، والمفطرات من حوله ، ليس عليه من رقيب ولا حسيب سوى ربه المطلع على الضمائر والسرائر : « انه عليم بذات الصدور ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . فيتعود الانسان مراقبة الله علام الغيوب ، ويمنع نفسه بنفسه عما يفسد صومه ، فيحيا ضميره ، وتقوى مراقبته ، واذا خاف ربه فى الانفراد والوحدة ، فانه سيكون فى الملأ والاجتماع اشد خوفا ورهبة .

والصوم فى الحقيقة قانون الهى للبطن والشهوات ، يحكمها من الداخل لا من الخارج ، فما اكثر الذين يخضعون لقوانين الارض من الظاهر ، ثم يفسدون مقاصد هذه القوانين من وراء ستار ، واما قانون الصيام فان سلطانه ينبع من اعماق النفس واغوار الضمير ، ولذلك كان الصوم كما اشرنا سرا مكتوما بين الخالق والمخلوق

ولان الصوم فيه هذه « الباطنية » المستورة ، وفيه هذه « الداخلية » التى لايطلع على امرها الا الله الذى يعلم السر والنجوى ، جعل الله تبارك وتعالى هذا الصوم عملا خالصا لوجهه ، تزيد مضاعفة الثواب عليه ، الى ماشاء الله ، حتى يغمر عبده بفيوض كريمة من رحمته ونعمته ، كما جاء فى الحديث القدسى السابق ، وكما جاء فى حديث نبوى تضمن معنى هذا الحديث القدسى ، وفيه : « كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر امثالها ، الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصوم فانه لى ، وانا اجزى به ، يدع شهوته وطعامه من اجلى »

ولان الصوم يعلم المؤمن الوقاية الاختيارية ، والحصانة الذاتية ، والامانة المنبثقة من الاعماق ، والتى تجعل صاحبها يحاسب نفسه قبل ان يحاسبها غيره . وان يحكمها من الداخل قبل ان ياتيها الحكم من الخارج ، جعل القرآن الكريم ثمرة الصوم الكبرى هى التقوى التى تؤدى الى الوقاية من جهة ، والى القوة القويمة من جهة اخرى ، فقال عز من قائل : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « الصيام جنة » - بضم الجيم - اى وقاية وحصانة ، فهو يقى صاحبه مما لاينبغى له ولا يليق به ، وقد تدعوه دواعى الاثارة والغضب الى ان يفعل مالايحسن او ان يقول مالا يجمل به ، ولكنه بصومه الواقى يتابى ولا يتردى ، ولذلك قال سيد الانبياء : « اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولايصخب ولايجهل وان امرؤ شاتمه فليقل : انى امرؤ صائم انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم » !.. اى يوجد عندى من الوقاية مايمنعنى ويحول بينى وبين الاستجابة لدواعى الشر فى القول او العمل .

وهكذا يحصن الصوم صاحبه بما يربى فيه من فضائل ، وهو يقيه مايتجنبه من قبائح ورذائل ، ولذلك يتوافر له زاد روحى معنوى نفسى ، يكون له سندا ومددا ، اليوم وغدا : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا اولى الالباب » ، « ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون ، لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة ، اصحاب الجنة هم الفائزون » .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصائم ومراقبته لخالقه ، وامانته مع ربه : « يقول الله عز وجل : انظروا ياملائكتى الى عبدى ، ترك شهوته ولذته، وطعامه وشرابه من اجلى » والمراقبة الصادقة لله هى كمال التقوى .

وعلق حجة الاسلام الامام الغزالى على الحديث القدسى الذى يقول : كل عمل بن آدم له الا الصوم ، فانه لى وانا اجزى به » فقال :

« هو جدير بان يكون كذلك ، لان الصوم انما كان له ، ومشرفا بالنسبة اليه - وان كانت العبادات كلها له - كما شرف البيت « يعنى الكعبة » بالنسبة الى نفسه ، والارض كلها له - لمعنيين : احدهما ان الصوم كف وترك ، وهو فى نفس الوقت سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع اعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومراى ، والصوم لايراه الا الله عز وجل ، فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد ، والثانى انه قهر لعدو الله عز وجل ، فان وسيلة الشيطان - لعنه الله - الشهوات ، وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع » .

ومتى توافر للانسان اخلاصه فى العمل السرى المستور وقهره للشهوات ، فقد صار امينا حق امين .

ومن شان الصائم الصادق المخلص ان يحفظ الامانة فى كل شىء ، يحفظها فى معدته ، فلا يتناول مفطرا وهو صائم ، ولا يدخل اليها سحتا او حراما حين يفطر او حين يتسحر ، ويحفظها فى بصره فلا ينظر الى محرم ، بل يستخدمه فى كل نافع ، ويحفظها فى سمعه ، فلا يلقى به الى احاديث الخنا والفجور ، ويحفظها فى جوارحه ، فلا يستخدمها الا فيما يفيد ويحفظها فى عقله فيقويه وينميه ، ويحفظها فى روحه فيتسامى بها ويرتفع حتى تزداد طهرا ونورا ، ويحفظها فى مشاعره وافكاره ، فيحيى فى قلبه مشاعر الخير ، وعواطف البر ، وافكار الاصلاح .

ولقد قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ربه تبارك وتعالى : « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها » ثم وضع يده على سمعه وبصره وقال : « والسمع امانة ، والبصر امانة » . وهذا مع الفرد العادى ، فكيف بالمؤمن الصائم ؟!

« انما الصوم امانة » .. هكذا قال سيد البلغاء الذى اوتى جوامع الكلم ، فلنحفظ هذه الامانة ، ولنؤدها الى صاحبها بلا نقصان او خيانة ، انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب .

الجندية في الإسلام

الدكتورة سعاد ماهر

كان عرب وسط شبه الجزيرة قبل الاسلام أهل بداوه لا نظام للجندية عندهم . وان كان لعرب البادية سواء فى الجاهلية او صدر الاسلام خبره بفن القتال اكتسبوها بطول المران فيما يقع بين القبائل من غارات او مناوشات تشبه مانسميه اليوم بحرب العصابات . ومن القبائل من كانت تسوق الألوف لقتال امثالها ، فقد قيل ان قبيلة مدحج استعدت لقتال تميم يوم الكلاب الثانى بثمانية آلاف مقاتل .

اما الدول العربية المتمدينةونعنى بها دولة الحميديين فى الجنوب ، ودولة الغساسنة والمناذرة فى الشمال ، فكانت تملك الجيوش المنظمه . فقد ذكروا ان جيش الغساسنه الذى حارب المنذر بن ماء السماء كان يبلغ اربعين الفا بين راجل وفارس . كما ذكروا ان ملوك الحيرة ، كان لهم كتيبتان من الفرس والعرب هما الشهباء والدوسر ، وكانت جند الشهباء من ابناء الفرس . وجند الدوسر من أبناء القبائل العربية ، فاكتسبوا بذلك كثيرا من الفنون الحربية .

فلما جاء الاسلام ألف بين قلوب من آمن به من العرب فاصبحوا بنعمة الله اخوانا يدافعون عنه بالنفس والنفيس لاعلاء كلمة التوحيد وحماية الدعوة ونصرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعلى ذلك يمكن القول بأن أول جند فى الاسلام هم المهاجرون . ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبين الانصار صاروا جميعا جيشا واحدا بقيادته عليه السلام . ثم اخذ جيش المسلمين يزداد بالغزو والفتح .. حتى تكاثروا فتكاتفوا وحملوا على الشام والعراق ومصر ، ففتحوا البلاد ومصروا الأمصار . وقد انقسم الجيش الي فرق يقيم بعضها فى مصر وبعضها فى الشام وبعضها فى العراق فى معسكرات خاصة بهم ، وانصرفوا الى الزراعة وتكوين الثروة وامتلاك العقار الثابت ومالوا الى الرخاء والتقاعد عن الحرب ، ففطن عمر بن الخطاب الى ما فى ذلك من خطر ، فارسل الى امراء الجند ان يبلغوا الرعية ؟، عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائر فلا حاجة بهم الي الزراعة .

كان لسلمون فى عهد الرسول صل الله عليه وسلم وطوال عصر الخلفاء الراشدين يذهبون الى الحرب جهادا فى سبيل الله ونشر دينه ، فلما فتحت الأمصار وتوطدت أركان الدولة الاسلامية لم يعد المسلمون يرون ما يدفعهم الى الحرب طوعا . فجعلوا يتقاعدون فاضطر خلفاء الدولة الأموية الى التجنيد بالالزام .

وكان أول من فعل ذلك هو الخليفة عبد الملك بن مروان، فقد جاء فى مروج الذهب « فتولى عبد الملك الخلافة والجند على ماتقدم لايرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فشكا ذلك الى روح بن زنباع صاحب شرطته ، فقال له يا امير المؤمنين ان فى شرطتى رجلا لو قلده امير المؤمنين عسكره لارحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله ، يقال له الحجاج بن يوسف » فاقره عبد الملك على رأيهوقلد الحجاج أمر الجند ، وكان شديدا عاتيا فلم يعد أحد يتخلف عن الرحيل والنزول . ومن طريف ما يحكى عن شدته وقسوته حتى مع اعوان روح بن زنباع الذى كان له فضل اختياره اميرا للجند ، ماجاء فى الطبرى : ان الحجاج وقف عليهم (أى اتباع ابن زنباع) وقد رحل الناس وهم على طعام ، فقال لهم « ما منعكم ان ترحلوا برحيل امير المؤمنين » فقالوا له « انزل يا ابن اللخناء فكل معنا » فقال « هيهات ذهب ماهنالك » ثم امر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم فى العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فأحرقت . فجزع ابن زنباع من ذلك وشكاه الى الخليفة ، الذى امر باحضاره ، فلما مثل

لوحة رقم « ١ » تبين موقعة حربية « من مخطوطة الشهنامة للفردوسى » من القرن التاسع الهجرى

بين يديه ساله عبد الملك « ماحملك على مافعلت » قال « ما انا فعلته يا أمير المؤمنين » قال « ومن فعله » قال « انت والله فعلته ، انما يدى يدك وسوطى سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له » وعمل الخليفة بمشورة الحجاج وحفظ عليه هيبته وقوة بطشه بالمخالفين لأوامره ، وبذلك تقدم الحجاج فى منزلته ، واستطاع أن يضع أول نواة للجيش القائم فى الاسلام عن طريق التجنيد الالزامى .

والى جانب هذا التجنيد الاجبارى كانت هناك فرق من المتطوعة تنتظم الى صفوف الجندية فى الحروب التى تقوم بها الدولة اذا ما اعتدى عليها معتد او دفاعا عن الدين والذود عن حياضه ، ومن ثم اصبح الجند الاسلامى يتكون من فئتين ، الجند الملزمة وعرفت باسم المرتزقة والمتطوعة وكلاهما عرب يرجعون فى انسابهم اما الى بنى قحطان وهم اليمنية او الى بنى عدنان وهم المضرية وفيهم جماعة قليلة من الموالى والعبيد .

ولما تولى بنو العباس الخلافة وكان ذلك بمساعدة الفرس ، دخل فى الجيش العنصر الفارسى وكان اول من دخل فى الجند الاسلامى منهم آل خراسان ، لانهم هم الذين نصروا العباسيين فى دعوتهم حتى وصلوا بهم الى مركز الخلافة بقيادة ابى مسلم الخراسانى ، فقد كانت فرق الجند فى ايام الخليفة المنصور ، تتكون من ثلاث فئات ، اليمنية والمضرية والخراسانية . على ان اعتماد الخلفاء العباسيين على الفرس لم يكن راجعا الى مساعدة هؤلاء لهم فى تاسيس دولتهم فحسب ، بل يرجع كذلك الى العصبية التى كانت تشتعل نارها من حين لآخر بين الجند العرب ، ويقول الطبرى فى ذلك ، ان الخليفة المنصور فكر فى تاسيس الكرخ جنوبى بغداد ليبعد عنه خطر جنده من اليمنية والمضرية .

وحدث فى عهد الخليفة المامون ان تعرض له عربى من عرب الشمال وقال له : انظر لعرب الشام كما نظرت الى عجم خراسان ، قال اكثرت على يا اخا الشام ، والله ما انزلت قيسا عن ظهور الخيل الا وانا ارى انه لم يبق فى بيت مالى درهم واحد ، اما اليمن فوالله ما احببتها وما احبتنى قط ، اما قضاعة فسادتها تنتظر السفيانى وخروجه فتكون من اشياعه واما ربيعة فساخطه على الله منذ بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من مضر ، ولم يخرج اثنان الا خرج احداهما شاريا .

ولما تولى الخليفة المعتصم استكثر من الاتراك فى حرسه الخاص ، لان امه كانت تركية ، فولاهم حراسة قصره وقلدهم اعلى المناصب واسند اليهم ادارة الولايات الكبيرة وآثرهم على الفرس والعرب فى كل شىء . وكان من نتيجة هذه المغالاة فى تميز العنصر التركى ان احتقر الاتراك الجندى العربى الاصيل واساءوا الى سائر اهل بغداد وكانوا كثيرا مايركبون الدواب فى شوارع بغداد ويركضون بها فيصدمون الرجل والمراة والصبى . فتاذى الناس من ذلك وشكوا امرهم الى المعتصم ، فلم ير غير الخروج بحرسه الاتراك من بغداد فبنى لهم مدينة جديدة باسم سامرا ، واقام معهم فيها . وبذلك اصبح الجند ينقسم اربع فئات : اليمنية والمضرية والخرسانية والحرس

وبدانا منذ العصر العباسى نجد لفظين يطلقان على الجندى المسلم ، فكان يعبر بالجند عن الجندى التركى وغيره من الاعاجم وبالحربية عن الجندى العربى

اما عن تنظيم الجند فى الاسلام واحصاء عدده ، فالى عمر بن الخطاب يرجع الفضل فى جعل الجند فئة مخصوصة ، اذ انشا لها « ديوان الجند » دون فيه اسماءهم وفرض اعطياتهم . ولم يكن هذا الديوان فى ذلك الوقت يعرف بديوان الجند بل كان يسمى « الديوان » فقط ، وكان لكل مسلم راتب يتناوله هو وراتب لعائلته واولاده ، فكان ديوان المسلمين باعتبار ان المسلمين كانوا كلهم جندا فى ذلك الوقت . وظل الحال على ذلك حتى اصبحت الجندية فئة خاصة من المسلمين .

وكان لابد ان تتوفر فى الجندى شروط معينة ، فاذا اراد مسلم ان ينخرط فى الجندية فعليه ان يقدم طلبا الى صاحب الديوان ، فينظر فى اهليته للجندية ، التى

تشترط ان يكون مسلما بالغا حرا مقداما ، فاذا استوفى هذه الشروط دون اسمه فى كشوف الجندية مع وصف كامل له : قده ولونه وملامحه وجميع مايتميز به مع ذكر نسبه او جنسه اذا كان من الاعاجم ٠

اما فى العصر العباسى فقد كانت صلاحية الجند للخدمة فى الجيش تقرر بعد اختبار دقيق يمر به طالب الجندية ويشرف عليه كبار القواد ٠ فقد وصف هلال بن الصابىء فى كتابه تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء طريقة هذا الاختيار فقال « ويقف القواد والغلمان بين يديه « اى الخليفة المعتضد » فى الميدان ، ويجلس كتاب العطاء واسفل بحيث لايراهم ، ويتقدم القائد ومعـــه جريدة باسماء اصحابه وارزاقهم ، فياخذها خادم منه ويصعد بها الى الخليفة ، ويدعو عبيد الله بن سليمان « القائد » بواحد واحد ممن فيها فيدخل الميدان ٠ ويمتحن ، فان كان يرمى رميا جيدا وهو متمكن من نفسه ومستقر فى سرجه ومصيب او مقارب فى رميه ، علم على اسمه «ج» وهى علامة الجيد ، ومن كان دون ذلك علم على اسمه «ط» وهى علامة المتوسط ، ومن كان متخلفا لايحسن ان يركب فرسه او يرمى هدفه علم على اسمه «د» وهى علامة الدون ، ثم يحمل بعد العرض والامتحان الى كتاب الجيش ليتاملوا حليته « كشف هيئة » ويقابلوا ماعنده من صفات لئلا يكون دخيلا او بديلا »

لوحه رقم « ٢ » تبين موقعـــة حربية من مخطوطة جامع التواريخ من القرن العاشر الهجرى ٠

كذلك كان عمر بن الخطاب او لمن امر باقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجنود اثناء الطريق ٠ بعد ان كانوا يقطعون المسافات الشاسعة بين الاقطار المختلفة على ظهور الابل والخيل ولا يجدون مايستريحون فيه الا اكواخا صغيرة مصنوعة من البوص وسعف النخيل ٠ وهكذا بنيت « العواصم والثغور » واقيمت الحاميات والحصون لصد هجمات الاعداء المفاجئة ٠

وكان عدد الجند فى السنة الاولى للهجرة لايزيد عن بضع عشرات ثم اخذ فى الازدياد بمن اعتنق الاسلام من الانصار والقبائل العربية فى شبه الجزيرة ٠ وفى حديث خرجه البخـــارى ان النبى قال « اكتبوا من تلفظ بالاسلام ، فكتبنا له الفـا وخمسماية » ٠ وبلغ عـدد المقاتلين فى غزوة تبوك فى السنة التاسعة للهجرة ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس ٠ وفى عهد الخلفاء الراشدين ازداد عدد المسلمين زيادة مضطردة لكثرة الداخلين فى الاسلام من العرب وغيرهم من الاجناس التى خضعت للدولة الاسلامية ، حتى وصل اكثر من «٣٠٠» الف فى آخر ايام الراشدين ٠ ثم اخذ عدد الجيش يتناقص بعد ذلك فقد بلغ فى عهد الدولة الاموية «٢٢٠» الف مقاتل موزعين على النحو الاتى «١٤٠ » الف فى الكوفة والبصرة « ٤٠ » الف فى مصر و «٤٠» الف فى الشام ولما توطدت اركان الدولة وثبتت اقدامها تناقص عـدد الجند الى درجة خشى معها الخلفاء مغبة هذا النقص فقرر عبد الله بن مروان التجنيد بالالزام كما سبق ان بينا ٠ وهكذا اصبح جيش المسلمين منذ عهد عبد الملك بن مروان يتكون من الجنود المرتزقة والقليل من المتطوعة ٠ فيقال ان هارون الرشيد حمل على هرقله « بالدولة البيزنطية » بجند عدده « ١٣٥» الف مقاتل من المرتزقة وقليل من الاتباع والمتطوعة ، وان المعتصم نازل عموريه فى جند عدده «٩٩٠٠» الف من المرتزقة ٠

اما عن نظام الجند فى الحرب فقد كان العرب فى الجاهلية يتبعون طريقة الكر والفر فيكرون على العدو ويفرون اذا آنسوا فى انفسهم ضعفا ، ثم يعودوا فيكروا وهكذا يسيرون على غير نظام موضوع او خطة مدروسة ٠ فلما ظهر الاسلام ، عمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما جاء فى الآية الكريمة ٠

« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » فكانت جنود المسلمين تقف فى صفوف متراصة ، وهو مايعبر عنه بالزحف ٠

وقد جاء فى السيرة النبوية ، ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعرض جنده يوم غزوة بدر فى السنة الثانية للهجرة ، فجعلهم صفوفا واخذ يعـــدل صفوفهم وفى يده سهم بلا ريش فمر برجل اسمه سواد كان مستنتلا من الصف فطعنه النبى فى بطنه وقال له

« استو يا سواد بن غزيه » وكان نظام الجند في الحرب في عهد الخلفاء الراشدين كما ورد مفصلا في وصية علي ابن ابي طالب لجنده يوم موقعة صفين سنة ٣٧ هـ قال ، « فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدراع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا على اطراف الرماح فانه اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واخفتوا الاصوات فانه اطرد للفشل واولى بالوقار واقيموا راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها الا بايدى شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر »

ولما اختلط العرب بالاعاجم ، اقتبسوا منهم بعض نظمهم وخاصة الحربية منها ، فقسموا جيوشهم الى كتائب عرفت بالكراديس واول من اتخذ هذا التقسيم او هذه التعبئة بالمعنى الحديث ، خالد بن الوليد في واقعة اليرموك في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، فقد قسم جيشه الى ٣٦ كردوسا ، كماقسم الجيش خمسة اجزاء ولذا كانوا يسمون الجيش كله خميسا ، احدها في الوسط تحت امرة امير الجند او القائد العام وتسمى قلب الجيش والى يمينه ويساره كتيبتان تسمى الميمنة والميسرة ، وامامه وخلفه كتيبتان تعرف الامامية بالمقدمة والخلفية « ساق الجيش » .

اما عن تسيير الجيوش ونظامها في ذلك الوقت المبكر من العصر الاسلامي ، فيظهر واضحا جليا من كتاب عمر ابن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص الذى جاء فيه : « وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم من منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص من قوتهم ، فانهم سائرون الى عدو مقيم الانفس والكراع ، واقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها انفسهم ويرمون اسلحتهم وامتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى اهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من اصحابك الا من تثق به لايرزا احدا من اهلها شيء فان لها حرمه وذمه ابتليتم بالوفاء بهما كما ابتلوا بالصبر عليها . فما صبروا لكم فتولوهم خيرا .

ولاتنتصر على اهل الحرب بظلم اهل الصلح ، واذا وطئت ارض عدوك فاذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك من امرهم شيء ، وليكن عندك من اهل الارض او من العرب من تطمئن الى نصحه وصدقه عان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه ، والناس عين عليك وليس عين لك ، وليكن منك عند دنوك من ارض العدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم ، وانخر الطلائع اهل الباس والرأى من اصحابك وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدوا كان اول من تلقاهم القوة .. واجعل اهل السرايا من اهل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولا تخص احدا بهوى فتضيع من رايك وامرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك ، ولاتبعث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة او ضيعة او نكاية ، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك اقاصيك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لاتعاجلهم بالمناجزة مالم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الارض كلها كمعرفة اهلها بها فتصنع بعدوك كصنعه بك »

ولما اختلط العرب بالفرس والروم وتفننوا في تعبئة الجيوش وهو مايعرف الآن « بالتكنيك » وذلك بما اقتبسوه من فنون الحرب عند هذه الشعوب وبما اخذوه عن كتبهم بعد ترجمتها ودراسة علومهم ، فتعددت ضروب التعبئة حتى صارت سبع تعبئات فيما يلي بيانها :

الاولى : يصف الجيش فيها على شكل الهلال ، ويقال ان الفرس القدماء استعملوا هذه الطريقة وهي نوعان الهلال المرسل او البسيط مثل هلال السماء ، وتعرف هذه الطريقة في التعبئة الحديثة باسم « راس السهم » وقد استعملتها قوات الحلفاء في محاربة جيوش المحور في شمال افريقيا في الحرب العالمية الثانية ، كما تستعملها مصر في تشكيلات قواتها الجوية ، والثانية على شكل هلال مقلوب وتعرف الآن باسم « راس السهم المقلوب » وتستعملها مصر كذلك في تشكيل قواتها الجوية ، والثالثة الهلال المركب وهو ان يكون على جانبي الهلال شبه هلالين كانهما جناحان ، وتتخذ الجيوش الحديثة هذه التعبئة لتامين تقدمها داخل اراضي يحتمل الالتقاء بالعدو فيها ، والرابعة هي المربع المستطيل وتعرف الآن باسم « الصناديق الدفاعية » وقد استخدمتها انجلترا في الحرب العالمية الثانية في صحراء ليبيا والخامسة هي ان ينظم الجيش في شكل المعين او المربع المنحرف والسادسة المثلث ويتخذ هذا التشكيل الآن في حالة الهجوم عندما يراد اختراق خطوط العدو الدفاعية القوية الصلبة ، والسابعة الدائرة المزدوجة ، ويتخذ هذا التشكيل الآن كما استخدمه نابليون بونابرت في حروبه .

وظل العرب في اوائل العصر الاسلامي وحتى العصر الاموى يستعملون نفس الرتب التي كانوا يستعملونها في جاهليتهم ، فقد كان يراس الجيش الامير فاذا احتاج الى من ينوب عنه لسبب او لآخر ، ولى رجلا يعرف بالمنكب ، ويكون تحت امرته خمسة عرفاء ، وتحت امره العريف عشرة نفر ، اما في عهد الدولة العباسية فقد جدت بعض الرتب العسكرية وحدثت بعض التغيرات ، فقد اصبح على كل عشرة رجال عريف وعلى كل خمسة عرفاء « خليفة » وعلى كل عشرة عرفاء « نقيب » وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد امير ، وكان جيش المسلمين يتكون من عدة فرق ، فمن جنود المرتزقة تتكون فرق المشاة او الحربية وسلاحهم

السيوف والحراب ، وفرق الرماة ويتسلحون بالتروس والنشاب والسهام والاقواس . ويلبس جنود هاتين الفرقتين الخوذ او البيض على رؤوسهم والدروع لتقي صدورهم . اما فرق النفاطين وهي التي يقوم افرادها بقذف النفط على الاعداء فيرتدون الملابس التي لاتؤثر فيها النيران عند اقتحام الحصون المشتعلة ، وكذلك يضم الجيش فرق العماديين الذين يحملون المعاول الى جانب السيوف والتروس .

وكما عنى المسلمون بنظام الجند وتفننوا في طرق تعبئته وخصصوا له الرتب والالقاب وزودوه بالسلاح والعتاد . وكذلك عنوا بزيه ولباسه . فقد كان لباس الجند يختلف باختلاف الفرق والاسلحة باختلاف العهود والازمان ، فقد حدث عندما تولى المتوكل على الله الخلافة ان امر بتغيير زى الجند القديم والبسهم اكسية رمادية وامرهم بالا يجعلوا السيوف على اعناقهم بل يتمنطقون بها حول وسطهم مقلدين بذلك الفرس .

والى جانب فرق المحاربة كانت هناك فرق المهندسين فقد استخدم العباسيون جماعة من المهندسين يعرفون باسم « المنجنقيين » ومن اشهر هؤلاء يعقوب بن صابر الذى وضع كتابا في الهندسة الحربية اسماه « عمدة المسالك في سياسة الممالك » تناول فيه كل الموضوعات الحربية من تعبئة الجيوش وتشييد الحصون والقلاع وكيفية الاستيلاء عليها ، والفروسية وصفات الخيل والفرسان وانواعهم ، وتركيب الآلات الحربية كذلك كان يزود الجيش الاسلامي بمستشفيات الميدان . فكانت الجرحى والمرضى تحمل على محفات تحملها الجمال

ولم يهمل الجيش الاسلامي شان المخابرات فكان يبعث الطلائع ويبث العيون لموافاته باخبار العدو وتحركاته وقد كان الزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعلى ابن ابى طالب ، عيون النبي ومخابراته يرسلهم الى مشارف ارض العدو يلتمسون الاخبار . وقد راينا في كتاب عمر بن الخطاب الى قائده سعد بن ابى قاص وهو في الميدان بان يبث العيون بينه وبين اعدائه حتى لايخفى عليه شيء من امرهم . وقد استخدم العباسيون كلا الجنسين من الرجال والنساء ليكونوا عيونا ومخابرات لهم . فكانوا يرتحلون الى البلاد المجاورة وخاصة الدولة البزنطية متنكرين في زى التجار والاطباء والعرافين وغيرهم من ذوى الحرف ، فيجمعون الاخبار التى يتسقطونها من الناس ثم ينقلونها الى الدولة ، وهكذا الحال لدى الجيوش الحديثة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه العزيز :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة . يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

صدق الله العظيم

بقية معالم الطريق

ان القوة العربية التى احتشدت ضد حلف بغداد اسقطت وتمكنت فى نفس الوقت من تصفية الوضع المهين لتبعية المنطقة العربية للنفوذ والسيطرة الاستعمارية كما أن احتشادها وراء قيام الجمهورية العربية المتحدة لم يحقق مجرد تجربة وحدوية لكنه فى نفس الوقت اثبت حتمية الوحدة وحتى مؤامرة الانفصال التى كان مطلوبا منها ان تقضى على التجربة لم تستطع برغم نجاحها الجزئى فى سوريا الان تضيف الى التجربة الوحدوية بعدا كان ينبغى أن لاينسى وهو البعد الاجتماعى ومع أن العمل الوحدوى بهذا البعد الجديد قد ازداد صعوبة الا انه بنفس المقدار اكتسب مقدرة هائلة على ضمان الولاء الوحدوى لاوسع الجماهير وعلى القواعد الاصلب والابقى من مجرد التاثير العاطفى والحنين الى عصور المجد فى التاريخ القديم .

اسرائيل لاتملك الحركة

وفى الوقت الحاضر يتكامل حشد قوة عربية شاملة ضد القاعدة العنصرية والاستعمارية فى اسرائيل واذا كانت هذه القوة لم تستكمل ما يتعين عليها ان تستكمله فان ماوصلنا اليه بدا يؤثر على ميزان القوى فعلا .

لم تعد اسرائيل تملك الحركة فى مواجهه شلل عربى تاخذه الصدمة كل يوم ولم يعد تأهبنا للعدو منى واحلام يقظة تتصور لكنها لم تصل بعد الى حد الاقدام على المخاطرة وتحمل تبعاتها .

فى المجال الدولى فان الشعب المصرى الذى لم يكن صوته يسمع عالميا بغير التظلم والشكوى قد اصبح سيدا وقائدا بين الطلائع الاولى فى قارته الافريقية وبين الطلائع الاولى فى التضمان الاسيوى الافريقى وبين الطلائع الأولى فى حركة الثورة الوطنية وبين الطلائع الاولى فى حركة مقاومة الأوضاع السائدة الاحتكارية فى التجارة الدولية وبين الطلائع الاولى فى مقاومة سياسات القوة وبين الطلائع الاولى فى العمل من أجل السلام .. قوة ينتظر رأيها .. ويسمع صوتها ..ويحسب حسابها فى مراكز التجمعات الدولية وفى عواصم العالم المختلفة على حد سواء .

تقدير لنضال شعبنا

ولقد كنت اشعر برضا غامر خلال المؤتمر الافريقى الاخير وانا اجد التقدير لنضال الشعب المصرى فما ان كانت الحاجة تبرز الى

عمل افريقى جماعى فى المجال الدولى الا وكان الكل على اختلاف مواقعهم يرون بالاجماع أن تكون الجمهورية العربية المتحدة مسئولة فيه ولقد كان ذلك فى المؤتمر الافريقى الاخير ، وفى غيره من محافل تجمع القوى المناضلة دليلا على التقدير الكبير للاخلاص النضالى للشعب المصرى من أجل اهداف الحرية والسلام والتقدم •

لم اكن ايها الاخوة بهذا الحديث عما استطاع عملنا ان يبلغه فى المجالات الداخلية والعربية والدولية. اقصد ان اعد او افاخر وانما كنت اريد ان استشهد على ما قلته من ان المبادىء الاساسية لنضالنا اكدت بحساب النتائج وحدها سلامتها وصلابتها •

واذن فنحن • ايها الأخوة • نواجه دفعة تطور وليس وقفة تردد •• ونحن نراجع ولا نتراجع •• ولقد انتهت خطة سنوات خمس وبدات خطة لسنوات خمس ثانية •

حساب الأرباح والخسائر

وامامنا حساب ارباح وخسائر بالارقام حقائق. ووراءنا الخبرة المكتسبة • من تجربة ضخمة لابدان نضعها فى حدمه التجربة الاصحم وخلال الانهماك فى العمل وعبر النضال اليومى من اجل الحياة ظهرت أمامنا افكار وصور وفى العالم العربى ووراءه فى العالم الدولى أوضاع وظروف مستحدثة نحن فعلا امام فاصل زمنى فعلى وامامنا رأى العين حركة انتقال بين مراحل •• وهو اذن الوقت الطبيعى والمنطقى لحوافز التطوير وللمراجعة •• ثم للتغيير انطلاقا اشد نحو اهدافنا ومبادئنا التى اثبت بحساب النتائج وحدة صلابتها وسلامتها •

واستعراض الأمر على هذا النحو ايها الاخوة ، يؤدى بنا الى حيث ندرك ان التغيير المطلوب ليس مجرد تبديل الاشخاص او الوجوه ،أو المناصب وانما هو شيء أوسع من ذلك فى اتساعه الموضوعى وفى ارضيته الفكرية وفى مقتضياته النفسية •

ايها الاخوة اعضاء مجلس الأمة •

استأذنكم فى أن أعود الآن الى نفس مجالات عملنا الثلاثة الداخلية والعربية والدولية بشىء من التفصيل اقصد منه ان اساهم فى استكشاف الافق الجديد امامنا •

وانى لاستميحكم العذر ان طالت هذه الجلسة مع التفاصيل وفى الحقيقة فانى اعتبر ان هذه الفرصة مناسبة أهم فى رأيى بكثير من ان تكون مناسبة احتفال تغطية المراسم التقليدية لافتتاح دورة برلمانية جديدة •

تقييم الخطة الخمسية الأولى

اولا العمل الداخلى •• وفى تفصيل الحديث عن العمل الداخلى فلسوف يكون التركيز على تقييم الخطة الخمسية الاولى للتنمية

والانتقال منها لكى نلقى نظرة على الخطة الخمسية الثانية ويذكر مجلسكم الموقر ان الهدف الذى ارتضيناه جميعا وارتبطنا به هو ان نضاعف الدخل القومى مرة كل عشر سنوات أو اقل اذا استطعنا ومن هذا المنطلق فلقد بدأنا بخطة خمسية اولى وضعت للتنفيذ سنة ١٩٥٩ – ١٩٦٠

ولما كانت النتائج النهائية لهذه الخطة طبقا للدراسات العلمية الدقيقة فى متناول ايدينا الآن • فان الصورة تكتسب لاول مرة وضوحا يستمد قيمته من الحساب الفعلى وليس من مجرد الحساب التقديرى مهما روعيت فيه اعتبارات التحوط والحذر لقد وجهنا الى الاستثمار خلال سنوات الخطة الخمسية مبلغ ١٥١٣ مليون جنيه بمتوسط سنوى قدره ٣٠٢ر٦ مليون جنيه وهو يعادل نسبة قدرها ١٩٪ من الدخل القومى فى المتوسط خلال سنوات الخطة •

توزيع الاستثمارات •

وكان توزيع الاستثمارات على النحو التالى بالاسعار الجارية :

الزراعة ١١٨ر٤ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ٧ر٨٪

الرى والصرف ١٣٨ مليون جنيه ونسبته فى لاستثمارات ٩ر١٪

السد العالى ٩٨ر٦ مليون جنيه ونسبته فى الاستثمارات ٦ر٥٪

الصناعة ٤٠٣ر٩ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ٢٦ر٧٪

الكهرباء ١١٢ر٦ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ٧ر٤٪

النقل والمواصلات والتخزين ٢٧٠ر٨ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ١٧ر٩٪

قناة السويس ٢٣ر٤ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ١ر٦٪

المبانى السكنية ١٦١ر٥ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ١٠ر٧٪

المرافق العامة ٥٠ر٥ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ٣ر٣٪

الخدمات الاخرى ١٣٥ر٣ مليون جنيه ونسبتها فى الاستثمارات ٩٪ –

وكان الانتاج المحقق فى الاقتصاد القومى فى سنة الاساس للخطة وهى ٥٩ – ٦٠ هو ٢٥٤٧ر٩ مليون جنيه •

وفى نهاية السنة الخامسة للخطة فان قيمة هذا الانتاج المحقق محسوبا باسعار سنة الاساس لكى يكون القياس مضبوطا وسليما هو ٣٤٧٤ر١ مليون جنيه •• أى ان هناك فى السنوات الخمس وبالاسعار الثابتة زيادة فى الانتاج قدرها ٩٢٦ر٢ مليون جنيه •• وتبلغ نسبتها ٣٦ر٤٪ من سنة الاساس

ونتيجة لذلك فان القيمة المضاعفة ، أى الدخل القومى ، ارتفعت من ١٢٨٥ر٢ مليون جنيه فى سنة الأساس ٥٩ – ٦٠ الى ١٧٦٢ر٢ مليون

جنيه فى السنة الخامسة من الخطة مقومة ايضا باسعار سنة الاساس

اى بزيادة قدرها ٤٧٧ مليون جنيه وبزيادة نسبتها ١ر٣٧٪ عن

سنة الاساس .

ومع ان هذه نسبة كبيرة للنمو فى اى مقياس عالمى الا اننا كنا نأمل فيما هو اكثر منها ومع ذلك .. فلقد كانت هناك ظروف تدعونا الى وضعها فى الاعتبار ونحن نحسب حساب القصور فى منجزاتنا الفعلية عما كانت تتطلبه خططنا .

١ - كانت هذه اول تجربة لنا فى التخطيط الشامل المنظم .

٢ - فاجأتنا ، على غير انتظار ، فى السنة الثانية من تنفيذ الخطة سنة ١٩٦١ كارثة فى محصول القطن .

٣ - توسع القطاع العام بالتحويل الاشتراكى سنة ١٩٦١ وما تلاها ونزل العبء الاكبر من العمل على القلة من المنفذين ، كما ان التحويل صحبته بالطبيعة خلخلات عملية وفكرية ونفسية .

ولابد ان اشير هنا الى أن قيادات الانتاج فى هذه المرحلة تحملت اعباء تفوق طاقة البشر فى المصانع الجديدة والمصانع القديمة على السواء على الارض المزروعة والارض المستصلحة على السواء عند المنشئات الكبرى والسدود .

والواقع انه بسبب هذا الدور الخلاق الذى قامت به قيادات الانتاج - ورغم كل الصعوبات - تمكنت الخطة من أن تصل الى الحد الذى بلغته .

ارتفاع مستوى الحياة

وفى النتيجة العامة - بصرف النظر عن اى قصور جزئى - فلقد كانت هناك حقيقة تبعث على التفاؤل هى ان مستوى الحياة قد ارتفع بطريقة ملحوظة بالنسبة للجماهير العاملة تشير الى ذلك عدة دلائل .

١ - ان الزيادة السنوية فى القيمة المضافة كانت اعلى بكثير من نسبة الزيادة فى عدد السكان .. تكاد تصل الى ثلاثة أمثالها .

٢ - ان عملية التحويل الاشتراكى احدثت تأثيرات واسعة المدى فى توزيع الدخول بطريقة اكثر عدلا .

٣ - ان حجم العمالة المحققة فى الاقتصاد القومى والذى كان ٦٠٠٦ر٠٠٠ مشتغل فى سنة الاساس ٥٩ - ٦٠ قد وصل فى السنة الخامسة من الخطة الى ٣٣٣ر٧ر٤٠٠ مشتغل أى ان هناك فرص عمل تحققت بالفعل فى اى مقياس عالمى ، جهد مشرف اكاد اقول انه يشكل نموذجا فريدا فى العالم ١ر٣٢٧ر٤٠٠ مشتغل خلال سنوات الخطة .. رجال ونساء وشباب .

.. دخلوا لأول مرة نطاق العمل الثابت والأجور المنظمة وأضيف ان رقم العمالة يزيد بـ ٣٠٠ الف مشتغل عن الحد الذى كان مستهدفا فى الخطة أصلا ومع ذلك وبرغم الأعباء التى احدثتها هذه الزيادة فان المجتمع الاشتراكى يعتبر العمالة الكاملة هدفا من اغلى اهدافه ..

هذه - ايها الأخوة - هى الصورة كما تبدو أمامنا الآن بحساب الارقام جهد عظيم .

١

ولقد كان يمكن أن يكون أكبر .. وأن تكون نتائجه أوفى ومع ذلك فانه فى أى مقياس عالمى جهد مشرف أكاد أقول انه يشكل نموذجا فريدا فى العالم النامى كله .

جوانب أخرى في أهدافنا

لكن الصورة - في أهدافنا النهائية - لها جوانب أخرى .. أشير بينها الى ما يلى :

١ - نتيجة للتحولات الاشتراكية واعادة توزيع الدخول ونتيجة لنجاح خطط التنمية واتساع حجم العمالة فان معدلات الاستهلاك تزيد بطريقة ملفتة للنظر فاذا ما أضيف الى ذلك نسبة الزيادة فى عدد السكان والذين يتوقع الخبراء أن يصل عددهم سنة ١٩٧٠ نهاية الخطة القادمة الى ٣٤ مليون نسمة لوجدنا أمامنا صورة خطيرة تهددنا بالتهام ناتج العمل كله دون أن يبقى منه مدخر يعاد استثماره بل انها تهددنا بالتهام كل انتاجنا فلا يبقى منه للتصدير ما نستطيع أن نستورد بدله احتياجاتنا مما لانستطيع انتاجه .

٢ - انه مع التوسع الكمى فى حجم الخدمات العامة لم يحدث توسع كيفى مماثل فى مستواها ومع أن الشكوى من المشكلة الادارية فى مصر طال أمدها فان هذه الشكوى تأخذ وضعا لايمكن قبوله أو السكوت عليه فى ظروف مجتمع اشتراكى تتولى فيه الدولة أعمالا تتزايد مع كل يوم .

٣ - انه نتيجة للتقدم المذهل فى وسائل المواصلات فان تطلعاتنا - وتطلعات غيرنا من الشعوب وهذا حال مفهوم بعد طول الحرمان - أصبحت تفوق طاقة قدرتنا ومواردنا ومعنى ذلك حدوث تناقضات نفسية قلقة بين ما هو مرغوب وبين ما هو ممكن .

٤ - انه نتيجة لخروج شعوب كثيرة جديدة الى ميادين التنمية الاقتصادية بعد الاستقلال فان موارد التمويل الأجنبى المتاحة أصبحت تتعرض لزحام شديد كما أن انفتاح أبواب جديدة للتنمية حتى فى البلاد المتقدمة أدى الى ارتفاع اسعار الفائدة الى حد باهظ فضلا عن أن اى تمويل أجنبى ليس هبة ممنوحة ولكنه قرض واجب السداد بفوائده .

عبء الخطة الثانية

ولقد استعرضت هذه الجوانب - أيها الأخوة - لكى أشير الى العبء الذى تلقيه علينا الخطة الخمسية الثانية وهو عبء ذو زوايا متعددة .

فى زاوية منه .. فمن المحتم أن يظل هدف الخطة القادمة هو الوصول الى مضاعفة الدخل سنة ١٩٧٠ بالنسبة لما كان عليه فى سنة الأساس قبل الخطة الاولى سنة ١٩٥٩ / ١٩٦٠ .. اننا لانستطيع .. ولا نملك أن نساوم أو نتراخى فى هدف مضاعفة الدخل مرة على الأقل كل عشر سنوات .. والا سبقتنا كل التحديات التى نحاول أن نسبقها .

ومن زاوية ثانية .. فان علينا ان نحمل معنا ما تخلفنا فيه عند تنفيذ الخطة الخمسية الأولى ونعوضه على الاقل اذا لم نزد فوقه ..

ومن زاوية ثالثة .. فان علينا أن نواجـه وان نحسن مواجهة ما ظهر لنا من المشاكل فترة تنفيذ الخطة الخمسية الاولى والا تفاقم الى حد تغطى فيه العقبات على الآمال وتخنق احتمالاتها .

ان ذلك سوف يقودنا - تلقائيا - عند تقدير المستقبل الى مجموعة الضرورات المتداخلة والمترابطة .

العمل ثروة الشعب المصرى

١ - ان الثروة الاساسية التى يملكها الشعب المصرى هى عمله .. وليس ذلك بالشىء الجديد على الشعب المصرى .. فان الطبيعة لم تغدق عليه بغير حساب فى الموارد وان كانت - حمدا لله - قد اغدقت عليه بالكثير من مقدرة العمل وارادته ونحن نرى ان كل بقعة خضراء على ارض مصر لم تكتسب خصبها بالمصادفات وانما اكتسبته بما وضع فيها من العمل البشرى جلدا وكفاية .

معنى ذلك أن عمل الشعب المصرى . كان . وسوف يبقى طريقه الوحيد الى المستقبل كما ان حجم العمل المطلوب ينبغى أن يكون هو ذاته حجم الأمانى المرغوبة فان زيادة الانتاج هى القاعدة الأولى لمجتمع الرفاهية .

وذلك اعتبار ليس له بديل ..

٢ - ان العمل الوطنى معرض للانفجار من الداخل بتأثير مشكلتين زيادة الاستهلاك وزيادة السكان ولابد لهما معا من رباط وثيق يربطهما بالتخطيط ويجعل أهداف التنمية سابقة بكثير للنتائج المترتبة عليهما معا .

وبدون رباط وثيق يربط زيادة الاستهلاك والسكان بالتخطيط فان العمل المصرى يهدر نفسه - برغم كل مايبذل من جهود مخلصة ومستميتة - ويعود باصحابه الى الوراء .. بدل أن يتقدم بهم الى الأمام .

ومهما يكن .. وكخط دفاع أخير .. فان المواجهة الفعالة لأخطار هذه الانفجارات المحتملة هى استيعابها وامتصاص تأثيرها فى زيادة للانتاج حاسمة ومقتدرة .

٣ - ان الزراعة سوف تصل بعد اتمام تنفيذ السد العالى الى أقصى توسع أفقى يمكن الوصول اليه بموارد المياه الحالية . الا اذا حدثت ثورة علمية فى تنقية مياه البحر المالحة بالطاقة الذرية - وذلك على أى حال ميدان لابد أن ندخل فيه بكل سرعة . معنى ذلك ان تطوير الزراعة بالتوسع الرأسى يطرح نفسه كسؤال ملح على العمل الوطنى .

٤ - ترتيبا على العامل السابق .. فان الصناعة - والصناعة الثقيلة بالذات - تصبح طاقة الأمل الحقيقية بالنسبة للتقدم الشامل المستهدف فى مصر .

وإذا كنت أسمع بعض الذين يتصورون أننا توسعنا فى الصناعة بأكثر مما ينبغى فانى أود أن أقول وبأمانة أننى كنت أتمنى لو استطعنا أن نتوسع أكثر .

٥ – ان الصناعة لابد أن تكون للتصدير كما هى للاشباع الداخلى ومعنى ذلك أن تصبح عالمية المستوى وان كانت مصرية الصنع وذلك هو المنفذ الذى يضمن وحده تصدير مقدرة العمل المصرى وكفاءته كما أنه المعيار الحقيقى للتقدم .

٦ – لابد أن نضع حدودا جادة وحازمة لأولويات اتفاقنا وان الخدمات لايمكن أن تتسع بأكثر من الضرائب التى ندفعها وأن بقية موارد الدخل الأخرى يجب أن تكون أساسا للاستثمار .

وأخيرا .. فان أية قروض نحصل عليها لابد أن تكون عاملا مساعدا ولا تكون مصدر استثماراتنا الوحيد .. لانستطيع أن نستهلك أموالا مقترضة والا كيف نسددها ولا نستطيع ان نعتمد فى التنمية كلية على أموال مقترضة والا وضعنا المستقبل كله تحت رحمة ظروف لاسيطرة لنا على توجيهها .

اشتراكيتنا هى أساس واقعنا وتجربتنا

٧ – لاينبغى أن نضع على أنفسنا قيودا من أوهامنا أو تصوراتنا المفترضة للمستقبل ولقد قلت – وأقول ان اشتراكيتنا هى أساس واقعنا وتجربتنا كما أن حلول ما قد نواجهه من المشاكل لاتقتضى منا أن ندير رؤوسنا بعيدا عن أرض التجربة ولنذكر دائما ان المحظور الوحيد الذى ترفضه الاشتراكية هو استغلال الانسان للانسان وأما ما عدا ذلك فأساليب واجتهادات وانه لمما يستحق التنويه هنا ان كثيرا من الحلول الاشتراكية التى أوجدتها التجربة المصرية قد أصبحت الآن موضع انتباه عالمى .

٨ – ان المرحلة المقبلة يجب أن تؤمن وضع الخدمة العامة تحت الاشراف المباشر للجماهير وليس ذلك مجرد تطبيق ديمقراطى ولكنه – قبل ذلك – ضمان فعال لحسن سير الخدمات العامة فى الطريق المؤدى بها الى تحقيق أقصى قدر من الكفاءة والاستجابة .

وينبغى أن نذكر أن الارتباط ضرورى بين أهداف الانتاج وبين حسن الخدمة العامة وانتظامها .

٩ – ان ذلك كله لايمكن بلوغه أو تأمينه الا بتعبئة شعبية واعية .. تضع أمام الجماهير مسئولياتها القيادية وتحفز وتحرك قدراتها ومع أن هذا الموضوع يتصل بعمل الاتحاد الاشتراكى وله مكان آخر فانى أردت بهذه الاشارة اليه أن أبين أن أهداف العمل الوطنى لايمكن أن تتحقق فى كمالها بغير اطار من النضال السياسى اليومى لكل قوى الشعب العاملة ، نضال يستند على الايمان بالمبدأ وعلى الوعى بالأهداف وظروف تحقيقها الموضوعية والطاقات اللازمة للتحقيق ومعايير الكم السليم على النتائج وهو بعد ذلك يؤمن تجدد القيادات دواما ويؤمن استمرار الانطلاق الثورى .

العمل أولا وثانيا وأخيرا

ايها الاخـوة :

خلاصة ما أريد ان أقوله هو أن العمل أولا والعمل ثانيـا والعمل أخيرا فى جميع النواحى .. هو الباب الوحيد للامل المصرى واذا كنت أطالب بالاعتماد على النفس الى منتهاه فانى أود أن أشير - انصافا وعدلا الى ما تحقق من التقدم المصرى اعتمد أساسا - وبالفعل - على العمل المصرى وثمة اعتقاد شائع - وخاطىء - بأن انطلاقة التنميه المصريه اعتمدت أصلا على معونات من الخارج واود أن أقول بغير انكار للجميل ولا تنكر للحقيقة أن الشعب المصرى اعتمد على نفسه فعلا فيما أنجزه .. وفى خطة السنوات الخمس التى تم تنفيذها والتى وصلت الاستثمارات فيها - كما أسلفت - الى ١٥١٣ مليون جنيه فان مجمـوع القروض التى حصلنا عليها كانت ٤١٧ مليون جنيه سدد جزء منها بالفعل مع فوائده ..أى ان العمل المصرى اعتمد ويعتمد فعلا على نفسه بالدرجة الأولى وذلك بابه للتقدم تحت ظلال الأمان الوطنى والقومى

على ان العمل المصرى سوف يواجه فى المرحلة المقبلة اعباء اكبر بحكم كل ماشرحت من الظروف والضرورات .

ولست أشك - سلفا فى قدر ته فكرا وعملا .. ولقد تابعنا جميعا بكل الاعجاب مؤتمرات عقدت فى هذه القاعة فى الأسابيع الأخيرة للانتاج للادارة وللعمل ، ان الفكر المصرى تمكن من أن يستطلع أفق عمله خلال هذه المؤتمرات بامتياز وجدارة . وأثق ثقة كاملة بأن كل الأضواء التى ألقتها هذه المؤتمرات التى اشتركت فيها قيادات الانتاج والخدمات والعمل سوف تنعكس فى منهاج العمل الذى سوف تتقدم به الوزارة الجديدة طالبة على أساسه ثقتكم متوجهة بعده معكم .. ومع جميع الشعب الى المهام الجسام التى تلقيها علينا طبيعة المرحلة .

الشعب هو المعلم القائد

ويملؤنى الأمل فى النجاح فانى أعرف الرجال الذين تقدموا لحمل المسئوليات ولقد خبرتهم فى مختلف الظروف كما انى أعرف مدى ما يمكن أن تقدموه لهم كممثلين لهذا الشعب العظيم من عون ، وأخيرا ، فانى أعرف شعبنا البطل وأعرف فوق ذلك كله ملكات شعبنا وطاقاته ولقد عشت أياما كان أقصى مناى فيها ان اجد الشعب ورائى فاذا الشعب المعلم والقائد امامى وأمام الجميع يفتح الطريق ويصنع المعجزات .

الصلة بين العمل المصرى والعربى

ثانيا - فى المجال العربى

انتقل الآن - أيها الأخوة أعضاء مجلس الأمة - الى المجال العربى ولا بد أن اقول فى هذا الصدد أن هناك صلة مباشرة بين العمل فى المجال الداخلى المصرى وبين العمـل المصرى فى المجال العربى .. ان الثانى يرتكز على الأول .. ويستند اليه فى كل شىء .. ان وجود مصر فى الوضع الأكثر ملاءمة لاستخدام قواها

المادية والمعنوية هو أمر لاغنى عنه للنضال العربى العام كما اثبتت وقائع الحوادث فى المثلث العربى الضخم ما بين بغداد والجزائر وصنعاء .

ان وجود مصر ضعيفة .. ضعف للنضال العربى كله .. ووجود مصر معزولة .. شل النضال العربى كله .. وليست هذه حقيقة جديدة وانما هى استقراء التاريخ والطبيعة . ولعل ذلك من وجهة نظر السياسة الاستعمارية بين الاسباب التى قصدها الذين مهدوا للعدوان الاسرائيلى .. بين أسبابهم فى هذه المؤامرة .. أن يعزلوا مصر وراء حاجز الصحراء فى سيناء عن المشرق العربى كله ليمنعوا اتصالها به وليسهل على اسرائيل ان تواجه جبهات عربية ممزقة ومتباعدة وليسهل عليهم بدورهم أن يتعاملوا مع عالم عربى مشطور فى منتصفه .

ان تأكيد الذات العربية لمصر وجه ضربة قوية ضد المخطط الاستعمارى ثم بدأت عملية بناء القوة الذاتية المصرية ثوريا تعمل على تصحيح آثاره وتوقف تداعيها والأمل معلق باحتمالات الثورة العربية لتصفية هذا المخطط الاستعمارى تماما وان تقتلع من الارض العربية جذوره الخبيثة

ان الثورة العربية الشاملة ما تزال هى القوة الأصيلة القادرة على تحقيق الآمال العربية كلها .. لكننى أود ان أقول بوضوح ان الثورة العربية الشاملة لايمكن ان تكون مجموعة من المغامرات او الانقلابات وانما هى الحركة التاريخية لجماهير الامة العربية للقفز عبر التخلف الى التقدم السياسى والاجتماعى والثقافى مستندة على القيم الحضارية للامة العربية محققه بالنضال الثورى اهدافها .

الثورية طريق وحدة الهدف العربى

ان الثورة هى الطريق الصحيح لوحدة الهدف العربى .. وهى الحالة الوحيدة التى تتمكن فيها شعوب الامة العربية من أن تفرض اراتهـا على ارضها ولا بد أن أقول أمانة للمرحلة ان وحدة الهدف ما زالت بعيدة وفى وقت من الأوقات فان العمل المصرى نبذ تماما فكرة وحدة الصف وأدرك عقمها فان وحدة الصف معناهـا الحرص على الاجماع وذلك معناه الرضا بالأمر الواقع وقبول تحكم أضعف الاطراف فى كل الأطراف وفى الواقع فان النضال العربى نفسه هو الذى أسقط مرحلة وحدة الصـف فى ظروف ماتلا السويس من أحداث وذلك حين استبان تماما الطابع الثـورى سياسيا واجتماعيا للثورة المصرية وجرت أعنف عملية استقطاب بين الشعوب العربية .

ولقد تحملت الثورة المصرية على أساس من وحدة الهـدف مسئوليات ضخمة فى سوريا وفى الجزائر وفى العراق .. وفى اليمن .. وغيرها من على طول العالم العربى وعرضه وكان من أثر ذلك .. أن برزت على المسرح العربى تيارات قوية وتجمعات لهـا فاعلية لاتنكر .. على أن تطورات الحوادث فى العالم العربى .. وخصوصا تلك التحركات الصادرة من جانب أعداء الأمة العربيـة

أظهرت أن الحاجة ماسة الى صيغة عاجلة جديدة للعمل العربى لاتعود به الى مرحلة وحدة الصف وفى نفس الوقت لاتغفل عن الأخطار الملحقة فى انتظار تحقق وحدة الهدف

وفى الحقيقة فان بعض الأحداث التى جرت فى العالم العربى سنة ١٩٦٣ على وجه التحديد بدأت تلح فى المطالبة بهذه الصيغة الجديدة .. وأشير بالذات الى حدثين .

الحدث الأول : الاتصالات التى جرت بين النظم التى قامت فى العراق وفى سوريا فى تلك السنة وبين الجمهورية العربية المتحدة بغرض الوصول الى كيان وحدوى أو شبه وحدوى يستند عليه العمل العربى الثورى .. لكن هذه الاتصالات لسوء الحظ - كان يجب أن تتوقع ذلك منذ البداية - لم تسفر عن نتيجتها المرجوة .

ولقد أثبتت الوقائع بعد ذلك أن بعض العناصر التى تصدرت الحكم فى العراق وسوريا فى ذلك الوقت انما كانت تتحرك بدوافع مصلحية ضيقة .. وكانت تناور بأمل الوحدة طمعا فى المصالح الذاتية للافراد أو الجماعات

ان هذه العناصر برغم دعاوى الوحدة والاشتراكية .. لم تكن تطلب غير الحكم والتمركز فيه .

وحتى مع افتراض النية الحسنة .. وذلك صعب على أساس الوقائع ما ظهر وقتها وما تكشف بعدها .. فان هذه العناصر وقعت فى مرض من الأمراض التى تعترى الحركات الوطنية بعد نجاح المقدمات الأولى لمرحلة الثورة السياسية أن بعض هذه الحركات الوطنية - وهذه ظاهرة عامة ينبسى أن الحكم ليس نهاية الثورة وانما هو بداية العمل من أجلها بقوة السلطة .. كذلك فأنه بحكم أوضاع مختلفة يتأخر فى ادراك المضمون الاجتماعى للثورة الوطنية .

والحدث الثانى هو ما ظهر فى اجتماعات رؤساء أركان حرب الجيوش العربية فى القاهرة فى خريف ذلك العام حين تبين - والتحديات تلح علينا فى ممارسة عملية تحويل مياه نهر الاردن - أن بعضا من الدول العربية المتاخمة للارض المحتلة لاتملك حرية العمل داخل أراضيها بسبب نقص استعداداتها الدفاعية .. وبالنسبة للجمهورية العربية المتحدة .. فلقد قلت من قبل .. وأكرر الان أن موقف المندوب السورى فى اجتماع رؤساء هيئة أركان الحرب العرب كان نقطة حاسمة .

فنحن على علم بالاوضاع فى الجبهة السورية .. وكذلك فلقد كنا نتابع بألم وقلق عمليات التصفية المستمرة فى الجيش السورى .. وبصرف النظر عن أية خلافات .. وبصرف النظر عن احتمالات قيام أوضاع ثورية تمكن لمرحلة وحدة الهدف فلقد كان لابد من حركة عاجلة توقف الاوضاع من ان يصل ترديها الى حيث لا يمكن تدارك آثاره .. ولقد تبلورت فى تلك

١

الظروف صيغة وحدة العمل العربى .. يحتفظ الكل فيه بمواقفهم
واحتمالاتها .. ولكن يلتقون على خط واحد بالذات يصون عنده
كل ما يمكن أن يتوافر لديهم من الامكانيات

الدعوة الى مؤتمر القمة الاول

ومن هذا المنطلق .. فلقد وجهت الدعوة الى مؤتمر القمة
العربى الاول الذى عقد فى القاهرة فى شهر يناير سنة ١٩٦٤ وتلاه
مؤتمر عربى ثان على مستوى القمة فى الاسكندرية فى شهر
سبتمبر من نفس العام .

ولقد حاولنا بكل ما استطعنا وبغير رواسب من ظروف سابقة
أن نعمل على انجاح المؤتمرين ولقد انبثقت عن المؤتمرين احتمالات
هامة بينها انشاء قيادة عربية موحدة وقيام كيان فلسطينى يتمثل
فى منظمة تحرير فلسطين وجيش فلسطين أو مشروعات عربية
للاستفادة من مياه الاردن .. ولقد ساهمت الدول العربية
فى تكاليف هذه الخطة الايجابية .. كما ساهمت فى توفير
اعتمادات لها قيمتها لتعزيز الدفاع العربى فى ثلاث
من البلاد العربية المحيطة باسرائيل هى سوريا والاردن ولبنان ..
وفى السنة التى انقضت بين مؤتمر الاسكندرية فى سبتمبر ١٩٦٤
وحتى الموعد المحدد لمؤتمر الدار البيضاء فى سبتمبر ١٩٦٥ فاننى
أحسست أن العمل العربى الواحد يواجه أزمة ثقة .. أن صيغة
وحدة العمل فى حد ذاتها صيغة صعبة .. ولو لم تكن ضغوط
الظروف على ماهى عليه من القوة والدقة لما أمكن لهذه الصيغة أن
تعيش أياما - هذا اذا كانت قد ظهرت الى الوجود على الاطلاق .

ولقد كان أملها الوحيد فى البقاء .. هو أن تدرك جميع الاطراف
العربية أنها لمرحلة معينة من تطورها تواجه خطرا يهددها بأكثر من
أى تهديد متصور من جراء اختلاف النظرات الاجتماعية وقد
ضاعف من هذه الأزمة ذلك الموقف الذى اتخذه رئيس الجمهورية
التونسية من قضية فلسطين .. كما أثر فيه أيضا موقف بعض
الدول العربية من المانيا الغربية بعد أقدامها سرا على تسليح اسرائيل
هدية وتبرعا على حساب الأمة العربية والدم العربى .. هذا فضلا عن
آثار الصفقة نفسها ثم تزايد الحديث - بطريقة مشبوهة - عن
احتمالات دخول أسلحة غير تقليدية الى الشرق الاوسط ثم كانت
هناك بعض مظاهر التردد فى العالم العربى .. حتى فى تنفيذ بعض
ما اتفق عليه فى مؤتمرات القمة .. هكذا وجدنا انفسنا امام
اختيار خطير .

اما أن تنقض كل سياسة مؤتمر القمة .. كل سياسة وحدة
العمل ، ويتحمل كل واحد منا مسئوليته التاريخية .. وأما ان
تعطى للصيغة الجديدة - بجهد جديد - مهلة أخرى للحياة .

تصفية مشكلات العلاقات مع السعودية

ولما كانت رئاسة الدورة المنتظرة فى الدار البيضاء للجمهورية
العربية المتحدة - بحكم الدور - فلقد وجدت أن موقف الجمهورية
العربية المتحدة سوف يكون فاصلا ومرجحا .. ومن هنا احسست

قبل المؤتمر المنتظر فى الدار البيضاء أن الوقت قد جاء لتصفية مشكلة العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين الجمهورية العربية المتحدة بسبب اليمن .. انكم تعرفون الظروف التى قررت الجمهورية العربية المتحدة فيها ان تتدخل عسكريا لنصرة شعب اليمن .. كان ذلك في الفترة التاليه لمؤتمر اشتورة فى أغسطس سنة ١٩٦٢ . الذى اتخذته القوى الانفصالية فى سوريا ـ مؤيدة بواسطة كل القوى الرجعية والانعزالية والانهزامية فى العالم العربى ـ فرصة لشن حملة نفسية عنيفة ضد كل القوى الثورية فى العالم العربى .

وفجأة فى هذا الجو الكئيب .. تفجرت الثورة فى آخر مكان من العالم العربى . كان ينتظر أن تتفجر فيه .

وكان المغزى الكبير لهذه المفاجأة .. هو أنه لم يعد فى امكان أى قوة ـ مهما كانت أن تعزل شعبا عربيا عن أمله المشروع فى توجيه حياته .. ولقد كان موقفنا منذ اللحظة الأولى هو تأييد ثورة الشعب اليمنى معنويا .. وترك الشعب اليمنى لمسئولياته التى قرر تحملها .. ولكن الشعب اليمنى ما لبث أن تعرض لكل القوى المعادية للثورة العربية .. بل للتقدم العربى .. وهى الاستعمار والرجعية . وبعد الايام الاولى لمفاجأة الثورة فان الارض اليمنية بدأت تتعرض لغارات من وراء الحدود اتخذت شكل الغزو الخارجي وقررت حكومة الثورة اليمنية أن تطلب معونة الجمهورية العربية المتحدة ولم يكن هناك مجال لتردد .. أن السماح بضرب ثورة عربية بقوة السلاح الاجنبى كان سابقة خطيرة واذا تركت بغير مراجعة فان كل الامال العربية سوف تستباح وتنتهك

ولقد أدت القوات المصرية التى عملت فى اليمن دورا وطنيا وقوميا وثوريا بأعلى درجة من الكفاءة والاخلاص .. ولقد أعلى فى المقام الاول شرف الانسان العربى وكرامته .. وأعطى بطريقة مجسدة معنى حقيقيا لوحدة المصير العربى .. كما أثبت عمليا للاستعمار ـ مصدر العدوان الأصلى ضد الثورة اليمنية ـ أنه لم يعد يملك حرية التصرف ضد الشعوب العربية كما تعود فى عصور القرصنة والقهر المسلح .

ومن حسن الحظ أن القوى الثورية فى الجنوب العربى المحتل .. وفي عدن . وجدت فرصتها وواجبها فى نفس الوقت فتدخلت بكفاح بطولى ضد الاستعمار .. وضعه على الفور فى مواقع الدفاع عن نفسه .. وبانشغال الاستعمار فى الدفاع عن نفسه فى المعركة الثورية ضده فى الجنوب المحتل .. فان الثورة اليمنية لم يبق أمامها لكى تفرغ الى اعادة بناء وطنها بعد التخلف الطويل وبعد تخريب الحرب .. غير الموقف القلق على حدودها مع المملكة العربية السعودية .

ولقد كان أمر عودة القوات المصرية من اليمن .. أمرا مطروحا للبحث .. وكان الشىء الوحيد الذى نريد أن نتأكد منه .. هو أن

الشعب اليمنى سوف يترك حرا فى التصرف بمكاسبه الوطنية .. ان الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تبغى مطلبا أو مطمعا فى اليمن وما ذهبت قواتها فى اليمن للمشاركة فى الدفاع عنه قد تأكد .

ان التجربة التى خاضها الشعب اليمنى ـ ومهما يكن من أمر التفاصيل ـ قد أبرزت قوى وبلورت أفكارا لم يعد من السهل قمعها أو اخضاعها . لقد سقطت أسوار السجن من حول الشعب اليمنى نهائيا . ولن تعود .. وبالتالى فان الهدف قد تحقق والبقاء بعده عسكريا فى اليمن جهد بلا جدوى .. ومن ناحية أخرى فان تطورات الموقف مع اسرائيل تقتضى تجميع كل القوى العربية ووضعها فى المكان الملائم للخطة العربية .

ولقد كنت أجد أن العقبة الحقيقية الباقية هى أزمة الثقة بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية .. ولقد فكرت فى الأمر طويلا .. ثم قررت ـ قبل ان تتعقد الأمور وتتفاقم ـ أن أذهب بنفسى الى المملكه العربية السعودية فى لقاء مباشر مع الملك فيصل بدلا من الوساطات والمراسلات وأننى لأحمد الله مخلصا أن النوايا الحسنة سادت جميع الأطراف .. فكان ان وقعنا اتفاقية جدة التى فتحت الطريق أمام الشعب اليمنى لتوفير احتمالات السلام على أرضه .

تحية الى مؤتمر حرض

ولقد كان أول أمس مؤتمر حرض الذى نصت عليه اتفاقية جدة لتجميع قوى وارادة الشعب اليمنى ولسنا نملك هنا الا توجيه التحية الى المشتركين فى هذا المؤتمر .. راجين لهم التوفيق فى مهمة قد تكون مدخلا مشرفا الى غد يمنى مشرق .. وفى نفس الوقت .. فلقد بدا استعداد القوات المصرية الباسلة لرحلة العودة الى وطنها.. ولقد كان توقيع اتفاقية جدة ـ أيها الأخوة ـ من أبرز عوامل نجاح مؤتمر الدار البيضاء فى الجو المعقد والعسير الذى عقد فيه هذا المؤتمر .. واذا كنت لا أبيح لنفسى أن أخوض فى أسرار هذا الاجتماع .. فانى أود أن أشير الى نقطة واحدة .. وهى أن الأساس الاستراتيجى الذى أقره مؤتمر القمة العربى فى الاسكندرية .. قد دخل طور التنفيذ فى الدار البيضاء ..

ان ذلك الاساس يرتكز على خطوتين خطوة أولى .. هى تعزيز الدفاع العربى وكفاله حرية العمل داخل الأرض العربية . والخطوة التالية هى تحرير فلسطين وفى المؤتمر الاخير فان الخطوتين ارتبطتا معا واذا صلحت النوايا وصدق العزم فان المجهود العربى يستطيع أن يضع نفسه فى أقرب فرصة على نقطة الاستعداد وأن يمسك بيده زمام المبادأة .

الرجاء معقود بالقوى الثورية الوطنية

أيها الاخوة المواطنون أعضاء مجلس الأمة .. اننا مصممون على أن تتيح لصيغة وحدة العمل العربى كل فرصة ممكنة للنجاح

ولكننا لا نخدع أنفسنا ٠٠ ولا جماهير أمتنا ٠٠ بتصور أن هذه أداة تحقيق الأمل العربى الى منتهاه ٠٠ ان الرجاء الأصيل معقود بالقوى الثورية العربية ٠٠ هى وحدها التى تقدر على القطيعة الكاملة مع الاستعمار ٠٠ وهى وحدها التى تقدر على اجباره بأن يفك قواعده الباقية فوق الارض العربية ٠٠ وهى وحدها التى تقدر على مواجهة التصفية الحاسمة للخطر الصهيونى ٠٠ تلك عقيدتنا ٠٠ ولسنا على استعداد للتفريط فيها أو التنازل عنها بل اننا لا نملك مثل هذه المساومة من وراء ظهر الحركة التاريخية العظيمة لجماهير الامة العربية ٠

على أننا نعتقد باخلاص أخوى أن القوى الثورية العربية فى حاجة الى تجديد قواها ٠٠ والى تعمق ارتباطها بالجماهير وأمانيها ٠٠ اننا نقوم بنفس هذه المهمة الضرورية فى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠٠ ونتطلع اليه للقيام بدور عربى جماهيرى يعزز تحالف القوى الثورية العربية ونحن نرى أن القوى الثورية العربية مطالبة الان بأن تقوم بتحليل سليم لما يواجهها ٠٠ ذلك أن تلاحم بقايا معركة الحرية السياسية مع طلائع معركة الحرية الاجتماعية يخلق أشكالا جديدة معقدة كذلك فان الاستعمار يطور واجهاته ويعيد تلوينها وفنون الحرب النفسية وأساليبها زادت من خبثها المسموم ٠٠ لكن الامم الحية لا تقهر ٠٠ والحق المشروع ليس أمامه غير أن ينتصر ٠٠ كما ان تيار التاريخ غلاب فى قدرته على التطوير والتغيير وذلك كله حتمى لصالح التقدم وانتصار له ٠

المجال الخارجى

ثالثا ـ فى المجال الخارجى :

وانتقل الان ـ أيها الاخوة ـ الى المجال الخارجى ٠٠ وأعود مرة ثانية فأقول أن أى فعالية لدور مصر الخارجى لايمكن لها ٠٠ الا العمل الداخلى المصرى ٠٠ اننا لا نستطيع أن نصمد لمسئولية الحرية عالميا ٠٠ الا اذا كانت الحرية مصانة على أرضنا ٠٠ ولا نستطيع أن نقاوم الاستعمار دوليا ٠٠ اذا تخاذلنا أمامه ٠٠ ولا نستطيع أن ندعو الى عدم الانحياز ٠٠ اذا مسخنا مفهومه فى ممارستنا له وفرطنا فى معاييره ٠٠ ان الذين يجعلون سياستهم الخارجية ألفاظا مرصوصة ومستعارة منقطعة الصلة بمايجرى داخل أوطانهم ومنقطعة الصلة بممارستهم العملية لوجودهم الدولى ، يفقدون احترامهم ويضيعون أى تأثير يمكن أن يكون لهم ويعجزون عجزا كاملا حتى عن مجرد اثبات شخصيتهم ٠٠ فى الميدان الدولى الواسع الحافل ٠

ولست فى حاجة الى أن أستفيض أمامكم فى شرح المركز الممتاز الذى تتمتع به الجمهورية العربية المتحدة دوليا ، والاحترام الذى تناله والتأثير الذى تصنعه من حولها ان هذا الشعب المصرى تمكن بالمبادىء أن يعوض ما ينقصه فى الموارد التى تجعله فى وزن القوى الكبرى فى عالمه ٠٠ انه لايدعى ما ليس له ٠٠ ولا يتطفل على مايتعدى قدرته ٠٠ ولايتعلق بالمواكب من ذيلها واذا كان لايملك الموارد الكبرى التى تصنع له طبيعيا دورا كبيرا ٠٠ فانه يملك

المبادىء الكبرى .. ويملك عزم وضعها للتطبيق .. ويحتل بالعمق بديلا عن الحجم ورقعة مؤثرة فى تأثير الحوادث واذا عدت العواصم الفعالة فى التوجيه فان القاهرة فى — أى معيار — واحدة منهـا بالواقع الفعلى والحى .

ولربما كانت الميزة البارزة فى السياسة الخارجية للجمهـورية العربية المتحدة هى وضوحها .. ايمان لا يتزعزع بالسلام القائم على العدل .. نضـال لا يهادن من أجل تصفية الاستعمار القديم والجديد .. والقواعد العسكرية .. والاحتـكارات الاقتصـادية المفروضة بالغصب ضد موارد الشعوب .. عمل من أجل التعايش السلمى بداية لطريق السلام .. والخطو بعده . الى مكان نـزع السلاح — حتى لا تبقى البشرية تحت رحمة التكديس النووى أو الانتشار النووى — وليمكن بعدذلك توجيه هذه الطاقة الهائلة لخدمة الحياة بدلا من مناصبتها العداء ..

جهد لا يتوقف من أجل تعديل أحوال التجارة الخارجية بحيث لا تجد أغلبية العالم أنها مستغلة أو منهوبة بواسطة الاقلية المتقدمة فيـه .. شجب للتمييز العنصرى .. الذى هو بديل الرق فى العصر الحديث.. خداعا للضمير الانسانى وتمويها عليه .. تمسك فى هذا كله بعدم الانحياز .

سواء فى ظروف يحكمها وجود كتلتين . أو فى ظروف تتعدد فيها المراكز ..

ان عدم الانحياز فى حقيقته هو الاحتفـاظ بحرية الوقوف مع المبادىء ورفض توقيع الصـكوك على بياض باعتبارات التبعية أو الممالأة .

سياستنا .. صداقة مع الكل

ولئن تطور بسبب تغيرات الموقف الدولى أسلوب ممارسـة سياسة عدم الانحياز فان أساسها المبدئى قائم لا يتغير .

وفى تلخيص بسيط وسريع فان سياستنا كما يلى :
صداقة مع الكل ..

واذا وقع الخلاف .. فهو على أساس من المبادىء .. وايجابية فى المعركة تنبذ التقوقع عن ايمان بأن السلام لا يتجزأ . والحرية لاتتجزأ .. والرخاء لايتجزأ . ثم ادراك لحقيقة ان مجتمع الدول.. كما حدث من قبل لمجتمع الأفراد . يحتاج فيه الكل الى الواحد بقدر ما يحتاج الى الكل ..

ومن هذه المنطلقات .. فان الجمهورية العربية المتحدة مارست هذا العام دورها الدولى شريفا وفعالا.. كما تعودت أن تمارسه منذ استعادت حقها الكامل فى شخصيتها المستقلة .. وبعد قرونطويلة متعاقبة من الذل الاستعمارى .

من هذه المنطلقات ، استقبلت القاهرة هذا العام عددا كبيرا من رؤساء الدول ومن قادة الشعوب . جاءوا اليها من كل قارات الارض ومن مختلف الاتجاهات .

دورنا فى المؤتمرات الدولية

ومن هذه المنطلقات ٠٠ شاركت الجمهورية العربية المتحدة فى عدد من المؤتمرات الدولية ٠٠ أبرزها المؤتمر الافريقى الاخير فى أكرا الذى تشرفت فيه بتمثيل الشعب المصرى ٠٠ والذى خرجت قراراته تحاول الآن استكمال تحرير القارة الافريقية العظيمة ٠٠ وتتصدى للمؤامرات الرهيبة التى تريد فرض استمرار الخضوع عليها ٠٠ وأبرزها الان مؤامرة روديسيا التى يتحمل الاستعمار مسئوليتها كاملة وبغير شريك ٠

مشكلة روديسيا تكرار لمؤامرة اسرائيل

ان مشكلة روديسيا ليست بعيدة عنا ٠٠ بل لربما كنا نحن أقرب اخواننا الافريقيين الى فهم طبيعتها فهى فى صميم الامر تكرار لمؤامرة اسرائيل ٠

أقلية غريبة تدعى لنفسها عنصريا حقا فى وطن شعب آخر وتحت ظل الاستعمار ٠٠ تتقدم لتمسك بمفاتيح الثروة الوطنية والسلطة الفعلية ثم تفرض بالقوة سيطرتها الى حد اعلان استقلال مزعوم ٠

ويتظاهر الاستعمار بعدم الرضا ٠٠ مع أنه يملك فرصة التغيير ووسائله ولكنه فى الواقع شريك نفس المخطط العدوانى مهما تظاهر ومهما كان التنوع فى توزيع الادوار ٠

ويعلل فى تظاهره بالعجز أمام الظلم بوجود دستور ، هو الذى لا يتردد أمام العدل فى تمزيق الدساتير ٠٠ وفرض قمعه الارهابى كما رأينا فى عدن ٠

هى مؤامرة اسرائيل بحذافيرها وملامحها البشعة تتكرر فى قلب القارة ٠٠

ولكن الى متى أمام اليقظة الافريقية ٠٠ وأمام التحفز الثورى الافريقى وأمام التجمع الافريقى الذى يملك المستقبل فى افريقيا بغير نزاع ٠٠

كذلك فان من هذه المنطلقات حاولت الجمهورية العربية المتحدة أن تساعد على توفير جو يمكن من اجتماع المؤتمر الاسيوى الافريقى الذى كان مقررا عقده فى الجزائر فى مطلع هذا الشهر ٠

واذا كانت المحاولة لم تنجح بسبب تشابك الظروف المعقدة خصوصا فى آسيا فانه من حسن الحظ أن فكرة التضامن الاسيوى الافريقى لم توضع قسرا لاختبار يضرها ولا ينفعها ٠ ويأخذ منها ولا يعطيها ٠

ومن هذه المنطلقات ٠ فان الجمهورية العربية المتحدة مارست هذا العام بزيارات متعددة للاتحاد السوفيتى ويوجوسلافيا وللمغرب ولغانا ومالى وغينيا ٠٠ كما أن المشير عبد الحكيم عامر قام بزيارة لفرنسا عدا زيارات عديدة قامت بها وفود على كل المستويات تمثل شعبنا ٠٠ ذهبت الى أركان الدنيا بأسرها ٠٠ تحمل معها مبادئنا الاساسية ٠٠ وتعود برصيد من احتمالات التعاون وحسن النية لا يقدر ولا يعوض ٠

ومن هذه المنطلقات - فلقد بذلنا جهودا ايجابية فى بعض
القضايا الملحة .. تهدف أساسا الى استكشاف أرض للتفاهم بين
الشعوب .

حاولنا ذلك مع الصين والهند وحاولناه مع الهند وباكستان
وحاولنا فى مشكلة فيتنام .. ومازلنا على اتصال بكل أطراف
هذه المشكلة الدامية التى نرفض فيها منطق اللجوء الى القوة
وندينه كأسلوب ضد حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها .
وحاولنا ذلك أيضا مع بعض الدول الافريقية التى تستحكم
فيما بينها النزاعات على الحدود .

علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى

أيها الاخوة أعضاء مجلس الامة .
اسمح لنفسى هنا أن أستعرض علاقاتنا تحديدا ببعض الدول
تخصيصا ونموذجا .

الاتحاد السوفييتى :

أن علاقتنا بالاتحاد السوفيتى تزداد .. بالصداقة المتكافئة
قوة وبالتعاون المثمر خصوبة . ولقد لمست بنفسى خلال زيارتى
الاخيرة للاتحاد السوفيتى مدى الجهود الجبارة التى تبذلها شعوبه
المحبة السلام .. لكى تبنى تقدمها الانسانى العظيم .. الذى
يكرمه أن هذه الشعوب المناضلة لا تعزل قضية تقدمها عن قضية
التقدم العالمى .. كما أنها بوزنها الكبير تقدم خدمة ضخمة لقضية
التحرر الوطنى .

ولقد لمست أيضا .. وذلك هام لنا ، الصداقة والاحترام
والحب التى تحتفظ بها الشعوب السوفيتية للشعب المصرى
ولنضاله ولمبادئه .. ولقد كانت هذه الزيارة فرصة لتجديد
الصلات المباشرة مع قادة الاتحاد السوفيتى ، الذين وجدت منهم
كل رغبة فى وضع العلاقات العربية السوفيتية حيث ينبغى لها أن
تكون .

واذا جاز لى أن أتحدث عن النتائج العملية لهذه الزيارة حتى
بالمقياس المادى فانى أقول من غير حاجة الى الدخول فى تفاصيل
محادثاتنا . انها أسفرت فى بعض ما تعرضت له عن تفاهم يوفر
على الشعب المصرى مالا يقل عن مائتى مليون جنيه .. ومع ذلك
فلست أعتبر ذلك مقياسا صحيحا للصداقة العربية السوفيتية
انما المقياس الحق هو روح الصداقة التى تجعل التفاهم المشترك ..
والتقدير المتبادل .. نقطة بداية فى كل حديث .

.. ومع الولايات المتحدة

الولايات المتحدة الامريكية ..
لقد كنا دائما ولا نزال نقدر تقديرا عاليا مزايا الشعب
الامريكى وتقدمه الباهر .. ولقد كان ولا يزال مبعث الخلاف
الحقيقى بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية هو الموقف الامريكى
تجاه اسرائيل .. وذلك الموقف يخلق دائما مضاعفات تتحد
وتتفجر .. وفى بداية هذاالعام .. فلقد كانت الازمه بيننا وبين

الولايات المتحدة على أشدها ٠٠ على أنه ينبغى لى أن أشير الى أن كثيرا من التحسن قد طرأ فى الفترة الاخيرة على علاقاتنا ٠

ومن الحق أن أذكر أن الطرفين بذلا جهودا هامة لوقف التدهور وتخفيف حدة التوتر فى العلاقات بينهما ٠٠ على أنى أعود وأكرر هنا مرة أخرى أن مايعنينا ٠٠ هو وجود أساس من التفاهم المشترك والتقدير المتبادل ٠٠

٠٠ ومع فرنسا

فرنسا ٠٠

بعد بداية اتصالات تمهيدية مع حكومة الجمهورية الفرنسية الخامسة ٠٠ قام المشير عبدالحكيم عامر فى شهر أكتوبر الماضى بزيارة هامة لفرنسا ٠٠ ولقد أثبتت هذه الزيارة أن الصداقة التاريخية بين القاهرة وباريس ظلت كامنة تحت السطح العاصف للحوادث فى فترة حرب التحرير الجزائرية ٠٠ والعدوان الثلاثى على السويس ٠٠ ولقد قدرنا جميعا ذلك الترحيب الودى الذى لقيه المشير عبدالحكيم عامر ٠٠ كممثل لمصر وللثورة المصرية ٠٠ من الرئيس الفرنسى الجنرال ديجول ٠٠

ولقد لقيت العبارات الحارة التى عبر بها الجنرال ديجول عن أفكاره فى تلك المناسبة ٠٠ اهتماما كبيرا لدى شعبنا ٠٠ خصوصا وأن صاحبها من أبرز أقطاب النضال فى سبيل الحرية الوطنية ٠٠ وفى سبيل الكرامة الوطنية ٠٠

٠٠ ومع الصين الشعبية

الصين ٠٠

اننا نعتقد فى أهمية الدور الضخم الذى تقوم به الصين الشعبية وفى امكانياته المقبلة ٠٠ وفى نفس الوقت فاننا نهدف باستمرار الى زيادة التقارب بين الجمهورية العربية المتحدة وبين هذا البلد الاسيوى العظيم ٠

وفى هذا العام ٠٠ فلقد التقيت عدة مرات بالرئيس شوان لاى رئيس وزراء الصين وشملت أحاديثنا كل القضايا التى تحظى باهتمامنا المشترك ٠

ونحن نحتفظ باعجاب لانخفيه للجهد البطولى الذى يبذله شعب الصين ليحقق اندفاعه المستمر الى التقدم ٠٠

واننا لنعتبر ان استمرار ابعاد هذا الشعب ٠٠ الذى يشكل وحده ربع الجنس البشرى كله ٠٠ عن مكانه الشرعى فى الامم المتحدة هو خطأ فادح فى حقه وفى حق الأمم المتحدة ٠٠ وفى حق السلام العالمى على حد سواء ٠

على أننا نأسف بالفعل لوقوع الخلاف الصينى السوفيتى واذا كنا لا نجد فائدة ترجى من الخوض فى أسبابه أو فى تحديد المسئولية عنه فاننا لم نفقد بعد أملنا فى أن هذا الخلاف لم يصل بعد الى نقطة اللاعودة ٠

ونحن نعتبر أن حركة التحرير الوطنى التى أعطاها الاتحاد السوفيتى والصين كلاهما ٠٠ وما زال كلاهما يعطيها كل التأييد والعون قد تأثرت برغم أى شىء بوقوع هذا الخلاف ٠

... وبريطانيا

بريطانيا ..

لعلني لا أستطيع أن أدعى أمام هذا المجلس الموقر أن أى تحسن قد طرأ على العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا . بل لربما كان عكس ذلك هو ما حدث .. ولقد كنا نامل بعد نتائج الانتخابات فى العام الماضى .. أن الحكومة الجديدة سوف تتخذ ازاء العالم العربى موقفا أكثر استجابة للواقع .. ولست أتحدث عن العدل أو الحق .. فنحن ندرك أن هناك مصالح بريطانيا ثابتة لاتتغير الا بمقدار مايفرض عليهاالتغيير فرضا .. ولكننا كنا نتصور امكان القيام بعملية ملاءمة فى الاساليب .

ولقد كانت هناك اتصالات بين الحكومة البريطانية وبيننا .. حينما عرضت هذهالحكومة فى أعقاب توليها الحكم أن تبعث بأحد وزرائها الى القاهرة بغية استكشاف امكانيات حد أدنى من الفهم ..

ولقد كانت هناك مشاكل هامة تقتضى تبادل الرأى .. وكان أهم ما فيها بالنسبة لنا هى معركة التحرير فى الجنوب المحتل الى عدن .. ثم المخطط الذى نراه موجها ضد عروبة الخليج .

لكن الحكومة البريطانية شاءت فى نفس يوم وصول مبعوثها الى القاهرة أن تقوم بمناورة عنف .. ليس له مايبرره .. ضد وزارة عدن وضد شعبها .. ومع أن موقفنا فى مواجهة المناورات معروف .. خصوصا ما اتسم منها بمظاهرات العنف وادعاءات القوة .. فان الحكومة البريطانية نسيت كل تجاربها الماضية معنا .. وتصرفت بطريقة نرفض قبولها جملة وتفصيلا .

ولقد رفضت مقابلة الوزير البريطانى .. وحتى عندما قابله رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .. فاننى كلفته بأن يوضح له أنه يستقبله فى زيارة مجاملة .. وانه ليس مخولا بالحديث معه فى أية موضوعات سياسية .. باعتبار أن تصرف حكومته .. فى نفس يوم وصوله الى القاهرة قد أنهى مهمته فى القاهرة قبل أن تبدأ ..

ومع غير هذه الدول التى عددتها - أيها الاخوة - كما هو الحال فيما عددت .. فان حركتنا لا توجهها غير مبادئنا ونحن نؤمن أن ذلك ليس طريق الشرف وحده . ولكنه أيضا طريق الامان ..

أيها الاخوة أعضاء مجلس الامة ..

اشكر لكم حسن استماعكم .. ثم اتركم لتبدأوا دورة هامة .. بل لعلها الدورة الأهم .. فى عمل مجلسكم مجددا لكم أمانى التوفيق ..

وليكن عملكم دائما تعبيرا عن ضمير امتكم وأملها..ومصداقا لثقتها فيكم وحسن ظنها ..

وبارك الله كل جهد يخدم شعبنا العظيم .. وليكن نور الله ملء عيوننا جميعا .. رشادا وهدى .. والسلام عليكم ورحمة الله ..

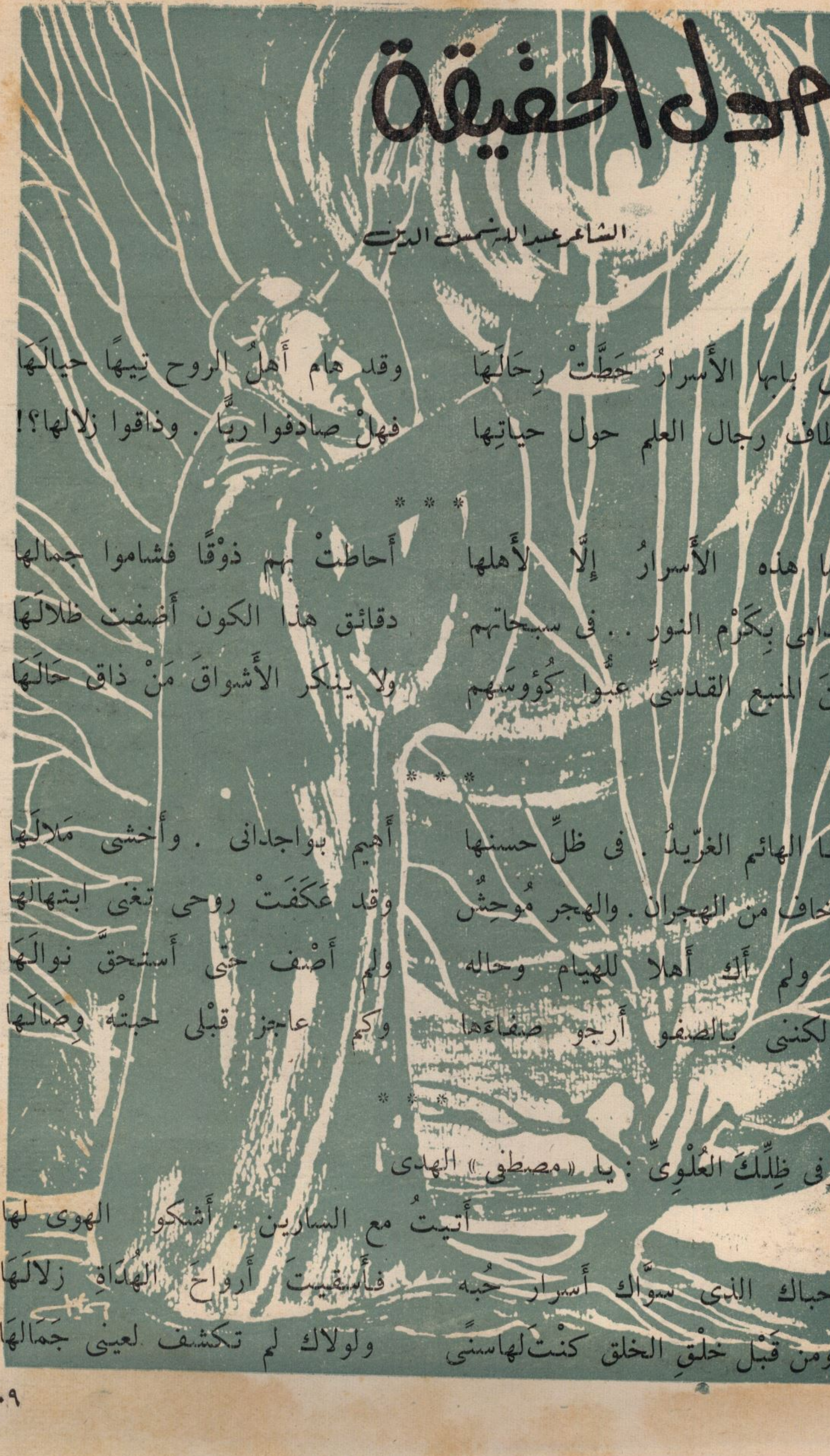

حول الحقيقة

الشاعر عبد الله شمس الدين

على بابها الأسرارُ حطَّتْ رِحالَها — وقد هام أهلُ الروح تِيهًا حيالَهَا
وطاف رجال العلم حول حياتِها — فهلْ صادفوا ريًّا . وذاقوا زلالها؟!

* * *

وما هذه الأسرارُ إلَّا لأَهلها — أحاطتْ بهم ذوْقًا فشاموا جمالها
ندامى بِكَرْمِ النور .. فى سبحاتهم — دقائق هذا الكون أضفت ظلالَهَا
مِنَ المنبع القدسىِّ عبوا كُؤوسَهم — ولا ينكر الأشواقَ مَنْ ذاقَ حالَها

* * *

أنا الهائم الغرِّيدُ . فى ظلِّ حسنها — أهيم بواجدانى . وأخشى مَلالَها
أخاف من الهجران . والهجر مُوحِشٌ — وقد عَكَفَتْ روحى تغنى ابتهالها
ولم أكُ أهلا للهيام وحاله — ولم أصْف حتى أستحقَّ نوالَهَا
ولكننى بالصفو أرجو صفاءها — وكم عاجز قبْلى حبتْه وِصَالَهَا

* * *

وفى ظِلِّكَ العُلْوِىِّ : يا «مصطفى» الهدى — أتيتُ مع السارين . أشكو الهوى لها
حباك الذى سوَّاك أسرار حُبه — فأسقيتَ أرواحَ الهُداةِ زلالها
ومن قبْل خلقِ الخلق كنْتَ لهاسنًى — ولولاك لم تكشف لعينى جمالها

رمضان

الشاعرة روحية القليني

رمضان أَقبل بعد طول حنيني
فيه الهدى فيه فضائل ديني
أَتلو كتاب الله فيه تبتلا
آياته قدسيةٌ تهديني
وأَقول يا ربي بحقك فاهْدني
لرضاك إن رضا الاله يقيني
وأَنِرْ إله الكون دربي كلما
ضلت خطاى ومن سواك معيني
أنا ان ضللت فليس غيرك منقذى
وإذا جهِلت هديتني لشئوني
وإذا ظمئت سقيتني فرويتني
من نور علمك والهدى تسقيني
أنا يا إله الكون نورك غايتى
أنا لست من ماء ولا من طين
لكننى روح سما لمكانة
فوق السهى بضراعتى ويقيني
وتبتلى يا رب فى جنح الدجى
نجواى فى ليلى دموع عيونى

أُمسى وأُصبح واسمك الغالى على
شفتى كالأنغام تستهوينى

ولكم أُصلى علنى بتقربى
يا رب بالصلوات قد تنجينى

من كل شر فى الحياة ومفسد
من كل مافى عالمى يؤذينى

إيمان قلبي فيه سر سكينتى
يسرى كمسرى النور فى تكوينى

أرضى بما حكم الإله وكلُّ ما
يرضى إلهى خالقى يُرضينى

رمضان جئت بليلة القدر التى
هى خير مافى أشهرى وسنينى

يا خير شهر عز فيه فقيرنا
يا أرحم الأيام بالمسكين

ومآذن الاسلام يعلو صوتها
الله أكبر والصدى يُشجينى

ألله أكبر فى السجود أقولها
والله أكبر فوق كل يمين

كيف ننسى؟

الشاعر محمود أبو الفتوح

سلوا مصرا سلوا عنها قراها — سلوا صنعا سلوا عنها رباها
سلوا قمم الجبال الشم لما — تكاثرت الفلول على ذراها
وثبنا وثبة الأُسد الضوارى — وأخضعنا عليها ما علاها
أذقنا حكمها سما زعافا — وفر التاج بالصحراء تاها
سليل المجد يا بدرى عفوا — فصنعاءُ أبت إلا فتاها

* * *

سلوا شعب العراق الحر عنها — وبغدادا وقائدها الهماما
سلوا عبد السلام وقد تقوى — بحبل الله لا يرضى انقساما
أحقا بتَّ عبد الله ذكرى . — وتذكرة وقد كنت الإماما
إذا ما الظلم جاوز حدّ قوم — فإن السيف يفرض لا الكلاما

* * *

سلوا الشعب الفلسطيني عنها — وقد نادى أغثنا يا جمال
أغثنا يا فداك العرب طرا — فقد ضعنا ويتمت العيال
وصارت أَرضنا من بعد عز — مشاعا للصهاينة : حلال
ولن نرضى سوى عيش بأَرض — يروى تربها نبع زلال

فلسطين الحبيبة كيف ننسى ... طريدا بالفلاة وقد دعانا
طريدا كله جوع وعرى ... وغرب يبتنى قصرا وحانا
بنوها فوق أشلاء وقتلى ... وآذرهم دلاس وما بكانا
ولولا صيحة البطل المفدى ... أبو الأحرار ما ظهر الكيانا
سلوا سوريا سلوا عنها دمشقا ... سلوا عنها الحليبي أو صلاحا
سلوا الأبطال كل «جول جمال» ... وأسد عرينها هبوا صياحا
أقام الإنفصال عليها سدا ... فما ركنت ولا وضعت سلاحا
سلوا عنها دماء الشعب لما ... روت كل الفيافى والبطاحا

* * *

صلاح الدين ياناصر حماها ... وجمع شملها وبنى بناها
أغار الصلب وانصبوا علينا ... بجيش من زعامته تباهى
أسرنا تاجهم وغدا ذليلا ... «وشجر الدر» رافعة لواها
ويوم النصر قد خرجوا بخزى ... ولا نالوا سويس ولا قناها
وجاء الناصرى اليوم يبنى ... يشيد مجدها يحمى حماها
يقود العرب قاطبة وكانت ... جيوش الغرب تمنعها غذاها
يهيب بأرضها جيشا وشعبا ... ينادى بالحياد على رباها
ولولا أن فينا «فخر مصر» ... ولولا الرب ما رتفعت جباها

نداء الحرية

الشاعر عبد الملك عبد الرحيم

الى اخوتى بافريقيا الناهضة ، الذين يضربون بسواعدهم ستار الظلام ، لينبلج الفجر مشرقا جميلا .. الى المكافحين فى جنوب أفريقيا والكونغو وروديسيا الجنوبية وأنجولا وموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية.. وفى كل مكان يوجد به أثر للاستعمار ..

* * *

أخى : قم .. حطم الأغلال .. سر نحو العلا .. وانهض
ولا تسمح لعار الذل بعد اليوم أن يفرض
وهيىء من ثراك الحر قبر الغاصب الأبيض
أخى .. يا أيها المصفود بالآلام والذل
أتاك الغاصب المسعور بالأطماع والغل
أتى للسلب والإرهاب والتنكيل والقتل
أتى وبلادك العذراءُ بالخيرات معمورة
وجاءَ ملفقا عن أَصله المزعوم أسطورة
تقول بأَنه نوع فريد العقل والصورة

وتزعم أنه نور أتاك ليمحق الجهلا
وأذاك دونه فكرا .. وأذاك دونه عقلا
فصرت التابع المغلوب وهو السيد الأعلى

* * *

أهذا منطق الأخلاق والأديان والعلم ؟
أليس بمنطق الطغيان والعدوان والظلم ؟
وهل من فاضل حقا يبوءُ بذلك الإثم ؟

* * *

بإثم النهب للخيرات والأقوات والرزق
بإثم الغدر والأصفاد والتعذيب والرق
بإثم عصابة ضلت سبيل النور والحق

* * *

أخى .. مزق دخيلا غاصبا يحيا بتقييدك
وسر قدما .. ولا ترهب عويل القيد فى جيدك
وصغ من عزمك المشبوب ملحمة لتخليدك

* * *

فلست بغير إصرار يخضبه دم الثأر
تبدد ظلمة الباغى وتدنى مطلع الفجر
فكن حربا على الطغيان وارقب موعد النصر

* * *

وسر فى درب إخوتك الألى سبقوك للمجد
ودكوا سطوة الباغين وانتصروا على القيد
بعزم الروح والأبدان والإيمان والكدّ

الشاعر موسى جلال أحمد موسى

أشرقت بدرُ فى فضاءِ علاها ... وتبدت عزيزةً فى سماها
وتجلَّت على الوجود وراحتِ ... يملأُ الأَرضَ والسماءَ ضياها
فجَّرت نورها خضما مضيئاً ... ثم سارت هدايةً فى حماها
والصحارَى التى طواها الدجَى والليلُ هبت عواصفًا من كراها
وضلالُ العتاة والشركُ والأَصنامُ ريعت بنارها ولظاها
فارتمت فى غياهب الكفر حتى أَشرق الدين من خلال سُراها
وجلت عزةً من الحق كانت ... فى دجى الظلم لايَبِينُ هداها
وأعادت كرامة الدين صبحًا ... وأعزت رجالها ونساها
«لست أدرى ولا المنجمُ يدرى» ... أى فجر شبيهها فى سناها
فاسأَل الأُفق نورها رب شمسٍ ... فى ربيعِ الشروق تدرى ضحاها
واسأَل الدهر حسنها رب صبح ... فى صفاءِ الطلوع يحكى مداها
واسأَل النجم وهو فى قمة المطلعِ يسرى لعله قد رآها
واسأَل الشعر إن وحى قصيدى ... نوره من صباحها وبهاها
بل وسلنى فإن نور قريضى ... فى سطور البيان بعض ضياها
لست وحدى عرفتها يا رفاقى ... إنما الكون والوجود جلاها
والهدى والوفاءُ والملةُ السمحاءُ والدينُ والورى قد وعاها

قد رأينا مطالعَ الأُفق حتى ... لم نجد مثلها تركنا فضاها

ونزلنا على الليالى فمدَّت ... فجرها نعمةً فزال دجاها

وخطونا على ثرانا فلاحت ... ترسل النور من جبين سماها

فأخذنا من الضياء شُعَاعًا ... فاهتدينا بصائرا وشفاها

ومشينا على الطريق أُسودًا ... ورفعنا معَ المسير الجباها

كلما مرت الدهورُ عليها ... عطر الكون ذكرَها وشذاها

وإذاها تذيع من عمرها الفواح طيبا من الخلود احتواها

رقصت فى فمى ومن قبل كانت ... وهى مرفوعةٌ وعالٍ لواها

خلدتها السنونُ عمرا مديدا ... ووعاها الزمان ثمَّ رعاها

فاسمع اليوم من لسان قصيدى ... صيحةَ الحق واستمع لصداها

واسقها من رضا بك الحلو شعرًا ... وترسم بطيفها ورؤاها

وأعد من لحونها نغماتٍ ... رددتها بعزة شفتاها

غزوةٌ هزت الضلالةَ هزًا ... وأطاحت بليلها ودجاها

جُرّع الكافرون فيها صديدًا وكئوس الهوان ذاقوا طلاها

وأتتهم كبغتة الصور حتى ... لم تدع من جنودهم من يراها

ومشت بدرُ ثم شدَّت على الكفر ففرت جيوشُه من ثراها

وتوالت بهولها فى غمار الحرب ترمى على الفساد قناها

وتعالت تصبُ من قلبها المغتاظِ نارًا من الحمام لظاها

فوق كفرٍ وفوق شرك أثيم ... فوق جهل من الضلال أتاها

زحفت تَحصد الرءوس بجيش ... ومضت فى القتال بين قواها

ورسول السلام يزأرُ فيها ... بدعاءٍ أَراعها ودهاها

أَرسلت كفُه شواظ حصاة ... دك أجنادها وأفنى عداها

وإذاها بنصرها يَتَهَادى .. .وبجند الإله ماجت سماها
ومشى الحقُّ وأشرأبت رمالٌ ... أَرسل الله قوةً فى حصاها
فإذا النور فى صباحٍ وليد ... يتجلى بنصرها فى ضحاها
وإذا المسلمون فى أعزِّ بروج ... هللوا فى رحابها ورباها
وتنادوْا على القليب بعز ... ورسول السلام يتلو لغاها
إن بدرًا أَوائلُ النصر والفتح فسودوا بنصرها فى ثراها
لا تبالوا بمجمع الشرك وامضوا ... وأَعيدوا لمكة منتداها
طهروها من الجهالة واحموا ... بيتها من ضلالة فى عتاها
فالأَعاصيرُ والزعازع مازالت تدوى هنا على أشلاها
لا تخافوا فإننا قد نصرنا ... وأَعيدوا لأَرضنا من قلاها
وأَعيدوا لقبلة الكون أمنًا ... وأَعيدوا إلى البلاد فتاها
واغنموا النصر فى كفاح مرير ... والزموا الحرب لا تخافوا لظاها
إنما الحرب للفساد صلاح ... وسلام الحياة بين رحاها
إيه يا بدر قد نصرنا بوعد ... كان حقا منِ الاله وجاها
أَشرقى ثم دمدمى فى ثبات ... لا تبالى بظلمة ودجاها
وافخرى العمر بالرجال المواضى ... فى مجال الحياة أنتِ هناها
ثم عودى إلى العروبة يوما ... لنذيقَ اليهودَ كأْسَ فناها
ففلسطينُ فى اشتياق عنيف ... لدماءٍ تسيل فوق ثراها
واطمئنى فى العروبة جيش ... يصنعُ المعجزاتِ فوق رباها
لا تخافى فإن مصرَ أقامت ... من بينها جحافلًا كمداها
جيشُها الضخم والفتوة فيها ... لا تبالى بقوة او وغاها
وغدا تشعل الحروب بأَرض ... فى فلسطين لا تريد سواها
وجمال يقودها فى فخار ... ويجلى بنصرها فى سماها

الشهر المعظم

الشاعر نجاتى عبد الرحمن

هلال التُّقى والصوم والهَدْى مرحبا	بعثت من الأَنوار فى الكون ماخَبا
طلعت على الدنيا بنورك فازدهت	كما تزدهى بالزَّهر والخُضْرة الرُّبى
ولاح رجاء فى جبينك ساطع	وأَظهرت فيه للسعادة كوكبا
يبشِّر بالإقبال واليمن باسمًا	وينشر ظلَّ السلم شرقًا ومغربا
تباركت شهر الصوم شهرًا معظَّمًا	يُلين من الأَخلاق ما قد تصلبا
ويلقى على الدنيا دروسًا مليئة	عظات بأَسمى ما أَفاد وأَدبا
ويَهدى إلى الايمان والرشد والتقى	ويَصْقل قلبًا بالفساد تشربا
فيعطف من لم يَطْرق الرفقُ قلبه	على بائس ذاق الشقاء وأَتربا
إذا المال لم تنفقه فى الخير والهدى	تكن عند شرع الله والناس مذنبا
نُجَنَّبُ بالصوم المعاصى ولا نرى	عليه من الأَخلاق إلا المحببا
« ثلاثون يومًا كل يوم وليلة »	نراها من الأُولى أَلذَّ وأَعذبا
تمر كطيف زار بالليل نائمًا	وتمضى كأَحلام الشباب أو الصبا
وتصفوا قلوب القوم مما يشوبها	من الحقد إن الحقد أَمضى من الظُّبَا
ويزَّاور الأَقوام من كل ملة	إذا اختلفوا دنيًا ورأْيًا ومذهبا
ليال سداها خالص الود والوفا	ولحمتها كانت من الود أَقربا
تناسى بها القوم الضغائن بينهم	ووارت من الأَحقاد ما قد تحجَّبا

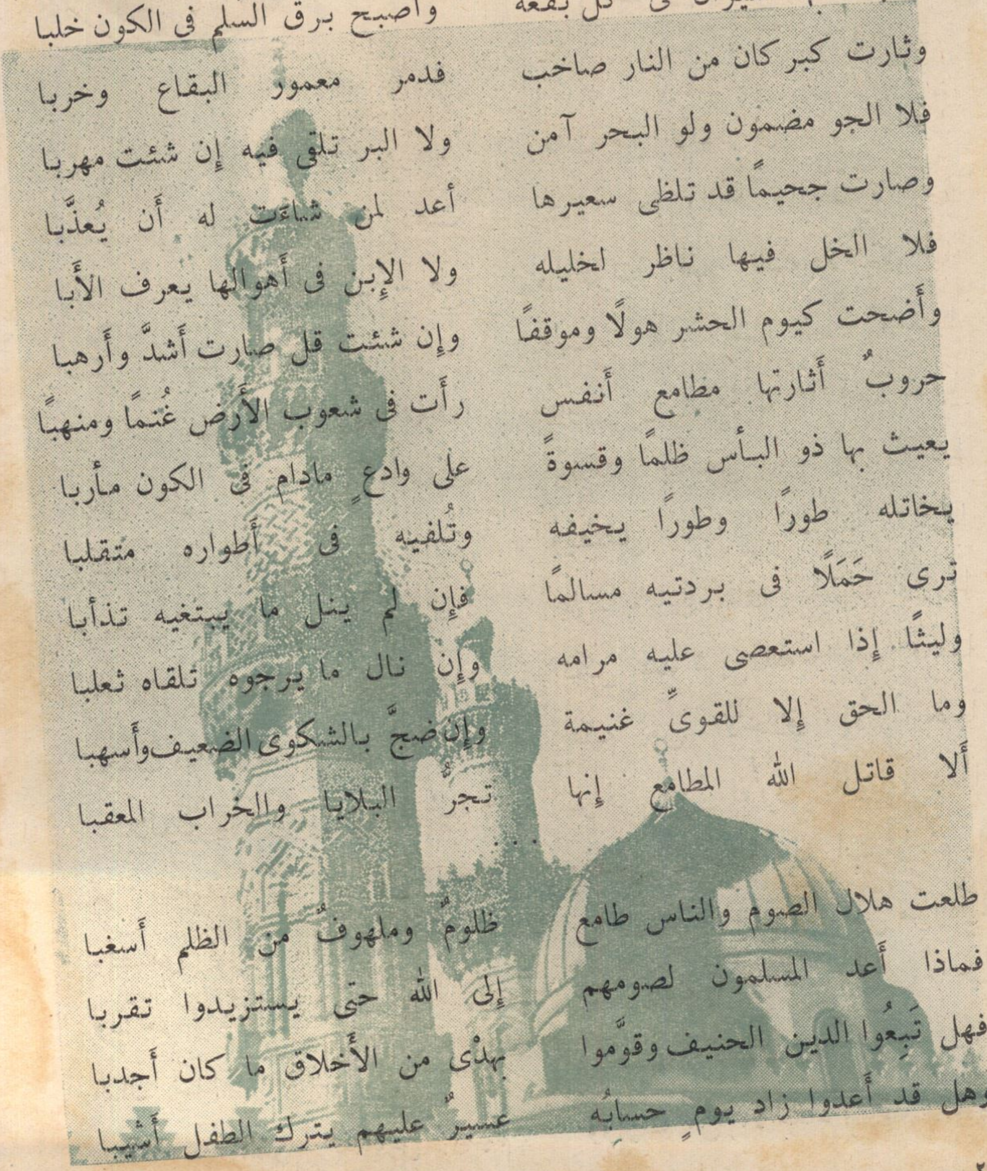

ولا خير فى خل يريك بشاشة   ويتخذ التنكيل والغدر مركبا
يلاقيك بسّامًا محياه مشرقٌ   فإن هو ولى عنك أصبح عقربا
أفيقوا عباد الله من غمراتكم   وكونوا يدًا رغم الحسود إذا أبى
تغيرت الدنيا وأظلم وجهها   وبالدم رغم المصلحين تخضّبا
وشبّت بها النيران فى كل بقعة   وأصبح برق السِّلم فى الكون خلبا
وثارت كبركان من النار صاخب   فدمر معمور البقاع وخربا
فلا الجو مضمون ولو البحر آمن   ولا البر تلقى فيه إن شئت مهربا
وصارت جحيمًا قد تلظى سعيرها   أعد لمن شاءت له أن يُعذّبا
فلا الخل فيها ناظر لخليله   ولا الإبن فى أهوالها يعرف الأبا
وأضحت كيوم الحشر هولًا وموقفًا   وإن شئت قل صارت أشدّ وأرهبا
حروبٌ أثارتها مطامع أنفس   رأت فى شعوب الأرض غُنمًا ومنهبًا
يعيث بها ذو البأس ظلمًا وقسوةً   على وادعٍ مادام فى الكون مأربا
يخاتله طورًا وطورًا يخيفه   وتُلفيه فى أطواره متقلبا
ترى حَمَلًا فى بردتيه مسالمًا   فإن لم ينل ما يبتغيه تذأبا
وليثًا إذا استعصى عليه مرامه   وإن نال ما يرجوه تلقاه ثعلبا
وما الحق إلا للقوىِّ غنيمة   وإن ضجّ بالشكوى الضعيف وأسهبا
ألا قاتل الله المطامع إنها   تجرّ البلايا والخراب المعقبا

. . .

طلعت هلال الصوم والناس طامع   ظلومٌ وملهوفٌ من الظلم أسغبا
فماذا أعد المسلمون لصومهم   إلى الله حتى يستزيدوا تقربا
فهل تَبِعُوا الدين الحنيف وقوّموا   بهدْى من الأخلاق ما كان أجدبا
وهل قد أعدوا زاد يومٍ حسابُه   عسيرٌ عليهم يترك الطفل أشيبا

وهل أخلصت لله حقًا قلوبهم فكم روَّض الإخلاص نفسًا وهذبا
إذا المرءُ بالآمال أخصب قلبه فبالهدى والإيمان يُصبح أخصبا

* * *

فيا قوم ما للمسلمين تفرقوا وضاعت قواهم بالشقاق يَدَى سبا
تصدع مبناهم بتشتيت شملهم وكان بحبل الله أقوى وأصلبا

تلهوا بدنياهم عن الدين فانطوت صحائف غالى الدهر فيها وأطنبا
وصاروا عن النهج القويم جهالةً ومالوا مع «الإخوان» نهجًا ومشربا
فلا هم مع الدين استقامت نفوسهم ولو صادفوا منها ضميرًا مؤنبا
كصياد طير سدَّد السهم محكمًا إلى طائر لكنما سهمه نبا

...

رويدًا بنى الإسلام إنَّا عشيرةٌ أعزاء لانرضى سوى العز مركبا
ولن نبلغ المجد القديم وهمنا من العيش أن نحيا سُراةً ونلعبا
إذا الشعب لم ينهض على الدين مجده فلا بد يومًا أن يُذل وينكبا
على الدين والأخلاق قامت ممالك وكم بيد «الإخوان» ملك تخرَّبا
فيا أُمة الإسلام لا تتشعَّبى فإن القوىَّ المستبد توثبا
إذا كان إخلاص العشائر واجبًا فإنى أرى الإخلاص فى الدين أوجبا
لقد حلَّ شهر الصوم فلتصفُ منكمو قلوبٌ رماها الغِلُّ حينًا وألهبا
وسيروا على نهج «الرئيس» فإنه نماه التقى من نبعتيه وأنجبا
غدا المثل الأعلى الذى يقتدى به وأصبح للأمثال فى الكون مضربا
زهى عصره بالنور والعلم والهدى وكلل بالتوفيق فيما تطلبا
فكن يا هلال الصوم يمنًا لمصرنا لتصبح من مُلك الأوائل أهيبا

مختارات من شعر
ابن عربي
في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الاهل

الحظ العظيم

قال ابن عربى فى قوله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » :

اذا رأيت مسيئا يبتغى ضررا
فداره ثم لا تظهر له خبرا
وادفع أذاه بما توليه من حسن
وأمنن عليه ولا تعلم به بشرا
فان ذلك اكسير ، وقوته
أن تقلب العين والاجساد والصورا
يرجع عدوك صديقا فتأمنه
ولا تخف منه اضرارا ولا ضررا
وما يلقاه الا صابر وله
حظ من العلم لما أمعن النظرا

يعبر ابن عربى عن الآية الكريمة بشعره فينصح كل من يرى مسيئا معتديا أن يداريه ثم لا يظهر له أنه يداريه لئلا تشتد اساءته ويغرى اعتداؤه ، بل ينصح بأن يبذل له من نفسه حسنا واحسانا ، وهما أنفع دواء لدفع الأذى وكف الشرور ، على أن يتصف المحسن بانكار ما يفعله من حسن واحسان ولا يمن به لأن المن وهو يثير النفوس ويغير القلوب يذهب بالأجر ويعفى على الثواب .

ويصف ابن عربى هذا الفعل بأنه اكسير قوى وكيمياء فاعله ، وكما كانوا يظنون أن الكيمياء تقلب النحاس ذهبا، وكما يريد العلم اليوم أن يفعل بتحويل ذرة من نوع الى ذرة من نوع آخر بتغيير أعداد موجباتها الدائرة حول سالبها . ويقول ابن عربى ان قوة هذا الاكسير من شانها أن تقلب الحقائق والأشكال والصور الى أضدادها فيرجع العدو صديقا والشرير محسنا والمسىء نافعا .

على أن هذا الاكسير لن يملكه الا من رزق خلق الصبر ورزق قوة الاحتمال ليتغلب على الآفات ، وذلك لا يكون الا لمن رزق حظا من الدين والخلق المتين بعد امعان النظر والاستبحار فى الفهم والتخلق بالمكارم ، وهذا فى الناس قليل لأن طريقه شاق طويل .

معجزة العصا

وقال فى عصا موسى حين ضربت الصخر فى سيناء فتفجر الصخر عيونا :

وما عجبى من ماء مزن وانما
عجبت لماء سال من يابس الصخر
كضربة موسى بالعصا الحجر الذى
تفجر ماء فى عيون به تجرى
وكل اناس شربه عالم به
يميزه ذوقا وان حل فى نهر

هذه الأبيات واضحة المعانى ، وليس يعجب مما جرت به العادة بنزول المطر من المزن وهطوله من السحاب، ولكن العجب أن يرى الماء سائلا من الصخر اليابس والقمة المرتفعة ، وليس أعجب من الماء الذى تفجر عيونا فى صخور سيناء تحت عصا موسى ، ثم جرت من هذه العيون أنهار ومشارب لأتباعه ، وقد جرت كل عين بطعم وكل نهر بمذاق حتى يستقر كل قبيل من أهله عند مائهم وعند مذاقهم.

وكأنما اختلفت هذه العيون والمذاقات لتوافق كل عين من نزل عليها ، فكأنهم لم يفارقوا أوطانهم ولم يهجروا بلادهم ، وهى منحة عاجلة لمن يطيع فى هذه العاجلة ، ولا طاعة كطاعة الأنبياء ولا منحة أكبر من منح المعجزات .

ليلة القدر

وقال فى ليلة القدر واحيائها بالطاعة والدعاء وآثارها فى ستر الأمور وشرح الصدور .

أرى ليلة القدر المعظم قدرها
ترفع منى فى الشهود ومن قدرى
وذلك شطر الدهر عندى لأنها
تكون بما فيها الى مطلع الفجر
وترحل عنى تبتغى عين موجدى
وقد سترت أمرى وقد شرحت صدرى

يقول ابن عربى انه يرى ليلة القدر العظيمة الشأن ، والملتمسة عند الفقهاء فى العشر الأواخر من رمضان وليالى الوتر منها سترا لها وحثا على التماسها — يرى أنه ترفع شأن من يشهدها طائعا داعيا ومقبلا مصليا . أما هى عند ابن عربى فهى تعدل نصف عمره أو معظمه لأن الملائكة تتنزل فيها بالحكمة القرآنية والرحمة الالهية ، ويظل ذلك حتى مطلع الفجر حيث يرتد ماتنزل فيها من الفيض والنور الى عين منبعه وأصول فيضه . من حيث لا يطلع فجرها الا وقد قبلت الطاعات واستجيبت الدعوات ، وذللت الأمور وشرحت الصدور .

طول التفكر

وقال ابن عربى فى مرضه الذى أصابه عند الكبر :

توالى علىّ اليبس من كل جانب
وأقلقنى طول التفكر والسهر
وأزعجنى داعى المنية للبكى
وأذهلنى عما يجل ويحتقر
وقوى فؤادى حسن ظنى بخالقى
وأضعف منى قوة السمع والبصر
وان مرادى حيل بينى وبينه
بردى — كما يتلى — الى أرذل العمر
فنادى بروحى للبرازخ والثوى
ينادى بجسمى للمقابر والحفر

يصف ابن عربى حالى جسمه وروحه حين افترقا أو كادا يفترقان حين أسن وهرم فيصف جسمه بأنه يبس من كل جانب : من عظامه وحواسه وأعصابه وهضمه وكل أجهزة جسمه بينما اشتعل رأسه تفكيرا وقلبه ادكارا فقلق وسهر وتعب وتفكر .

ويرى أن داعى الموت قد أسرع فى نداء بدنه ووالى النداء ليفنى ويبلى ، أما فكره فقد تساوى أمامه كل جليل وحقير وكبير وصغير ، فصار لا يلتفت الى منظر ولا يقيس بين أمر وأمر ، وهى مصادر العلم ومشارع المعرفة ، فقد وقفت عند حد وبلغت الى شاطىء .

وحيث كان السمع والبصر هما منافذ العلم الحسى فقد ضعفا ووهنا ولكن حسن الظن بالخالق واليقين به قد قوى لأن موضعهما فى القلب ، وهو لا يضعف ولا يهن ولا يهى،

ومن حيث صار طعم العلم المكتسب مر المذاق فقد صار طعم الظن واليقين حلوا لذيذا .

وما من ريب فى أن مراد كل امرىء من متابعة الهداية أو الضلالة والقدرة عليهما بطول العمر وقوة البدن يقف عند حد لا يجوزها ونهاية لا يتعداها ، وذلك اذا بلغ المرء أرذل العمر ، ولكن منابع الهداية يكون أهنأ بالا وأروح نفسا مهما حيل بينه وبين ما يشتهى من تقديم العمل الكثير .

وداعى المنية وان كان له سلطان فسخ الروح عن الجسد فانه يذهب بهما مذهبين مختلفين ، فيذهب بالروح الى البرزخ حتى يحين البعث الأكبر بينما يذهب بالجسد للحفر والمقابر .

تأويل الرؤيا

وقال فى الفرق بين الوحى ورؤيا النائم وكيفية تأويل الأحلام ورد العلم بها الى ما جاء فى آيات الكتاب المنزل، وكأنما يريد ابن عربى أن يرفع من شأن الهام الأولياء لكنه لا يبلغ مرتبة الوحى الذى وقف بوقوف الشريعة عند قبض خاتم الرسل الى الملأ الأعلى :

الوحى بالشرع قد سدت مغالقه
وليس ينكر ذا الا الذى كفرا
لم يبق منه سوى ماالشخص يدركه
فى نومه أو بكشف هكذا ظهرا
وفيه فرج رقيق ليس يعرفه
الا الذى يعرف الآيات والسورا
فينزل الشىء فى رؤياه منزلة
بآية فهى قرآن لمن نظرا
فى جمعها والذى تحويه من عبر
وحيا صحيحا لنابه القضاء جرى
فاسلك طريقتنا ان كنت ذا نظر
ولا تعرج بنا ان كنت معتبرا
قد يخطىء العابر الرؤيا يعبرها
وقد يصيب كما رويته خبرا
عن النبى رسول الله سيدنا
فيما تأوله الصديق لو ثمرا
اصاب بعضا وأخطأ بعضه وبذا
أتى الحديث الذى رويته أثرا

لقد سدت مفاتح الوحى واستحكمت مغالقه بعد أن تم نزول الشريعة المحمدية على خاتم الرسل ، وليس ينكر هذا الا الكافر الذى لا يؤمن برسالة النبى صلى الله عليه وسلم بل برسالات الأنبياء جميعا ، فقد جاءت أخبارها بهذا الختام .

ولكن بقى من الوحى أو ما يشبهه الرؤى الصادقة وكشوف الصوفية فى مذاقاتهم الروحية ، غير أن هذه الرؤى والكشوف لا تأتى خالصة صريحة نقية كما كان الوحى بل تأتى ممزوجة بحواش وأطراف تجعلها غير رائقة وتظهرها غير خالصة ، ولايعرف تأويلها الا من آتاه الله التأويل أو فطنه له كالأنبياء أو الاولياء الذين يقيسون الأحلام على ما ذكر فى آيات القرآن وينزلون أصولها وجملتها على ما جاء بتلك الآيات ويتركون الحواشى ويطرحون الأطراف .

ويرى ابن عربى أن الأحلام الصادقة الهام صحيح جرت به حكمة القضاء للاتصال بالنفوس السليمة والقلوب المستنيرة - وان كان ابن عربى يتجاوز فيسمى ذلك وحيلة ويتصح ابن عربى أن يسلك المعبر هذه الطريقة فى تعبيره وتأويله وهى القياس على آيات القرآن واستلهامها الصور والمعانى .

على أن التعبير لا يكون كلاما قاطعا وأمرا فاصلا كما كان الوحى ، بل قد يخطىء المعبر للرؤيا أو يصيب مهما كان صافى النفس مستنير القلب ، وقد أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . والصديق أبو بكر مع قوة نظره وصفاء قلبه قد عبر ذات مرة عن رؤيا فأصاب فى بعضها وأخطأ فى بعضها فنبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكان خطئه . أى خطأ التأويل وليس خطأ النفس كما يقول أهل التصوف .

حق الجار

ويقول ابن عربى فى حق الجار :

ان المهيمن وصى الجار بالجار
والكل جار لرب الناس والدار
فان تعدى عليه جاره فله
العفو والأخذ آثارا بآثار
ان شاء عاقبه أو يعف عن كرم
والعفو شيمة من يصغى الى القارى

المهيمن المسيطر على كل ملك هو الله ، وانما يتقاسم الناس البلاد والأرض والمنازل بفضله ومنه وليست ملكا لأحد منهم ، وانما يغترون فيحسبون أنهم يملكون ، ولذا فقد وصاهم المهيمن صاحب الملك على أن يحسنوا الجوار لأنهم جميعا جيران لمن يملكهم أنفسهم ويملك أراضيهم وديارهم .

وقد يكون احد الجيران مؤذيا متعديا فلجاره ان يعفو عنه أو يعاتبه بمثل فعله وتعديه لا يزيد على الأخذ بحقه من غير اسراف ، والأمر متروك لمشيئته فان شاء عاقب وان شاء عفا .

ولكن الأفضل أن يعفو ، ولا يتعلم العفو ويدرك قيمته الا من يصغى الى القرآن ويتفهمه ، فقد مدحه الله سبحانه بقوله « وأن تعفوا أقرب للتقوى » .

الله أكبر

وقال فى السبب الذى جاء به الوصف بوزن أفعل :

كبر الهك فالاله كبير
والخلق ان حقرته فكبير
ولذاك جاء بوزن أفعل فاعتبر
فى لفظ أكبر فالمقام خطير
لا تحقرن الخلق أن مقامه التعـ
ظيم والتفرير والتوقير
فهو الدليل على مكون ذاته
فله التصور ما له التصوير
فاذا ذكرت الله وحد ذاته
فمقامها التوحيد لا التكثير

ينصح ابن عربى أن يتبع المؤمن ما أوصاه الشرع به من تكبير الله بأفعل التفضيل وان كان ليس أكبر الا هو. ويرى أن تكبير الله بهذه الصيغة انما يكون من التعجب الذى يثير نفس المتأمل فيما خلقه الله من الكائنات صغيرها وكبيرها بسيطها ومركبها قريبها وبعيدها لعظم شأنها وجليل قدرها .

ويستدل ابن عربى على هذا العظم والجلال بذكر الله بهذا الوصف ويطلب من السامع أن لا يمر عليه اللفظ دون أن يتأمل صيغته ويسأل عن سببه ، فان ذلك لم يكن الا لأمر خطير .

ويوصى ابن عربى أن لا يحتقر الانسان الخليقة لكبر مقامها وعظم شأنها لأنها كانت دليل الخالق والطريق الى معرفة الصانع الذى ان كان له أن يعلم حقائق مخلوقاته فليس لمخلوقاته أن تدركه ولا تحيط بعلمه .

وهذه الحقيقة تدل على الوحدانية التى انفرد بها فاذا ذكره العبد وجب أن يذكره بالتوحيد ويفرده بالتمجيد ، وصفة الوحدانية تستوجب الاقرار بالجوهر الذى لا يتركب والأصل الذى لا يتعدد .

باب الرياضة

إعداد: ناصيف سليم

دروس للشباب

من الجوانب البطولية فى حياة
محمّد على كلاى

عندما يعتلى الملاكم الحلقة ، ويجلس اللحظات الرهيبة التى تسبق المباراة ، يكون وجهه فى مقابلة خصمه ، وظهره للجمهور المتراص فى المدرجات . وقد تعمدمحمد على كلاى ، أن يكون اسمه مكتوباً على ظهره بخط بارز ليس « كاسيوس كلاى » وانما « محمد على كلاى »

كان هذا جانبا بطوليا آخر فى حياة هذا البطل ، لانه اعلان عن اسلامه فى قلب امريكا نفسه ، وتحديا للكفر فى عقر داره .

وعندما تبدا المباراة ويدق الجرس ، يكون الملاكم- اى ملاكم ، فى حاجة الى مؤازرة الجمهور له ، لان الجمهور فى المباريات سلاح فعال .. ولكن محمد على - بايمانه - كان فى غنى عن تشجيع هذا الجمهور ، واعلن على ظهره انه محمد على كلاى . انه ينتمى الى المسلمين ، وانه سار بهدى محمد - عليه الصلاة والسلام - وهنا كشر الصفير له برغم ورجحان كفته وتفوقه والتهليل عليه برغم وقوف خصمه امامه كالارنب .. وكان هذا ايضا جانبا بطوليا فى حياة محمد على كلاى .

ومن هنا نستطيع ان نكشف ملامح التعصب بارزة فى الجمهور الامريكى :

○ انه يسمى جمهورا رياضيا بمعنى الكلمة ، لانه لم يشجع الفن ، ولا التفوق ، بل شجع باترسون المتحدى المتعصب ، لا لشىء الا لان محمد على كلاى مسلم .

○ ان هذا الجمهور ، لم يقابل فوز محمد على كلاى بصدر رحب ، ولم تكن هتافاته ضده ، اشفاقا على المهزوم بل نفثه مكلوم ، وحقد اسود ، لان محمد على كلاى مسلم .

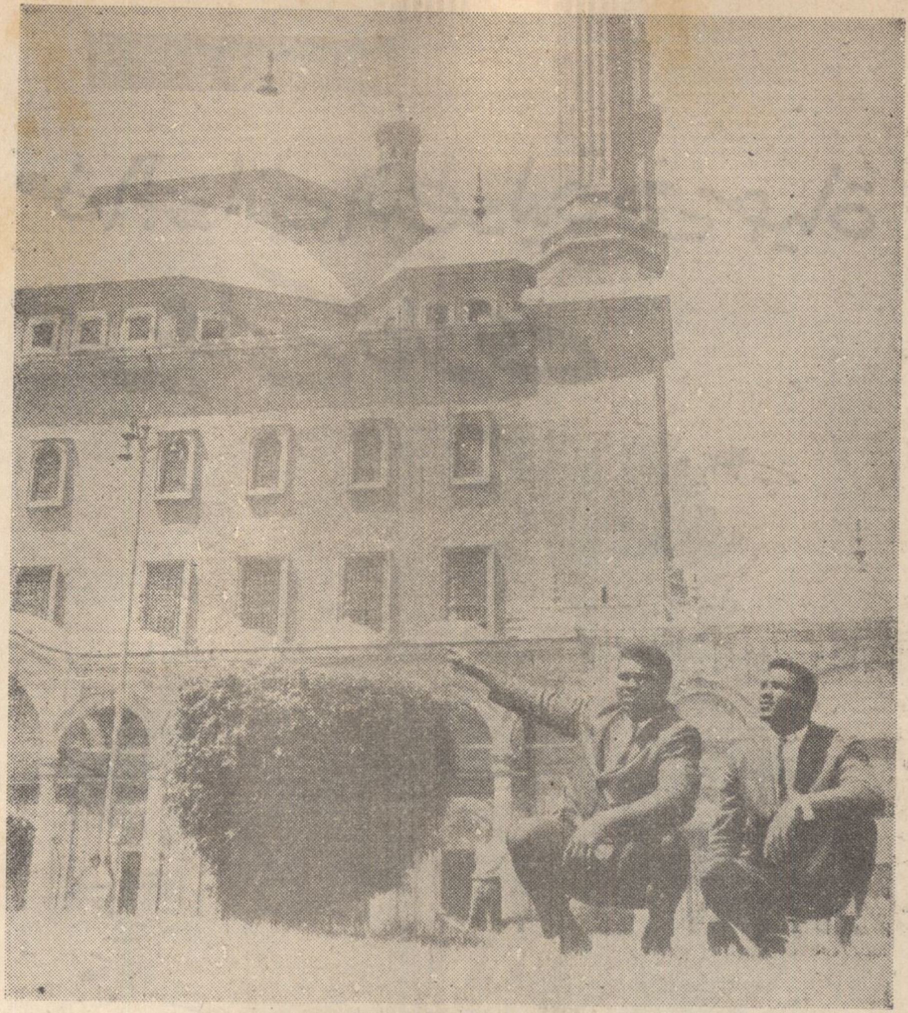

محمد علي كلاي اثنـاء زيارته للجمهورية العربيـة المتحدة في جامع محمد علي بالقلعه

○ ان هذا الجمهور الثري، قاطع محمد علي كلاي كبطل محترف ، فلم يشركه في اعلانات مؤسساته كزملائه الابطال السابقين ، وحرمه من كل مميزات البطولة ٠

٠ ولم تكن هذه اول مرة نكشف فيها عن تعصب هؤلاء ، بل هم انفسهم الذين اشاعوا عنه بعد اسلامه مباشرة انه مجنون ، محاولين قتل معنوياته ٠٠ وحاولت الجهات العسكرية هناك أن تعفيه من الجندية ، لتثبت للملأ أنه ايضا مجنون ٠٠ ولكنه أثبت لهم بدقة فنه ، اتزانه على الحلقة ، واختياره للاسلام دينا بعد اقتناع أنه أعقل عقلائهم ٠

كذلك كانت مساهمة محمد علي كلاي ، بجزء كبير من حصيلته في المباراة للمسلمين السود ، جانبا بطوليا آخر لانه يؤكد بذلك انه لايلعب لكسب المال ، بل لتحدي الكفر ، واعلانه عن هذا التبرع قبل المباراة دليل الثقة بالنفس ، والاعتزاز بالدين الذى ينتمي اليه ، والجماعة التي يعيش بينها ٠

كانت جـوانب بطولية لا يدركها الكثيرون ممن سعدوا بفوز كلاي ٠

اما الجانب البطولي الظاهر ، وهو الفوز على باترسون فقد كانت أسلحته الى جانب الايمان ، استعدادا فنيا وجهادا للنفس في معسكر شاق ، ومقاومة للاغراءات المصنوعة له ٠

وقد أكد محمد علي كلاي من الناحية الفنية انه بطل لم يجد الزمان بمثله ٠ فلو انه لم يكن كامل الاستعداد قوي الجاش ٠ لما استطاع أن يحيل المباراة كلها من جانبه ٠ ولو فرض ، وخرجت المباراة متكافئة نسبيا لما ضمن الفوز ٠

ولكنه أجبر الحكام على الاعتراف بفوزه ، لانه ـ كما وعد أو توعد ـ ظل حابسا خصمه على الحلقة اثنتي عشرة

جولة بقصد اظهار فنه ، واظهار ضعف خصمه الذى لم يلبث ان اعتذر للشعب الامريكى عن هزيمته وقد اقام محمد على كلاى الدليل واضحا انه يكسب الثقة من ايمانه بالله واعتماده عليه . والاستعداد السليم لكل بطولة ، عندما صمت الحاقدون عليه . فلم توجه اليه - هذه المرة - اتهامات تقول انه اتفق على النتيجة . او ان خصمه اوقعه الحظ بضربة فى فكه .

ولو ان الشعب الامريكى كان منصفا حقا ، لاعترف لمحمد على كلاى ببطولته الخارقة ، ولناصره على ليستون الشرير وباترسون المتعصب .

وقد يسالنى : كيف كان ليستون شريرا
وكيف كان باترسون متعصبا !
والجواب :

اننا كشعب عربى طيب ، كنا نناصر باترسون منذ اربع سنوات على ليستون . لان باترسون لم يكن قد كشف لنا بعد اما سوابق ليستون وقيادته للعصابات فكانت معروفة مشهورة ، لذلك وجد باترسون التشجيع الكافى منا . خاصة عندما كنا نعلم انه مضطهد من البيض لانه اسود .. وحكاية جاره الابيض الذى اقام حاجزا بين داره ودار باترسون معروفة .. رفض ان يمر هو او ابنه او اقاربه من امام بيت المالك الابيض . لذلك عطفنا عليه وعندما فاز على جوهانسن الابيض دعوناه الى بلدنا ليقدم عرضا فى الدورة الافريقية الاولى عام ١٩٦٢ بالجزيرة

ولكنا برغم هذا لم نكتشف ضعف نفسيته ، وحقده على الاسلام والمسلمين نعرف انه يجوز ان يهاجم محمد على كلاى فى الصحف من الناحية الفنية . كان يتوعده بالفوز عليه . لكذا ، او كذا .. ولكنه باع نفسه للصحف اليهودية وصار يهاجم الاسلام فى شخص محمد على كلاى .

ويقول ان عيبه الوحيد :

هو انتماؤه للاسلام . وحديثه عن الاسلام .

وقبض باترسون الثمن من مجلة الصنداى ، وتابع سلسلة مقالاته المسمومة حقدا على الاسلام الذى يعتبر الحل الوحيد لمشكلة الزنوج .

وقد اخزى الله باترسون فلم يحقق له ماينبغى ، وكان العوبة فى قبضة البطل المسلم محمد على كلاى .. وظل محاصرا له مدة ساعة على الحلقة ، حتى الحق به شر هزيمة . فاعترف باترسون المهزوم بقوة محمد كلاى واعتذر للشعب الامريكى لانه وضع فيه امله للانتقام من محمد كلاى .. ثم اعلن بعد ذلك ندمه على كل ماكتبه وسطره او امر بتسطيره هجاء وحقدا على الاسلام .

بعد هذا يتضح لنا من هو المتعصب ، ومن هو الحاقد كما اتضح للعالم اجمع من هو البطل .. انه محمد على كلاى .

وكم أود ان يتخذ شبابنا من نصر محمد على كلاى ومواقفه دروسا تنفعه فى مجالات الرياضة بالذات ، همها :

○ انه حارب تقاليد الشباب الامريكى فى جراة وشجاعة فلم يتسرب الخطر ، ولم يدخن ، ولم يعبث ، بل صار رجل مبادىء ، لا تاخذه فى الحق لومة لائم .

○ انه وهو المسلم حديثا ، اتخذ من الايمان زادا يقوى به نفسه فى المعارك التى خاضها ، وسلاحا يدافع به اعداءه

● انه لم يعتمد على الايمان وحده ، بل عمل بما يامر الاسلام ، استعد ، وجاهد نفسه وتدرب ، حتى اصبح فى مستوى فنى اعلى بكثير وارفع من مستوى خصمه ، لذلك فاز دون عناء يلحقه او تعب يصيبه .

○ انه وهو يلعب فى وطنه ، كان غريبا ، او شبه غريب ومع ذلك حقق لنفسه ولانصاره النصر ، واعلن كلمة الاسلام عالية ، فكان ذلك - فى نظرى - يساوى عمل كثير من الوعاظ فى عشرات السنين .

● انه وهو البطل الذى يشار اليه بالبنان ، ويعرفه العالم اجمع افرادا وشعوبا ، يحاول كل يوم ان يدرس الاسلام ! ليستزيد من بحره الواسع ، ولينفعه فى دنياه وآخرته .

○ ان محمد على كلاى سخى بماله فى سبيل المسلمين وخدمة الاسلام فضحى بالكثير مما كان يكسبه امثاله ممن فازوا ببطولات العالم

لاعبونا فى رمضان

واذا استفاد شبابنا من جوانب البطولة التى كشفناها فى اعمال محمد على كلاى . فاننا لن نرى لاعبا يفطر فى شهر رمضان لانه سيلعب مباراة هامة .. اقول هذا بمناسبة مانراه ونسمعه . من ان بعض لاعبينا . يظنون ان الصيام منهك لقواهم ، او انه يضعفهم امام منافسيهم وقد ثبت ان العكس هو الصحيح :

فقوة النفس من اسلحة الفوز ، والمجاهدة التى يتعودها الانسان من الصوم ، ملزم لكل بطل فى مباراة هامة او غير هامة . فما بالك اذ كنا الآن فى الشتاء ، وان النهار قصير والليل طويل . وان المباريات التى يشترك فيها لاعبونا . ليست مصدر رزق لهم .. وان اللاعب الذى يصوم يؤدى المباريات بقدرة تفوق قدرة المفطر . هل بعد هذا نرى من يفطر ليفوز !

ان هذا عمل خاطىء يجب ان يتجنبه لاعبونا ، ويجب ان يشجعهم الاداريون على الصوم لانه رياضة نفسية ، وهو تقليل للطعام . وكم راينا الاطباء ينصحون الرياضيين من التقليل من قدر وجباتهم ، وهذه من الفضائل التى حث عليها الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث يقول :

صوموا تصحوا .

وهذا بعكس الشبع الذى يجلب السمنة ، ويعوق الحركة ولا يساعد على الانتاج ، وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل سمين منبعج البطن فاشار الى بطنه باصبعه وقال له :

لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك . والمقصود ان يلزم الانسان حد الاعتدال .

وليعلم اللاعبون الذين يفطرون من اجل فوز يحققونه ، ان الفوز لن يكون ابدا بالافطار واهمال فريضة من اسمى الفرائض .

• قصة العدد •

رمضان كريم

الاستاذ حسين القباني

ان السيد كمال يعيش هذه الايام فى دهشة تنم عليها ملامحه ، ويكشف عنها حديثه مع كل من انس فى الحديث اليه .

وهو يقول لك مؤكدا انه لايكاد يصدق ما طرا عليه من تغيير هائل فى هذه الفترة الوجيزة .. من شهر رمضان .

ولكن المؤكد انه يذكر تماما اللحظة التى بدات فيها بوادر هذا التغيير العجيب الذى جعله يعيش هذه الايام فى دهشة من امره .

لقد استيقظ فجاة من نومه العميق فى سكون الليل .. وفتح عينيه وتلفت حوله فلم يجد زوجته بجواره . ولكنه لم يلبث ان سمعها وهى تصلى بجوار الفراش تدعو له بالهداية والاستقامة والتوفيق . وتطلب من الله ان يرضى عنه ، وان يهديه سواء السبيل وان يجعله من الذين يرزقهم بغير حساب .

ولم تكن تلك اول مرة يسمع فيها السيد كمال زوجته وهى تتهجد وتصلى فى سكون الليل .. احيانا فى الفجر واحيانا قبيل الفجر .. وكان فى كل مرة يستدير بظهره اليها ويحاول ان يعود الى استغراقه فى النوم ، وهو يتمتم لنفسه قائلا « ولية مجذوبة »

ولكنه فى هذه المرة لم يستطع ا نيستدير بظهره اليها ، ولم يجد فى نفسه رغبة فى العودة الى النوم أو الاستغراق فيه ، وانما احس بشعور غريب يخامره ويملا نفسه بنوازع غامضة ساحرة كانها ـ كما حاول ان يصفها ـ اصابع نورانية تفتح فى اعماق روحه ابوابا كانت مغلقة .

وظل فى مكانه متظاهرا بالنوم .. او لعله ابى ـ فى غير وعى منه ـ ان يخرج نفسه من هذا الاحساس النورانى الجميل ..

وسرعان ما ضج المسكن بالحركة رغم تلك الساعة المتاخرة من الليل .. ولم يعجب السيد كمال لهذه الحركة .. فقد كانت الزوجة والاولاد يتاهبون لتناول السحور استعدادا لصيام اول يوم من شهر رمضان .

ولولا ذلك الاحساس الجديد الذى غمره لصاح فيهم ، كعادته فى كل عام ، أن يكفوا عن هذا الضجيج . وان يحرصوا على راحته .. ولكنه فى هذه الليلة احس بما يشبه الاستمتاع وهو ينصت الى ضجيجهم واحاديثهم المترعة بالبهجة والسرور بسبب مقدم احب الشهور الى نفوسهم .

حتى ناجى ، اصغر اطفاله !

كان اكثر اخوته ضجيجا وابتهاجا . وقد سمعه يقول لامه بذلك الفضول المعروف عنه :

ـ هو بابا مش حايسحر معانا ؟

وهمست الام بصوتها الحانى الرقيق :

ـ لا ياحبيبى .. بابا تعبا ن..

ويعود الطفل الماكر الى القول فى الحاح :

ـ ابدا ياماما .. دا بابا صحته كويسه و ... وتخين كمان

ونهرت الام طفلها وطلبت منه الا يتدخل فيما لايعنيه

وهز السيد كمال راسه وهو يردد كلمات ابنه الصغير : بابا صحته كويسة وتخين كمان . ان الطفل ببراءته لم يذكر غير الحقيقة .

والحقيقة هى ان السيد كمال صحيح الجسم ، بدين الى حد ما ..

واهم من هذه الحقيقة انه لم يفكر يوما فى صوم رمضان .

انه لايدرى سر اصراره على الافطار فى رمضان .. فهو لم يجرب الصوم فى حياته ليعرف ان كان يطيقه ام لا .. وهو لايذكر منذ طفولته ان احدا طلب منه ان يصوم ربما لانه عاش يتيما لايهتم بامره احد . وربما لانه نشا فى بيت عمه .. وكان عمه رجلا واسع الثراء ، منحرف التفكير ، يعتقد ان مظاهر الحضارة تتعارض مع ممارسة الشعائر الدينية .

ايا كان سر امتناعه عن الصوم فى رمضان ، فانه ليتساءل فى نفسه لاول مرة عن سر هذه البهجة التى تمتلىء بها نفوس اولاده وزوجته كلما هل شهر رمضان ، وكلما شرعوا فى حرمان انفسهم من الطعام والشراب اكثر من اثنتى عشر ساعة كل يوم ؟

لقد كاد ان يخرج عن طوره فى العام السابق حين راى ابنه سالم الذى لم يكن قد بلغ التاسعة من عمره ، يلهث ظما قبيل المغرب ، ومع ذلك تحمل قسوة الظما حتى لحظة الافطار .

وقد حاول فى هذا العام ، كعادته فى كل عام ، ان يغرى بعض ابنائه بالافطار ، ولكنه باء بالفشل كالمعتاد فى كل عام ..

وكان يرجع فشله الى تدين زوجته وقدرتها العجيبة على بث جانب من هذا التدين فى نفوس ابنائها !

ولكن ما باله فى هذه الليلة ساكن لايريم . ولا يحتج على صخب الاولاد وضجة ابتهاجهم بالسحور ؟

ثم ما بال هذا الاحساس الجديد الذى ملا نفسه بنوازع غامضة ساحرة كانها . كما حاول ان يصفها ـ اصابع نورانية تفتح فى اعماق روحه ابوابا كانت مغلقة

ثم ما باله هو يتمتم لنفسه فجأة وكأنه مدفوع بقـوة غامضة ، قائلا « نويت صيام غدا من شهر رمضان ايمانا واحتسابا لوجه الله الكريم »

نفس صيغة النية التي طالما سمعها تتردد على شـفاه زوجته

وتنفس بعمق ، وخامره احساس الانسان الذي ازيح عن كاهله عبء ثقيل كان ينوء به سنوات وسنوات ..

ونهض في الصباح خفيفا ، طروبا ، على غير العادة .

ونظرت اليه زوجته في عجب خفيف وهي تراه يطلب ما يريد بصوت هادىء ووجه اقرب الى الابتسام منه الى العبوس .

وهو لاينسى في حياته نظرة الدهشة الممزوجة بالفرحة الغامرة التي انطلقت من عينيها حين طلب منها الا تعد له افطار الصباح .. لانه صائم !

ويبدو ان الصغير الماكر ناجي سمع اباه ، فاذا هو يثب من فراشه الضيق في فرح قائلا :

ـ بابا صايم .. بابا صايم !!

واسرع السيد كمال بالخروج الى مقر عمله قبل ان يتمادى الابناء في الاعراب عن دهشتهم وسرورهم .

ورأى في الطريق ماكان يراه عادة من هذه المظاهر التي طالما ثار عليها واحس بالرغبة في مقاومتها باللفظ العنيف .. ولكنه في هذه المرة كان هادىء النفس وهو يحاول ان يجد لنفسه مكانا في السيارة المزدحمة وكان هادىء النفس وهو يسمع بعض العبارات القاسية التي وجهها سائق السيارة لاحدى الراكبات الفقيرات .

وبهذا الهدوء النفسي استطاع ان يجعل السائق يعتذر للسيدة قبل هبوطها من السيارة .

ولم يشـعر بالغضب كعادته حين لمح ساعي مكتبه ينهض متكاسلا لاستقباله ؟ بل لقد حياه في مودة ووضع يده على كتفه وهناه بشهر الصوم ، ثم دس في جيبه ورقة مالية وطلب منه ان يشترى بهـا بعض الحلوى والفطائر لاولاده ، واخيرا طلب منه الا ينهض واقفا كلما رآه داخلا او خارجا من مكتبه .

ودخل غرفة مكتبه الفاخرة ، تاركا الساعي يغمغم في دهشة وعجب ثم يضرب كفـا بكف ويهمس لزميل له قائلا :

ـ الريس النهارده مش طبيعي خالص ..

ويرد الزميل في تساؤل :

ـ ازاي .. ماله ؟

ـ زى ما يكون واحد تاني ..

ـ عجيبه !

ـ هدوء ايه .. وطيبة ايه .. وسماحة وش ايه .. انا يا عالم مش مصدق ..

وفي خلال نصف ساعة ، كان مثل هذا الحديث الذي دار بين الساعي وزميله يدور بين مرؤوسي السيد كمال في غرفهم الخاصة .

لقد ذهب احد مرؤوسيه اليه بالملفات وبعض القرارات لتوقيعها . واكتشف السيد كمال خطا في احدها .. وتوقع الموظف ـ كالمعتاد ـ ان يسمع من العبارات ماهو اسوأ من السهام على القلب . وهيأ نفسه للموافقة على انه كذا وكذا من اصناف الحيوانات وانه انسان فاشل ، وانه مهمل ، وانه غبي .. الى آخر مجموعة العبارات التي اصبح يحفظها عن ظهر قلب ..

واغمض نصف اغماضة كما يفعل البعض حين يتوقعون الاذى المباشر ولكن لشد ما كانت دهشته حين سمع السيد كمال يقول له بصوت هادىء :

ـ انت صايم ياعبده افندى ؟

ـ ايوه يافندم .. والحمد لله ..

ـ طيب ياسيدى .. كل سنة وانت طيب ورمضان كريم .

ـ الله اكرم يافندم .. وسيادتك بخير ..

ـ روح صلح الغلط دا .. وتعال .. والمفروض ان الصيام يخلى الواحد يفتح ولا يغلطش

ـ تمام يافندم تمام ..

ـ اتفضل .. مع السلامة ..

وراح المرؤوسون يتبـادلون الاحاديث عن هـذا « الانقلاب » العجيب الذى طرا على رئيسهم « المؤذى » وقال احدهم :

ـ يمكن صايم ..

ورد آخر :

ـ مش ممكن .. دا عمره ماعملها ..

وقال آخر

ـ نسأل الساعي ..

وجاء الساعي وسألوه ، فاجاب :

ـ ايوه . الريس صايم النهـارده .. دخلت له بالقهوة ، فقال لى بالحرف الواحد :

واردف الساعي قائلا وهو يقلد صوت السيد كمال :

ـ ماتنساش يامرسى اننا فى رمضان ؟

وتضاعفت دهشة المرؤوسين حين رأوا السيد كمال ـ لاول مرة في حياته ـ يدخل عليهم ، ويصافحهم ، ويقول لهم كل عام وهم بخير ..

وشعر السيد كمال بعد الظهيرة بدوار خفيف ، وبثقل في راسه ، وبالرغبة الشديدة في النوم ، ولكن ذلك الاحساس الجديد جعله يستهين بهذا كله .. بل لعله يدهش من هذه القوة الغامضة التي امتلات بها ارادته .. انه يشعر باشد الحنين الى التدخين .. ان علبة السجائر في جيبه ، وهناك اخرى في درج مكتبه ، وان في مقدوره ان يدخن ببساطة دون ان يراه احد ، بل دون ان يبالى باحد .. ولكنه يابى . وبما لاول مرة في حياته ـ ان يخضع لرغبات نفسه بقوة ارادته وبمحض اختياره واحس في تلك اللحظات بانه انسان قوى .. وان قوة الانسان ليست في عضلاته بقدر ما هي في عزيمته وارادته ، وادرك بوضوح انه بقدر سيطرة الانسان على رغباته ، يمكنه ان يحقق مايشاء من آمال ..

والصوم من اهم الوسائل لتربية الارادة وترويض النفس !

هذه هي الحقيقة التي اهتدى اليها بنفسه بعد ان سمعها كثيرا دون ان يؤمن بها .

وعاد الى بيته خفيفا طروبا كما خرج منه .. واطمانت زوجته حين ذاته هكذا على انه لايزال صائما .. ونام قليلا ثم استيقظ ليشارك اولاده بهجة الاستعداد للافطار وجلس مترقبا اطلاق المدفع لاول مرة في حياته .. ولما سمع الطلقات ، احس بتلك الفرحة التي يشعر بهـا الانسان .. كل انسان عندما يتحقق الشيء العجيب الذى يترقبه .

ولاول مرة يجد للطعام في فمه مذاقا طيبا جديدا بعد ان كاد يفقد فيه طيب المذاق بحكم الاعتياد .. ولاول مرة يفهم المعنى الحقيقي لعبارة « رمضان كريم » .. وكل عام وانتم بخير .

جمهورية موريتانيا الاسلامية

دكتورة عنايات الطمادى

تقع موريتانيا فى شمال غرب القاره الافريقيه وتمتد من خط طول ٥ الى خط طول ١٧ غربا ومن خط عرض ١٦ الى ٢٧ شمالا ويحدها من الغرب المحيط الأطلسى ومن الشمال الشرقى صحراء الجزائر الغربية ومن الشرق جمهورية مالى ومن الجنوب نهر السنغال وهو الحدود الطبيعية بين جمهوريتى موريتانيا والسنغال • وساحلها على المحيط الاطلسى يبلغ طوله ٦٠٠ كيلومتر •

وتبلغ مساحتها ١٫١٨٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع •

وكلمة موريتانيا من حيث التطور التاريخى قال بعض المؤرخين انها مشتقة من (المور)، (تانيا) والمور هم عرب شمال افريقيا اوبمعنى آخر المسلمون الذين غزوا الاندلس واقاموا تلك المدينة المشهورة والتسمية أوربية •

أما (تانيا) فمأخوذة من اللغة اللاتينية ، وقد قال بعض المؤرخين ان كلمة موريتانيا اصلها محرف من كلمة (مرى) بضم الميم وتشديد الراء وهى نسبة الى احدى القبائل العربية التى قيل أنها تنقلت عبر التاريخ فى مناطق شمال افريقيا وأن جزءا من هذه القبيلة قد تطرق فى تحركاته عبر الصحراء الكبرى الى المنطقة المسماة بموريتانيا .. اما بالنسبة لما قيل من ان موريتانيا كان اسمها (شنقيط) ففى الحقيقة أن العرب من أبناء البلاد عند سفرهم الى الخارج كانوا ينسبون أنفسهم الى مدينة شنقيط وذلك لشهرتها العلمية الدينية. غير ان هذه التسمية لم تكن سياسية بالنسبة لبلاد لها تاريخ عريق فى الميادين المختلفة من اقتصاد وثقافة واجتماع •

السطح والمناخ

من حيث السطح توجد فى موريتانيا مرتفعات فى الوسط والشمال عبارة عن مناطق هضبية ومناطق أخرى سهليه مغطاة بالحصى والرمال وأعلى الجبال (أدرار) فى الشمال كذلك. توجد منخفضات الواحات بالقرب من بعض القرى مثل شنقيط • أمامن حيث المناخ فهو يتغير فى موريتانيا تبعا لطبيعة السطح وتغير المناطق ضمن جو صحراوى فى الشمال الشرقى والشرق يتخلله مناخ المناطق الجبلية فى الجهات المرتفعة الى مناخ بحرى على الساحل الغربى تسقط أمطاره فى الخريف وتتركز فى شهر اكتوبر وتزداد كميتها كلما اتجهنا جنوبا • وفيما بين المناخ الصحراوى البحت والمناخ البحرى تجد المناخ الملطف نوعا ما • وبالنسبة للمدن الساحلية مثل نواذيبو (بورائيان) ونواقشوط فان جوها لطيف منعش بسبب الرياح الشمالية والشمالية الغربية السائدة وتأثير تيار كنارى البارد ••

وتغطى السفانا الفقيرة مساحة من أرض الجنوب بالقرب من مصب نهر السنغال • وتقوم بعض الزراعات البسيطة من الذرة والشعير على ضفاف النهر عقب فيضانه الصيفى •

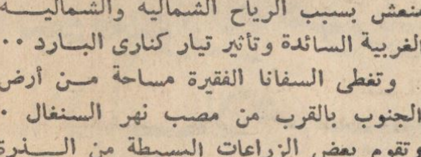

الانتاج الاقتصادى

نظرا لقلة الأمطار وندرة الماء فى موريتانيا تهتم دوائر الهندسة الريفية بالاستفادة بكل نقطة من الماء لتوسيع الرقعة الزراعية فتعمل على جمع مياه الامطار والفيضانات وبناء السدود والخزانات ففى عام ١٩٥٨ جرى بناء سبعة سدود وخزانات صغيرة تم بفضلها اكتساب ١٢٠٠ هكتار جديد للزراعه وعليه فتقوم الدوائر الزراعية باحصاء الموارد المائية ووضع منهج للمحافظة عليها واستثمارها والأعمال التى تدرسها نوعان :

سدود صغيرة متعددة فى نطاق القرية • وسدود كبيرة مثل سد البراكنة الذى يوفر ٥٠٠٠ هكتار •

والزراعة من أهم مظاهر الثروة الاقتصادية فموريتانيا بلد كان ومازال يعتمد على الزراعة حتى بعد أن ظهرت معادن الحديد التى لاشك أنها ستفتح مجالات وآفاقا اقتصادية جديدة بالبلاد • فسكان الضفة الشمالية لنهر السنغال من اراضى موريتانيا ينتهزون فرص ارتفاع وانخفاض النهر لزراعة الأرز والقلقاس والفستق والحبوب بأنواعها وكذلك الخضروات المختلفة

كما يستفيد سكان المناطق الجبليه فى الشرق والشمال من زراعة الواحات التى تسقيها الأمطار والسدود الصغيرة فيزرعون الحبوب والخضروات كما يزرعون النخيل وكذلك التبغ والحناء وتنتج موريتانيا ايضا ١٥٠٠٠ طن سنويا من التمور وفى سبيل تحسين انتاجها أنشىء مركز أبحاث (فى كانكوصة فى العصابة) قد أخذ هذا المركز على عاتقه تطوير طرق الزراعة والتقليم وتحسين الأصناف والانتاج ومكافحة الآفات الزراعية والقضاء على الأعشاب الضارة ولهذا المركز فرع آخر فى (آجوير) قرب اطار وهى من مناطق زراعة النخيل •

وفى سنة ١٩٥٨ م أنشىء فى مدينة كيهيدى على ضفة نهر السنغال مركز زراعى يهدف الى الاستزادة من انتاج اراضى الوادى عن طريق استصلاح الأراضى الزراعية واستخدام الأسمدة وانتقاء البذور ومكافحة الحشرات وقطع الأعشاب الضارة وتعميم استخدام الطرق الفنية فى الفلاحة •

خريطة العالم الاسلامى

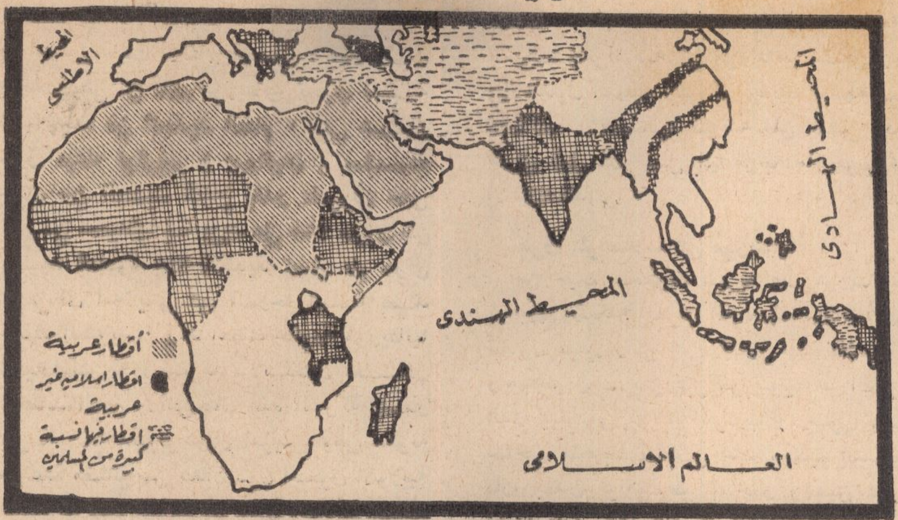

والتجارب الجارية الآن والمستندة الى اختبارات عديدة أجريت فى خلال ربع القرن الأخير قد أعطت نتائج تسمح بترقب ازدياد فى الانتاج بنسبة ٣٠٪ فى غضون عشر سنوات ونشاط مركز (كيهيدى) الزراعى يشمل خمس قطاعات رئيسية وفرعية .

وتبذل حكومة موريتانيا جهدا بالغا للعناية بالغابات وتحسين طرق جمع الصمغ منها فى موسم الصيف وتبيع منه فى الأسواق العالمية حوالى ٣٠٠٠ طن من الصمغ العربى سنويا . وأهم المحاصيل الزراعية الموريتانية تبعا لاحصائية سنة ١٩٦٢ هى :

٦٠٠ر٠٠٠ طن من الحبوب سنويا
٢٠٠ طن أرز سنويا
٥ر٠٠٠ طن لوبية سنويا
١ر٢٠٠ طن بذر بطيخ سنويا
٣ر٠٠٠ طن ذرة صفراء سنويا
١٥ر٠٠٠ طن تمر سنويا
٥٠٠ طن فول سودانى سنويا
٢ر٠٠٠ طن بطاطس سنويا

أما من حيث الثروة الحيوانية ، فتعتبر موريتانيا من أغنى مناطق أفريقيا الغربية بالثروة الحيوانية حيث يعتبر الرعى حرفة هامة وينتقل الرعاة بين الجنوب حيث يرعون الماشيه والشمال حيث يرعون الأغنام بالقرب من السواحل . وتعتمد جمهوريتى مالى والسنغال اعتمادا كبيرا على موريتانيا فى تصدير الماشية اليهما سنويا .

وتقدر الثروة الحيوانية تبعا لأحدث الاحصائيات بحوالى مليونى رأس من الماشية (ابقار) وعشرة ملايين رأس من الاغنام والماعز . ومليون رأس من الأبل ومائتى الف رأس من الخيل والحمير .

كذلك توجد ثروة ضخمة من الأسماك فى موريتانيا فهى تعتبر من أهم بلدان أفريقيا الغربية المصدرة للاسماك ففى منطقة نواذيبو (بورتاتيان) حيث يصدر الحديد الخام توجد مصايد الأسماك كما توجد الشركات التى تعمل فى صيد وتجفيف أو تعبئة الأسماك ثم شحنها .

وتجرى الأعمال الآن فى بناء ثلاجات كبيرة لتمكن من خزن الأسماك وشحنها داخل البلاد حيث يتزايد الطلب على استهلاكها محليا . هذا فضلا عن كميات الأسماك التى تستخرج من النهر والتى يستهلك السكان اكثرها . وفى ميدان تطوير هذه الثروة صناعيا فقد قررت الحكومة الموريتانية أن تنشىء فى مدينة

نواذيبو (بوراثيان) جميع المرافق اللازمة لتطوير صناعة السمك .

أما من حيث الانتاج المعدنى : فقد دلت الابحاث على أن تلال موريتانيا تحوى نسبة عاليه جدا من الحديد الخام . ففى شمال شرق ميناء نوازيبو (بوراثيان) سلسلة جبال من الحديد الخام يقدر المعروف حتى الآن من احتياطها بما يزيد على ٢٥٥ مليون طن ونسبة النقاوة بهذا الحديد تصل الى حوالى ٦٣٪ أى أنه يأتى فى الدرجة الثانية بعد حديد السويد . وقد أعطت حكومة موريتانيا امتيازا لشركة (ميفرما) لاستغلال معادن الحديد الخام ورأس مال هذه الشركة يقدر بقربة ١٩٠ مليون دولار أمريكى وهى مكونة من عدة مصالح من بلدان دول السوق الأوربية المشتركة ومن المتوقع أن يكون الحديد المصدر سنويا من موريتانيا يتراوح مقداره بين٥،٦ مليون طن قيمتها حوالى ثلاثين مليونا من الجنيهات وينتظر ان تنتعش اقتصاديات موريتانيا مع هذه الموارد من الثروة المعدنية.

كذلك يوجد النحاس فى منطقة (قلب أم قرين) وتقع على بعد ٢٩٠ كم شمالى شرقى نواقشوط العاصمة . وقد قدر ما اكتشف حتى الآن من النحاس الخام بحوالى ٥٠٠ الف طن . وتحتوى مناجم النحاس على المنجنيز ورواسب الذهب وتستغل هذه المناجم شركة (ميكيما) ذات رأس المال الفرنسى و لكندى

وبالاضافة الى ما تقدم فقد دلت اعمال التنقيب عن البترول على احتمال وجوده وتعمل أربع شركات فى أعمال التنقيب منها اثنتان أمريكيتان .

وتتطلع موريتانيا الى مستقبل اقتصادى زاهر بسبب اكتشاف معادنها الغنية فبالاضافة الى أهمية هذه المعادن من حيث النوع والمادة فهى فى الوقت نفسه تقع على مقربة من اهم الأسواق المستوردة لهذه المواد الحيوية فهى الى جانب قربها من جنوب وغرب أوربا فهى أيضا من أقرب المناطق الأفريقية الى القارة الأمريكية .

وهذا الوضع الجغرافى سيسهل لهاتسويق منتجاتها وكذلك استيراد ما تحتاج اليه من مواد استهلاكية أو لتنمية صناعاتها الوطنية المحلية .

ومما لامراء فيه أن موريتانيا ستكون من بين الدول النامية التى الى جانب تغلبها على مشاكلها الاقتصادية المؤقتة فلن يمضى وقت طويل قبل أن تصل الى مرتبة ما يقرب من الاكتفاء الذاتى .

طرق المواصلات فى موريتانيا

من حيث الخطوط البريه فان موريتانيا تواجهها مشكلة الطرق الغيرمعبدة ولذلك فهى تحاول توفير رأس المال اللازم لهذه الغاية وأهم طريق - يمر عبر موريتانيا هو الطريق الذى يبدأ من مدينه القوارب (رسو) على ساحل المحيط الأطلسى عند مصب السنغال مارا بمدن نواقشوط ثم اطار وحصن غورو ويبلغ طول هذا الطريق ١٣٨٢ كيلو مترا تستخدمه السيارات هذا فضلا عن بعض الطرق الثانوية المعبدة وغير المعبدة التى تخترقها السيارات .

ويضاف الى هذه الطرق خط حديدى قصير يربط منطقة استخراج الحديد فى الداخل بالساحل حيث ينتهى عند (بوراتيان) .

أما من حيث النقل النهرى فتوجد سفريات نظامية تستخدم مجرى نهر السنغال وتمر بكل من رسو ويوغى وكهيدى كذلك يعتبر ميناء بوراثيان البحرى صالحا لرسو السفن الصغيرة التجارية هذا فضلا عن ميناءنواقشوط الذى يجرى العمل على اعداده وذلك لتصدير الحديد الخام والسمك المجفف .

وفضلا عما تقدم فهناك بعض المطارات من الدرجة الثانية (ب) فى نواقشوط وبوراثيان وغورو وأكجوجت وكهيدى وكيفا وعيون التروس حيث تجرى سفريات نظامية عدة مرات فى الأسبوع بواسطة شركة الخطوط الجوية الموريتانية والخطوط الجوية الافريقية داخل موريتانيا ومن داكار واليها ومن باريس واليها .

ومن حيث التخطيط الاقتصادى فهناك منهج الأربع سنوات من سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٦٦ ويهدف هذا المنهج فى ميدان الزراعة

الى توسيع امكانياتها ومرافقهـا فى وادى السنغال كما يهدف أيضا الى زيادة وتطوير انتاج التمور . وسوف يبذل نشاط مماثل فيما يتعلق بالماشية التى هى مورد من موارد موريتانيا الرئيسية والتى يهم شانها معظم سكان الريف . ويهتم هذا المنهج أيضابتحسين وتوسيع شبكة المواصلات ووسائل النقـل الرئيسية .

ومن المدن الهامة ذات التاريخ القديم فى موريتانيا مدينة شنقيط فى شمالها الغربى وهذه المدينة يرجع تاريخها الى حوالى القرن الثانى عشر الميلادى وقد اشتهرت بالحفاظ على التراث الفكرى والتشريع الاسـلاميين ولعبت دورا هاما فى تاريخ غرب افريقيـا الاقتصادى وذلك لكونها كانت محط رحـال القوافل التى كانت تحمل البضائع والمصنوعات بين كل من شمال أفريقيا الغربى ومنطقـة حوض نهر السنغال . كذلك كانت تتصـل بمدينة تمبوكتو التاريخية بجمهورية مـالى والتى كانت من أهم مراكز العلم والمعرفـة والحضارة الاسلامية . فقد كان اهل تمبوكتو يبيعون الذهب وغيره من أنواع البضائع الى التجار القادمين من شمال افريقيا والمـارين بمدينة شنقيط عبر الصحراء . وقد أدى هذا الارتباط الاقتصادى الى آخر ثقافى وروحى بين أبناء القطرين .

سكان موريتانيا

موريتانيا معناها ارض المور سكان الغرب وكلمة (مور) أطلقها الرومان والأغريق علـى سكان شمال وغـرب أفريقية . وسكـان موريتانيا يزيدون على المليون نسمة وهـذا العدد لاتدخل فيه منطقة الصحراءالتى مازالت تحت ادارة أسبانيا . السبب فى عدم وجود إحصاء حقيقى هو كون أكثر من ثلثى السكان يعيشون فى البادية أو ضواحيها وهم متنقلون حيث تعتمد حياتهم على تربية الماشية .

والسكان وهم جميعهم مسلمون مكونون من موريتانيين عرب بنسبة اكثر من ٨٠٪ تقريبا وموريتانيين سود بنسبة ٢٠٪ تقريبا . وتعتبر موريتانيا الاسلامية حلقة اتصـال بين جنس البربر فى الشمال والسـود فى الجنوب وفيها يمتزج الجنسان فى انسجام وتعاون فى ظل الدين الاسلامى الذى جمع بينهم فى عقيدة واحدة .

وهذه البلاد ذات التاريخ العريق والحياة الواعية ، هي امتداد لصحراء الجزائر منجهة الشمال الشرقى والصحراء الاسبانية ، فى الشمال الغربى . ويعتبرأهلها أنفسهم امتدادا الشعب المغـربى كما يتصـلون بالشعب السنغالى الى جنوبهم

وكما أنهم حلقة اتصال فى الجنس فهم حلقة اتصال اقتصادية فان عماد الحياة فى موريتانيا التجارة ويعيش اهلها مرتحـلين بين الشمال والجنوب وقد كانوا قديما قوام التجارة عبر الصحراء . وقد حرص الاستعمار الفرنسى فيما مضي على أن تظل حياتهم على هذا النمط لأنه كان يخشى أن يؤدى الاستـقرار الى قدر من التقدم والمدنية تدفع بالشعـب الحر الأبى الى طرده .

ويتكلم أكثر من ٨٥٪ من ابناءموريتانيا لهجة عربية تسمى الحسانية وبها شوائب من البربرية واللهجات الزنجية الأخـرى . والحسانية نسبة الى (أولاد حسان) وهىأحدى مجموعات قبائل موريتانيا وهى فى الواقـع أقرب اللهجات بشمال أفريقيا الى العربية . وبعض الموريتانيين البيض لايظنون أن اللهجة عربية ولذا فهم يصرون عـلى تسميتهـا بالحسانية . كما ان بعض الموريتانيين السود يفهمون اللغة العربية واللهجة الحسانية أى العربية الدارجة فى موريتانيا ولكن اقليات السود بموريتانيا يتكلمون لهجات افريقيـة أخرى يطلق عليها التكرورية والسرقلاوية والولفية والتى بفهمها الكثير من العـرب الموريتانيين أنفسهم .

انتشار الاسلام فى موريتانيا

دخل الاسلام القارة الافريقية عبر سيناء بواسطة الجيش العربى الذى فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص عام ٢٠ هـ الموافق ٦٤٠ ميلادية • وبعد أن تم الاستيلاء على الاسكندرية والقضاء التام على القوات الرومانية فى عدة معارك أصبحت مصر القاعدة التى انطلقت منها الفتوح الى برقة وليبيا وتونس وبلاد المغرب • وألحق المغرب سياسيا بدولة الخلفاء الشرقية (الأمويين والعباسيين) وتولى موسى ابن نصير زمام المغرب ومنذ ذلك الحين أصبح المغرب القاعدة الامامية لنشر العروبة والاسلام فى غربى افريقيا وفى جنوب الصحراء الكبرى •

وكان للبربر وبخاصة تجارهم الفضل فى تعريف الأسلام الى القبائل الزنجية التى تقطن الصحراء والى مراكز تجارتهم الموجودة فى السهول التى تلى تخوم الصحراء •وأول ما يقابلنا من القبائل البربرية التى عملت فى سبيل نشر الدعوة (صنهاجة) وقد سكن افرادها ديار الصحراء الممتدة بين موريتانيا شنقيط الى جبال حجار والى الجنوب الى حدود السودان الغربى •

وقد أخذ الأسلام ينتشر فى هدوء بصحبة تجار قوافل الصحراء من الشمال الى الجنوب قبل حركة المرابطين اثناء القرنين التاسع والعاشر وكان هؤلاء التجار يمنحون كامل الحرية فى مزاولة تجارتهم وتأدية واجباتهم الدينية بل والدعوة الى دينهم ايضا فى حرية مطلقة •

وهكذا أخذ الاسلام ينتشر فى مناطق الساحل الغربى بين موريتانيا والسنغال وغينيا وغانة وتحمس المسلمون لدينهم لدرجة واضحة فيما بين سنة ١٧٧٦ ، سنة ١٨٩٠ م •وفى القرن التاسع عشر الميلادى كانت جميع البلاد فى موريتانيا قد أسلمت •

ومما ينبغى أن نقوله أن التراث واللغة العربية بموريتانيا مازالا باقيين والسبب هو المحافظة على الدين الأسلامى ولقد بقى الفقه الأسلامى يدرس بتعمق على مر العصور الى يومنا هذا • ومما تجدر الاشارة اليه أن كل هذه الدراسة كانت تقع تحت الخيام وفروع الأشجار مما ظهرأثره فى بعض البلدان العربية فى الشرق بوجود عدد من علماء موريتانيا نزحوا الى تلك البلاد فرارا من عهد الاستعمار فيوجد حتى هذه اللحظه علماء فى الدين الاسلامى نتيجة لهذا النوع من التعليم التقليدى الذى تمتاز به موريتانيا من بين جاراتها لافى غربى أفريقيا وحدها بل وفى شمال أفريقيا أيضا •

ويرجع السبب فى الحفاظ على التراث الدينى الى أنه كان من المحتم على الطفل من الجنسين أن يذهب الى المدرسة (الكتاب) لكى يتعلم الدين واللغة وقد انتشر هذا النوع من التعليم بين أبناء البادية اكثر منه بين ابناء المدن • أما بالنسبة للتعليم العصرى فان اكثر سكان البلاد كانوا فى مدة الاستعمار ضد المدارس الحديثة وذلك مخافة على الدين الاسلامى من المبشرين الأجانب ولذلك فان التعليم العصرى كانت آثاره بسيطة • ولكن بعد سنة ١٩٦٠ م كرست الحكومة جهدها لتبنى جيلا جديدا لديه مختلف متطلبات الثقافة العصرية بأنواعها مع المحافظة على التراث الأسلامى •

وفوق ذلك فان مسافرا عبر موريتانيا لن يجد أى صعوبة فى مقابلة طفل أو شاب يجوب الصحراء يرعى الغنم ويحفظ القرآن عن ظهر قلب بدون اى لحن • وهكذا نرى شعب موريتانيا جميعه يعتنق الاسلام ويحافظ على مبادئه ودستوره محافظة كاملة لايشوبها نقص أو تقصير •

التطور السياسى فى موريتانيا

كانت موريتانيا قبل عهد الاستعمار تتكون من عدة قبائل وكان كل أمير قبيلة يتولى فى منطقته شئون القبيلة وكانت تحدث بعض الخلافات من حين لآخر بين الأمراء بعضهم وبعض .

ولما بدأ الاستعمار الفرنسى منذ سنة١٩٠٢ وتوغلت قوات فرنسا داخل المنطقة لاقت القتال العنيف والمقاومة المستميتة التى أوقفتها طوال اثنى عشر عاما وقاسى الاستعمار ما يضيق هذا المكان عن حصره من المتاعب ، مدة حوالى من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٣٢ م قبل أن يتمكن من السيطرة نهائيا على البلاد الى أن لجأ الى ضرب القبائل والأمراء أحدهما بالآخر .

وتجدر الاشارة الى أن موريتانيا على مر التاريخ لم يحدث لها مطلقا فى يوم من الأيام أن خضعت خضوعا سياسيا أو اداريا أوحتى صار بينها ارتباط ادارى مع أى من الدول الأفريقية التى تحيط بها خلاف كونها أصبحت بعد خضوعها للاستعمار عام سنة ١٩١٢ م ضمن دول افريقيا الغربية الفرنسية التى كانت تدار من قبل الفرنسيين فى السنغال .

وفى سنة ١٩٥٨ م وعندما قررت فرنسا اعطاء الحكم الذاتى الى دول مجموعة افريقيا الغربية كانت موريتانيا من بين الدول التى قبلت البقاء ضمن المجموعة مما اعطاها حق الحكم الذاتى لتتقدم نحو الاستقلال الكامل . وقبل تلك الفترة وفى اثنائها كانت بالبلاد حركات تحررية تطالب باستقلال البلاد فشكلت ثلاثة احزاب سياسية . وعلى أثر تلك الحركات استمر السيد المختار بن دادة هو وزملاؤه لأقناع الفرنسيين باعطاء البلاد استقلالها دون اللجوء الى سفك الدماء مما اقتنعت به فرنسا فى النهاية وتقرر يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠ لتستقل فيه موريتانيا

وفى تلك الأثناء كان الرئيس المختار يدرس أفضل المثل من حيث صلاحية نوع الأحزاب السياسية للبلاد فاتفق هو وبقية الساسة الآخرين على ان تنضم الأحزاب الموجودة آنئذ كلها فى بوتقة حزب واحد تتكافأ فيه القوى الشعبية للبلاد حتى لاتترك ثغرة للاستعمار ليرجع منها فاقتنعت بقية الأحزاب لصلاحية الفكرة وشكل حزب سياسى واحد ضم كافة الأحزاب الأخرى .

وفى يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠ اعلن استقلال موريتانيا جمهورية اسلامية فى الشمال الغربى من القارة الافريقية لتكون همزة الوصل بين العالم الأسلامى الممتد من الباكستان الى شواطىء المحيط الأطلسى .

وفى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٦١ انتخب الشعب الموريتانى السيد المختار بن دادة أول رئيس للجمهورية وشعارها هو الشرف والاخاء والعدل .

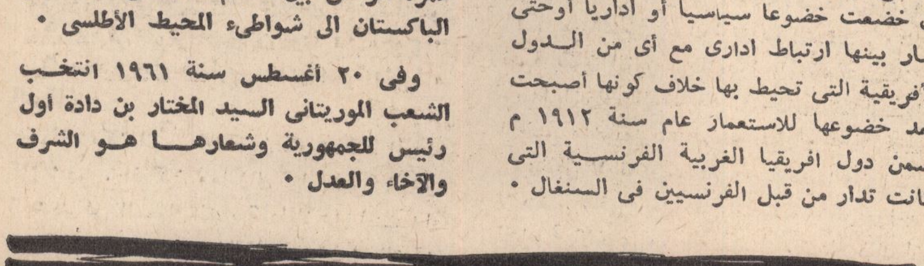

باب العلم

القمر

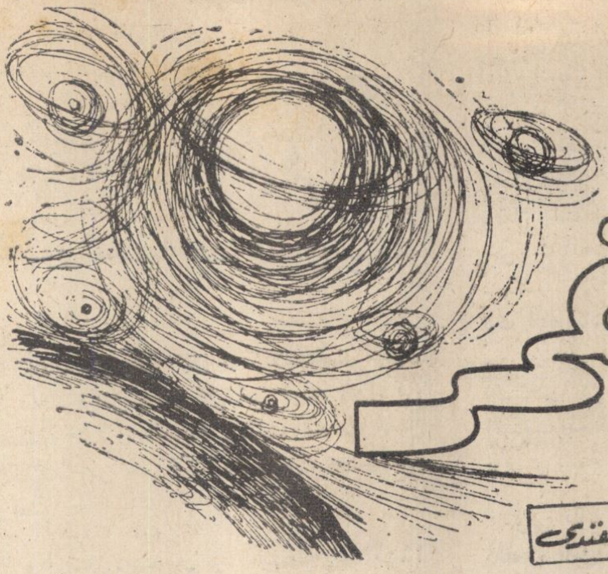

الدكتور محمد جمال الدين الفندي

يذكر القرآن الكريم القمر فى أكثر من ٢٥ آية ، ويتناول خواصه كقضية عامة تشير الى أنه مصدر انارة لمن فى الأرض ، ومعيننا لهم على حساب السنين والأيام وتحديد مواقيت الصوم والحج ٠٠ فيقول مثلا :

١ - « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا » يونس ٠

٢ - وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » الرعد ٠

٣ - « والقمر قدرناه منازل ٠٠٠ » يس ٠
٤ - « اقتربت الساعة وانشق القمر» القمر
٥ - « وجعل القمر فيهن نورا ٠٠ » نوح ٠
٦ - « وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » الفرقان ٠

ولقد مكن القمر الاقدمين من تحديد ابتداء كل شهر ، اذ كان وما زال أول ظهور الهلال الجديد فى السماء الغربية دليلا على ابتداء شهر جديد ٠ وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » البقرة ٠

« ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله » التوبة ٠

وقبيل مولد الهلال يكون القمر بين الشمس والأرض ويكون نصفه المضاء بعيدا عن الأرض ، وعندما يولد الهلال يمكن رؤيته فى السماء الغربية بعد الغروب تماما، ويحدث غروب الهلال - كأى جرم سماوى آخر - عندما يختفى تحت الافق الغربى ٠

وبتعاقب الليالى يظهر الهلال متزايدا فى القدر ومرتفعا فى السماء ٠ وبعد مضى أسبوع يكون القمر فى الربع الاول من أوجهه ، كما يصير على وجه التقريب فى الجنوب تماما عندما تغرب الشمس، الا أنه يغرب بعد مضى نحو ٦ ساعات من لحظة غروبها ٠ وبعد أن يمضى أسبوع آخر على مولد الهلال يشرق القمر من الشرق عندما تغرب الشمس، وتلك فترة يكون القمر فيها بدرا ، أى مكتملا ، ويبدأ اشراق الربع الثالث للقمر ثم الهلال الأخير منه بعد منتصف الليل ٠

ونحن لا نرى سوى وجها معينا من القمر لا يتغير ، فى حين يظل النصف الآخر مواجها للناحية الأخرى من الفضاء ، وعلة ذلك أن القمر يكمل دورة كاملة حول الأرض فى نفس الوقت الذى يتم فيه دورة كاملة حول نفسه. وبميل محور دوران القمر حول نفسه بزاوية قدرها ٦ر٥ درجة على الخط المتعامد على مستوى مساره ٠٠ مما يجعلنا نرى القمر من أعلاه تارة ثم من أسفله تارة أخرى ٠ ولقد تم تصوير النصف الخلفى من القمر بواسطة سفن الفضاء الخاصة بكشف معالم القمر ٠

وكما نعلم يحدث خسوف القمر عندما يدخل منطقة ظل الأرض، وهى ظاهرة متكررة الحدوث • ويمكن للقمر بأكمله أن يدخل هذا الظل • ولا تحدث الظاهرة كل شهر لأن مستوى فلك القمر يميل على مستوى فلك الأرض •

وقمر الأرض أعظم أقمار الكواكب السيارة شأنا ، ولنوره بهاء وروعة ، وطالما تغنى به وبجماله الشعراء ، الا أنه من حيث الحقيقة الواقعة لا يمتاز سطح القمر على سطح الأرض فى شىء على الاطلاق ، بل العكس هو الصحيح اذ فى الأرض بحار واسعة ، وانهار جارية ، وجنات وارفة الظلال ، وعيون يتفجر منها الماء ونعيم مقيم ، واشراق بنور ربها العظيم •• كل ذلك من أجل الانسان الذى جعله الله تعالى خليفته عليها :

« أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا » النمل •

« والأرض فرشناها فنعم الماهدون » سورة الذاريات •

« وأشرقت الأرض بنور ربها •• » سورة الزمر •

ويبلغ حجم القمر نحو جزء واحد من ستين جزءا من حجم الأرض• وتقول احدى النظريات انه كان قطعة من الأرض مكانها المحيط الهادى الحالى • والدليل على ذلك أن قاع المحيط الهادى ليس على غرار قاع المحيط الاطلسى مثلا من حيث تركيب الصخور وصلابتها ، فقاع هذا الأخير صخور من النوع الذى ارتفع على سطح الأرض فى بدء تكوينها • وهناك أسطورة صينية تدعى بأنهم نزحوا فى الأصل من القمر !

أما كتلة القمر فهى نحو جزء واحد من ثمانين جزءا من كتلة الأرض، لأن باطن الأرض ثقيل فيه حديد ونيكل • ولهذا السبب فان قوى الجاذبية على سطح القمر تعادل نحو سدس قوى الجاذبية عندنا على الأرض • اى أن الأشياء هناك تزن سدس وزنها على الأرض مما يجعل القفز والنط والجرى من أسهل الامور على القمر، كما يقلل المجهود الذى يبذله القلب الى السدس •

وليس للقمر جو يذكر ، كما أنه تخلو من الماء تماما • ولهذا فهو عالم ميت ولا يصلح للحياة ، وليس له من وظيفة الا أن يعكس ضوء الشمس ويرده الى الأرض ، كما يعين على حساب الشهور والسنين كما قدمنا •

« يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » •

وأهم ما يميز سطح القمر الجبال والوديان التى ظنها الناس فى بادىء أمرهم بحارا تزخر بالماء على غرار بحار الأرض ، وراحوا يطلقون عليها الأسماء الجذابة مثل : بحر الرحيق ، وبحر الصفاء ، وبحر الرغد •• وأعلى جبال القمر التى نراها قمة جبل نيوتن التى يصل علوها الى نحو ٧٥٠٠ متر ، وهى ترمى ظلالا واضحة للعيان من على الأرض عندما ترى خلال المناظير الفلكية المكبرة •

وعلى القمر العديد من الثغرات التى يعتقد أنها فوهات البراكين ، الا أن بعض العلماء يرى أنها من فعل النيازك التى تهيم فى الفضاء وتنقض على سطح القمر بعنف نظرا لعدم وجود غلاف جوى يحمى قشرته وما عليها مما فى الفضاء من شهب ونيازك ونحوها من أسراب الأشعة الكونية الفتاكة والأشعة فوق يحجزها عنا غلاف الأرض الجوى ، ذلك الغلاف الذى جعله الله تعالى بمثابة السقف الذى يقينا أهوال الفضاء ويدرأ عنا أخطاره ونحن على الأرض •

ويرى بعض العلماء أن القمر سبق أن انشق عندما ارتطم بسطحه نيزك جبار فى غابر الزمان ، الا أن هذا الرأى ليس له أسانيد قوية من العلم والمشاهدة ، وليس معنى ذلك نفى احتمال انشقاق القمر فى المستقبل ، بل ان العكس صحيح •

ونحن عندما نستعرض قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر ••• » نجد أن هذه الظاهرة ستكون فى الغالب ضمن أحداث عظمى تحدث فى السماء وسائر أجرامها عندما تقترب الساعة• وسوف تتمدد الشمس حتى يصل سطحها الى القمر الذى ينشق من عظم الحرارة وما يتبعها من تمدد ثم انصهار للصخور التى يتكون منها •• والله أعلم •

الصيام والطب

• الرسول الكريم كان يتبع نظاما علميا فى صيامه

• المعمرون يشتركون جميعا فى انهم نحاف

الدكتور على اسماعيل

شهر رمضان يحمل فى طياته معاني دينية وفلسفية لها ميزاتها ودلالاتها فى نفوس المسلمين فى اقطار الأرض مهما تباعدت الشقة بينهم فهو الشهر الذى يجمعهم على عادات ثابتة ويجمع أغنياءهم وفقراءهم ابيضهم واسودهم فى طعامهم فى وقت واحد ويمسكون عن طعامهم فى وقت واحد قافية واحدة لهم متماثلة وهى رمزية صادقة على وحدتهم مهما اختلفت مشاربهم وحكمة الصوم حكمة خالدة فسرتها الآيات وشرحتها الاحاديث وفلسفها الحكماء واخذها المسلم العادى كنعمة من الاله وقربانا يقدمه رمزا لاخلاصه لمولاه .

الآداب العلمية للصيام

اننا نجد فى الصوم آدابا علمية سواء كان فى الامتناع عن الاكل والشرب أو فى الرياضة النفسية كالامتناع عن شهوات الجسد .

لقد أراد العلماء والأطباء خاصة أن يدرسوا الأسباب التى تكمن فى عادات وأخلاق ونظام معيشة المعمرين فوجدوا أنهم مهما اختلفوا اختلافا بينا سواء فى الطول أو القصر أو فى عاداتهم فانهم يشتركون فى شىء واحد وهو أنهم نحاف الأجسام ومنهم وجدنا أنه توجد علاقة بينة بين قصر العمر وبين عادة التخمة وعليه نجد أن اجماع الأطباء مع مرضاهم على المحافظة على وزنهم فى حدود النسب المجمع عليها وليس هنالك نظام أمثل من الصيام كما تنظمه الشريعة الاسلامية يساعد على تخليص الجسم من فضلاته من الشحم الذى تراكم عليه احد عشر شهرا .

نصائح للصائم

ولله وم [illegible] الاجيال

فالصائم الذى يقضى يومه ممتنعا عن الطعام والشراب لايلبث أن يملأها فجأة وعلى غير تجهيز من أغشية المعدة لما ستتقبله من اطعمة مما قد يصيب الصائم بعسر هضم يشكو مه ويعزوه للصيام وذلك مما يفقد الصيام حكمته ولكننا نجد رسول الله صلي الله عليه وسلم يفعل مايتفق اليوم مع العلم الحديث وأصول علم الصحة فنجد أن الرسول الكريم صلوات الله عليه كان يفطر على تمرات فان لم يجد فعلى كوب ماء ثم يصلى المغرب ويكمل افطاره بعد ذلك وهذه الحكمة الكريمة نجد أنها خير وسيلة للصائم لتنشيط معدته وتجهيزها لاستقبال الطعام بعد حرمانها مدة الصيام واننا ننصح كل صائم على اتباع تعاليم الرسول فهى علم باكمله وقدوة لاتعلوها قدوة للمحافظة علي نظام عمل الجهاز الهضمى .

ونجد أن الرسول الكريم كان يؤخر سحوره ويبكر بافطاره وفى ذلك مايقرب بين فترات الغذاء التى تعود عليها الجسم طول العام فالمعدة بحكم العادة تجد أنها تفرز عصاراتها الهضمية فى المواعيد التىعودها الانسان على استقبال الطعام فاذا أخرنا السحور قربناه من ميعاد الفطور الذى تعود عليه الجسم واذا بكرنا

بالافطار لم تبتعد كثيرا من ميعاد الغذاء وفى هذا محافظة على نظام الجسد الذى كان متبعا .

طريقة الإفطار الصحيحة

الافطار على سائل دافىء مثل شوربة دافئة أو أى كوب من عصير الفاكهة ثم الصلاة واتمام الافطار مع عدم الاسراف فى الأغذية الدسمة التى يصعب هضمها مثل الدهنيات والابتعاد عن المخللات والتوابل الكثيرة التى قد تسبب له العطش والامتناع عن الاسراف فى شرب الماء مما قد يسبب له اضطرابا فى عملية الهضم ويقلل من قابليته على تناول الطعام .

القيام بعمل رياضة بدنية وليس أجمل من صلاة القيام رياضة روحية وبدنية مما يساعد على ازدياد الدورة الدموية ويرفع من روحانية الصائم .

المرضى الذين يجوز إفطارهم

ولقد أجاز الله تبارك وتعالى للمريض الافطار حتى يتم شفاؤه اما المريض فالحكم لطبيبه ان كان يفطر ام يصوم ومن لايطيقه أى يخرج عن طاقته الجسمانية حتى ليعجزه الصيام عن واجبات الحياة فان الدين والله العليم بشئون عباده قد اجاز له الافطار مع الفدية وهذه الحالات نجد انها حالات طبية ثبت علميا انها فى حاجة الى تنظيم تغذيته على نظام طبى ان اختلت شل نظامها وهذه الحالات لايمكن الحكم عليها بحكم المرض العادى لأنها حالات مزمنة ومنها مرض السكر ومرض الشيخوخة المتقدمة ومرض القلب ومرض قرحة الاثنى عشر او اذا كان فى الصيام هبوط نسبة الجليكوز فى الدم مما يؤدى الى هبوط للمريض ، فمرضى القلب يعتمد تغذيتهم على وجبات صغيرة فى فترات متقاربة ومرض الاثنى عشر يصاب المريض بآلام مبرحة فى الصيام .

والحكمة فى الصيام ليست تعذيبا للبدن ولكن روحانية صافية تتحكم فى رغبات الانسان الجسمانية والشهوانية وترفع من ارادته حتى تخلق الانسان المتكامل الذى ينتمي الى الرسالة الكاملة (رسالة الاسلام) ويتشرف بالانتساب الى الرسول الكامل محمد صلوات الله عليه وسلم .

غذاء الصائم

يقسم علماء التغذية الأغذية الى (بروتينات) مهمة جدا فى تكوين خلايا الجسم وتعويض الفاقد منها والى مواد (كربوهيدراتية) النشوية يحتاجها الجسم لاستخراج الطاقة الحرارية التى يحتاجها فى حياته اليومية ومواد دهنية عند احتراقها تنتج عنها طاقة حرارية كبيرة يحتاجها الجسم . ومواد اخرى مساعدة للتفاعلات الداخلية فى الجسم ومهمة جدا فى تكملة التمثيل الغذائى وهى (الفيتامينات) والأملاح . ونجد ان البروتينات تقسم الى بروتينات نباتية وحيوانية ونجد أن احداهما لاتغنى عن الاخرى حيث ان البروتينات الحيوانية تحتوى على الأحماض الأمينية المهمة للجسم اما النباتية فتفتقر الي عدد كبير منها

والتغذية الصحيحة هى ما جمعت هذه المواد بنسبة ملائمة للجسم وبلا أسراف يؤدى الى زيادة فى الوزن أثبت العلم انه حمل ثقيل ينوء به قلب الانسان طول حياته ونقص هذه التغذية يؤدى الى امراض مختلفة مثل (البرى برى والبلاجرا) وعليه فان الصائم القائم بعمله وعبادة ربه يستهلك طاقة حرارية يستمدها من مخزون جسده ويجب ان يعوض عنها فى غذائه حتى لاتتأثر صحته بذلك .

وعلى الصائم ان يراعى وجود المواد السابقة فمثلا نجد أن البروتينات الحيوانية توجد فى (اللحوم بانواعها - الأسماك - البيض - اللبن) والبروتينات النباتية توجد بكثرة وبنسبة تصل الى ٢٠٪ فى (العدس والبقول والجلدة السطحية للبطاطس) ومن هذا نجد أن الصائم يستطيع ان يكون من هذه الاشياء كمية تجمع بين البروتينات الحيوانية والنباتية التى يحتاجها الجسم والكمية اللازمة للجسم من هذه البروتينات لاتزيد عن مايحتويه (٢٥٠ جرام من اللحم) .

اما المواد النشوية (الكربوهيدرات) فابسط امثالها السكر واعقدها النشا ، وتوجد بكثرة فى اغذيتنا مثل (البطاطس - البطاطا - الارز - المكرونة - العيش) اما المواد الدهنية فلا يخفى علي احد وجودها وتدخل فى الاغذية كعامل فى تكوين الغذاء مثل الزيوت والدهون .

يأتى بعد ذلك العوامل المساعدة وهى مهمة جدا علميا فى تمثيل الغذاء للمواد السابقة ، وهى تساعد الجسم على الاستفادة مما يتغذى به وبدونها لا يستطيع الجسم هضم وتمثيل الغذاء وقد تدخل فى تكوين خلاياه مثل (الحديد فى كرات الدم الحمراء) وهذه المواد التى تطلق عليها (الفيتامينات) أصبحت من الشهرة حتى اصبح الناس يعرفونها ويقبلون عليها وهذه المواد لاتعطى طاقة حرارية عند تمثيلها فى الجسم ومع ذلك لها اهمية قصوى فى الغذاء وتوجد فى (جميع الخضروات الطازجة) حيث أن الطبخ يفقد اغلبها اهميته ونجدها كذلك فى الفواكه وعصير الفواكه الطازجة بكمية متوافرة جدا وعلى الصائم أن يراعي ان تكون موجودة فى غذائه دائما حتى لايتأثر جسده بنقصانها .

الرحالة والمستكشفون العرب فى القرون الوسطى

٢ فى افريقيا الغربية

الدكتور انور عبد العليم

على الرغم من أن اليونان ثم الرومان القدامى كانوا قد استعمروا شمال افريقيا من قديم الزمان وأقاموا بين مدن هذا الشمال وبين بلادهم تجارة وحركة ثقافية – الا أن معرفتهم بوسط افريقيا وغربها كانت سطحية الغاية – واذا استثنينا أخبار بعثة أرسلها الرومان لاستكشاف منابع النيل ووصلت أقصى ما وصلت الى منطقة السدود على بحر الجبل – نجد أن هؤلاء الناس لم يوغلوا فى وسط القارة أو فى غربها ولم يعنوا بكشف مجاهل هذه القارة . فلا غرو والحال كذلك من أن المعلومات التى تداولت قديما عن افريقيا – باستثناء الساحل الشرقى لها كانت مبنية على كثير من الاشاعات والاساطير .

وما أن جاء الاسلام واستتب الأمر للعرب فى شبه الجزيرة العربية ، حتى أخذت الفتوحات العربية تنتشر بسرعة مذهلة فى الاقطار والممالك المجاورة وسرعان ما امتدت هذه الفتوحات الى أقطار بعيدة نائية ، فدان لهم الشمال الافريقى بأسره ، ثم عبرت جيوش العرب البحر عند جبل طارق وفتحوا شبه جزيرة ايبريا كما هو معروف وأقاموا دولة الاندلس .

ونظرا لما للعرب من خبرة فى السير فى الصحراء فقد اخترقت قوافلهم أيضا الصحراء الكبرى الافريقية الى الاقطار الواقعة فى غرب هذه القارة كما توغلوا الى اقليم السودان الاستوائى فى الجنوب سعيا وراء التجارة . وعن طريق هذه البعثات التجارية انتشر الاسلام فى تلك البقاع . وفى القرن الخامس الهجرى كانت تجارة العرب مزدهرة مع كل من السودان وبلاد السنغال والنيجر .

وكتب الرحالة العرب عن افريقيا كتبا قيمة نذكر منها على سبيل المثال « كتاب السودان » للمهلبى الذى كتبه بتكليف من الخليفة الفاطمى العزيز فى القرن الرابع الهجرى ويعتبر هذا الكتاب أول ماكتب عن السودان ، بل كان المرجع الرئيسى ليقوت الحموى فيمابعد ، الذى كتب بدوره أيضا عن هذا الاقليم . كما وصف الجغرافى العربى « الادريسى » اقليم النيجر بالقرب من تمبكتو وعند منابع النهر ، ووصف أيضا منابع النيل

ومن الاندلس العربية نشأ مؤلف ومؤرخ عربى على قدر كبير من العلم والهمة واليه يرجع الفضل فى الكتابة عن جزء كبير من افريقيا الغربية . ذلك هو ابو عبيد عبد الله ابن عبد العزيز (١٠٢٨ – ١٠٩٨ ميلادية) الملقب بالبكرى الذى ولد فى قرطبة وتوفى بها وكتابه « المسالك والممالك » من أمتع كتب الجغرافيا الوصفية والتاريخية كما أن له مؤلفا آخر حول المصطلحات الجغرافية يعرف باسم « معجم ما استعجم » ومن أعظم أعمال هذا المؤلف وصف « مملكة غانا القديمة » فى غرب افريقيا – وجدير بالذكر أن هذه المملكة كانت تمتد كثيرا الى ما بعد الحدود الجغرافية الحالية التى قسم بها المستعمرون افريقيا الغربية الى أقطار عديدة .

ويحكى البكرى أن هذه المملكة كانت تمتد فيما بين تمبكتو وسيجو وكان أهلها من الافريقيين السود ومن قبائل البربر الذين استوطنوا هناك من شمال افريقيا من أزمنة قديمة . وكان ملوك غانا القدامى من البربر وفى حوالى عام (٧٧٠ م) أقام أهل البلاد ملكا لهم من السود .

أما ثروة البلاد فكان أساسها الذهب الذى كان يجلبه التجار من بلاد نائية على الساحل فيما يعرف فى الأزمنة الحديثة باسم غينيا . وكان التجار المسلمون يجدون فى طلبه هناك

ومن ثم استوطنوا تلك البلاد وعاشوا مكرمين معززين بين أهلها من الافريقيين وبسببهم انتشر الاسلام فيها .

ويستطرد البكرى فى ذكر جغرافية مملكة غانا فيقول ان عاصمتها كانت تسمى «كومبى» (وتدل الآثار المكتشفة حديثا عن أن هذه المدينة القديمة كانت تقع على بعد نحو مائتى ميل شمال باماكو) وكانت هذه العاصمة فى الواقع تضم مدينتين متجاورتين احداهما للمسلمين والأخرى لغيرهم . أما مدينة المسلمين فكانت ذات بهاء وروعة وبيوتها من الحجارة وبها اثنا عشر مسجدا يؤمها الناس فى أوقات الصلاة . أما المدينة الأخرى فكانت بيوتها من القش والطين فيما عدا القصر الملكى وبعض بيوت علية القوم من السود فكانت مبنية من الحجارة . ويصف البكرى أيضا احوال الناس والملك . فيقول ان عاهلهم كان يعيش فى برزخ والقوم يتخذون من الذهب زينة لهم فكانت خيول الملك وكلابه تزين بسلاسل ذهبية مما يدل على أن استخدام الذهب كان شائعا للغاية . وعلى الرغم من ان أغلب السكان عبدوا الأصنام وعاشوا على الفطرة متمسكين بعقائدهم القديمة الا ان كبار موظفى الدولة كانوا من المسلمين . وكان الملك وهو زعيم القبيلة بمثابة المعبود عند أهل البلاد تؤدى له الطقوس الدينية فى المواسم والاعياد الوطنية . الا ان موظفى المملكة من المسلمين كانوا يستثنون من ممارسة هذه الشعائر . ولأهل البلاد عادات مستهجنة منها أنهم كانوا اذا مات زعيم أو كبير لديهم قتلوا عددا من خدامه وعبيده ليؤنسوه فى الحياة الأخرى وكانوا يدفنون معهم أطايب الطعام والملبس والحلى ليتمتع بها الميت فى مثواه .

وفى عصر البكرى أيضا توثقت العلاقات بين بلاد الأندلس وعرب أفريقيا . وحوالى عام ١٠٤٨ ميلادية نزح أحد الفقهاء المسلمين ويدعى عبد الله بن ياسين الى بلاد السنغال واتخذ له صومعة على أحدى الجزر ثم التف حوله جمع كبير من المسلمين اطلقوا على أنفسهم اسم المرابطين . وخلال زمن قصير قويت شوكتهم واستولوا على غانة كلها فى حوالى عام ١٠٧٦ الميلادية ، وخلال القرنين التاليين كانت مملكة غانا قد انهكتها الحروب فضعف سلطانها وأغار عليها قوم ذوو بأس من منابع النيجر ، اقاموا دولة قوية جديدة هى المعروفة بمملكة مالى واعتنق اهلها الاسلام هم الاخرون .. وقد زار الرحالة ابن بطوطة هذه الدولة وهى فى قمة مجدها .

إلى رحمة الله

في يوم الخميس التاسع من شهر شعبان سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٢ من ديسمبر سنة ١٩٦٥ م ، انتقل الى رحمة الله فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمد على النجار مقرر لجنة احياء التراث الاسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وعضو المجمع اللغوى ، وأحد الكتاب البارزين الذين خدموا الدين واللغة بما ألفوا من كتب وما كتبوا من بحوث ومقالات أنارت الطريق لمريدى المعرفة وأبانت الحق لطالبيه .

ومجلة « منبر الاسلام » اذ تنعى فضيلته الى العالم العربى والاسلامى تدعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم لدينه ولأمته ووطنه

كيف يحتفل المسلمون بشهر رمضان؟

تحقيق من إعداد : يوسف الرويشي ، مصطفى زاهر

عزيزى القارىء

ان شهر رمضان ، افضل الشهور عامة ، فضله الله سبحانه وتعالى .. نزل فيه جبريل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اول ما نزل فى شهر رمضان قائلا له « اقرا باسم ربك الذى خلق » فهوشهر القران ، وفيه فتحت مكة ، وانتصر المسلمون فى بدر . وهو شهر مبارك ، شهر كريم ، شهر الفتح والنصرالمبين، ولمنزلته العظمى يحتفل به المسلمون فى بقاع الأرض قاطبة .

فتعال معى ايهاالقارىء الكريم لنطوف معا فى العالم الاسلامى والعربى لنرى كيف تحتفل به الشعوب على اختلاف عاداتها وتقاليدها ..

وقبل الطواف اليك كلمة من فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون تحية لشهر الصيام ، شهر النور ، شهر الهداية .

لا يستطيع الانسان وهو يعيش فى حاضره ويتطلع الى مستقبله ان ينسى ماضيه القريب الذى عاش فيه ايامه ولياليه ، وماضيه البعيد الذى عاش فيه آباؤه وأجداده وخلف التاريخ له صورا وذكريات من حياتهم يشعر براحة كلما اتيحت له فرصة استرجاعها الى ذاكرته واستعادتها الى نفسه ليجد فيها سكينا لحيرته وتهدئة لاضطرابه بعد أن حاول أن يقرأ الغيب حوادثه وايامه فعجز عن ذلك وبقى كما هو فى حاضره حائرا مضطربا .

والمسلم يتطلع كل عام الى هلال رمضان فتمر به صور لامعة ولوحات مضيئة لماضيه البعيد ويرى ببصيرته اول ما يرى منذ اربعة عشر قرنا صورة كاملة لفتى من اكرم فتيان قريش جالسا فى احدى ليالى شهر رمضان ليقضى احدى لياليه منفردا فى غار مظلم يقع فى أعلى جبل حراء شمالى مكة ـ صورة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى هجر كعادته كل عام بيته وزوجه وأولاده ، وانطلق الى هذا الغار ليخلو بنفسه وليفكر فى هذه الحياة التى يحياها قومه ومن جاورهم من الأمم القريبة والبعيدة باحثا عن الحقيقة التى لم يجدها ماثلة أمامه . فلم يكن لعقله الكبير ان يطمئن الى ماكان عليه قومه من عبادة أصنام متعددة يصنعونها بانفسهم لاتملك لنفسها حركة ولا سكونا ولا تضر ولا تنفع ، ولا تخلق انسانا او حيوانا او شمسا أو قمرا او غير ذلك مما يرى فى هذا الكون الفسيح الارجاء ، فانكر على قومه عبادتهم وعزفت نفسه الشريفة عن مشاركتهم فيما كانوا عليه والتمس الحقيقة عند غيرهم فوجد قوما يعبدون الله على دين موسى وعيسى لا يعبدون صنما او وثنا فاطمأن اليهم ولكنه مالبث أن وجد فريقا من اتباع موسى يدعون أن عزيرا ابن الله وفريقا من اتباع عيسى يدعون أن عيسى ابن الله ـ قال الله تعالى : « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون » فانكر على الفريقين زعمهم ولم يجد فيه شيئا من الحقيقة التى يبحث عنها واستمر فى بحثه عن الحقيقة التى ضاعت وسط اصنام تعبدها قريش فى مكة وادعاءات الوهية بعض البشر ـ يقول بها ناس من اتباع موسى وعيسى عليهما السلام والتمس ان يخلو بنفسه بعيدا عن أهله وان يفكر فى خالق الكون الذى يشاهده بمشاهدة ارضه وسمائه وما فيه من انسان وحيوان ، وبينما هو غارق فى تفكيره فى ليلة من ليالى رمضان جاءه الملك وفى يده صحيفة عرضها عليه وقال له اقرا .. فاجاب ما اقرا ـ فيضمه الملك الى صدره ضمة قوية حتى كاد يخنقه ـ ثم يرسله ويكرر عليه ان يقرا ما فى الصحيفة بقوله اقرا ـ فيجيب بما أجاب به فى المرة الأولى ويعود الملك الى ضمه ضمةقوية تكاد تخنقه ثم يرسله ويكرر عليه الأمر « اقرا » فيجيبه

الرسول ماذا أقرأ فيقول الملك « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » فيقرؤها كما سمعها وقد نقشت فى قلبه كلماتها ثم ينصرف عنه الملك ويتركه الى ما كان عليه قبل حضوره ، وبعد انصرافه يفكر محمدبن عبد الله بن عبد المطلب فيما رآه وفيما سمعه فيسأل نفسه هل كان ما رآه من الرؤى التى يراها النائم فى نومه ، أو أن يكون ما رآه مسا من الجن أو شيئا آخرا مما يخاف منه ـ واشتدت حيرته فترك الغار وهام فى الفضاء الذى يقع حوله وكلما نظر الى السماء وجد صورة الملك أمامه فعاد الى بيته مضطربا حائرا . يملأ قلبه الخوف والرعب مما رأى وسمع اذ لم يكن له عهد بالوحى ، وأفضى بدخيلة نفسه الى زوجته السيدة خديجة فألقت اليه كلمات هدأت من روعه واعادت الى نفسه الشريفة الطمأنينة والسكينة اذ قالت له « ابشر يابن العم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ووالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق ـ ولما انتهت زوجته من كلماتها اطمأن الى أن ما رآه وسمعه لم يكن رؤيا من الرؤى وانما هو الوحى الذى يرسله الله الى أنبيائه ورسله ليبلغهم كلمات الله ، ووجد فيما سمع الحقيقة التى طال بحثه عنها اذ وجد أن ربه هو الذى خلق كل شىء وخلق الانسان من علق الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ـ تلك الحقيقة التى لم يهتد اليها أهله وعشيرته وضل عنها اتباع موسى وعيسى من قبل .

هذه أول صورة مشرقة يراها المسلم ببصيرته كلما طالعه هلال شهر رمضان ويذكر هذه الليلة المباركة التى حدثنا القرآن عنها بقوله « حم والكتاب المبين اناأنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم » والتى أنزل فيها من القرآن سورة القدر « بسم الله الرحمن الرحيم ـ انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ففى هذه الليلة المباركة ظهر الى الوجود نورالاسلام اذ تفضل الله سبحانه وتعالى على عبده محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بابتداء انزال القرآن عليه فيها ايذانا برسالة الاسلام فى شهر من أكرم شهور السنة : شهر رمضان وهو الشهر الذى يقول القرآن فيه « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » والذى كرمه الله سبحانه وتعالى بفرض صيام أيامه كلها واحياء لياليه بالذكر والعبادة والتسبيح والحمد والشكر . ثم تطالعنا فى هذا الشهر الكريم صورة الصراع بين الحق والباطل بين المؤمنين وعلى رأسهم رسول رب العالمين وبين المشركين من صناديد قريش بمكة حيثالتقى الفريقان ببدر وهى قرية صغيرة تقع على الطريق من مكة الى المدينة فى الثامن من رمضان فى السنة الثانية للهجرة ووقف الفريقان جند الحق وهم قلة أمام جند الباطل وهم كثرة تزيد على ثلاثة أضعاف جند الحق عددا وعدة ، وعند ذلك اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى فناجاه بقوله « اللهم هذه قريش قد اتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ـ اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لن تعبد » ومازال يهتف بهذا النداء مادا يديه مستقبلا القبلة ضارعا مبتهلا وخرج الى أصحابه ليحرضهم على القتال والثبات فى الميدان بقوله « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » فى هذا الجو المؤمن بالله وبنصره من قائده الى جميع جنوده وأبطاله تصارع الحق والباطل وانتهى الصراع بنصر الله لرسوله واتباعه المؤمنين المخلصينعلى أعدائه وأعدائهم المشركين الكافرين ـ وفى تأييد الله لرسوله نزل قوله تعالى « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومنيولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلىالمؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » .

وبهذا النصر المبين فى غزوة بدر قويت شوكة المسلمين وزاد ايمانهم بنصر الله لهم فى كل موطن وفىكل وقت ماداموا معتصمين بحبل الله المتين مطيعين أوامر الله ورسوله ولا يسع المسلم وهو يرى هذه الصورة صورة القتال أو الصراع بين الحق والباطل ببدر الا أن يذكر بفخر واعجاب بطولة من قاتل من الأنصاروالمهاجرين سواء منهم من استشهد فى هذه الغزوة أو من رجعمنهم الى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتابع معه الكفاح ضد الظلم والطغيان .

والصورة الثالثة التى يراها المسلم ببصيرته كلماطالع هلال شهر رمضان صورة ليس فيها قتال ولا دموع ولا دماء انما هى صورة كلها فرح وابتهاج صورة جيش المسلمين وعلى رأسهم القائد العظيم رسول ربالعالمين يدخل مكة فاتحا بعد أن خرج منها الرسول هووصاحبه مهاجرا من مكة الى المدينة ثم يعود اليها بعد سنواتمن الكفاح والنضال ظافرا منتصرا مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ويدخل الرسول وجيشه الى مكة بدون قتال أو مقاومة فلم ينقل الينا التاريخ عن هذه الصورة ان دماء أريقت الا النزر اليسير حتى لقد عثر غداة يوم الفتح على رجل من هزيل قتلته خزاعه وهو مشرك فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقام فى الناس خطيبا فقال : « يأيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام من حرام الىيوم القيامة لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أنيسفك دما أو يعضد فيها شجرا لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون من بعدى ولم تحلل لى الا هذهالساعة غضبا على أهلها ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب ومن قال لكم ان رسول الله صلى عليهوسلم قاتلفيها فقولوا له انالله قد احلهالرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة . ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر ان تقع . لقد قتلتم قتيلا لآدينه ومن قتل بعد مقالى هذا فأهله بخير النظرين ان شاءوا فدية قاتله وان شاءوا ـ فقتله ـ ثم ورى بعد ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ـ ثم امر انينادى مناد فىاهل مكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى دارهصنما الا حطمه ـ وذهب الى البيت الحرام وحطم كلالأوثان والأصنام وطهره من آثار الشرك وخطب الناس الذين التفوا حوله وتكاثروا فى المسجد وقرأ عليهم قوله تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » ثم سأل أهل مكة بقوله يا معشرقريش ما ترون انى فاعل بكم فقالوا خيرا أخ كريم وابن اخ

كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء ـ وهكذا يعفو الرسول صلى الله عليه وسلم عفوا شاملا كاملا عن قريش وأهل مكة بعد أن مكنه الله منهم بفتح مكة من غير حرب او قتال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد أن وجه فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر كلمته القيمة بمناسبة شهر رمضان المبارك ، قمنا بجولة فى سفارات الدول الاسلامية ، لنرى مدى ما يمثله هذا الشهر المبارك فى نفوس المسلمين هناك وما مدى المظاهر والعادات التى يستقبلون بها هذا الشهر العظيم .

فى الصومال :

وكان أول لقاء لنا فى سفارة الصومال مع السيد المستشار الثقافى حسن رابى عجال الذى حدثنا عن بلده فقال :

تعتبر الصومال بلد اسلامى مائة فى المائة وهو يرتبط بالعالم العربى ارتباطا دينيا وارتباطا تاريخيا يبدأ من أيام الفراعنة .. ولقد كانت تقوم تجارة بين الصومال ومصر .. ولقد كان الصومال أول من قبل المهاجرين من الجزيرة العربية .

هذه فكرة موجزة عن الصومال بلدى أما عن سؤالكم عن كيف يحتفل الصومال بشهر رمضان المبارك ؟ فأقول ان عاداتنا وتقاليدنا ليست متباعدة عن العادات العربية فالشعب الصومالى يستعد كله للاحتفال بهذا الشهر العظيم .. فتزين الشوارع والمقاهى وتحلى بالآيات القرآنية الكريمة .. وعندما يهل هذا الشهر العظيم يتوافد الناس على هذه المقاهى للاحتفال بليالى رمضان وقد غيرت معالم المقاهى بحيث صفت المناضد بجوار بعض على شكل مجلس جماعى فيسهر الناس حتى السحور يستمعون الى العلماء والقرآن الكريم ، فيقرأ المقرىء ويفسر العالم ثم يترجم تفسيره الى اللغة الصومالية وبعد ذلك يبدأ المنشد فى مديح رسول الله .. وهكذا تمر الليالى والكل فى فرح وسرور بشهر النور والبركات الذى تعم فيه الخيرات على الفقير والغنى .. وعادة يقدم فى هذا الشهر المبارك ماكولات خاصة مثل شربة القمح والكارع والسامبو .. وهى عبارة عن اللحم المفروم به بهارات من الداخل ويغطى من الخارج بالخبز .. وأول شىء يفطر عليه الصائم فى رمضان هو التمر سنة عن سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ويحتفل أطفال الصومال بهذا الشهر العظيم فيذهبون مع أمهاتهم الى ندوات المقاهى حيث يخصص لهم اماكن فى السودان يتابعون منها الاستماع الى المقرئين ..

وتقابلنا مع السيد طاهر محمد على البشير بسفارة السودان حيث نقل الينا صورة من احتفال السودان الشقيق بشهر رمضان المعظم فقال ..!!

يبدأ استقبال رمضان منذ بداية شهر شعبان فتبدأ النساء باعداد مشروبات خاصة مثل (الابرية ا والحلو مر) وهو عبارة عن عجن من الذرة عليها أشياء من البهارات وتكون رقيقة جدا كورق الجرائد .

وعندما تمر بالشوارع تهب عليك رائحة البهارات الخاصة بالابرية .. فيعرف الناس أن رمضان قد اقترب . وفى أواخر شهر رجب تقام بعض الحفلات الاسلامية ابتهاجا بقدوم شهر رمضان ... كما يحتفل المسرح القومى بهذه المناسبة ... ويقوم الشعب السودانى بحفلات خاصة ينشد فيها المدائح النبوية والقصائد الدينية فى المنازل يحضرها أقطاب مشايخ الطرق الصوفية ..

وفى الليلة الأخيرة من شعبان تقام زفة .. عبارة عن قوات من الجيش تمر فى الشوارع .. وفى المساء يتطلع الشعب السودانى كله بنظرة الى السماء لرؤية هلال الشهر باهتمام بالغ ..

وعندما يهل رمضان تبدأ مظاهر الفرحة واضحة فى السودان .. فتجد المقاهى وقد انفض من فيها من الناس التماسا لصفاء انفسهم فى هذه الأيام المباركة .. ويؤم الشعب المساجد يتبتلون فيها ويتعبدون .. وبعد صلاة التراويح يتجمع الناس فى منازلهم يتدارسون القرآن ويتحدثون فى سيرة رسول الله ..

والافطار فى السودان يكون فى الاحياء حيث يتجمع اهلها على بسط مفروشة فى الطريق كل يحضر افطاره ليدعون كل مار ليشاركهم افطارهم وتصلى المغرب جماعة حيث يحسون ان هناك رابطة وثيقة تجمعهم لا فرق بين غنيهم وفقيرهم الامر الذى لا يحدث فى غير شهر رمضان العظيم ..

باكستان

وانتقلنا من السودان الى باكستان .. البلد الاسلامى فيحدثنا السيد اسماعيل كشميرى عن مظاهر وعادات مسلمى باكستان فى شهر رمضان ..

فيقول عندما يهل رمضان تسرى النشوة بين مسلمى باكستان ، الرجال منهم والسيدات والأطفال الكبار والصغار وفى ليلة الرؤية يذهب الكثيرون الى الخلاء بعيدا عن زحمة المدن ليتسنى لهم رؤية القمر بوضوح ويعتلى بعض القوم أسطح المنازل ويصعدون الى المنائر ويتسلقون الاشجار يتطلعون برؤوسهم .. ويمدون أعناقهم ليروا القمر .. واذا ما حدث أن تعذرت رؤيته سرعان ما تجد الوجوم قد ارتسم على وجوههم ، اما اذا رأوه فان السرور يشيع فى نفوسهم وتنطلق النسوة فارحات يغمضن عيونهن ويضعن القرآن الكريم على وجوههن ثم يفتحنها ليقرأن أول آية يقع عليها نظرهن بعد ان يلقين نظرة على القمر وعندما يذاع الخبر على أمواج الأثير بثبوت الرؤيا تطلق المدافع اعلانا للناس كافة ببدء الصيام .. والغالبية الكبرى من مسلمى باكستان يصومون رمضان والناس يجدون فى أول يوم من رمضان المشقة ولكن سرعان ما تخف بمرور الايام وهم لذلك يسمون العشرة الأوائل منه الأيام العرجاء ويسمون العشرة الثانية الايام الثائرة اما العشرة الاخيرة فيسمونها الايام الراكدة ..

وتنار المساجد فى كل أرجاء باكستان خلال شهر رمضان وهى العادة التى تختلف عندنا منذ أيام الفضل بن يحيى بن برمك وزير هارون الرشيد .. وتغص المساجد بعد العشاء بالناس يصلون التراويح وفى باكستان كثيرون من حفظة القرآن ، ويذهب اطفال لتعلمه وحفظه عن ظهر قلب ..

وفى رمضان تعج المدن بالناس وتزخر بالحياة ويحاولون التخلق بأخلاق هى أحسن بكثير من الأخلاق التى يتحلون بها بقية العام ويتجنب الناس الذهاب الى دور السينما والى المقاهى كما يتجنبون الانغماس فى الملذات وما أن تقرب ساعة الغروب حتى تهدأ الحركة فى الشوارع ويكف الناس عن الحركة تماما .

وفى رمضان يواظب على الصلاة ومنهم من يتهجد فى بيته ومنهم من يعتكف فى المساجد التى تمتلىء بالشعب ليقرأوا القرآن ويستمعوا اليه ..

ويحتفل الباكستانيون بمناسبتين كريمتين هما ليلة القدر المباركة التى هى من حسن الطالع ويمن التوفيق أن ولدت باكستان فى هذه الليلة . فكان احتفال الباكستانيين بليلة القدر يحمل فى طياته معنيين معنى يرجع الى فضل هذه الليلة ـ ليلة القدر ومعنى يحمل فى جنباته الحمد والشكر للعلى القدير الذى نصرهم

الاطفال فى الهنـد يحتفلون بقدوم شهر رمضان

واستقلوا بباكستان وهناك مناسبة كريمة أخرى يحتفل بها الباكستانيون هى جمعة الوداع حيث يفد الناس الى المساجد يقيمون الصلاة ويبدون أسفهم بقرب انتهاء شهر رمضان ويقوم المنشدون ينشدون القصائد فى اعداد فضائل شهر الصيام وكثيرا ما يشاهد الناس وهم يبكون من فرط تألمهم لوداع شهر رمضان .

الهنـد

وفى جولتنا لنقل هذه المظاهر الحية والتقاليد المتوارثة عن رمضان فى العالم الاسلامى التقينا بالسيد محيى الدين الألوائى من علماء مسلمى الهند فنقل الينا صورة رائعة عن مظاهر احتفال مسلمى الهند بشهر رمضان فقال :

يسرع الأطفال المسلمون منذ رؤية هلال رمضان الى الأسواق لشراء الفوانيس الملونة لكى يتجولوا بها فى احياء المسلمين مرددين بعض الاناشيد الدينية بالعربية أو اللغات المحلية وبعد ذلك يتجمعو حول المساجد حيث تجرى العادة بتوزيع الحلوى والمرطبات وثمار الجوز الهندى ..

وفى بعض المساجد توجد طريقة ولكنها طريفة وهى انه عقب انتهاء المصلين من صلاة التراويح ينثر عليهم التمر وسكر النبات والملبس وهذه العادة تساعد على بث روح المرح والمحبة والاخوة بين الحاضرين ..

ومن عادات المسلمين فى الهند تاخير تناول وجبة الافطار الى ما بعد صلاة المغرب ويفطرون عادة على تمرات أو رشفات من الماء أسوة بالسنة النبوية وبعضهم يفطرون بالملح الخالص ثم يشربون كوبا من المرطبات التى تختلف نوعيتها باختلاف المناطق وفى ليالى رمضان تضاء المساجد بالانوار الساطعة والثريات وتلقى فيها المواعظ والدروس ليلا ونهارا .

واذا انتقلنا الى العادات المتبعة فى السحور فنجد أن جماعة خاصة تطوف فى كل حى يقيم فيه المسلمون وفى أيديهم المشاعل والطبول وهم يرددون التواشيح الدينية وتقوم الحكومة الهندية باسداء التسهيلات العديدة للمسلمين فى أيام رمضان من تخصيص تموين خاص لهم وتهيأ مدافع الافطار فى المدن الآهلة بالمسلمين ومراعاة أوقات الافطار والسحور ومواعيد العمل الحكومية بالنسبة للرعايا المسلمين . ومن العادة الشائعة فى بعض المناطق الهندية أن الهندوس يقيمون حفلات افطار لأصدقائهم وجيرانهم المسلمين كما يدعى غير المسلمين أيضا الى حفلات الافطار التى يقيمها المسلمون ويتجلى فيها مظاهر المحبة الطائفية ومشاركة الطوائف المختلفة فى المناسبات السعيدة وهذه العشرة الأواخر من رمضان يستعد المسلمون لاخراج زكاة الفطر ويكون أداء الزكاة فى معظم المناطق فى الهند من الارز ولا تدفع من القمح أو النقد الا قليلا وقبل حلول يوم العيد يسرع الناس الى ابتياع الملابس الجديدة وتدوى كلمات العيد المبارك .

أفغانستان

وقد توجهنا الى سماحة الشيخ مبشر الطرازى كبير علماء افغانستان لنعرف منه كيف تحتفل افغانستان بشهر الكرم والهداية ، شهر نزول القرآن ؟

فقال : يصوم الناس فى أفغانستان بعد التحقق من رؤية الهلال فى الليلة الأولى لرمضان عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » وفى هذه الليلة يقام احتفال رسمى كبير من قبل الحكومة يلقى فيه قاضى القضاة أو شيخ الاسلام خطبة اسلامية يهنىء فيها الشعب الأفغانى والعالم الاسلامى كله بحلول الشهر المعظم ، تطلق المدافع اعلانا وبهجة لذلك ، وتبدأ الاذاعة باذاعة الأغانى والأناشيد الدينية . وبالاضافة الى تلاوة القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفارسية وتحديث الأحاديث النبوية والخطب الاسلامية فى بيان فريضة الصيام وفضائل شهر رمضان المبارك ولتذكير المسلمين بعظمة

الاسلام من الناحية التشريعية والعلميـة والاجتماعية والتاريخية ومن عادة الناس فى أفغانستان أنهم يستعدون لشهر رمضان قبل حلوله بشهر وأهم أنواع الأطعمة التى تصنع فى رمضان مايسمى « قابلى » وهو نوع من الأرز يحمر مع اللحم كما تصنع أنواع كثيرة من الحلوى أهمها « الشلو » وهو معروف بالبـلاد العربية بالأرز الابيض .

ومن حيث أوقات الافطار والامساك فان المدافع تضرب فى أوقات الافطار والامساك ويصوم النـاس جميعا من الكبار والصغار .

ومن أهم المظاهر وتقاليد افغانيين فى رمضان ختـم القرآن الكريم فى صلاة التراويح وتقام احتفالات دينية فى ليلة القدر ، والظاهرة الثانية فى أفغانستان الاعتكاف فى العشرة الاواخر من رمضان ، حيث يعتكف بعض المشايخ فى المساجد منقطعا لعبادة ربه ، والظاهرة الثالثة لشهر رمضان فى أفغانستان هى أن الاغنياء يتسارعون فى توزيع الخيرات على المساكين والفقراء ، وفى الغالب تكون نقدا وذلك فى خلال شهر رمضان حيث يتمكن الفقراء من قضاء حاجاتهم من المأكل والملبس فى هذا الشهر فيعم الخير الجميع ، وهذه الزكاة غير زكاة الفطر التى يخرجهـا الناس قبل عيد الفطر .

موريتانيا

ومن « موريتانيا » البلد الافريقى الاسلامى ننقل لكم صورة حية لاحتفال الشعب الموريتانى بشهر رمضـان المعظم فيقرأ الموريتانيون القرآن الكريم طول شهر رمضان من بعد صلاة التراويح حتى موعد الامساك وفى نهـار رمضان لا يستطيع الفرد أن يجلس على مقهى حتى ولو مريضا ، وفى المساء تقام الندوات الدينية فى المساجد وفى المنازل احتفالا بهذا الشهر العظيم ، أما الامهات فتستقبل هذا الشهر بالاهتمام بتقديم الاطعمة المناسـبة وتتجمع الاهالى فى موعد الافطار وأول شىء يبدأ به هو التمر أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

المغـرب

ومن غرب أفريقيا الى شمال افريقيا حيث المغـرب الشقيق ننقل الى قرائنا احتفال الشعب المغربى بشـهر الفرقان فنقول :

يظل الشعب المغربى طوال شهر رمضان ينتظر حـلول شهر رمضان وفى ليلة الرؤيا يطوف الناس فى الشوارع بعد آذان المغرب يتطلعون الى السماء لكى يبصروا هلال رمضان ويظل الناس فى فرح ويعلن رسميا عن بدء الصيام وتبدأ حركة نشاط غير عادية خاصة فى المحال التجارية وفى المنازل حيث تستعد ربات البيوت لاستقبال شـهر البركات وفى ميعاد الافطار تعد « الحريرة » وهى خليط من الفول والعدس والحمص والطماطم والبيض والدقيق والشعرية ـ وهذا هو أهم شىء فى الافطار تصحبه القهوة باللبن والتمر .. وتزخر المساجد وتعمر بالمصلين الى ساعة متأخرة من الليل يتدارسون القرآن وفى ليلة القدر تمتلىء المساجد ويلتف الناس فى جماعات ليحتفلوا بهذه الليلة المباركة وتخرج الزكاة ابتداء من هذه الليلة الى يوم العيد ..

الكويت

وذهبنا الى سفارة الكويت حيث كان المتحدث الينـا هو السيد عبدالله عبد الرحمن الرومى الملحق الصحفى عن عادات وتقاليد الشعب الكويتى فى شهر رمضـان فقال :

الكويت ككل قطر من الاقطار الاسلامية فعاداته وتقاليده فى شهر رمضان المعظم تتسم بالاجلال والاحترام فاذا أقبل شهر رمضان المعظم استقبلوه بالتسبيح والاسـتغفار والقيام والعطف على الفقراء والمساكين فيقوم الكويتيون باعداد افطار كل يوم على موائدهم لاصدقائهم وجيرانهم وفى شهر رمضان تنظم ساعات العمل تكريما للشـهر العظيم .

والكويتيون يفطرون على التمر سنة عن رسـول الله وتمشيا مع قوله صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الاحاديث الشريفة فى هذا المجال .

والاكل المفضل عند الكويتيين فى شهر رمضان هـو « الثريد » ، كما تقدم الحلوى بكثرة فى هذا الشـهر المبارك وتنار المآذن ، وتفتح المساجد ليلا ونهارا فى هذا الشهر الكريم وتقام صلاة التراويح وعندما تدخل العشر الاواخر من ليالى رمضان تقام صلاة القيام ويتعبد الناس مترقبين ليلة القدر التى هى خير من الف شهر .

وأما الاطفال فهم يستقبلون هذا الشهر المبارك بالفرح والبهجة فينشدون الاغانى فى الشوارع والطرقات فيقولون وهم يسيرون فرحين « ارمضان عادت عليكم صيام كل سنة وكل عام » وغير ذلك من الاناشيد والاغانى .

وفى الكويت يحرصون على أداء زكاة الفطر قبل صلاة العيد ولا يجوز عندهم اخراجها بعد صلاة العيد ..

السـعودية

وفى ختام جولتنا قد توجهنا الى السيد كمال حسين المستشار الصحفى بسفارة المملكة السعودية الذى وضح لنا مظاهر احتفال الشعب السعودى باستقبال شـهر رمضان .. ولقد شبه السعودية بانها بوتقة انصهرت فيها كل عادات وتقاليد العالم الاسلامى فى هذا الشـهر المبارك من مصرية وعراقية واردنية وسورية وسـودانية ومغربية وصومالية ومن جميع أنحاء افريقيا واسيا .. أما عن مظاهر رمضان فى السعودية فقال ان كثيرا من المصالح الحكومية لا تعمل نهارا بل ياتون الى العمل ليلا فالاسواق مثلا لا تفتح أبوابها نهارا الا ساعتين أما ليلا فحركة البيع والشراء تستمر حتى الـثـالثة صباحا ، ويجتمع الاطفال فرحين مهللين حاملين فوانيسهم مبتهجين بالشهر المبارك .. ويتوجه الرجال عند الافطار عنـد المسجد الحرام يفطرون على التمر ويصلون المغرب .. ثم يذهبون الى منازلهم .. ثم يتجمعون مرة اخرى فى المسجد الحرام فى صلاة العشاء والتراويح ثم ينصرفون منهم للعمل ليلا فى مصالحهم الحكومية .

ومن المأكولات الوطنية التى تفضلها السعودية فى شهر رمضان المبارك « السامبوسا » و « الحساء » .. وشكرنا السيد المستشار الصحفى على حديثه القيم .

وبعد لعلنا أيها القارىء الكريم قد نقلنا اليك صورة حية حقيقية عن احتفالات العالم الاسلامى فى شهر رمضان المبارك شهر الخير ذلك الشهر الذى تقفل فيه ابواب النار وتفتح ابواب الجنة شهر يتوب الله فيه على العاصين التائبين ويزيد من احسانه وكرمه على عباده الصالحين المؤمنين شهر فيه ليلة مباركة هى خير من الف شـهر

اللهم نسألك الهداية والرحمة ونسألك أن توحد بين صفوف المسلمين واعلاء كلمة الحق والدين .. اللهـم نتوجه اليك فى هذا الشهر المبارك أن تعيد على الامة الاسلامية والعربية الخير وأن توحدها فى ظل رائد العروبة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لتحقق الامة الاسلامية ما تصبو ا اليه من مستقبل مشرق وحضارة وارفة الظلال تهنأ بها الانسانية بالسلام والعدل والتقدم المضطرد .

فشهر رمضان هو شهر المساواة الحقـة والاشتراكية الصادقة والاخوة المتضافرة وهى المبادىء السامية التى دعا اليه القرآن الكريم .. وتعمل جمهوريتنا العـربية الرائدة على احيائها فى ظل مبادئنا الثورية الراشـدة وميثاقنا الوطنى القويم .

الصيام
صحة ودين وتربية

تحقيق : عبد الودود طه - عبد القادر فيوض

الاستاذ الدكتور احمد حافظ موسى

عزيزى الصائم :

ان الله لم يشرع الشرائع الا لغاية وحكمة ..وهدف .

ونحن اليوم نستقبل شهر الصيام المبارك .. فنحن ندعوك معنا الى جلسة هادئة فى حديقة حكمة الصيام الوارفة الظلال الدانية القطوف .

فتعال معنا نستريح فى ظلالها ونقطف من قطوفها . ونناقش سويا .

الهدف الصحى من الصيام .. الغاية منه .. كيف نحقق حكمته ؟

دعاوى بعض الناس الباطلة التى يتخذونها ذريعة للافطار باسم المرض .

الصحة النفسية والاجتماعية .. السلوك الأمثل لتحقيق الشخصية المسلمة الكاملة .

فردية كانت او جماعية .. العبارة الشهيرة - أنا صائم - التى يرتكب باسمها الحماقات .

وسنقدم لك علاجا لحدة الانفعال وتحليلا لهذه العبارة وكيف تضبط نفسك فى الصيام .

وفى ختام المطاف ننهيها بخاتمة روحية . لنرى وضوح الهدف الدينى التربوى وكيف نحققه . وما الطريق اليه . فهيا معنا ولا ننسى أن نذكرك بأن معنا فى هذه المناقشة أساتذة متخصصون يعملون فى ميادين مختلفة من ميادين العلم وهم :

الدكتور احمد حافظ موسى استاذ الأمراض الباطنية بالقصر العينى .

الأستاذ الدكتور ابو الفتوح رضوان وكيل كلية التربية جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور محمد احمد غالى أستاذ علم النفس بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

الأستاذ الدكتور مصطفى زيد أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم .

ونترك المجال للاستاذ الدكتور احمد حافظ موسى أستاذ الامراض الباطنية بطب القصر العينى . لكى يحدثنا عن الهدف الصحى للصيام

صوموا تصحوا

لقد فرض الله الصوم على الناس فى جميع الأديان كعنوان لطاعته وتنمية للاخلاق الحميدة لديهم ، واهمها الصبر وضبط النفس ودقة المواعيد وغيرها من الصفات الحميدة اللازمة لسلامة المجتمعات الانسانية .

ونستطيع ان نقول ان المعدة بيت الداء . وجاء الصيام لعلاج هذا الداء ، فبالاضافة لاصلاح النفوس فيه اصلاح للاجسام لان اتباع الغرائز الجسمانية بالنسبة للطعام فيه اتلاف للجسم باعضائه المختلفة مما يؤثر على سلامة العقل ونقاء النفس .

لماذا ..؟!

لان فى الطعام والشراب طاقة تحتاج الى جهد كبير من الجسم لاستيعابها وهضمها وتمثيلها وافراز التالف منها او تخزين الزائد بمختلف الاحشاء .

كل ذلك اذا زاد على طاقة الجسم أتلف انسجتها وقصر من طول بقائها .

حكمة الصوم :

لذلك فرض الله الصوم كدرس للانسان . انه اذا قلل الطعام او بعدت فترات تناوله لايحدث بالجسم ضررا ما بل اثبت العلم ذلك ويلمس الكثير فوائد جسمانية متعددة وبخاصة الامعاء والمعدة والكبد والقلب والكليتين والجلد .

الطب يؤيد الصيام

وكلنا يعلم أن من اهم وسائل علاج هذه الأحشاء هى الاقلال من الطعام أثناء علاج أمراضها المختلفة كما يعلم كل منا اثر السمنة على زيادة نسبة الاصابة بمرض ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين واثر ذلك على وظائف القلب والكلى وطول العمر .

كيف يحقق الصيام غايته ؟

فأجاب سيادة الدكتور قائلا ان عقيدة الصوم تضمن راحة الجسم من الطعام ما بين شروق الشمس وغروبها .

ولكن حكمة الصوم لا تكمل اذا لم تنظم بارادتنا ووعينا . كمية الطعام الذى نتناوله بعد فترة الصيام

الاستاذ الدكتور مصطفى زيد

وكذا انواعه حتى لا تثقل على أجهزة الجسم المختلفة بما يحرمها من الفوائد التى نجنيها أثناء الصيام .

ولكن ما هى الطريقة المثلى التى يجب اتباعها أثناء الافطار ..؟؟

فقال سيادة الدكتور يجب أن يكون واضحا لدى كل فرد ان الجسم به دفترة الصيام أحوج الى فرصة الى الطعام ولذلك يجب أن يكون الافطار أولا على السوائل المختلفة غير المغذية كشرب الماء أو الشاى أو عصير الفواكه . ثم يمضى فترة قبل تناول الطعام يمكن قضاؤها فى الصلاة أو اعداد الطعام .

تحـــذير

ثم يجب أن تتحاشى الافطار بالمواد الدسمة التى تؤخر الغذاء فى المعدة فترة طويلة تمنع الجسم من الاستفادة مما يحتاج اليه من غذاء .

ونريد أن تعرفنا يا سيادة الدكتور أنواع الطعام التى يجب تناولها ؟

يكتفى فى الافطار باللحوم المسلوقة والخضار وبعض النشويات والفواكه مع الامتناع عن الطعام والشراب فى الفترة ما بين وجبة الافطار والسحور حتى لا تتعطل المعدة عن عملها . وكذلك يكون الطعام فى السحور خاليا من المواد الدسمة عسرة الهضم .

دعاوى باطلة

هل حقا أن الجوع يسبب بعض الاضرار ؟

فأجاب الدكتور :

ان البعض يتعلل بمبررات للافطار كحدوث الصداع أو الدوخة أو الامساك . ولكننا نقول لهم ان هذه الأشياء العرضية يمكن التغلب عليها باستعمال الاملاح الفوارة قبل الافطار أو السحور لتنشيط الكبد والامعاء مع استعمال بعض العقاقير التى تساعد على الهضم بما تحويه من خمائر وعقاقير منشطة للامعاء والكبد . كما أن تعاطى بعض المركبات التى تحوى الفيتامينات المختلفة والعقاقير المنشطة للدورة الدموية تزيل الخمول الذى يشكوا منه الكثيرون نهارا ، وخاصة متعودى الاكثار من التدخين أو تناول القهوة والشاى وغيرها .

وانتقلنا لنقطة هامة

الاستاذ الدكتور محمد احمد غالى

أمراض لا توجب الافطار

أما الأمراض التى يتعلل بها بعض الاشخاص لاستباحة الافطار ، مثل قرحة المعدة والاثنى عشر والبول السكرى والحصوات الكلوية وهبوط ضغط الدم وهبوط القلب والاسهال المتكرر وبعض الامراض التى يلازمها ارتفاع الحرارة ، فكل هذه قد أحدث الطب علاجا لمعظمها بدون اللجوء الى الافطار علما بأن كثيرا من علاجها يمكن اعطاؤه بالحقن التى أباح الشرع استعمالها مادامت لاتكون تحايلا على الغذاء .

الصـوم والانتاج

أما الذين يتعللون بأن الصوم يقلل الانتاج فغير صحيح كما قدمنا . علاوة على أن فى الامكان الاستفادة من فترة المساء فى استكمال ما ينقص من العمل نهارا كما هو متبع فى معظم الدول العربية بنجاح يجعل من شهر رمضان عيدا اسلاميا ينتظره الجميع بفروغ الصبر لما يلازمه من فوائد جمة صحية واجتماعية واقتصادية .

وخلاصة القول : أن الصوم كغيره من العبادات يمكن الاستفادة من حكمته لو أخذ مأخذ الجد وأعد له اعدادا ذهنيا وجسمانيا . خاصة مسترشدين بأقوال العلماء والأطباء فى تنظيم حياتنا أثناءه ملقنين ابناءنا الفوائد من العبادات حتى نستطيع أن نعيد للامة العربية مجدها فى سلامة اسلام أبنائها وسلامة أجسامهم وعقولهم حتى تكون خير أمة أخرجت للناس وقدوة للعاملين .

عزيزى الصائم :

بعد أن طوفنا بك فى رياض حكمة الصوم الطبية . نرجو ان تستريح معنا فى ظلال دوحة الصيام النفسية والاجتماعية وسنحيلك الى اثنين من كبار المتخصصين فى ميدان علم النفس والاجتماع هما الدكتور ابو الفتوح رضوان وكيل كلية التربية بجامعة عين شمس والاستاذ الدكتور محمد أحمد غالى أستاذ علم النفس بمعهد الخدمة الاجتماعية بالقاهرة . ولنترك لهما المجال لكى نعيش فى هذه المناقشة ولتكن النقطة الأولى الأثر النفسى للصيام :

ويحدثنا عنها الاستاذ الدكتور ابو الفتوح رضوان :

فيقول سيادته : من حكمة الصيام التربوية والنفسية نجد أن التربية كلها بجميع انواعها ليست الا اكتساب

عادات تمكن الانسان من مواجهة مواقف الحياة بأقل قدر ممكن من الجهد توفيراً لهذا الجهد للمواقف الجديدة التى تحتاج الى تركيز لاجتيازها والتغلب عليها بالذكاء والارادة . ومعنى هذا أن التربية ترمى فى النهاية الى تربية الارادة التى تعبىء قوى النفس ليواجه بها الانسان مواقف الحياة بنجاح . والارادة هى : القوة الدافعة للانسان حتى يعدل عن الهين من مواقف الحياة ويواجه الصعب والجد من الامور ، اذا أن هذه المواقف الجادة الصعبة هى التى تسفر دائما عن نوع السلوك والتصرف الذى يعود على المجتمع بالخير ، والنفس بطبيعتها لو تركت وشانها فانها تختار الطريق الاقل مقاومة دائما وبالعادة يقبل الانسان على السهل من الامور ويفر من حقائق المواقف الصعبة . وبالعادة ايضا يستطيع أن يعود نفسه على الانصراف عن الهين من الامور والتصدى للمواقف التى تحتاج الى جهد وذكاء ورجولة وعنت ، ولا شك ان الصيام من اهم المناشط الانسانية التى تربى القوة . قوة الارادة لانه يتصدى لاكثر الامور اغراء الا وهى المتع الحسية من مآكل ومشارب وجنس ومجاهدة النفس فى الصيام وصرفها عن نزعاتها الفطرية والمكتسبة خير ما يعودها على قوة الارادة وتعود المشاق . واذا كان التعليم لا يتم الا بالممارسة فان الصبر وتحمل الجهد لا يتعلمه الانسان الا بالممارسة ايضا وهى ما يتوفر له الصيام فى الممارسة المتصلة متمثلة فى اتصال الصيام ورتابته ثلاثين يوما ووضوح احكامه ودقتها . يدرب الانسان على قوة الارادة التى هى الطاقة الوحيدة التى يملكها الانسان فى مواجهة مواقف الحياة ومشكلاتها .

ويقول : الدكتور محمد احمد غالى

الشكل الظاهر للصيام هو الامتناع عن الاكل والامتناع معناه عند بعض الناس « احباط » ولكنه فى موقف الصيام يكون أقوى من دافع الطعام وهو الاتجاه الدينى .. والمعروف ان الشخصية كلما استسلمت للدوافع البيولوجية دل ذلك على انحدار الوازع الاجتماعى .

اجتماعية الصيام

اما الشخصية المسيطرة على الدوافع دل ذلك على مزيد من الاجتماعية .. ففى طول العام شخصياتنا مستسلمة للدوافع نشبعها بكافة الطرق ونحتاج للتدريب على الارادة لكبح جماح الحاجات الاولية الفسيولوجية .. والتدريب فى رمضان فرصة لسيطرة العواطف الدينية وذلك يعاون على مقاومة الدوافع الاولية .

والمعروف اننا نتعلم الارادة وتعلمنا الارادة على كبح جماح الطعام وذلك الكبح يساعد على كبح النزعات الاخرى بالتدريب فى مكافحة الحاجات الاخرى كالجنس والعدوان وهو ما اطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الصوم جنة . ومعناه تدريب الانسان على الكف . كف الانسان عن الغرائز التى تقربه من الحيوانية وترتفع به الى مستوى الانسانية الاجتماعية والصيام ايضا كعملية يمتنع الانسان عن اشباع رغباته بمنتهى ارادته، ويستطيع ان يتظاهر بالصيام ولكن التربية الداخلية للانسان تستطيع ان ترتفع به الى مستوى العالمية الانسانية .

الصيام قرب الفوارق

ولكن ما هى الآثار الاجتماعية المترتبة على تهذيب النفس وتعليمها الارادة ؟

ويقول الدكتور أبوالفتوح رضوان، من الناحية الاجتماعية نجد أن الاسلام لم يحارب شيئا قدر محاربته للمجتمع الطبقى والفروق الصارخة بين الطبقات فى مستوى المعيشة وفى طريقتها وكل النظم الاجتماعية والديانات السابقة حاولت أن تعالج هذه المشكلة عن طريق الصدقة والشفقة على الفقير ، وفيها شيء من الاذلال لهذا الفقير مما يملأ نفسه مرارة على المجتمع ، ولكن الاسلام عالج المشكلة . مشكلة الطبقات أولا بوضع القوانين الاقتصادية والاجتماعية التى تمنع من الاحتكار والاكتناز ، وبذلك عمل من اول الامر على تقريب الفوارق بين الطبقات بتنظيم الزكاة التى تختلف عن الصدقة لانها حق للمحتاج على القادر . فليست هى تفضل قوى على ضعيف ففرض الصيام كمذكر للطبقات التى هى أكثر غنى بحق الطبقات الاقل ثروة قبلها ، فاذا مارس القادر شيئا من الحرمان الرتيب المتصل وهو قادر على انقاذ نفسه تذكر أولئك الذين يقاسون من هذا الحرمان دون ما تكون لمسلم القدرة فيعمل على توفير القدرة على مواجهة هذا الحرمان ثم ان الصيام فيه تسوية بين الناس كالصلاة فكما يقف الناس صفا واحدا جباههم على نفس المستوى من الارض فيذكر أقوى الاقوياء أنه أمام الله يساوى أضعف الضعفاء ، فكذلك الصيام يجوع أغنى الاغنياء فيشعر أنه على نفس المستوى مع أفقر الفقراء وفى ذلك اسمى انواع التربية الاجتماعية .

ويقول الدكتور محمد احمد غالى :

الانسان الصائم لا يشعر بشذوذ الذات بل يحس بمسايرة المجتمع ولا يحس بالذات والاحساس بالذات شذوذ ألمه أقوى من ألم الجوع .

نظريات نفسية فى الصيام

والنظرية النفسية وهى قانون «التعميم» معناه الخبرة التى نتعلمها تعمم على الخبرات المتشابهة فاذا تعلمت تأجيل الجوع معناه اننى استطيع ان أؤجل لذةالعدوان ومعنى تأجيل لذة العدوان معناه القضاء على الانانية ومعناه عدم اشباع الملكية وهنا تبدو حكمة الصوم العظيمة ويمكن أن نفسرها تفسيراً عظيما فى الحديث الشريف « الصيام معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر فهنا الصيام ليس جوعا فقط ولكنه احساس بالغير ، فهو عمل مادى ومعنوى فى نفس الوقت لان البذل من أسمى معانى التخلص من الانانية .

وناحية ثانية ضبط النفس الذى هو من شروط الصيام يرمى الى ناحية تهذيبية اخرى عدم وقوع العدوان على المجتمع لان ضبط النفس الذى تتمثله النفوس الصائمة معناه تكوين مجتمع يعيش فى سلام .

انا صائم ..!

هناك تمثيلية هزلية يمثلها بعض الناس على مسرح الحياة فى رمضان بارتكاب حماقات باسم الصيام وعندما يلام على الخطأ يقول انا صائم ..!!

وقد استشرنا الاساتذة والمتخصصين فى علم النفس عن كنه هذه التمثيلية وما هو علاجها فتحدث الينا الدكتور ابو الفتوح رضوان قائلا

أما ماينتاب بعض الناس من عصبية مزاج وميل الى التصرفات الحادة وقت الصيام انما هى أعراض لمرض

تربوى هو عدم نضج النفس وعدم اكتمال قوة الارادة ثم ضعف الشخصية امام طارىء تافه كالجوع او لفافة تبغ او جرعة ماء وعلى كل محتد فى طبعه أثناء الصيام ان يتذكر انه انسان غير ناضج مصاب بخور الارادة لم تثمر فيه تربية الصيام ، وهذا الخاطر كفيل بان يجعل الانسان يرد نفسه عن الحمق وعن الطغيان ، فهذاالحمق نوع من أنواع الافطار فى رمضان . فهو قد افطر على معنى من المعانى وليتذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » كل هذا يرده عن السقطات الخلقية .

وبعبارة اخرى . فان علاج عصبية الصيام يجب ان ينبع من ارادة الانسان ولا فائدة فى عوامل الضبط الخارجية ، لان الصيام تجربة شخصية فكل ما يتصل به تربية ايضا .

وتابع الحديث الاستاذ الدكتور محمد احمد غالى قائلا :

انفعالية الصيام :

يجب ان نتبع لعلاجها الارشادات التالية :

١ ـ يجب أن يحاط الصيام فى الأسرة بجو انفعالى جميل يجعل الأولاد تتكون فيهم الخبرة السارة بالصيام بتزيينه لهم وعدم كبت الافراح فى نفوسهم ، فهذا الجو الانفعالى الجميل يجب ان ينشا عليه الأولاد حتىتتربى فيهم الدوافع الاجتماعية النافعة .

٢ ـ الأولاد يجب أن نشجعهم على عادة الصيام والا نلومهم على التيقظ للسحور معنا وصيام نصف اليوم او ربعه يقوى فيهم الاحساس بالانتماء الى الجماعة .

٣ ـ اما الكبار يجب أن يتخذوا من الصيام متعة ولا يكرروا كلمة انا صايم .

٤ ـ الصيام لا يجب أن ينتهى بالتخمة فنحن بذلك نضيع حكمة الصيام وهى المقاومة .

عزيزى القارىء . هيا بنا نتفيأ تحت دوحة أخرى من حكمة الصيام . وسيكون سميرنا فى هذه الجلسةالاستاذ الدكتور مصطفى زيد استاذ الشريعة بكلية دار العلوم ولتكن هذه المرة جلسة روحية ناخذ منها ما ينبغى أن يكون عليه الصيام .

حكمة الصيام

قبل ان اتحدث عن حكمة الصيام ، يحسن بى أن ابين الصيام الذى فرضه الله عز وجل على المسلمين ،وكيف يجب أن يؤدى . ولعل أفضل ما نستمد منه هذا البيان هو السنة النبوية المطهرة .

وقد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام ، حين قال : « من لم يدع ـ أى يترك ـ قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ، وحين قال : « قال الله : كل عمل ابن آدم له الا الصيام ، فانه لى وأنا أجزى به » « والصيام جنة. واذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ، ولايصخب ، فان سابه احد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

شرح وتفسير

ومعنى يرفث : يقول الفاحش من الكلام . ومعنى يصخب . يصيح ويتضارب . ومعنى سابه : وجه اليه سبا . وخلوف فم الصائم : رائحة فمه المتغيرةلامتناعه عن الطعام والشراب . ومعنى « الصيام جنة » . وقاية من المعاصى . كذلك روى بسند صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « رب قائم حظه من قيامه السهر ، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش »

ما الصيام ..؟

وخلاصة هذه الأحاديث الصحيحة ان الصيام ليس كما يفهمه كثير من المسلمين مجرد الامتناع عن الأكل والشرب والنساء ، ولكنه الاتصال الدائم بالله ، طوال شهر الصيام كله ، والامتثال لأوامره وهديه ، لابالصوم وحده ، ولكن بالامتناع عن قول الزور وعن العمل به ، وعن الكلام الفاحش البذىء ، وعن الصياح والمشاحنات ، وعن السب والقذف وما اليهما من غيبة ونميمة ، مع اخلاص لله عز وجل فى هذا كله ، وعبادته كما ينبغى أن يعبد ، وذلك باقامة الصلاة فى خشوع وتضرع وابتهال ، وتلاوة القران فى خشية وتدبر ، وقيام الليل ، والدعاء والتوبة ، والاستغفار والذكر ، والعطف على الفقراء والمحتاجين والتصدق عليهم !

ومن هنا نستطيع أن نصل الى حكمة الصيام ، فهو شهر للثورة على قانون البطن ، وعلى الغريزة الجنسية التى تعبث بكثير من الناس . هو شهر لتربية الارادة فى المؤمن ، ولتقوية ايمانه وترسيخه ، ولتعويده العبادة المخلصة والخلق الكريم . هو شهر لتهذيب النفس ، وترويض الغرائز ، وتغليب الروح بصفائها وطهرها على المادة المظلمة القاتمة .

لعلكم تتقون

هذه المعانى كلها ـ وكثير غيرها مما لا يتسع المجال لتفصيل القول فيه ـ يقررها الله عز وجل فى جملة واحدة يختم بها الآية الأولى والآية الأخيرة من آيات الصيام ، فان الآية الأولى هى : « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ،لعلكم تتقون » ، وختام الآية الاخيرة هو « كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » . وخير ما فسرت بهالتقوى هو تكون الضمير الاسلامى اليقظ فى قلب المؤمن ، فان يقظة هذا الضمير ـ بعد تكونه ـ هى التى تصل الانسان بربه ، وهى التى تعصمه من أن يخطىء فيعصى ومن هنا جعلت التقوى غاية للعبادة فى قوله عز وجل : « يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين منقبلكم لعلكم تتقون » .

ارأيت يا أخى الى اى حد تخطىء فى حق نفسك ، وحق ربك ، عندما تثور فى رمضان لاتفه الأسباب ، ثم تلتمس لنفسك العذر من صيامك ، أو يلتمس لك من حولك العذر فيظلمونك ، ويقلبون الوضع فى الصيام ؟

هدانا الله جميعا الى ما فيه الخير .

والمجلة تشكر السادة الذين ساهموا بآرائهم فى هذه المناقشة وتبتهل الى الله ان يعيد هذا الشهر على الأمة الاسلامية بالخير والبركات .

ليلة القدر فى العالم الاسلامى

الأستاذ محي الدين الألوائى

يقترن شهر رمضان بذكريات خالدة ، ومواقف مشرفة وأحداث كبرى فى تاريخ العرب والمسلمين ، بل وتاريخ الانسانية جمعاء .

ولا شك أن ذكرى بداية نزول القرآن أعظم الذكريات وأى شىء فى تاريخ العرب والمسلمين يعادل هذا القرآن الذى رفع شأنهم ومكن لهم فى الأرض ، وجعلهم فى فترة وجيزة خير أمة أخرجت للناس ، وقد اختار الله سبحانه وتعالى شهر رمضان لبدء نزول الوحى الى الرسول العربى ، وأفضل الانبياء محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، كما يفهم من قوله تعالى : « **شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » .

وجدير بالذكر أن هذه الليلة ليلة ذات قيمة تاريخية كبرى لأنها فاتحة حدث تاريخى عظيم فى تاريخ الأمم والشعوب ، والحضارات ، والرسالات السماوية كلها ، لأن القرآن الذى بدأ نزوله فى هذه الليلة ، ما زال باقيا فى الوجود يطالع فيه الناس جمال صنع الله وجلال قدرته ، وهو الذى ضمن للغة العربية الخلود والمكانة الكبرى فى قلب كل مسلم على اختلاف اللغات والأجناس ، والبلدان ، ونبتت منها علوم عديدة وفنون شتى . ومن هذا ندرك مكانة هذه الليلة ، وعظمة هذا الشهر ، ولذا نرى المسلمين فى بقاع الأرض يحتفلون بليلة القدر ، بكل اهتمام ، ويكثرون فيها أنواعا من العبادات وأعمال البر ، ويجودون بالخيرات والصدقات .

وقبل أن نقوم بجولة خاطفة حول العادات والتقاليد التى يمارسها المسلمون فى مختلف البلاد فى هذه الليلة ، نلقى نظرة سريعة على بعض المواقف المشرفة والحوادث التاريخية التى وقعت فى هذا الشهر ، لكى تتجلى قيمة هذا الشهر العظيم بين الشهور والأيام . وقد حدث فيه غزوة بدر ، وغزوة تبوك ، وحدث فيه ايضا فتح مكة ، وفيه كانت انتصارات المسلمين فى الاندلس ، وعلى التتار فى عين جالوت ، وعلى الفرنسيين فى معركة المنصورة ، وأخيرا اقترن مؤتمر رؤساء الأمة العربية وملوكها فى عاصمة العالم العربى والاسلامى ، القاهرة ، فى العام الماضى بهذا الشهر المعظم .

ومن ذلك كله يتبين لماذا اختص الله سبحانه وتعالى هذا الشهر بالذات بفريضة الصيام ، وفى مكنة كل متأمل أن يلاحظ الصلة الوثيقة بين هذا الشهر ، وهو شهر رمضان ، وبين الكتاب الذى أنزل فيه ، وهو القرآن ، وأن الثمرة المرجوة من الصيام ، هى التقوى ، والتقوى هى سبيل الهداية ، « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » . **وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن جميع الكتب والصحف السماوية القديمة انزلت فى هذا الشهر العظيم ، فصحف ابراهيم انزلت فى أول ليلة من رمضان ، وأن التوراة انزلت فى اليوم السابع من رمضان ، وأن الانجيل أنزلت فى الرابع عشر من رمضان ، وأن القرآن انزله الله فى الخامس والعشرين من رمضان ،** .

ومن ذلك نستطيع أن نفهم مكانة هذا

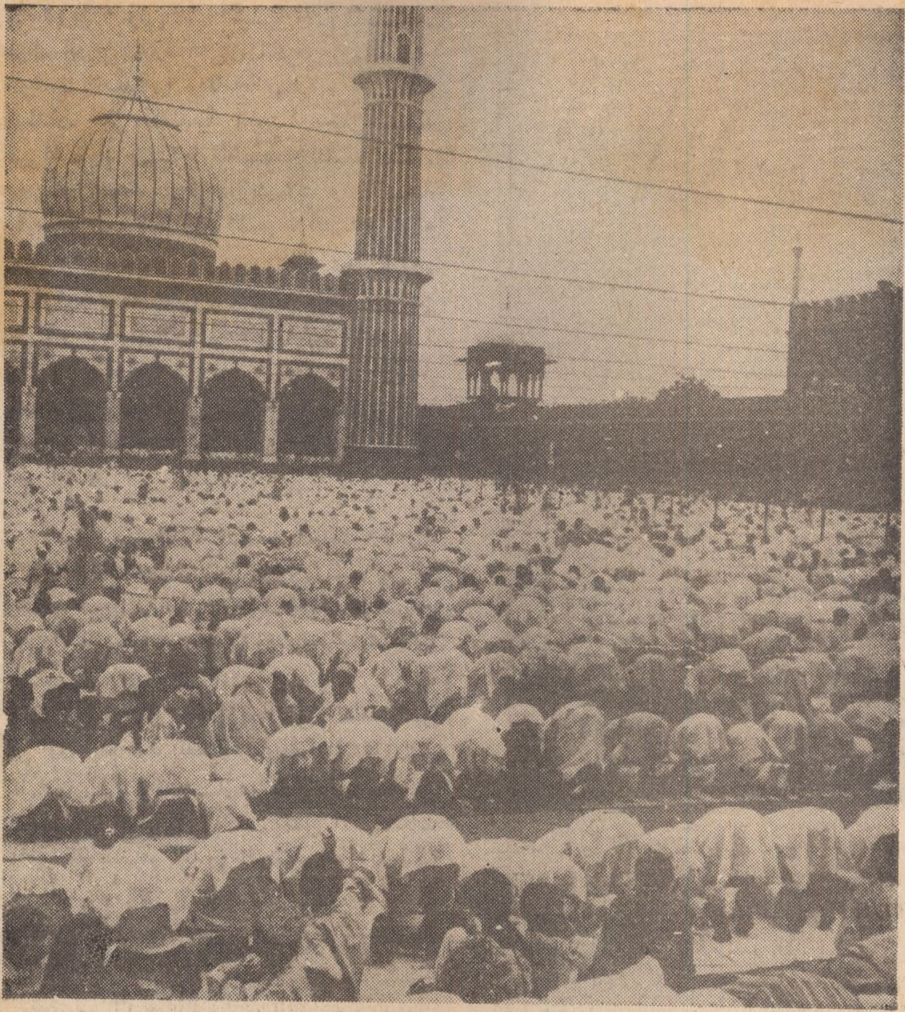

المسلمون فى الهنـد يحتفلون بليلة القدر

الشهر عند الله ، وما ينبغي أن تكون عليه مكانته عند الناس ٠

واذا انتقلنا من ذكر أصل ليلة القدر ، وفضائلها وميزاتها ، الى العـادات والمظاهر الدينية المتوارثة لدى المسلمين فى شتىبقاع الأرض ، نرى أنواعا من العبادات والتقاليد الدينية بصرف النظر عن أصلها فى صـميم تعاليم الاسلام ، أو عن كونها ناشئة عن مجرد التقليد المتوارث ٠ ولذا نجد فى هذا التطواف

رحلة ممتعة ومفيدة ٠٠ ونرى خلال هـذه الرحلة بعض العادات يتميز بها كل بلد عن الآخر ، فى هذه الليلة ٠

ففى الهند والباكستان - مثلا - يحيى المسلمون الليالى الآحاد ، فى العشر الأخير من رمضان أى الليـالى . الحادية والعشرين ، والثالثة والعشرين ، والخامسة والعشرين ، والسابعة والعشرين ، والتاسعة والعشرين ، ولكنهم يهتمون اهتماما بالغا - كما هو الحال فى معظم البلدان الاسلامية - بالليلة السابعة

والعشرين • وفى هذه الليلة تفتح المساجد طوال الليل لتلاوة القرآن الكريم ، والقاء المواعظ الدينية ، واقامة الصلاة ، وفى بعض البلدان تلقى الأناشيد الدينية بأصوات عالية فى المساجد والتكايا المخصصة للعبادة ، وينهمك المتعبدون فى الابتهالات والأدعية والصلاة الى وقت آذان الفجر ، اقتداء بقوله تعالى ، فى معرض ذكر خصائص ليلة القدر: **« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » :** وتزين البيوت والمبانى فى الأماكن المكتظة بالمسلمين بالفوانيس الملونة والشموع • وتستمر هذه العادة من ليلة واحد وعشرين الى آخر الشهر •

وفى هذه الليلة تتسابق العائلات الغنية فى اقامة حفلات الافطار للفقراء والمساكين • وتتفنن فى صنع أصناف من الأطعمة والأشربة • وفى أندونيسيا - مثلا - تقوم الهيئات الاسلامية ، فى هذه الليلة ببدء جمع زكاة الفطر من الأهالى ، لتوزيعها على المستحقين فى أول أيام عيد الفطر ، ويوسع المسلمون فى كل مكان فى الانفاق والكرم والسخاء على الجهات الخيرية • وفى بعض العائلات المتمسكة بمظاهر الدين تقام ندوات دينية الى الفجر ، وتوزع الحلوى والكسوة واللحوم ، والثمار على الجيران والمسافرين والأطفال •

ومن أكبر الاحتفالات التى تقام فى رمضان فى البلدان الاسلامية ، وفى كل بقعة فيها مجموعة من المسلمين فى بقاع الأرض : الاحتفال بذكرى غزوة بدر ، فى السابع عشر من رمضان ، ووقعت هذه الغزوة فى السنة الثانية للهجرة ، وكذلك الاحتفال بليلة القدر ، فى ليلة السابع والعشرين منه • وفى المناسبتين يجد الانسان المتفكر عظات

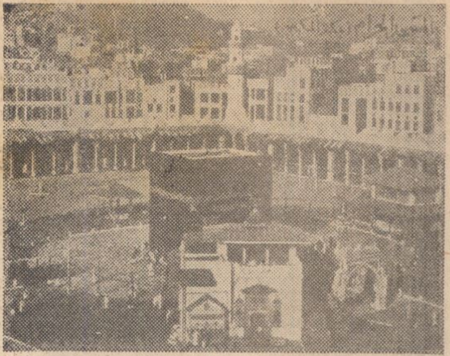

بينات ، وذكريات تاريخية ، وأن غزوة بدر انتهت بانتصار الحق على الباطل ، وانتصار التوحيد على الشرك ، وأدت فعلا الى فتح مكة، فتحا مبينا ، وأما ليلة القدر فقد ابتدأ فيها نزول القرآن من عالم الغيب الى عالم المشهود: ليلة القدر خير من ألف شهر • ومن أجل ذلك ترى فى الليلة ، المساجد تتلألأ بوجوه العابدين ، وتتزاحم فيها صفوف المؤمنين ، بدافع الايمان والاخلاص ، ويتعطر الجو بتلاوة آى من الذكر الحكيم ، ويعتقد المؤمنون بأن أبواب السماء تفتح للدعوات فى هذه الليلة ، وتطوف فيها الملائكة الكرام ، بالتحيات والسلام ، حتى مطلع الفجر •

القوة في الإسلام

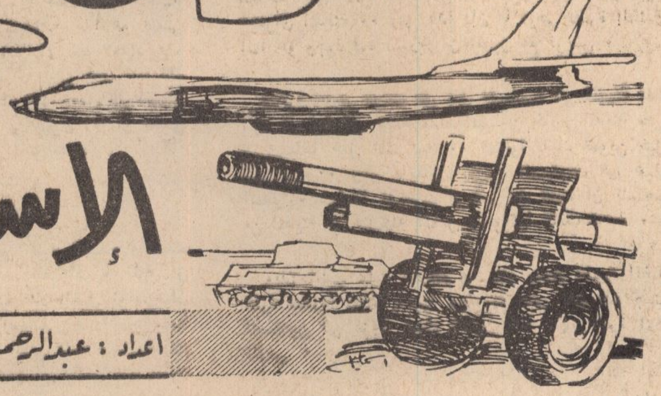

إعداد : عبد الرحمن الشربيني

كما ان القوة لازمه للمجتمع المسلم لحمايته من وقوع اى عدوان عليه .. كذلك فان تدعيم هذه القوة واجب بالقدر الذى يحقق قدرا من التفوق لدى هذا المجتمع السليم . لان من غايات القوة التى يدعو اليها الاسلام ان تكون بالقدر الذى يخيف ويرهب الاعداء قبل محاولة الاعتداء على المجتمعات الاسلامية .

وان ماتشير اليه الآية الكريمة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » انما هو دعوة لذلك بل امر به . ذلك لان الخيل كانت تلعب دورا كبيرا فى معارك الاسلام الاولى . فهل كان رباط الخيل رمزا الى معنى تاريخى ام ان هذا المعنى يمكن ان يستمر بصورة اخرى فى العصر الحديث ..

تحدث عن ذلك فى ندوة الشهر كل من :

١ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى

٢ ـ الدكتور عبد العزيز كامل

يقول فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى :

ـ يقول الله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .. فتبين لنا هذه الآية الكريمة ان الغاية من اهداف القوة وتهيئة العدد والعدة للجهاد ، ليس المراد منها هو الغرض من احراز النصر على الاعداء عند قيام المعارك ، ولكن غاية اخرى سريعة سامية هى التى اشارت اليها الآية حيث تقول « ترهبون به عدو الله وعدوكم الخ .. » فالمعروف انه اذا كانت هناك قوة للامة واضحة امام اعدائها فان ذلك يردع هؤلاء الاعداء وبذلك يكون تهيئة الامة من جهة الصراحة ومن جهة القوة المعنوية هو فائدة تخدم السلام .. لانه يمنع هؤلاء الاعداء من ان يقدموا على حرب هذه الامة ، وان يعتدوا على حقها او يحاولوا اغتصاب شىء من هذا الحق .. وقد جرت العادة ان ضعف الضعيف يغرى الاقوياء بالاعتداء وكما يقول الشاعر :

ودعوى القوى كدعوى السباع

من الظفر والناب برهانها

لا من الحق ـ ولا من الواجب .. ولكن القوة تغرى .. واستعمالها كقوة لايكون معها الا طمع من شانها ان تاتى الى الضعفاء فتمزقهم تمزيقه فالله سبحانه وتعالى يرشد المؤمنين الى ان يكون استعدادهم مقصودا به ان يردع خصومهم ، والا يقبل الخصوم على حربهم ..

ونحن اذا نظرنا الى قوة السلاح نجد الامر واضحا فى هذا الجانب .. لانه كلما كانت الامة قوية فى عددها وعددها كلما كان ذلك رادعا لاعدائها ..

وناحية اخرى .. هى ناحية القوة المعنوية .. القوة بالعلم .. والقوة بالخلق . والقوة بالتنظيم والترتيب فى كل مرافق الامة .. ومن كل نواحيها .. والقوة التى يشعر بها كل فرد من افراد الامة .. هذه القوة من شانها اذا ظهرت فى الامة هابها الاعداء وخافوا الاعتداء

عليها .. لانهم يعرفون ان هذه الامة قوية بروحها وقوية بسلاحها وعلمها وقوية بتنظيمها وترتيبها والتفافها حول زعامتها .. ولم ننس بعد يوم كان العدوان الثلاثي يتوقع منا ان نسلم فى أول طلقة يطلقها علينا .. ولكنهم لما وجدوا الشعب قويا متماسكا يغار على بلاده .. ويلتف حول زعامته وقيادته .. ويحارب عن كل شبر من ارضه .. سقط فى ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا .

وكذلك رأوا كل الشعوب العربية وقد قامت جميعا متضامنة .. فهذا درس لايمكن ان ينسى لاعداء العروبة والاسلام .. درس يفهم به اعداء الاسلام ان الامة المؤمنة المسلمة حقا من شانها ان تتضامن وتتضافر وتبذل مافيها من قوة خلقية ومعنوية عند الحاجة وعند اللزوم - فلا يمكن ان يقدموا عليها . هذا هو المعنى الذى جعلنا نقول ان من اغراض الاسلام لاعداد هذه القوة أن تكون فى خدمة السلام .. ولن تحل مشكلة السلام الا اذا دعمت بالقوة الرادعة التى تجعل كل انسان يفكر ويفكر قبل ان يغصب حقا من حقوق امة او يعتدى عليها فى وطنها او فى شيء مما تعتز به .

ويقول الدكتور عبد العزيز كامل :

- لو نظرنا الى غزوات النبى عليه الصلاة والسلام وتتبعنا تطور القوة المادية فى هذه الغزوات .. نرى ان من اهم مظاهر التطور هو زيادة عدد الخيل اوالفرسان فى جيش النبى عليه الصلاة والسلام .. وا نجانبا كبيرا من الصراع الذى دار بين النبى عليه الصلاة والسلام وبين مجتمع المدينة بصفة عامة ومجتمع قريش ومن تعاون معها من القبائل العربية كانت تبرز فيه قوة الفرسان بالذات .. لان الفرسان كانت فى هذا العهد هى القوة الضاربة السريعة التى تستطيع أن تحسم الموقف .

ففى غزوة بدر مثلا كان عدد المسلمين كما نعلم حوالى ٣٩٥ ، وعدد الابل ٧٠ وعدد الخيل اثنان فقط . بينما كان عدد المحاربين فى قريش حوالى ٩٥٠ منهم ٢٠٠ خيالة وفرسان . وغزوة بدر كانت غزوة مكشوفة بدات بالتحام افراد ثم صفوف ، فلم تجعل للخيل الاكثر عددا مع قريش اثرا كبيرا فى المعركة ، خصوصا ان ايمان الصحابة فى هذه المعركة وهجومهم هجوما يعتمد على هذا الايمان . جعلهم يخترقون صفوف المشركين والكفار بهذه القوة التى بهرت قريشا واضطرتها الى التراجع والانهزام امام النبى عليه الصلاة والسلام .

وفى غزوة احد .. اخذ الموقف صورة اخرى .. لان الخيل فى احد لم تقف صفا امام المسلمين .. وانما تولى امرها خالد بن الوليد .. وكان عدد خيل المسلمين فى هذه الغزوة ٥٠ بينما عددهم فى قريش ٢٠٠ .. والتف المائتان حول الخمسين بعد ان ترك الرماة المكان الذى حدده لهم النبى عليه الصلاة والسلام .. فكان ان سيطرت قريش ومن معها على المعركة ... ثم بعد ذلك تماسك المسلمون وخرجت قريش بهذا الانتصار المبدئى وعادت الى مكة مرة أخرى بعد ان تركت ميدان المعركة .

من هنا .. كان لابد ان نتوقع انه لابد من زيادة القوة الضاربة .. لابد من زيادة عدد الخيل .. ولكن ذلك لم يكن مستطاعا بسهولة ، فى مجتمع المدينة .. دفاعا عن الاسلام .

وفى غزوة الاحزاب .. غير النبى عليه الصلاة والسلام كل التنظيم السابق فى احد .. فى احد خرجوا لمحاربة قريش فى الخارج ، فاذا علمنا ان خروجهم الى خارج المدينة . كان فى نفس الوقت دفاعا عن زروعهم التى بدات ترعاها خيل المشركين .. لاستطعنا ان نفهم شيئا عن اقدام شباب المدينة واندفاعهم الى الخروج وملاقاة قريش فى خارج المدينة .

هذه المرة كانوا اكثر تعقلا .. القوة الضاربة عندهم اكثر والخيل التى عندنا اقل .. فلا داعى اذن للاقاتهم فى معركة مكشوفة فى الخارج .. ينبغى ان نظل داخل المدينة .. وكيف اذن نحول بين الخيل وبين المدينة ؟ فجاءت اليهم فكرة حفر الخندق ليحول بين الخيل وبين اختراق المدينة .. وعلى هذا فان ما اوحى بفكرة الخندق انما هو وجود قوة ضاربة من الخيل مع قريش .

وفكرة اخرى طرات على بال المسلمين فى المدينة تلك انهم اسرعوا الى حصد المراعى من خارج المدينة حتى لاترعاها خيل المشركين .. فمنعوا بذلك تموين خيل المشركين .. وهو مايقابل بنزين السيارات فى هذا العصر .. ولهذا اضطرت قريش بعد فترة ان تنسحب من المدينة لان مشكلة الخيل وتموينها كانت قائمة .

وبدا النبى عليه الصلاة والسلام يدرك اهمية الخيل كقوة ضاربة فاخذ ينميها ويقويها حتى كان عدد جيش المسلمين فى غزوة تبوك ثلاثين الفا منهم عشرة الاف فارس .

فاذا ما علمنا ان خيل المسلمين فى غزوة بدر كانت اثنين فى سنة ٣ هجرية ، وانها وصلت الى عشرة الاف فى سنة ٩ هجرية لتبين لنا ان القوة الضاربة للمسلمين تضاعفت الى ٥٠٠ ضعف فى مدى ست سنوات .

ومن هذا .. نستطيع ان نتصور الاعباء التى تحملها المجتمع الاول دفاعا عن نفسه وحريته .. وهذا يعطينا درسا هاما فى وجوب اعتمادنا على انفسنا وتقويتنا لمجتمعنا .. وتقويتنا لقاعدتنا العربية حتى يكون فيها القوة الضاربة الرادعة لخصومها واهم هؤلاء الخصوم اسرائيل .

ماهو اذن هدف كلمة من رباط الخيل .. ترهبون به عدو الله وعدوكم .. اذن ينبغى ان تكون القوة الرادعة الممثلة فى المجتمع قادرة على ارهاب الخصم ..

وناتى فى مجتمعنا المعاصر .. ماهو الهدف الذى ارادت اسرائيل ان تضربه سنة ١٩٥٦ .. الطيران فالقوة المقابلة لقوة الخيل الاولى فى الاسلام هى اليوم قوة الطيران .. وبعد ذلك دعمنا هذه القوة بالصواريخ .. فما لم تكن هذه القوة موجودة بالفعل فلن ترهب خصما فالذى يحدد نوع القوة هو قدرتها على ارهاب الخصم .. لان الخيل ما قصدت بذاتها .. وانما قصدت لارهاب الخصوم باعتبارها كانت قوة فى وقتها .

وخلاصة القول ان هذه القوة هى قوة متطورة وانها ينبغى ان تكون فى عددها ونوعها قادرة على حماية القاعدة العربية .. قادرة على ارهاب الخصم وايقافه عند حده .

تقاليد رمضانية للمرأة الافريقية والآسيوية

المرأة المسلمة

اعداد : نجاة الزنيري

روحانية عميقة ، وصفاء نفسى ممزوج بنشوة صوفية عارمة ، وشعور انسانى مفعم بالاخوة والتعاطف .. تلك هى المشاعر الدقيقة الصادقة التى يحس بها الانسان المسلم فى شهر رمضان المبارك . شهر الخير واليمن والبركة ، وشهر التبتل والعبادة ، الشهر الذى يعم فيه العالم الاسلامى أنوار ملائكية ساطعة ، وتحفهم فيه ملائكة الرحمة وتنزل على قلوبهم السكينة والطمانينة فلا يلبث أن يتساوى فيه بالصيام غنى وفقير ، وابيض واسود ، لا يفضل بعضهم بعضا الا بالعمل الصالح ، والا بمقدار ما يبذل فيه المسلم من زكاة ويوسع على جاره الفقير او قريبه المعدم حتى تعمر القلوب الفرحة والبهجة فيتحقق للمسلمين جميعا مبادىء العدالة الاجتماعية التى تسعى المجتمعات الحاضرة للوصول اليها

على ان لكل بلد من البلدان الاسلامية والعربية فى هذا الشهر الكريم تقاليده وعاداته وكلها تنبع من معين واحد هو معين النفس الشفافة التى صهرها الصيام فصفت روحها فراحت تحتفل بهذا الضيف الكريم وتعد لمقدمه ولأيامه الوانا من المباهج واصنافا من المآكل والمشارب .

وهذه نماذج من التقاليد الرمضانية لبعض البلاد الأفريقية الاسلامية ، والافريقية العربية والبلادالأسيوية الاسلامية والاسيوية العربية .

تقاليد الاسرة السودانية :

قالت لى السيدة « زين المال » وهى من غرب السودان : يوجد فى السودان عدد من الطوائف الدينية وعند رؤية هلال رمضان تبدأ هذه الطوائف فى الطواف بالطرقات « ولكل طائفة نشيدها الخاص وخطواتها الخاصة » وهم يعلنون حلول شهر رمضان مبتهجين بمقدمه .

وعندما ينطلق مدفع الافطار تتناول الأسرة شرابا يسمى « الحلو المر » أو شراب « الأباريه » أو شراب العرويب أو الكركديه .. ثم يؤدون صلاة المغرب . وبعد الصلاة يحمل رب الأسرة صينية كبيرة عليها طعام افطاره ويخرج بها من المنزل .. وهكذا جميع الرجال ويتجمعون جماعات منتشرة فى الطرق والميادين ويتناولون افطارهم حيث يتجمعون بينما تتناول الزوجة وابناؤها وبناتها الافطار فى البيت .. وهكذا طوال شهر رمضان . لا يتناول رب الأسرة افطاره داخل البيت أبدا والفرض من هذه الظاهرة هو اتاحة الفرصة لكل عابر سبيل لم يتمكن من الوصول الى بيته وجاءته ساعة الافطار وهو فى الطريق فانه يستطيع ان يجد الطعام فى كل خطوة يخطوها فى طريقه مع الرجال المتجمعين . وكذلك يستطيع الفقير أن يجد طعامه مع اى رجل فى الطريق .

اما اكلات رمضان .. ففى الافطار تؤكل « الكسرة باللاح » وهى عبارة عن رقائق من الخبز اللين يوضع هذا خبز فى الطبق وتوضع فوقه قطع اللحم المصبح بالصلصة ثم توضع فوقها طبقة ثانية من الخبز وتقطع باليد وتؤكل .. وهذا النوع لا يخلو منه بيت فى رمضان .

والنوع الثانى من أكلات رمضان يسمى « المسرارة » وهو عبارة عن أحشاء الحيوان التى تقطع قطعا صغيرة وتنقع فى الشطة وعصير الليمون وتترك هكذا مغمورة فى الشطة حتى تسوى وتؤكل كما هى نيئة بدون تسوية على النار لأن الشطة تقوم بتسويتها .

وفى السحور تؤكل « المديرة والعصيدة » ..

« والأباريه » نوع من الحلوى يؤكل ويشرب فى رمضان .

والمسحراتى يسمى « البخارة » وهو الذى يتولى الاعلان عن الافطار والسحور فى بعض البلاد التى ليس بها مدفع افطار .. وفى النصف الثانى من شهر رمضان تقوم كل أسرة بتقديم الصدقة والزكاة كل حسب مقدرته وتكون عادة عينية مثل القمح والسمن والملابس .

رمضان فى ليبيا :

والشعب الليبى شعب متدين يؤمن بدينه ويتعلق به ويحافظ عليه وينكر على أى فرد - مهما كان - ان يخرج على هذه العقيدة التى يرى فيها الملجأ الروحى الحصين فى السعة والضيق واذا أفطر امرؤ فى رمضان فانه يتعرض لمضايقات قاسية من أهله وأصدقائه والغرباء عنه على السواء .

ومن مظاهر رمضان فى الأسرة الليبية ان تتعدد السهرات وتكثر التجمعات بين الأصدقاء فكل جماعة تتناوب الاجتماع كل ليلة فى منزل أحد أفرادهاليتناولوا الشاى الاخضر والحلوى وما يعده المضيف لضيوفه من أصناف المأكل والمشرب ولا تنتهى هذه السهرة عادة الا قرب وجبة السحور . وفى خلال هذه السهرات يستمعون الى قراءة المقرئين للقرآن الكريم أو الى الأحاديث النبوية أو الاشعار العربية وغيرها من المواضيع المتعددة التى تتناول شئون البلاد العامة فاذا انتقلنا الى الصعيد الرسمى فانك ترى الدولة تعطى لهذا الشهر اهتماما بالغا فهى أولا تعدل مواقيت العمل بحيث لا تتأثر مصلحة الجماهير ولا ترهق الصائم فى الوقت نفسه . كما انها تبالغ فى انارة الشوارع وتجميلها وتهيئة جو روحى فى الاذاعة والصحافة وتعقد الندوات الدينية هنا وهناك باشراف ادارة الأوقاف .

ومن المظاهر الهامة فى هذا الشهر الكريم الأمر المعتاد الذى يصدره جلالة الملك أدريس الاول المعظم وديوانه الملكى العامر فى بنغازى بأن تفتح أبواب قصر الخلد فى طرابلس – وهو القصر الملكى الوحيد – لجموع الشعب ليتناولوا فيه وجبة الافطار والشاى والحلوى ثم يتلو ذلك قراءة القرآن الكريم والمواعظ الدينية الى ساعات متأخرة من الليل .

وللاطفال فى شهر رمضان ظاهرة خاصة بهم هى تجوالهم جماعات جماعات فى شوارع المدن منشدين أناشيد معينة تتسم بطابع البراءة فى هذا الشهر المعظم .

أما الأطعمة المفضلة فى ليبيا فهى ((الشوربة على الطريقة الليبية)) وهى مزيج من اللحم المفروم المقدوح بالسمن والمتبل بالبهارات المتعددة والنعناع أو المقدونس – ولا تخلو مائدة ليبية فى رمضان من هذه الشوربة – وبعدها تقدم الأطعمة المعتادة واهمها الكسكسى الليبى . وبعد الافطار يشرب الشاى الليبى الأخضر ويصنع بطريقة خاصة ويشرب ثلاث مرات . ومن أهم العادات فى ليبيا أن يبدأ الافطار بالتمر على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى نيجيريا :.

وفى نيجيريا قديحدث ان تحجب السحب الكثيفة والامطار ظهور الهلال فتختلف رؤية هلال رمضان من أقليم لاخر فى الأقاليم الاربعة التى تتكون منها نيجيريا . فيبدأ شهر رمضان فى اقليم قبل اخر .. هذا كما ان أذان المغرب يبدا دائما مابين الساعة السادسة والساعة السابعة مساء كل يوم . ويبدأ الناس بصلاة المغرب فى المسجد أولا قبل الافطار . ويختلف الطعام من اقليم لآخر ومن بيئة لأخرى .

ومن الأطعمة الرمضانية الشهيرة : ((العصيدة)) وتصنع من دقيق القمح ولبن الكويكر ((والطعمية)) غير أنها تصنع من اللحم المفروم والفول . وطعام ((الميمى)) ويختلف صنعه من أسرة لأخرى فمنه النوع العادى قليل التكاليف ونوع آخر بتكلف نفقات كثيرة وتصنعه الأسرة الغنية . ويتكون النوع العادى من ((زيت النخيل الأحمر والشطة والفول المقشر – ويوضع هذا الخليط فى قوالب صغيرة خاصة أو ورق خاص وتوضع القوالب أو الأوراق فى اناء به ماء مغلى لكى يسوى بالبخار والعائلات الغنية تضيف الى هذا الخليط شرائح البيض أو اللحم أو السمك . ويؤكل معه أرز بالفول .

والأسرة النيجيرية تنفق كثيرا على الطعام وتعرف أنواعا كثيرة من الأطعمة .

وفى رمضان تحرص كل أسرة على اطعام أسرة فقيرة كل يوم .

والفتاة المخطوبة تحرص طوال شهر رمضان على أن تقدم لخطيبها هدايا غالية قيمة ، وفى العيد يبدأ الخطيب فى تقديم الهدايا لخطيبته .

ويمتنع مسلمو نيجيريا عن حفلات الرقص والموسيقى طوال شهر رمضان .

وفى صلاة العيد يخرج جميع المسلمين الى الحدائق العامة الكبيرة والأماكن المفتوحة الواسعة حتى يتمكن جميع مسلمى البلد من التجمع فى مكان واحد لصلاة العيد معا حيث لاتكفى المساجد لكل هذا العدد معا . وتقدم كل طائفة لتصلى معا بطريقتها الخاصة .

موريتانيا :

يحرص شعب موريتانيا المسلم على حفظ القرآن الكريم كله حفظا غيبيا منذ الطفولة وفى شهر رمضان يقوم كل فرد وكل طفل بلا استثناء بإعادة قراءة القرآن الكريم كل ليلة حتى اتمامه حفظا غيبيا . وفى صلاة التراويح يحرص كل مسلم على زيادة عدد ركعات الصلاة ويحرص كل مسلم على الصوم واذا اضطرته الظروف للافطار فانه يضطر للتظاهر بالصوم حرصا على مظهر الصيام .

وفى شهر رمضان يستطيع اى فرد ان يستضيف نفسه فى بيت أى مسلم آخر للافطار عنده حتى لو لم يره من قبل وذلك الافطار على التمر . ثم يتناولون طعاما مكونا من سمك الحوت والارز والخضروات والكرنب الذى يسمى ((الملفوف)) والفلفل الحار .

والطبق الوطنى المشهور فى موريتانيا هو ((المشوى)) وهو عبارة عن شاه توضع كاملة فى الفرن وتشوى وتختلف العائلات فى تصنيف حشو الشاة . كما ان الشعب الموريتانى يميل كثيرا للطعام الدسم والدهون التى لا تخلو منها مائدة . ومن الأطعمة أيضا العصيدة

باللبن والدهن « والقديد » وهو لحم يابس يسمى « تشتار » وطريقة صنعه ان يوضع اللحم على هيئة قضبان رقيقة حتى يجف تحت الشمس ويحفظ جافا ليستعمل فى الأيام التى لا يوجد بها لحم . كما أنه يقدم للضيف مع « الودك » وهو الدهن ويؤخذ من شحم الحيوانات .

والشاى الأخضر يسمى « أتاى » وهو المشروب الرئيسى فى موريتانيا ويصنع على ثلاثة أدوار ويتجمع حوله أفراد الأسرة والأصدقاء والأقارب وهو الوسيلة للتجمع بين الناس .

ارتريا :

وقالت لى « الانسة آمنة محمد على » : فى أرتريا يبدأ الاستعداد لرمضان ابتداء من شهر شعبان فتقوم كل أسرة باعداد كل المستلزمات الضرورية لشهر رمضان وكل مسلمى ارتريا حريصون على الصوم حتى الاطفال فهم شعب متدين جدا شديد الاهتمام بمظاهر شعائر الدين الاسلامى الحنيف ، وفى النهار تغلق جميع المقاهى وساعة الافطار تغلق جميع المحلات التجارية . وصلاة التراويح هامة جدا . فبينما تمتلىء المساجد بالرجال والشباب ، تتجمع السيدات كل مجموعة فى بيت احداهن ويؤدين صلاة التراويح معا . فالجارة هناك تحب جارتها وتهتم بها كأخت لها تماما . وبعد الصلاة تقوم كل سيدة بممارسة هوايتها من الأشغال الفنية أثناء السهر حتى السحور . ويبدأ الاستعداد للعيد خلال سهرات رمضان واشهر أطعمة رمضان هى : « السمبوسة » وهى مثل الجلاش المصرى ومحشو باللحم المفروم « والفطيرة بالسمك والبيض واللحم » والمشبك وشوربة القمح .

ومن الدول الاسيوية :

سوريا :

وقالت لى السيدة « سهيلة الريماوى » : عندما يأتى رمضان تدب الحياة الاجتماعية ، فى كل حى وكل بلد خاصة فى المساء بعد الافطار . ففى أثناء النهار تغلق اغلب المحلات والمتاجر لكن بعد الافطار يبدأ نشاط البيع والشراء وتخرج الأسر لتبادل الزيارات ولشراء كل مستلزماتهم من السوق .

ويعتبر المسحراتى فى سوريا فالا حسنا لكل أسرة . وهى مهنة يتوارثها الابناء عن الاباء جيلا بعد جيل . ويعد المسحراتى أغانى المدح والتمجيد لكل أسرة فى الحى وبعد الافطار يمر فى الأحياء وأمام كل بيت يذكر الأسرة بأغانيه ودعواته التى تمجدها .. فيتلقى منهم صدقات الطعام . وعند السحور يمر مرة ثانية ومعه فانوس كبير مضاء .

والأسر تستبشر بمقدم المسحراتى وتعتبره فالا حسنا اذ يعود اليهم كل عام ليعلن ان رمضان قد جاءهم وهم فى خير وسلام .

والأسرة لا تركز الاهتمام بطعام الافطار فهو طعام خفيف ولعل ذلك حتى تبقى المعدة خفيفة استعدادا لصلاة التراويح ولنشاط الليل فى البيع والشراء والزيارات . أما السحور فيتركز فيه الطعام الدسم الكثير المتنوع وذلك أيضا لأن الأسرة السورية فى السحور أما داعية أو مدعوة فخلال الثلاثين يوما تقوم كل أسرة بدعوة أسرة أخرى لتناول السحور معهم وهكذا كل يوم مما أدى الى تركيز الاهتمام بالسحور أكثر من الافطار .

وفى النصف الثانى من شهر رمضان يقوم شباب أهل الحى بالقاء دعوات الوداع فى المآذن والمساجد وتتعالى فى المآذن جميعها الدعوات وذكر مكارم الشهر العظيم .

والحلوى الشامية هى التى تتصدر موائد الاسرة وكذلك السلطات وتسمى « المقبلات » وخلال الشهر تقوم الأسر بتبادل أطباق الحلوى فيما بينهم كتعبير عن المحبة والود والاخاء . ويفضل دائما الافطار على موائد كبار السن فى العائلة . وعند الاقتراب من العيد توزع الاقمشة على الأسر المحتاجة فيبدءون بفقراء الأسرة الاقربين ثم فقراء الحى ثم الجمعيات الخيرية ويفضل دائما توزيع الاقمشة لتكون بمثابة كسوة هدية للعيد حتى لا يؤذى شعور الفقير والمحتاج .

سيلان :

ان نسبة المسلمين فى سيلان حوالى ٧٪ تقريبا .. ومع ذلك تستقبل رمضان مثل باقى البلاد الاسلامية أو بمعنى آخر حسب تعاليم القرآن الكريم . ففى سيلان توجد الجامعة الاسلامية ولها فروع فى كل الأقاليم وتوجد كلية الزهراء وعدة كليات أخرى كلها تعمل على تدريس الدين الاسلامى ونشر الثقافة الاسلامية واحياء التراث الدينى العظيم وفى كولمبو العاصمة توجد كلية كافورى لتخريج علماء الدين .

وكل مسلم فى سيلان يتعلم اللغة العربية ليتمكن من فهم القرآن الكريم أما الصلاة فتقام باللغة العربية وفى رمضان يحرص كل مسلم على الصوم والامتناع عن جميع الملذات .. ولا يعوقهم الصوم عن اداء أعمالهم ومشاغلهم اليومية .

والوجبة الأساسية هناك هى السحور وتهتم الأسرة المسلمة فى سيلان باعداد الطعام حتى يكون ذا قيمة غذائية كبيرة وتهتم بالحلوى والمكسرات . والارز والسمك ومسلمو سيلان لا يستعملون الشطة كثيرا فى طعامهم كما تفعل باقى الطوائف الدينية الاخرى لكنهم يهتمون كثيرا بالحلوى ولا تخلو موائدهم منها .

وفى العيد يحرص كل فرد على زيارة أقاربه حتى ولو لم يقم بزيارتهم منذ عام اذ يكفى أن يتزاور أفراد العائلة مرة واحدة فى العام هى يوم العيد .

ويعتبر هذا اليوم أجازة فى سيلان ولجميع الطوائف الدينية . وهذا تعبير جميل للمشاركة مع مسلمى سيلان فى الاحتفال بالعيد .

رابعة العدوية

اعداد : عائشة حسني

بمناسبة شهر الصوم العظيم شهر رمضان المبارك ، حيث الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع ، ظاهره الرحمة وباطنه المغفرة يستثير الشفقة ويحث على الصدقة يكسر الكبر حتى اذا جاء من الف الشبع عرف الحرمان كيف يقع وألم الجوع اذا لذع

بمناسبة هذا الشهر أقدم فى هذا العدد سيدة كانت نموذج الكمال فى عصرها . أفنت حياتها فى العبادة والتقوى واصلاح النفس وكبح جماح الشهوات ، آثرت كل تضحية وعاشت فقيرة لتصل الى هذه الدرجة العالية ـ فكانت بحق نموذجا للمرأة المسلمة ، يتردد اسمها على مر العصور ـ مثلا أعلى للتصوف والزهد .

هى :

أم الخير رابعة العدوية بنت اسماعيل ومن موالى آل عتيك . ولدت بالبصرة مات أبوها وهى فى مقتبل عمرها. ونشأت فى وقت استحكم فيه الغلاء فلم تستطع أن تواجه الحياة وتتحمل تكاليفها الباهظة فكان نصيبها أن وقعت فى أسر رجل ظالم مستبد أبقاها عنده مدة أذاقها خلالها ألوانا من العذاب وصنوفا من الهوان ، ثم باعها الى رجل آخر كانت حياتها عنده أسوأ حالا مما كانت عليه من قبل .

لقد كان لهذا العذاب وذلك الهوان أثر واضح فى حياتها اذ بينما كانت ذات يوم تسير فى الطريق رماها احد المارة بنظرة منكرة فارادت أن تعرض عنه ووجهها فزلت قدماها وسقطت على الأرض وانكسر ذراعها وظلت مغشيا عليها مدة وبعد أن أفاقت رفعت نظرها الى السماء تناجى ربها : « رباه ، قد انكسر ذراعى وأنا أعانى الألم واليتم ، وسوف اتحمل كل ذلك واصبر عليه ، ولكن عذابا اشد من هذا العذاب يؤلم روحى ويفكك اوصال الصبر فى نفسى ، منشؤه ريب يدور بخلدى وهل أنت راض عنى ياالهى هذا ما أتوق الى معرفته » وما كادت تنتهى من نجواها حتى سمعت هاتفا يقول : لك يا رابعة عند الله مرتبة تغبطك الملائكة من أجلها فنسيت بعد ذلك الآلام ورجعت الى دار سيدها آمنة مطمئنة .

صبرت رابعة على حالها وقابلت الاساءة باللين والقسوة بصدر رحب وكان شغلها الشاغل هو رضاء ربها عنها . رآها سيدها ذات ليلة ، تتعبد فى خشوع وايمان ، وتطلب من ربها أن يعيد اليها حريتها حتى تستطيع عبادته على الوجه الأكمل . فحقق الله لها ما أرادت بأن منحها سيدها حريتها وترك لها الخيار فى أن ترحل عن بيته او تظل فيه ، ولكنها آثرت أن تترك الدار لتعيش من كسب يدها . ومنذ ذلك اليوم أصبحت حياتها درسا ممتعا وعظة بالغة اذ وهبت حياتها لأعمال البر والخير ، واضعة نصب عينها الحديث الشريف « اعمل لدنيا كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

ومن دلائل زهدها فى الحياة ماروى عنها انشكا اليها رجل صوفى حال الدنيا فنهرته قائلة : لو أنك قطعت كل صلة بدنياك ، لما ذكرت شيئا عنها » .

كما انها كانت ترد كل مايعطيها الناس حتى لو كانت فى أشد الحاجة اليه وتقول « مالى بالدنيا حاجة »

وروى أن أحضر اليها أحد التجار كيسا به بعض المال لما علم بمرضها لتنفق منه ، فرفضت ذلك وهى فى أشد الحاجة اليه وحين تكلم معها الحسن البصرى « أحد علماء عصرها الأتقياء ، ردت عليه قائلة كيف أحصل على هذا المال ، وأنا لا أعلم هل اكتسبه صاحبه من حرام أو حلال » .

هكذا كانت حياة ام الخير زهدا وتصوفا وايمانا بالله وحده وروى أن زارها أحد تجار البصرة فوجد دارها خربة فعرض عليها أن تنتقل الى احدى دوره مؤقتا - وانتقلت الى الدار الجديدة - ولكن حين وقع نظرها على ما حوته تلك الدار من أثاث ورياش وطعام ، عادت الى بيتها حتى لا تفتنها هذه المناظر عن التفكير فى الدار الآخرة .

كانت رابعة كثيرة البكاء فحدث أن قرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت .

وهذا يدل على ايمانها وخشوعها لله .

كانت رابعة تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يظهر الفجر فتنهض فزعة وتقول : « يا نفس كم تنامين ! والى كم تنامين ! يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور » وكانت كثيرا ما تمضى يومها دون أن تجد ما تأكله ، فتقول « لا بأس أفطر على الماء » .

وبذلك كانت بحق شخصية ممتازة لم تصل امرأة ممن عاصرتها الى مثل ما وصلت اليه فقد جمعت مزايا كثيرة أكسبتها لقبا جديرا بالاحترام خلد لها اسما عاطرا فى صفحات التاريخ اذ كانت تدعى تاج الرجال .

سئلت يوما هل تحبين الله كثيرا فقالت : بلا ريب فقيل لها : الا تعدين الشيطان عدوا لك فأجابت ان محبة الله قد ملأت أرجاء قلبى فليس فيه متسع الى القلق والاضطراب من عداوة الشيطان .

قال لها أحد العلماء ذات يوم أثناء زيارته لها ان المولى فاطر السماوات يا رابعة يكافىء الذين يصطفيهم من عباده بموهبة من المواهب ليزداد قدرهم ولكن من الغريب أننا لم نجد مثل هذه القدرة والكفاءة فى امرأة . فكيف وصلت الى هذه المرتبة ؟ وكيف أصبت مثل هذه السعادة .

فأجابت : أنت محق فى ذلك لأن النساء لم يفتتنوا يوما من الأيام بكفاءتهم فلم تتظاهر بدعوى القدسية .

وسئلت لماذا تعيش منزوية ولا تتزوج فأجابت ، انما يشغل خاطرى ثلاثة أمور : أولاها هل أموت وأنا على ايمان كامل . والثانى هل أنا صحيفتى بيدى اليمنى يوم الحساب والأمر الثالث لا أدرى مع أى فريق أكون يوم الحشر أمع الذاهبين الى الجنة أم مع الهالكين فى جهنم. فاذا كنت مشغولة اللب بأمثال هذه الأمور فكيف أبحث عن الزواج .

سألها سفيان الثورى وكان من كبار المتصوفين فى عصره : كيف هو ايمانك يا رابعة وكم هو مبلغ اعتقادك بالله تعالى فأجابته تاج الرجال « لا أعبد ربى خوفا من ناره أو شوقا لجنته وانما أعبده لمحض المحبة والاخلاص» ثم أخذت تناجى ربها بهذه الكلمات :

الهى أحبك لوجهين : لحبى وهيامى لك ولأنك أهل للمحبة والعبادة فباشتياقى ومحبتى أذكر اسمك واشغل بذاتك العليا وبأهليتك للمحبة أنال من لديك مرتبة المشاهدة فلايقف حمدك وتنأل لأمر منها وانما لك الشكر ومنك الفضل فى العالين .

وبذلك لو اتخذنا من حياتها نموذجا نسير على منواله لزدنا فى تدرجنا الروحى ورقينا الكمالى .

كما قضت ام الخير حياتها زاهدة تقية ، فانها أيضا انكبت على الدراسة والعلم وتأدبت بآداب الاسلام ، وسعى اليها علماء عصرها لمباحثتها فى مختلف العلوم فتكشف لهؤلاء العلماء حقيقة هذه المرأة العظيمة .

وقال ابن الجوزى فى صدد هذا : كانت رابعة فطنة ومن كلامها الدال على قوة فهمها قولها استغفر الله من قلة صدقى فى قولى استغفر الله .

وقال ماسينيون عن رابعة العدوية ورابعة القيسية : هاتان الزاهدتان وكلتاهما من أهل المذهب البصرى كان تحمسهما لحياة الزهد مؤديا الى معالجة أحوال صوفية مختلفة والى البحث فى فروض دقيقة فى العمليات والعقائد . ورابعة تعتبر عند الباحثين فى أمور الولاية والأولياء أعظم ولية .

وقال مصطفى عبد الرازق : وعندى من التعسف ان ينسب الى رابعة العدوية وصاحبتها التصدى لمعالجة دقائق المسائل الفقهية والكلامية والصوفية . وقال : السيدة رابعة هى السابقة الى وضع قواعد الحب والحزن فى هيكل التصوف الاسلامى وهى التى تركت فى الآثار الباقية نفثات صادقة فى التعبير عن محبتها وعن حزنها وان الذى فاض به بعد ذلك الأدب الصوفى من شعر ونثر لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية .

ومن كلامها : محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه . ومن وصاياها : اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم

وقالت : انى لأرى الدنيا بترابيعها فى قلوبكم انكم نظرتم الى قرب الأشياء فى قلوبكم فتكلمتم فيه .

مرضت أم الخير مرضا شديدا وقيل توفيت سنة ١٥٥هـ وهى فى الثمانين من عمرها وحين حضرتها الوفاة دعت خادمتها عبده وقالت لها : يا عبده لا تؤذنى بموتى وكفنينى فى جبتى هذه وهى جبة من شعر كانت تقوم فيها اذا هدأت العيون . فكفنتها عبده فى تلك الجبة وفى خمار صوف كانت تلبسه . ولا يزال قبرها الى اليوم فى شرقى القدس يزوره الناس تبركا .

وفى هذه الكلمات الموجزة اتضحت لنا رابعة التى اعتزلت الناس وتفرغت فى عبادة ربها وأمضت حياتها فى الصلاة والصوم ، والزهد والتقشف ، لم تتمتع يوما بزخرف الحياة ومباهج الدنيا وجمعت فى شخصيتها الفذة الممتازة مزايا كثيرة وعرفت باسم تاج الرجال رفعا لشأنها وتعظيما واشادة بمواهبها .

يد الثورة الرحيمة في مجال النور والأمل

إعداد : عفاف خليل

على المصلحون قديما وحديثا باصلاح المجتمع وقد كشفت امامهم مسالك هذا الاصلاح .

ومن الجوانب الهامة العناية بالكفيف وربما كان فى اصلاح هؤلاء والعناية بهم وتثقيفهم وخلق الفرص لهم تعويضا لهم عما فقدوه من نور البصر .

والاسلام عنى بهذه الناحية فقد أمر رسول الله بالعناية بهم فلربما كان الاعمى أوعى من المبصر . قال تعالى « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى »

وقد نبغ كثير من هؤلاء ووصلوا الى أعلى مراتب الثقافة وتقلدوا أكبر مناصب الدولة .

ومن هنا كان لزاما على الدولة أن تعنى بهم وتأخذ بايديهم فالعناية بهم واجب اجتماعى عام فهم أعضاء فى جسم الأمة واهمالهم يضعف الأمة ويضيع ماكنا نرتجيه منهم فى خدمة الوطن ونفعه ورفعة شأنه .

ولقد فطنت حكومة الثورة الى ذلك فأنشأت لهم معاهد النور لتعوضهم عما حرموا منه ولتشعرهم أنهم جزء من الوطن وتفتح امامهم المجالات المختلفة .

ولعلك ايها القارىء العزيز بحاجة الىمعرفة مدى رعاية الاسلام بالمكفوفين وبتلك المجالات التى فتحتها امامهم الثورة . لذا رأت مجلة منبر الاسلام ان نلتقى بمديرالمركز النموذجى للمكفوفين الدكتور محمد نور لتوجه له بعض الاسئلة وكان السؤال الاول الذى وجهته المجلة لسيادته يدور حول :

رعاية الاسلام وعنايته بالمكفوف وحقوق المكفوف فى الاسلام .

وقد أجاب سيادته على هذا بقوله :

الاسلام كعقيدة ومبدأ وفلسفة فى الحياة تناول بصورة واقعية أخذ فى اعتبارها التطور الانسانى عبر الزمن معظم جوانب الحياة وتناول المشكلات الاجتماعية كمشكلات الرفق ومعاونة المحتاجين . هذا الاطار يمكن ان نلاحظ عليه انه اطار تحصيلى ونعنى بالتحصيلى أنه يقدر المرء بقدر ما كسبت يداه وما أنتج أو ما يمكن أن يفيد به المجتمع لا بقدر صفاته البدنية والجسمية « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى »

على هذا الاساس نجد ان القرآن الكريم يعاتب رسول الله عتابا واضحا حينما أعرض المصطفى عن عبد الله بن أم مكتوم الكفيف الذى جاء يسعى اليه فى الوقت الذى كان موجودا بعض ثراة العرب وأعيانها فنزلت الآية التى تعتبر دستورا وفلسفة للتاهيل الاجتماعى للمعوقين الذى لم يعرفه العالم الحديث الا بعد ذلك بحوالى أربعة عشر قرنا « عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » . وبعد ذلك كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يسند الى عبدالله بن أم مكتوم ولاية المدينة اثناء خروجه وكان اذا لقيه رسول الله يقول له « أهلا بمن عاتبنى فيه ربى »

وقد أثرت فى هذا الفلسفة التى تأكدت فى كثير من المواضع سواء فى كتاب الله او فى السنة النبوية للدرجة

التى جعلت المكفوفين والمعوقين يعيشون جنبا الى جنب وينتحون فى المجتمع الاسلامى الصاعد ويكفى أن نذكر أمثلة مثل أبى العلاء وبشار وغيره ممن كان له فضل كبير على الفكر والادب كما قال الشاعر ..

وكأن منجم الاقدار أعمى
لديه الصحف يقرأها بلمسه

وقد حدثت النكسة عندما أصبحت أرض المسلمين والعرب مرتعا للغزاة والمستعمرين مع اختلاف عناصرهم وسلالاتهم .

ثم انتقل سيادته الى الاجابة على سؤال المجلة الثانى وهو عن :

المجالات التى فتحت أمام المكفوفين فى عهد الثورة والدور الذى يقومون به فى ميادين العمل المختلفة .

ويجيب سيادته : حينما بدأت الثورة وجدت الظروف التى ترسبت من حقب الاستعمار الطويلة والتى أهدرت الكرامة الانسانية واهتمت بمصالحها على حساب الشعوب فكان بديها أن يقترن التحرر من أسر الحرية السياسية بالتحرر من أسر الظلام أيضـــا . ولم يكن فى الامكان حدوث هذا التحرر قبل ذلك لانه قوة فلسفية ثورية قضت على الظلم بمختلف أشكاله وألوانه ونادت بأن يكون الشخص سيد نفسه فى مجتمع يسود نفسه أيضا. وعبارة الرئيس جمال عبد الناصر فى مستهل الثورة

ارفع راسك يا أخى
ثم عبارته المشهورة

الثورة قوية قدر ما هى انسانية والقوة الانسانية لا تتعارضان اذا ما فهمت الثورة بمعناها الانسانى الكريم .

أدى هذا الشعار المعروف أن الثورة لا تعرف معنى العجز فكل امرىء ميسر لما خلق له وكل امرىء يستطيع أن يؤدى ضريبة الوطن عليه . فعلى هذا الاساس قام المركز النموذجى فى مستهل الثورة منبرا للنور فى البلاد العربية وقامت سياسته على اساس توفير الكرامة لجميع المكفوفين العرب عن طريق البرامج الواعية أو الاعداد أو التدريب للقادة والاخصائيين أو توفير الامكانيات والوسائل التى من بينها الكتب البارزة والكتب الناطقة عن طريق الاسطوانات وفى مقدمتها القرآن الكريم الذى أتم المركز طباعته بالخط البارز .

أما بخصوص الآفاق التى تم فتحها فى عهد الثورة فيمكن ان نذكر من بينها :

١ - تحطيم الحواجز فى ميدان التعليم والعودة الى السياسة الاسلامية القديمة التى تحول دون عزل هؤلاء عن بقية أفراد المجتمع فرأينا المكفوفين يتقدمون لامتحانات القبول ثم الاعدادية ثم الثانوية العامة وبهذه المناسبة اذكر أنه فى عام ١٩٥٦ زار المركز بعض السادة وزراء الثورة وعلى رأسهم السيد زكريا محيى الدين وناقش التلاميذ المكفوفين وقتذاك وعلى الفور صدر القرار الخاص بتقدم المكفوفين للامتحانات العامة ثم توالت الفتحات التربوية حتى وصل الطلاب المكفوفين الآن الى المرحلة الجامعية والمعاهد العليا .

٢ - اعداد وتوجيه وتكيف المكفوفين لمواجهة الحياة وكسب عيشهم معتمدين على أنفسهم وفى قصر النور وفروع المركز الاخرى بين المكفوفين ويقوم قسم البحوث الاجتماعية والالحاق والتتبع بالمركز بالحاقهم بالمهن والاعمال المناسبة لهم وقد تم خلال العام الماضى الحاق قرابة الف كفيف وكفيفة فى مهن وأعمال متنوعة . ويمكن أن نتصور اهمية مثل هذا العمل من الوجهة الاقتصادية فضلا عن النتائج الاجتماعية الاخرى . اذا ذكرنا ان الكفيف يحصل على أجر فى المتوسط يبلغ حوالى ٩جنيهات فيكون الزيادة فى الدخل القومى قرابة ¼ مليون جنيه . ذلك انه اذا لم يحصل على هذا الدخل من مجهوده وعرقه كان سيعانى بما سيواليه .

وفيما يلى بيان باهم المهن والاعمال التى فتحت أمام المكفوفين فى عهد الثورة والتى يبلغ عددها واحدا وستين مهنة نذكر منها ما يلى :

أ) تجميع كل من الثلاجات والبوتاجاز والدراجات والكوالين والاقفال والغسالات الكهربائية والمكانس الكهربائية والمفصلات والقطارات وعدادات المياه والكهرباء .

ب) أعمال النجارة والبرادة والسباكة والسنفرة والسمكرة .

جـ) أعمال الحياكة للاقمشة السميكة والكى والتريكو والسجاد والكليم .

د) أعمال السكرتارية - التوجيه - الآلة الكاتبة - التليفون - تدريس برايل - التعليم الموسيقى - الطباعة البارزة . وغيرها من المهن .

هـ) توفير الاخصائيين والفنيين اللازمين للتدريس او للرعاية أو لادارة المؤسسات عن طريق الدورات التدريبية التى يهيئها المركز والمنح الدراسية التى يخصصها وقد بلغ عدد الذين تم اعدادهم على هذا النحو حوالى ٤٠٠ شخص .

و) توفير خدمات اجتماعية متعددة منها امتيازات الانتقال بنصف الاجر للكفيف والاعفاء من الرسوم الثانوية وتوفير الادوات والمهمات اللازمة للنهوض بالمكفوفين وغير اللازمة من أساليب الرعاية سواء فى البيئة او المجتمع أو المعاهد المختلفة .

أما السؤال الثالث فكان عن كبار المكفوفين والوظائف التى يتولونها وأثرهم فى الحياة الجماعية .

وقد أجاب سيادته بقوله :

استطاع عدد كبير من المكفوفين أن يشقوا طريقهم فى الحياة ويتولوا مناصب هامة فى البلاد وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين . الدكتور عبد الحميد يونس . الدكتور محمد مصطفى حلمى . الدكتور محمد غلاب والدكتور صلاح مخيمر وأعتقد أنهم ليسوا فى حاجة الى ذكر أثرهم فى الحياة الجماعية فاعمالهم كفيلة بان تعرفنا هذا الأثر .

واختتم الدكتور محمد نور الاجابة على اسئلة المجلة باجابته على السؤال الرابع والأخير عن الاتحاد العالمى للمكفوفين وهل يوجد ممثلون دائمون وأعضاء مراسلون وبعثات المكفوفين للخارج بقوله : ان الاتحاد العالمى للمكفوفين هيئة خاصة مقرها حاليا فى نيويورك وهذا الاتحاد بمثابة مؤتمر عام يتناول المشكلات الخاصة بالمكفوفين ويتخذ توصيات تكون بمثابة ارشادات ويعقد اجتماعاته كل أربع سنوات والجمهورية العربية المتحدة ممثلة فى هذا الاتحاد وأنا عضو فى مجلس ادارة الاتحاد ومن المؤسسين له .

وهناك بعض بعثات تدرس فى فرنسا وأمريكا وانجلترا وهم من ١٢١٩ شخصا تقريبا ولدينا امل كبير فىزيادتها بفضل ثورتنا المباركة باذن الله .

وبعد أيها القارىء العزيز لعلنا قد استطعنا ان نوفق فى نقل بعض النقاط التى كانت غامضة عليك بالنسبة لفئة من الفئات التى تعيش معنا والتى تعمل معنا جنبا الى جنب ولعلك استطعت أن تقف عما قدمته يد الثورة الرحيمة لأخيك المكفوف .

والى اللقاء ..

انت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الامام الأكبر : الشيخ حسن مأمون

س ١ – من السيدة ف٠م٠ع – من ميت غمر :

تقول انى فى رمضان سنة ١٩٦٤ وضعت مولودا وافطرت فى رمضان اثنين وعشرين يوما ولم تقض الايام التى افطرتها وتريد أن تعرف الحكم فى ذلك ؟

الجواب

ان المرضع اذا خافت من الصوم على نفسها أو ولدها جاز لها أن تفطر وعليها القضاء متى قدرت على الصوم وتيقنت أنه لا خوف منه على نفسها أو رضيعها – فعلى السائلة قضاء الايام التى افطرتها متى قدرت على ذلك .

* * *

س ٢ : من م٠ع٠س – من مركز ابنوب : يريد الزواج من بنت خاله ولكن تبين له انه رضع من جدته أم والدته رضعات مشبعات مدة تزيد على أكثر من شهر . ويسأل عن حكم ذلك ؟ وعن الحكم فيما اذا كان قد دخل بها ؟.

الجواب

يقول الله تعالى : **((حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)) .**

ويقول صلى الله عليه وسلم : **((يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب))** وحرمة الرضاع تثبت بالاجماع اذا ثبت الارضاع خمس مرات فاكثر . وصاحب السؤال يقول انه رضع من جدته لامه ما يزيد على اكثر من شهر فهو اخ لخاله من الرضاع والبنت التى يريد زواجها بنت أخيه رضاعا فتحرم عليه كما تحرم بنت الاخ نسبا واذا كان قد دخل بها فيجب التفريق بينهما فورا .. والله أعلم .

* * *

س ٣ : من حميد حامد حماده – من قوص محافظة قنا :

يقول ان رجلا حلف ايمانا كثيرة فى شبابه . وهو الآن يريد أن يكفر عنها قبل حلول الأجل الا أنه لا يدرى عدتها لطول المدة فماذا يفعل ؟ وهل يجوز اخراج الكفارة نقدا بدلا من الاطعام وما مقدار القيمة ؟.

الجواب

كفارة اليمين كما بينتها الآية الكريمة هى اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم الحانث اهله غداء وعشاء أو غداءين أوعشاءين مشبعين او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يستطع شيئا من ذلك فعليه أن يصوم ثلاثة أيام قال تعالى :

((لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

وقال الفقهاء ان الكفارة تتعدد بتعدد الايمان والحنث فيها فلكل يمين كفارته . فاذا حلف ايمانا متعددة وحنث فيها ولم يكفر عن شيء منها فعليه كفارة عن كل يمين — وقال بعض فقهاء الحنفية أن الكفارات تتداخل وتجزىء كفارة واحدة عما سبق من الايمان التى حنث فيها ولم يكفر عنها فاذا كان صاحب السؤال لا يدرى حقا عدد الايمان التى حنث فيها ولو بالتقريب فله ان يأخذ بالرأى القائل بتداخل الكفارات وحينئذ تجزئه كفارة واحدة وان كنا نرجح الرأى القائل بتعدد الكفارات ونفتى به .

أما قيمة الكفارة نقدا فذلك يختلف باختلاف الناس لانها اصلا اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم الحالف أهله او كسوتهم . وذلك يختلف باختلاف حالة كل حالف من غنى وفقر وسعة فى الرزق او ضيق فيه فلينظر صاحب السؤال أوسط ما يطعم به أهله ويقدر قيمةاطعام عشرة مساكين وجبتين لكل منهم غداء وعشاء أو غدائين وعشاءين ثم يوزع القيمة نقدا على عشرة مساكين بالتساوى . والله أعلم .

***

س ٤ : من السائل نفسه :

يقول : رجل أفطر يوما عمدا فى شهر رمضان ويريد ان يطعم ستين مسكينا ، ويسأل عن مقدار القيمة النقدية التى يوزعها عليهم جميعا . وهل يجوز للسائل أن يقلد غير مذهبه من المذاهب الاخرى ؟.

الجواب

من أفطر يوما عمدا فى رمضان لزمه قضاء ذلك اليوم ، وعليه الكفارة وهى كما قال الفقهاء تحرير رقبة . فان عجز عن ذلك كما هو الحال فى هذه الايام فعليه ان يصوم شهرين متتابعين ليس فيهما يوم عيد ولا أيام التشريق . فان لم يستطع الصوم أطعم ستين مسكينا يغديهم ويعشيهم غداء وعشاءمشبعين أو غداءين أو عشاءين أو عشاء وسحورا او يعطى كل فقير نصف صاع من بر أو دقيق أو سويقه أو صاع تمر أو شعير أو قيمته — والصاع قدحان وثلث بالكيل المصرى « عند الحنفية » .

فاذا لم يستطع السائل ان يصوم ستين يوما فله أن يطعم ستين مسكينا على الوجه المذكور أو يعطى كل واحد منهم نصف صاع من بر أى قمح أو صاعا من تمر أو شعير ،وله ان يقدر القيمة النقدية للنوع الذى سيخرجه قمحا او تمرا او شعيرا ويوزع هذه القيمة على ستين مسكينا بالتساوى بحيث يأخذ كل واحد قيمة نصف صاع من القمح أو قيمة صاع من التمر او الشعير على حسب النوع الذى سيخرجه ، وللسائل أن يقلد ما يشاء من المذاهب المخالفة لمذهبه — والله أعلم .

***

س ٥ : من علـى محسن — من الدقى بالقاهرة :

يسأل عن : ما هى الصلاة الوسطى الواردة فى قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » . هل هى صلاة الفجر أم صلاة العصر أم غيرهما ؟.

الجواب

ذكر الالوسى فى تفسيره ان تعيين الصلاة الوسطى مختلف فيه على اقوال كثيرة — — أحدها — انها الظهر لانها تفعل فى وسط النهار — الثانى — انها العصر لانها بين صلاتى النهار (أى الصبح والظهر) وصلاتى الليل (أى المغرب والعشاء) وهو المروى عن على والحسن وابن‌عباس وابن مسعود وخلق كثير — والثالث — انها المغرب وسط فى الطول والقصر — والرابع — انها صلاة العشاء لانها بين صلاتين لا يقصران (أى المغرب والصبح) — والخامس — انها الفجر لانها بين صلاتى الليل والنهار ولانها صلاة لا تجمع مع غيرها فهى منفردة بين مجتمعتين وهو المروى عن معاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد .

وقيل : المراد بهـا صلاة الوتر ، وقيل الضحى ، وقيل عيد الفطر ، وقيل عيد الاضحى ، وقيل صلاة الليل ، وقيل غير ذلك .

والاكثرون صححوا انها صلاة العصر - لما أخرج مسلم من حديث على كرم الله تعالى وجهه . انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب « شغلونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم نارا » قال الالوسى وخصت بالذكر لانها تقع فى وقت اشتغال الناس لاسيما العرب - وفى هذا القدر كفاية فان بسط ما قاله المفسرون فى تعيين الصلاة الوسطى لا يتسع المقام لذكره - والله أعلم .

* * *

س ٦ : من حمودة سلامة - من دمنهور عزب قابيل :

يسأل عن حكم صيام من قام من نومه ليتناول السحور وقبل أن يتناوله فتح النافذة ليرى ضوء الفجر فلم يجد سوى ظلام الليل فتناول الطعام وبعد حوالى نصف ساعة ظهر ضوء النهار من النافذة ؟ .

الجواب

ان مثل هذا الصائم أن تبين له يقينا انه تناول السحور بعد طلوع الفجر فقد فسد صومه ويمسك يومه كله وعليه قضاء هذا اليوم ولا كفارة عليه ، أما اذا لم يتيقن من انه تناول سحوره بعدطلوع الفجر فصومه صحيح والله أعلم .

* * *

س ٧ : من السائل نفسه :

يقول : ما الرأى لو أن صائما نزل من انفه دم ولم يمس الدم شيئا الا أنفه وهو فى طريق نزوله ، فهل صيامه صحيح ؟ .

الجواب

نعم صيامه صحيح ما لم يسبق شىء من هذا الدم الى جوفه فان سبق شىء منه الى الجوف فسد الصوم وعليه القضاء فقط - والله أعلم .

* * *

س ٨ : من طاهر مصطفى سليمان

٥ - شارع سوق السمك القديم بالحمزاوى القاهرة :

يقول : توفيت سيدة عن زوج وأخت شقيقة واخوة وأخوات لاب - فما نصيب كل من هؤلاء فى تركة المتوفاة ؟

الجواب

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال فان للزوج نصف التركة فرضا - وللاخت الشقيقة النصف فرضا - ولا شىء للاخوة والاخوات لاب ، لانهم عصبة بالنفس وقد استغرق أصحاب الفروض التركة فلم يبق للعصبة شىء - والله أعلم .

* * *

س ٩ : من ابراهيم محمد جاد الله - بقال بدسوق :

يسأل عن مسألة ميراث بيانها ان رجلا اسمه مصطفى توفى وليس له من الورثة الا أخ ذكر وثلاث اخوات اناث من ابيه ، وله اخوان واختان من الام فقط وليس له ورثة خلاف ذلك ؟ .

الجواب

ان تركة المتوفى تقسم على الوجه الآتى :

للاخوين والاختين من الام الثلث فرضا يقسم بالتساوى بينهم لا فرق بين الذكر والانثى والباقى للاخ والاخوات من الاب تعصيبا للذكر ضعف نصيب الانثى - والله أعلم .

س ١٠ - من معتذر عن ذكر اسمه - من المحلة الكبرى :

* * *

يقول ان شخصا توفى ولم يترك الا اباه وأمه واخوة ذكورا واناثا من الأب .. واخوة ذكورا واناثا من الأم ويسأل عن نصيب كل وارث ؟ .

الجواب

ان التركة تقسم على الوجه الآتى :

للام السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة والاخوات .. والباقى للاب تعصيبا ولا شىء لجميع الاخوة سواء من كان منهم من الاب أو من الام لحجبهم جميعا بالاب . والله أعلم .

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان الدعوة الاسلامية ثورة اجتماعية أحدثت تغييرا جذريا فى العبادات والمعاملات والعلاقات والحقوق والواجبات على جميع المستويات الانسانية ، فالاسلام هو الرسالة الخالدة ، والمسلمون هم المثل الناجح والقدوة الحسنة فى الايمان بالله والعمل الصالح، وفريضة الصيام منحة الهية موسمية يجدد المسلمون فى ربوعها المونقة وأكنافها المورقة بيعة المبادىء الاسلامية ليرووا ظماهم، ويمحوا ما علق بأنفسهم من شوائب ، وما كدر صفوهم من جشع ، وما فل عزائمهم من وهن وترف ، وما قطع ارحامهم من أثرة وأنانية ، وماصدع وحدتهم من احتكار وانتهازية .

فشهر رمضان هو الذكرى العطرة والتجربة الحية لممارسة شحذ هممنا لاقامة مجتمع التكافل الاجتماعى ، معتصمين بحبل الله ، مهتدين بسنة رسوله ، مسترشدين بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر الذى أضاف الى سجلات الانتصارات الاسلامية عيد نصر جديد عام ١٩٥٦ ، والمجلة اذ تهنىء الامة الاسلامية بحلول شهر رمضان المبارك ، وعيد نصرها الميمون ، تتمنى لها دوام النصر والعزة فى ظل وحدة جامعة ..

السيد / عبد السلام عطا ناظر مدرسة النصر بالزقازيق - يشارك المسلمين فرحتهم بحلول شهر رمضان بقصيدة منها :

بلبل الروض ذا ربيعك هات
ما حرمناه أنت روح الحياة
مهرجان المحراب وعيد القرآن
مجال الاحسان نهزة القربات
تطهر النفس بالصيام وتسمو
عن مهاوى الذنوب والشبهات
ليلة القدر من لياليه نور
يتجلى الاله فيه بالحسنات

رياضة الصوم .. فكرة اخلاقية

السيد/كمال على - مدرس أول بالتعليم الثانوى بالمنصورة :

يحدثنا عن رياضة الصوم قائلا « ارادة الصوم هي التعبير المثالى عن فلسفة الاسلام الخلقية ، فقد نهضت مبادىء الاخلاق الاسلامية على قاعدة الصبر ، ومنها تشتق سائر الفضائل الاخرى .. سر البقاء ، وأبرز سمات الامة العربية » .

خواطر انسانية .. وكلمات رمضانية

السيد/عبد الرحيم السايح - كلية أصول الدين :

يقول فى رسالة (خواطر كلمات) : رمضان ربيع الحياة وجذوتها المشعة ، يطهر النفوس ويصقلها ويزيدها جمالا وروعة .

ويقول : «رمضان أكبر رباط روحى يجمع شمل العرب » .

عيد النصر .. عيد للحرية

السيد / محمد ابراهيم شلتوت عضو رابطة الشعر بالمنصورة :

من قصيدته عيد النصر يقول :

أشرق على الاكوان ميمون الغد
وانشر أريجك فى الوجود واسعد
ما كنت يا فتحا جديدا للعلا
الا كبدر للنبى محمد
يا أيها العيد الجديد تحية
من معقل الاحرار اقدس معبد
عش يا جمال فانت أعظم قبلة
للضارعين وأنت خير مؤيد

بريد التعارف

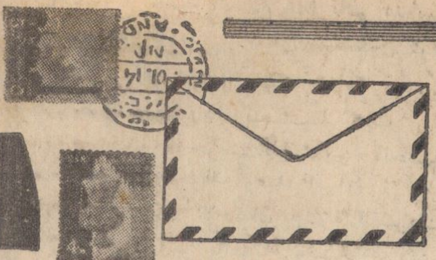

الاسم : حمدون المختار
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ٣٤ سنة
المهنة : موظف بمصلحة التليفونات
الهواية : قراءة المجلات الدينية ـ منبر الاسلام ـ جمع الصور الطبيعية ـ المراسلة
العنوان : الجمهورية العراقية الموصل ـ هندسة التليفونات

الاسم : لغبابى محمد بن الحاج عبدالله
البلد : المغرب
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع والصور والمناظر الطبيعية ومراسلة العرب
العنوان : طريق كوليمة ١٣٧ المدينة القديمة ـ الدار البيضاء ـ المغرب

الاسم : الشريف بوخرص
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مراسلة العرب ، وتبادل الصور والمناظر الطبيعية
العنوان : مدرسة ترشيح المعلمين ـ بوزريعة ـ الجزائر

الاسم : مرجانة رشيد
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة ـ قراءة الكتب جمع الطوابع
العنوان : مدرسة ترشيح المعلمين ـ بوزريعة بالجزائر

الاسم : حمزة يدوغى
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع البريدية ، وقراءة الكتب الادبية ، المراسلة
العنوان : مدرسة ترشيح المعلمين ـ بوزريعة ـ الجزائر

الاسم : عبدالجليل شقرة
البلد : تونس
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة القصص البوليسية ، كرة القدم ، جمع الطوابع البريدية والمناظر الطبيعية
العنوان : بواسطة محمد شقرة ام العرائس ـ تونس

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ... ٣

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ... ٦

فى ذكرى النصر ... السيد الاستاذ حسين الشافعى ... ٨

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم الحادى عشر ...

كلمة الشاعر الكبير الاستاذ عزيز اباظة فى الاحتفال بعيد العلم الحادى عشر ...

بين القرآن وشهر رمضان ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ١٠

الدعوة الى الله ... فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى ... ١٥

الصوفية فى الهامهم ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ... ١٩

لقمان ولقمان ... الدكتور احمد الحوفى ... ٢٣

من حضارة الاسلام ... الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل ... ٢٧

عود على بدء ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٣٢

البترول ... الاستاذ محمود كمال ... ٣٤

خواطر مستشار ... المستشار على على منصور ... ٣٩

رمضان والقرآن ... الاستاذ عبد الرحيم فوده ... ٤٢

الدعوة روح الفكرة ... الاستاذ عبد السميع البطل ... ٤٤

للصيام وظيفة اجتماعية ... الدكتور محمد طلعت عيسى ... ٤٦

من آداب الصيام ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ... ٤٩

من وحى رمضان ... فضيلة الشيخ ابوالوفا المراغى ... ٥١

مغزى الصيام ... الدكتور مصطفى عبدالعزيز ... ٥٤

آيات الصيام بين الأحكام والنسخ ... الدكتور مصطفى زيد ... ٥٨

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ... الدكتور عبد الحليم كامل ... ٦٢

المنهج التربوى فى تشريع الصيام ... فضيلة الشيخ عطية صقر ... ٦٦

رحلاتى فى الاسلام ... فضيلة الشيخ محمود الحصرى ... ٧٠

حلواء رمضان ... الاستاذ على الجندى ... ٧٣

شهر رمضان أفضل الشهور ... الاستاذ محمد محمد السباعى ... ٧٦

شهر رمضان وتربية الشخصية ... الدكتور سعد الدين الجيزاوى ... ٨٠

العلماء المسلمون والفكر الاقتصادى ... الاستاذ احمد بديع ... ٨٢

الاسلام بين العقل والنقل ... الاستاذ محمود أبوالفيض المنوفى ... ٨٦

كيف كان أجدادنا يحيون شهر رمضان ... الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ... ٨٨

الشورى وغزوة بدر ... فضيلة الشيخ محمد محمد ابوشهبة ... ٩١

من توجيهات النبوة ... فضيلة الشيخ عبدالحميد بلبع ... ٩٤

رمضان شهر الروح ... الدكتور عبد الغنى الراجحى ... ٩٧

الاعتكاف ... سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى ٩٩

حكم الصيام ... فضيلة الشيخ عبدالرحيم فرغل البلينى ١٠٣

روح بدر ... الدكتور القطب محمد طبلية ... ١٠٦

الفاطميون فى مصر ... الدكتور محمد جمال الدين سرور ... ١٠٩

أمام الاحداث ... الاستاذ عبد العليم المهدى ... ١١١

دعوة الميثاق الوطنى ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ١١٤

الايمان صانع المعجزات ... الاستاذ محمود الهجرسى ... ١١٦

النبى الكريم ... الاستاذ اسماعيل كشميرى ... ١١٩

العظمة الاسلامية ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ... ١٢٢

التطور الاقتصادى ... الدكتور أحمد شلبى ... ١٢٤

رمضان بين الصوم والصبر ... الاستاذ جابر محمود ... ١٢٧

شهر رمضان وحكمة صيامه ... فضيلة الشيخ حنفى عبدالمتجلى ... ١٢٩

الذكريات الخالدة فى رمضان ... الاستاذ حسين احمد هاشم ... ١٣١

الاعجاز البياني ... ... الدكتور حفني شرف ١٣٣

الصيام وتكوين السلوك الاشتراكي ... ... الاستاذ محمد الحسيني حنفي ١٣٦

فتح مكة من نفحات رمضان ... ... الدكتور محمد سلام مدكور ١٣٩

ذكريات ودروس ... ... الاستاذ محمد معروف ١٤٤

الاوضاع التى استحدثها عمر بن الخطاب ... الاستاذ عبد العال شعيب ١٤٥

من وحى النور فى رمضان ... ... الاستاذ ابراهيم عبد الرحمن مصباح ١٤٧

الدين والادب فى آل البيت ... ... الاستاذ محمد جاد الرب ١٤٩

بيت العكنبوت ... ... الاستاذ حسن عزالدين الجمل ١٥٢

الحسن بن على رضى الله عنه ... ... الاستاذ محمود عبد اللطيف ١٥٧

صور مظلمة من الماضى البغيض ... ... الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم ... ١٥٩

الصيام اعداد وتوجيه وتربية وسلوك ... ... الاستاذ منصور نسيم ١٦١

عباد الرحمن واخوان الشيطان ... ... الاستاذ حسن الشيخة ١٦٢

عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبدالمجيد ١٦٤

فتح العراق وموقعة البويب ... ... الاستاذ احمد ابراهيم الشريف... .. ١٦٦

حياة المقر الشهابى ... ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى .. ١٦٩

قصة سليمان مع الجياد ... ... الاستاذ بهاء الدين القبانى ... ١٧٢

الامام الشافعى فى مصر ... ... الاستاذ عبد الجليل شلبى ١٧٨

طريق الدعوة الاسلامية ... ... الدكتور فؤاد فخر الدين ١٨١

الصوم امانة ... ... فضيلة الشيخ احمد الشرباصى ١٨٣

الجندية فى الاسلام ... ... الدكتورة سعاد ماهر ١٨٥

بقية معالم الطريق ١٩٠

حول الحقيقة ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ٢٠٩

رمضان ... ... الشاعرة روحية القلينى ٢١٠

كيف ننسى ... ... الشاعر محمود ابو الفتوح ٢١٢

نداء الحرية ... ... الشاعر عبد الملك عبد الرحيم ٢١٤

غزوة بدر ... ... الشاعر موسى جلال احمد موسى ٢١٦

الشهر المعظم ... ... الشاعر نجاتى عبد الرحمن ٢١٩

مختارات من شعر ابن عربى ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل ٢٢٢

باب الرياضة ... ... الاستاذ ناصف سليم ٢٢٤

قصة العدد ... ... الاستاذ حسين القبانى ٢٢٨

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ٢٣١

القمر ... ... الدكتور محمد جمال الدين الفندى ... ٢٣٨

الصيام والطب ... ... الدكتور على اسماعيل ٢٤٠

الرحالة والمستكشفون العرب ... ... الدكتور انور عبد العليم ٢٤٢

كيف يحتفل المسلمون بشهر رمضان المعظم... تحقيق اعداد : يوسف الروينى
مصطفى زاهر ٢٤٥

الصيام صحة ودين وتربية ... ... تحقيق اعداد : عبد الودود طه ، عبد
القادر فيوض ٢٥٠

ليلة القدر فى العالم الاسلامى... ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ٢٥٤

ندوة الشهر ... ... اعداد : عبد الرحمن الشربينى ٢٥٧

تقاليد رمضانية ... ... اعداد : نجاة الزنيرى ٢٥٩

رابعة العدوية ... ... اعداد : عائشة حسنى ٢٦٢

يد الثورة الرحيمة ... ... اعداد : عفاف خليل ٢٦٤

انت تسال والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مامون ٢٦٦

مع القراء ... ... اعداد : فؤاد هيبة ٢٦٩

بريد التعارف ٢٧٠

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربي

سلسلتى

كتب إسلامية
و
دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)